المرجعية وأثرها في بناء الانسان

اعمال

المؤتمر العلمي الدولي الثامن عشر

الذي أقامه مركز دراسات الكوفة

ودائرة العتبات المقدسة والمزارات الشريفة

برعاية العتبة العلوية المقدسة

لسنة ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م

الجزء الرابع

المحور السياسي - القسم الثاني

اعداد واشراف

أ.د.عدي جواد الحجار

فهرس البحوث

ت	اسم الباحث	اسم البحث	الصفحة
١.	ا.م.د. عمار محمد كاظم فرج م.د.علي جودة صبيح المالكي	دور المرجعية الدينية الشيعية في مقاومة الاستعمارفي البلاد العربية والاسلامية ١٣٢٩ـ ١٣٣٤هـ /١٩١١ـــ١٩١٥م (ليبيا-ايران-العراق)انموذجا"	١
٢.	أ.م.د. عائدة محمد عبيد د. اكسم احمد فياض	(دور المرجعية الدينية في محاربة الارهاب والحفاظ على الوحدة الوطنية)	٥٤
٣.	م.د. علياء سعيد ابراهيم	موقف المرجعية الدينية من الحركة الصهيونية (١٩٣٢ـ١٩٦٧)	٨٢
٤.	م.د فارس فضيل عطيوي	فتوى السيد السيستاني(دام ظله) بالجهاد الكفائي وأثرها في درء الفتنة الطائفيّة والحفاظ على الوحدة الوطنية	١١٨
٥.	م.د.أركان مهدي عبد اللّه	موقف علماء الدين الشيعة من السياسة البريطانية في بناء الدولة العراقية ١٩٢١ ـ ١٩٢٣	١٤٨
٦.	د. عهود سامي هاشم	دور المرجعية الدينية في الحفاظ على اللحمة الوطنية العراقية	١٩٥
٧.	د.هيام طعمه مطلك د. عمار الزويني الحسيني	أثر المرجعيّة في بناء المجتمع (الوحدة الإسلاميّة أنموذجا)	٢٢٣
٨.	د.مالك عباس جيثوم م.م.علي حمزة جبر	دور المرجعية الدينية العليا في ترسيخ مباديء النظام الدستوري في العراق	٢٥٠

٩.	د. هادي حسن شويخ	(خطاب الوحدة الوطنية بين الشيخ الشيرازي والسيد السيستاني)	٢٦٩
١٠.	د. حليم صخيل العنكوشي	الجراحة المعرفية لمعتنقي الأفكار المتطرفة (المرجعية الدينية الرشيدة أنموذجا)	٢٨٥
١١.	م.م. صلاح عوده عبد الأمير الدعمي	أثر فتاوى الجهاد لمراجع الشيعة الإمامية في مواجهة القوى الاستعمارية	٣٢٧
١٢.	م.م.محسن عدنان صالح الجشعمي	دور المرجعية الدينية في مواجهة الخطاب المتطرف ـخطاب ابراهيم الجبهان لشيخ جامع الازهر أنموذجاـ	٣٦٤
١٣.	الباحث: السيد نبأ محسن حسين الحمّامي	مواقف الإمام الحمّامي من القضايا السياسية بين دقة التشخيص والورع في الفتوى	٤٠٣

دور المرجعية الدينية الشيعية في مقاومة الاستعمارفي البلاد العربية والاسلامية ١٣٢٩- ١٣٣٤هـ /١٩١١—١٩١٥م(ليبيا-ايران–العراق)انموذجا"

ا.م.د. عمار محمد كاظم فرج/ كلية التربية للبنات / جامعة البصرة

م.د.علي جودة صبيح المالكي/مركزدراسات البصرة والخليج العربي/جامعة البصرة

المقدمة:

ان التاريخ الجهادي للمرجعية للدينية حافل ومليء بالاحداث الملتهبة التي لايمكن اختصارها في كتاب أو كتابين ،بل يمكن القول : ان تاريخ المسلمين – خصوصا"الحديثرهين لتاريخ النضال الدامي الذي قام به وقاده علماء الدين المجاهدين. وفي حقبة من هذا النضال،حقبة بالغة الحساسية في تاريخ المسلمين لاسيما في العراق وايران،كان لعلماء الدين دورهم المتميز خصوصا" خلال الحقبة الممتدةمن ثورة التنباك في نهايات القرن التاسع عشر الميلادي وحتى ثورة العشرين في اواخر العقد الثاني من القرن العشرين.بين الشيرازي محمد حسن الكبير والشيرازي محمد تقي، ومابين هاتين الثورتين تعقيدات ونضال متراكم لاحد له، فقضية الحركة الدستورية في ايران كانت مخاضا" غير وجه الحياة الايرانية عموما"، وثورة العشرين في العراق تركت بصماتها على مستقبل الشعب العراقي برمته.بيد ان هناك الكثير من المواقف والرؤى والتحليلات حول ادوار علماء الدين في الحياة السياسية والنضالية، كما وهناك الكثير من التشويه والبخس لبعضهم على الاقل.

ان دراسة موضوع دور المرجعية الدينية عموما ،والمرجعية الشيعية بالذات لابد وان تقودنا الى معرفة معالمها واسسها،فضلا عن تأكيد مشروعيتها واهميتها في حياة

الامة والمجتمع لما تمثله من ضرورات اجتماعية ودينية واخلاقية فضلا عن الجوانب التي تهم شؤون الامة في مجالات السياسة والاقتصاد وغيرها، على ان كل مايتعلق بالاسس التي يعتمد عليها نهج المرجعية كان له اثر ذلك رسم معالم الحياة العامة للامة الاسلامية عموما، والشيعية منها بوجه خاص.من خلال الادوار التي لعبتها المرجعية في القضايا السياسية والاجتماعية ،ليس في العراق وحده،فحسب، وانما تعدى ذلك الى اطار اشمل واعم تمثل في دعم حركات التحرر الاسلامي ضد الاستعمار والاستبداد بكافة اشكاله .وخصوصا في ايران والدولة العثمانية..

ومن اجل دراسة الموقف الشيعي من الظاهرة الاستعمارية، وهو الموقف الذي أخذ انماطا" عديدة من المواجهة والفعل التاريخي، لكنها كانت تتجمع في مواجهة الهجمة الاستعمارية ، والسعي هدف واحد هو لتحقيق استقلال البلاد الاسلامية،كان هذا البحث الموسوم" دور المرجعية الدينية الشيعية في مقاومة الاستعمارفي البلاد العربية والاسلامية-١٣٢٩-١٣٣٤هـ/١٩١١ــــ١٩١٥م(ليبيا-ايران–العراق)انموذجا"،محاولة لاكتشاف أو الية التحولات التي عصفت بأيران وبلاد الرافدين في تلك الفترة الحساسة، وتسليط الضوء على المواقف العلمائية في مقاومة الاستعمار ومشاريعه خلال السنوات الحساسة من حقبة التحدي الاستعماري خلال العقدين الأولين من القرن العشرين

تكون البحث من مقدمة ومبحثين اضافة الى خاتمة لاهم الاستنتاجات التي توصل اليها الباحثان. وكان المبحث الاول منهما (الموقف الشيعي من النشاط الاستعماري(١٣٢٩-١٣٣٠هـ / ١٩١١-١٩١٢م)،بينما جاء المبحث الثاني بعنوان(النشاط الشيعي المسلح خلال الحرب العالمية الاولى وحتى العام ١٣٣٤/١٩١٥).

واخيرا وليس اخر فان هذا البحث المتواضع هو محاولة خجولة لتلمس الدور الكبير والمهم للمرجعية الدينية الشيعية في قضايا الامة الاسلامية... ولاندعي الكمال في ذلك، فهو للّه وحده جلت قدرته...نسأله التوفيق والسداد انه سميع مجيب.

المبحث الاول

الموقف الشيعي من النشاط الاستعماري

(١٣٢٩-١٣٣٠هـ/ ١٩١١-١٩١٢م)

كان القرن التاسع عشر يشير بوضوح إلى أن الدولة العثمانية لم تعد قادرة على البقاء . فلقد استفرغ الانهيار الداخلي مقوماتها الأساسية كدولة تستطيع مواجهة التحديات الطموحة للدول الأوربية ، و التي كانت رغم اختلافاتها في المصالح السياسية ، تتفق في عدائها التقليدي لدول إسلامية شاسعة الجغرافيا بضمنها أجزاء مسيحية . ولقد كان لهذا العامل أهميته في تقريب وجهات النظر الأوربية فيما بعد ، بحيث دفعها إلى البحث عن سبل تجزئة الأقاليم العثمانية على أساس مبدأ الضم الحضاري ، واستيعاب العالم الإسلامي كله بمحاولات مفردة لكنها متكررة . غير أن المصالح الاستعمارية المعقدة وتقاطعها الحاد ، أدى في فترات عديدة إلى بروز الاختلاف الأوربي بأشكال عنيفة ، بحيث كانت بعض الدول الأوربية تلجأ إلى مساندة العثمانيين ، لئلا يستأثر بالمكسب أحد الأطراف الأوربية وحده دون سواه ، فتختل بذلك معادلة التوازن الحذرة القائمة آنذاك بين مجتمع الدول الغربية . فمثلا كان لبريطانية نشاطها الملموس في عرقلة البقاء الفرنسي في مصر أواخر القرن الثامن عشر ، وقد دفعها التنافس إلى القيام بهجوم بحري سريع على الأسطول الفرنسي المرابط على الشواطئ المصرية ، ثم شجعت الدولة العثمانية على مواصلة الدفاع ، وقد قدمت له مساعداتها في هذا الاتجاه حتى اضطر الفرنسيون الى الجلاء عن

مصر بصورة نهائية[١] . وكادت التجربة نفسها تتكرر عندما احتلت فرنسا الجزائر عام ١٨٣٠م ، حيث واجهت بريطانيا الخطوة الفرنسية بالاعتراض وأعربت عن موقفها بأنها تنظر الى احتلال الجزائر على أنه أمر مؤقت .ولم تقرر الاعتراف به الأ عام ١٨٣٧م[٢]، حين حصلت على مكاسب مرضية. وعندما نشبت حرب القرم بين روسيا و الدولة العثمانية عام ١٨٥٣م ، وكانت روسيا تطمع في تحقيق نصر حاسم على العثمانيين ، عمدت بريطانيا و فرنسا الى دخول الحرب في) السنة التالية الى جانب الدولة العثمانية . وبعد ثلاث سنوات من بداية الحرب تم تحقيق النصر على روسيا ، لكنه كان باهظ الثمن ، جعل الكثير من البريطانيين و الفرنسيين يتساءلون بندم : ماذا جنينا من هذه الحرب ؟[٣] .

لم يكن الاندفاع الغربي في مساندة الدولة العثمانية في حالات كهذه يقتصر على الوسط السياسي الأوربي ، إنما كان يمثل مبدأ سياسيا سائدا خلال تلك الفترة ، طالما أن الاتفاق النهائي لم يحصل بشأن مستقبل البلاد العثمانية . فعندما حدثت الازمة بين محمد علي باشا والي مصر و السلطان العثماني ، أعلن محمد علي حربه في عام ١٨٣٢م وتقدمت جيوشه فاحتلت الشام ، ثم واصلت زحفها باتجاه الشمال مقتربة من إسطنبول . وقد أثار هذا التطور العسكري الدول الأوربية التي سارعت الى التدخل فمارست نشاطا دبلوماسيا مكثفا اسفر عن توقيع الصلح بين الطرفين المتحاربين .اذ تصورت الدول الأوربية ان الجيش المصري سيدخل إسطنبول ،وفي هذه الحالة ستتحول السلطنة الى محمد علي باشا ، وتنتهي بذلك مشاريعها الاستعمارية في تقسيم البلاد العثمانية . وهذا ما اوضحه صراحة وزير الخارجية البريطاني ، إذ كتب يقول : "إن هدف محمد علي الحقيقي هو إقامة مملكة عربية تضم جميع

البلاد يتحدث أهلها باللغة العربية . وقد يكون هذا الامر في ذاته لا ضرر منه ، ولكنه يرمي الى تقطيع اوصال تركيا ، وهو ما لا نرضى عنه أبدا "(٤) .

أدركت الدول الغربية أن من الممكن الخروج من مأزق التنافس الحاد فيما بينها ، عن طريق المعاهدات التي تمكنها من قضم أطراف الدول العثمانية من قبل الجماعة الاستعمارية . وقد تم الاتفاق على هذه الصيغة الاستعمارية في (مؤتمر برلين) الذي اختتم أعماله في ٢٠تموز ١٨٧٨ (٢٠رجب ١٢٩٥هـ) وفيه وقعت الدول الأوربية على اتفاقية تقرر فيها تمزيق الإمبراطورية العثمانية ، وتطبيق (مبدأ القوميات)(٥) . وبالفعل باشرت الدول الاستعمارية في انجاز مقررات المؤتمر . فاستولت روسيا على مقاطعات هامة في شرق الأناضول و قفقاسيا ، وفرضت نفوذها على جزء من بلغاريا التي تجزأت الى ثلاثة أقسام . واحتلت النمسا البوسنة و الهرسك . واستولت بريطانيا على جزيرة قبرص . وسيطرت فرنسا على تونس عام ١٨٨١م . أما ايطاليا فقد اعترضت على المؤتمر لانها لم تحصل على أي حصة من تقسيم الامبراطورية العثمانية(٦) .

إن هذه التطورات السريعة في المشروع الاستعماري ، كانت بمثابة الحل المؤقت لاقتطاع مايمكن اقتطاعه من العالم الاسلامي ، في ظل معاهدات عاجلة اتفق عليها المستعمرون لحفظ توازن المصالح فيما بينهم .وكان مؤتمر برلين في حقيقته اعلان الحرب الحضارية على الاسلام وبلاد المسلمين ، حيث اعتبرت الدول الاوربية ان الارض الاسلامية جزء من مشروعها السياسي الكبير الرامي الى فرض مصالحها على اوسع نطاق ممكن من العالم .

الموقف الشيعي من الاستعمار الإيطالي

ان التطبيقات العملمية لمؤتمر برلين لم تكن كافية لإرضاء طموحات المجموعة الاستعمارية ، إذ سرعان ما برزت الاختلافات فيما بينهم من أجل المزيد من عمليات القضم في البلاد الإسلامية .فقد كانت إيطاليا الناقمة على مؤتمر برلين قد استعدت لاقتطاع جزء من البلاد العثمانية ، فأعلنت الحرب على الدولة العثمانية في ٢٩ أيلول ١٩١١م (١٨ شوال ١٣٢٩هـ) بهدف الاستيلاء على طرابلس الغرب وبنغازي(٧).

مهدت إيطاليا لمشروع الاحتلال بسلسلة من الاتفاقيات مع الدول الاستعمارية ؛ لتضمن عدم منافستها . فعقدت في شباط ١٨٨٧م اتفاقية سرية مع بريطانيا جاء فيها : " ستؤيد إيطاليا اعمال بريطانيا في مصر ، ومقابل ذلك ستدعم بريطانيا الاعمال التي تقوم بها إيطاليا في أية ناحية من سواحل شمال إفريقية . ولاسيما في طرابلس الغرب و بنغازي ، وذلك في حالة استيلاء دولة ثالثة على أي جزء من أجزاء تلك السواحل ،وفي كل الأحوال سيساعد الطرفان بعضهما البعض في جميع الأمور التي تتعلق بالبحر المتوسط "(٨).كما عقدت إيطاليا معاهدة سرية مع فرنسا في كانون الأول ١٩٠٠م ضمنت من خلالها عدم منافسة الأخيرة لها في طرابلس الغرب،جاء فيها: " ان إيطاليا تعترف لفرنسا بالاولوية في مراكش،كما ان فرنسا تعترف لإيطاليا بالاولوية في طرابلس و بنغازي. فاذا أقدمت فرنسا على استحصال منافع جديدة في مراكش،فسيحق لإيطاليا أن تقوم بما تراه من إجراءات في طرابلس و بنغازي"(٩).

كما أجرت إيطاليا اتصالات مكثفة مع بريطانيا ، اثر اتفاق فرنسا و بريطانيا عام ١٩٠٤م الذي اعترفت فيه الأخيرة بحق إيطاليا في طرابلس الغرب ، وانما حصتها من الغنائم الافريقية (١٠) .وفي تشرين الأول ١٩٠٩م عقدت إيطاليا اتفاقية سرية مع

روسيا ورد فيها : " يعمل الطرفان على حل مسائل البلقان وفق مبدأ القوميات .. وتتعهد روسيا ان تنظر بعين العطف الى مصالح إيطاليا في طرابلس ، كما تتعهد إيطاليا ان تنظر بعين العطف الى مصالح روسيا في المضايق"(١١) .

وعندما استكملت إيطاليا تحركاتها الدبلوماسية ، و أتمت اتفاقياتها مع المجموعة الاستعمارية ، تحركت لاحتلال الأراضي الليبية ، وانزلت قواتها العسكرية في طرابلس و بنغازي . ولابد من الاشارة هنا الى ان ليبيا كانت تختلف من الناحية الإدارية عن مصر و تونس و الجزائر ، فهذه الأقاليم كانت تمتلك إدارة مستقلة ، لها جيوشها الخاصة ، وحكوماتها التي تتمتع بحكم ذاتي في نطاق الدولة العثمانية . أما ليبيا فكانت تابعة مباشرة للحكومة المركزية باسطنبول ؛ لذا تعاملت الحكومة العثمانية مع احتلالها على انه حرب مباشرة تستهدف ولاياتها ، خلافا لحالات مصر و تونس و الجزائر .وعلى هذا فقد كانت الاحتلال الإيطالي يمثل تحديا مباشرا لكيان الدولة ، الامر الذي ولد ردود فعل قوية داخل الولايات العثمانية(١٢) سلطان .

كانت الاستجابة الشيعية نشطة إزاء الحدث ، اذ ماكادت الدولة تتبنى اعلان الجهاد ، حتى بادر علماء الشيعة الى اصدار فتاواهم في وجوب الجهاد و محاربة الاستعمار الإيطالي . كما ساهمت الشيعة الى جانب السُنّة في تشكيل لجان الدفاع عن طرابلس الغرب ، وجمع التبرعات ، حتى ان الشيخ مبدر الفرعون رئيس ال فتله تبرع بمبلغ خمسمائة ليرة ، واعرب عن استعداده للاشتراك في الجهاد رغم انه كان معتقلا ، وقد اطلقت الحكومة العثمانية سراحه تثمينا لمواقفه(١٣) سلطان.

في كربلاء عقد الأهالي اجتماعا عاما عند ضريح الامام الحسين (ع) ألقيت فيه الخطب الحماسية ، ثم جرى جمع التبرعات . وفي ١٢ تشرين الأول ١٩١١م (١٨ شوال

١٣٢٩هـ) تظاهر ما يقرب من الالفين من أهالي المدينة (١٤) . وشهدت مدينتا النجف الاشرف و سامراء تظاهرات جماهيرية ألقيت فيها الخطب الحماسية ، ودعا الخطباء الى نبذ الخلافات الطائفية و توحيد الجهود (١٥) .

كما اهتم الشعر الشيعي بالاحتلال الإيطالي ، ونظم علماء القصائد السياسية التي تبين ابعاد التحدي الاستعماري وواجب المسلمين إزاء المشاريع الاستعمارية . كان من هولاء العلماء الشيخ محمد باقر الشبيبي و الشيخ علي الشرقي و الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء و غيرهم من علماء و شعراء الشيعة (١٦) . وارسلت الهيئة العلمية في النجف، السيد مسلم زوين و عزيز بك قائمقام النجف الى ليبيا لدراسة إمكانية الاشتراك في الجهاد (١٧) .وتزامن الاحتلال الإيطالي بطرابس ، مع هجوم روسيا على ايران ، مما جعل علماء الشيعة يصعدون من مواجهتهم للسياسيات الاستعمارية ، التي تحولت تطبيقاتها الى موجة عسكرية خطرة تهدد البلاد الإسلامية (١٨) سلطان.

أصدر الشيخ محمد كاظم الخراساني و الشيخ عبد الله المازنداني و شيخ الشريعة الاصفهاني و الشيخ علي رفيش و السيد محمد سعيد الحبوبي و السيد مصطفى الكاشاني و الشيخ حسن صاحب الجواهر و غيرهم من العلماء ، اصدروا الفتوى التالية : "من علماء النجف الاشرف الى كافة المسلمين الموجودين و من جمعتنا و إياهم جامعة الدين و الإقرار لمحمد (ص) سيد المرسلين ـ

السلام عليكم أيها المحامون عن التوحيد و المدافعون عن الدين و الحافظون لبيضة الإسلام .لا يخفى عليكم ان الجهاد لدفع الكفار عن بلاد الإسلام و ثغوره مما قام إجماع المسلمين و ضرورة الدين على وجوبه . قال الله سبحانه ((انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)) ،هذه جنود إيطاليا قد هاجموا على

طرابلس الغرب التي هي من اعظم الممالك الإسلامية و أهمها ، وخربوا عامرها و ابادوا ابنيتها وقتلوا رجالها ونساءها و اطفالها . مالكم تبلغكم دعوة الإسلام فلا تجيبون ، وتوافيكم صرخة المسلمين فلا تغيثون ؟ أتنتظرون ان يزحف العدو الى بيت اللّه الحرام و حرم النبي (ص) و الائمة (ع) و يمحوا الديانة الإسلامية و الدولة العثمانية عن شرق الأرض و غربها . وتكونوا معشر المسلمين أذلّ من قوم سبأ .فاللّه اللّه في التوحيد . اللّه اللّه في الرسالة . اللّه اللّه في أحكام الدين وقواعد الشرع المبين. فبادروا الى ماافترض اللّه عليكم من الجهاد في سبيله ،واتفقوا ولا تفرقوا ، واجمعوا كلمتكم ، وبذلوا اموالكم ، واخذوا حذركم ،وأعدوا لهم ماستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو اللّه و عدوكم ، لئلا يفوت وقت الدفاع وانتم غافلون ،وينقضي زمن الجهاد وانتم متثاقلون .فليحذر الذين يخالفون أمره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب أليم" (١٩).

واصدر السيد كاظم اليزدي فتواه بوجوب الدفاع عن طرابلس الغرب ضد الاحتلال الايطالي و مواجهة التحدي لاستعماري الذي تتعرض له بلاد المسلمين .وقد حاول علماء الشيعة نشر الوعي السياسي على اكبر قاعدة من الامة الاسلامية . وذلك من خلال عرض مواقفهم في صحافة الدولة العثمانية . ولهذا المشروع الاعلامي اهميته السياسية انذاك ، نظرا لعدم اهتمام الدولة بالشيعة ، واتباعها سياسة طائفية جعلت الشيعة بعيدين عن دورهم الحقيقي في كيان الدولة . وعلى هذا فإن علماء الشيعة ارادوا كشف حقيقة موقفهم الاسلامية من اجل حث المسلمين كافة على التفاعل مع الدولة في مواجهة النشاط الاستعماري الذي يستهدف المسلمين بلا تمييز(٢٠).

. وضمن هذا الاتجاه أرسل الشيخ الخراساني و السيد اسماعيل الصدر و الشيخ عبد اللّه المازندراني و الشيخ محمد حسين المازندراني و شيخ الشريعة الاصفهاني ، البرقية التالية الى الصحف التركية في اسطنبول :."ظهرت منذ سنوات فكرة استيلاء

ايطاليا و روسيا على طرابلس و ايران ، واستبعاد المسلمين من اهلها و اذلالهم ، وعملت الدولتان على فتح تلك الاراضي الاسلامية المقدسة . نقول : انه بعد ان اصبحت نوايا الدولتين معلومة للجميع في الوقت الحاضر ، اذا اضمحلت كرامة ايران و قوميتها ، وقضي على استقلالها واذل شعبها لا سمح اللّه ، فإن ذلك سيكون ضربة مهلكة للعالم الاسلامي ، ومهما امعنت الدولتان اللئيمتان في تقطيع الممالك الاسلامية اربا اربا . فإن تمسك المسلمين بدينهم الحنيف كفيل بارجاعهما خائبتين خاسرتين .و نحن بصفتنا علماء المسلمين نؤكد ضرورة تخليص إيران ، ونطلب منكم اعلان حكمنا المتضمن وجوب الدفاع ، بصفتكم الى جميع المسلمين في شتى انحاء العالم ، ونعلمكم بأننا ملزمون و مستعدون لاراقة آخر قطرة من دمائنا في سبيل حفظ الاسلام و الوطن الاسلام" (٢١) .

كما ارسل كل من الشيخ الخراساني ، والشيخ عبد اللّه المازندراني برقية الى السلطان العثماني محمد رشاد في ١٧ ذي الحجة ١٣٢٩هـ تدعوه الى التصدي لمواجهة المشاريع الاستعمارية و التخلي عن سياسة المهادنة معها . وهذه البرقية تعكس قوة موقف علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار ، وحجم تفاعلهم مع مشاكل البلاد الاسلامية ؛ لانهم يشخصون أبعاد المشروع الاستعماري بدقة ،للدرجة التي يأخذون فيها على السلطان العثماني عدم اهتمامه المطلوب بالمخاطر التي يتعرض لها العالم الاسلامي ، نصت البرقية على مايلي :"الى المقام المقدس ملك المسلمين السلطان محمد الخامس خلد اللّه ملكه ...بسم اللّه الرحمن الرحيم

روع العالم الاسلامي نتيجة لتعرض بلادهم للغزو من جميع الاطراف . نحن بصفتنا رؤساء المذهب الجعفري الذي ينتمي اليه ثمانون مليونا من المسلمين من سكان ايران و الهند وسائر المناطق الاخرى ، وقد اتفقنا و حكمنا بوجوب الجهاد لغرض الدفاع و

الهجوم ، ونرى ان عموم المسلمين مكلفون باراقة الدماء لصيانة دين محمد (ص) ، وان ذلك العمل فرض عين . ونعرض على اعتاب الملك حامل الامانات المقدسة ، وخادم الحرمين الشريفين ، وخليفة الاسلام ، ونطلب منه الا يتضايق من اعطاء لواء النبي (ص) الى المسلمين الذين سيتقاطرون من انحاء العالم للدفاع عن بلادهم . وان محافظة السياسة الاوربية قد ولى ، ونسترحم بمقتضى الشريعة وشان الخلافة اعطاء الامر" (٢٢).

لقد اهتم علماء الشيعة خلال تلك الفترة بنشر الوعي السياسي ، وتركيزه في اذهان الامة ، من اجل توجيه انظارهم الى خطورة الواقع السياسي الذي يحيط بهم ، ومدى ضخامة التحديات الاستعمارية التي تتعرض لها الامة الاسلامية .وفي هذا السياق ، اصدر الشيخ حسن علي ال بدر القطيفي كراسا تحت عنوان "دعوة الموحدين الى حماية الدين " طبع في النجف الاشرف عام ١٣٢٩هـ (١٩١١م)، وقد تحدث فيه المؤلف عن النشاط الاستعماري المكثف الذي تتعرض له اقاليم العالم الاسلامي في ليبيا و ايران ، واشار الى حلقات السياسة الاستعمارية التي سيطرت فيها الول الاوربية على الهند و السند و الاندلس و تونس و مصر و البحرين و عمان و غيرها من بلاد المسلمين .ووجه الشيخ القطيفي انظار المسلمين الى ان المشروع الاستعماري لم يتوقف بعد ، وانه يستهدف اقاليم اسلامية اخرى (٢٣).

وكذلك اصدر شيخ الشريعة (فتح اللّه) الاصفهاني كراسا باللغة الفارسية ، دعا فيه المسلمين الى ترك الخلاف و النفاق ، والتمسك بالاتحاد و الوفاق من اجل حفظ استقلال البلاد الاسلامية و والتصدي للنشاط الاستعماري الذي استهدف طرابلس الغرب و ايران و غيرهما من بلاد المسلمين (٢٤) . كما نشر شيخ الشريعة الاصفهاني بيانا عاما اشتمل على عشر نقاط تحليلية للتحدي الاستعماري ، بين فيها اساليب

الاستعمار في التوغل الى بلاد المسلمين ، وسيطرتهم على الحياة الاقتصادية فيها ، بحيث اصبح المسلمون بحاجة الى السلع الاجنبية، وقد اخذت ثروات المسلمين ترحل الى الدول الاستعمارية لقاء سلعهم الكمالية . وتحدث شيخ الشريعة في نقاطه العشر عن اساليب الاستعمار في الغزو الثقافي لبلاد المسلمين وسيطرتهم على اذهان ابناء الامة من خلال قوة النشاط الثقافي المغرض . ودعا الشيخ الاصفهاني في بيانه الى وحدة المسلمين لمواجهة المخطط الاستعماري الهادف الى السيطرة على العالم الاسلامي (٢٥) .

لقد سعى علماء الشيعة الى تصعيد حالة التصدي للاستعمار الغربي ، فعقدوا مؤتمرا ضخما في الصحن الكاظمي الشريف لتعبئة الجماهير ضد التحديات العسكرية الاستعمارية في ليبيا وايران .ووجهت لجنة المؤتمر عدة بيانات الى الكثير من الشخصيات و الهيئات الاسلامية تستنهض فيها المسلمين لمواجهة التحدي الاستعماري ، وتدعوهم الى العمل المكثف من اجل حفظ البلاد الاسلامية . وفي بيان اصدره الميرزا محمد تقي الشيرازي وشيخ الشريعة الاصفهاني و السيد اسماعيل الصدر و الشيخ عبد اللّه المازندراني و الشيخ محمد حسين المازندراني ، وذلك في صفر ١٣٣٠هـ (شباط ١٩١٢م) جاء فيه:"نلفت انظار جميع اهل التوحيد و كافة المسلمين بان الاسلام و المسلمين لم يصلوا في ايه فترة من الفترات ، مثلما وصلوا الية في هذه الفترة من الزمن . ان المصائب التي يمر بها الاسلام اليوم تعتبر من اشد المصائب .. وان الضربات التي يتلقاها العالم الاسلامي اليوم هي من اشد الضربات .. وان اساس الدين المبين في خطر ، واثار شريعة الرسول (ص) مهددة بالزوال ، ولم تبق في هذه الفترة سوى دولتين اسلاميتين مستقلتين ، هما الدولتين العليتين العثمانية و الايرانية اللتين تحملان اللواء المحمدي و تحيان حوزة الاسلام و الحرمين الشريفين و المشاهد المقدسة

.وان بقاء حرمة القرآن الكريم و اعلاء كلمتي الشهادة و اقامة دعائم الدين المبين ، يتوقف على بقاء هاتين الدولتين الاسلاميتين ... واذا ما اضمحلت هاتان الدولتان لا سمح الله فلن يبقى هناك للاسلام جامعة او حوزة ، و ستلحق بالاسلام و المسلمين وصمة عار ابدية و خذلان دائم لا أرانا الله ذلك اليوم ابدا.،و اليوم يقوم بعض الاجانب بحملات مسعورة ضد هاتين الدولتين اللتين باتتا تعانيان كافة اشكال المضايقات و الابتلاءات . فمن جهة امتدت يد الظلم الايطالية نحو مسلمي طرابلس الغرب ، حيث تسلب أموال الاهالي ويتعرض النساء و الاطفال الى القتل . ومن جهة اخرى تقوم القوات الروسية بتصويب نيران مدفعيتها ضد الضعفاء و العجزة في تبريز و تقوم باعدام كبار الشخصيات هناك ، وفي قزوين ورشت تدخل اجنبي ظالم ...واستنادا الى ذلك و بالنظر الى هجوم الكفار ، فقد قررنا نحن خدمة الشرع المنير مع جميع العلماء الاعلام من كربلاء و النجف و سامراء ، وحسب مسؤوليتنا الشرعية التجمع في الكاظمية عسى ان نجد حلا لانقاذ المسلمين من ظلم الاجانب و عدوانهم ، واذا لم يتمكن المسلمون في اقطار العالم الذين يعيشون في ظل حكم الاجانب بذل النفس لمساعدة اخوتهم فبامكانهم تقديم المساعدة عن طريق ابداء التضامن معهم .." (٢٦).

كان الاهتمام بالمخاطر التي تواجهها البلاد الاسلامية حديث الاوساط الشيعية عموما ، حيث استنفرت الحوزات العلمية في النجف الاشرف و كربلاء و سامراء و الكاظمية طلبة العلوم الدينية و كبار العلماء ، وقاموا بنشاطات واسعة عبأت خلالها الاوساط الجماهيرية بشكل ملحوظ . وفيما كان علماء الشيعة يمارسون نشاطاتهم المكثفة في تعبئة الراي العام ضد الغزو الاستعماري للبلاد الاسلامية ، كانت الدولة العثمانية تواجه ازمة جديدة . فقد بدات الدول البلقانية تنفق سرا لإعلان حرب جديدة ضد العثمانيين. مما اضطر الحكومة العثمانية الى عقد صلح

مع ايطاليا تنازلت فيه عن طرابلس و بنغازي لايطاليا ، على ان يحتفظ السلطان العثماني بحق تعيين الموظفين الدينين و بعض الصلاحيات الدينية البسيطة الاخرى (٢٧) .

ان هذا الاجواء في واقع الامر، لم ينفع الدولة العثمانية .فقبل يوم واحد من توقيع معاهدة الصلح مع ايطاليا ، شرعت جيوش بلغاريا و اليونان و صربيا و الجبل الاسود في ١٧تشرين الاول ١٩١٢ (٦ذي القعده ١٣٣٠هـ) بالهجوم على العثمانيين ، وبذا بدأت حرب ضروس تعد من ابشع الحروب في ضراوتها وفي المآسي التي نتجت عنها (٢٨) .وقد كشفت الدول الغربية عن موقفها الحقيقي في هذا التخطيط الاستعماري ، اذ صرح رئيس الوزراء البريطاني بان دولته صديقة جميع الدول على اختلافها . وقال رئيس وزراء فرنسا :" إن البلقان هي للصرب و البلغار و الجبليين و اليونان ، هذا حل عادل للمسالة البلقانية " (٢٩) .

لم تنته متابعات علماء الشيعة للغزو الاستعماري بنتائج الحوادث و التطورات السياسية ، انما واصلوا جهودهم من اجل حث الراي العام الاسلامي على وعي و تفهم ابعاد التحدي الاستعماري ، ورصد ملامح السياسة الاستعمارية في البلاد الاسلامية باشكالها و انماطها المختلطة .فلقد نظر علماء الشيعة الى المشاريع الاستعمارية على انها معركة حضارية طويلة يراد من ورائها السيطرة الشاملة على العالم الاسلامي ، وليست مجرد وقائع حربية محدودة بالجغرافيا و الزمن . ومن هنا واصل علماء الشيعة عملية التوعية العامة لابناء الامة تجاه المخططات الاستعمارية ، حيث استمرت الاحتفالات و المظاهرات الاحتجاجية في النجف الاشرف ضد الغزو الايطالي لطرابلس الى ما بعد عام ١٩٢٠م (٣٠) .

الموقف الشيعي مع الغزو الروسي

تولى محمد علي شاه عرش ايران في ١٩ كانون الثاني سنة ١٩٠٧م ،بعد وفاة والده مظفر الدين ١٩٠٧ شاه في الرابع من الشهر ذاته ، وبدأ هذا الداهية يعمل على تحطيم الدستور الايراني وعلى حل المجلس النيابي هذا المجلس وذاك الدستور اللذين بذل العلماء جهودا جبارة مع فئات الشعب الايراني لتشكيلهما سنة ١٩٠٧م على عهد والده مظفر الدين شاه ، لقد تمكن محمد علي شاه من هدم المجلس وتعطيل الدستور وقتل وسجن ونفي أبطاله في حزيران ١٩٠٨ الموافق ٢٣ جمادي الاولى ١٣٢٦هـ (٣١) ، وبذل الشاه محمد علي شاه الاموال وحشد الانصار في سبيل القضاء على حركة المشروطية في بلاده وكان الشعار الذي رفعه في ذلك هو ان الدستور بدعة مخالفة للشريعة الاسلامية ، وقد أيد الشاه في موقفه هذا لفيف من رجال الدين الكبار على رأسهم الشيخ فضل اللّه النوري وكان هذا الرجل من انصار المشروطية في اول الامر ثم انفصل عنهم واخذهم يحاربهم حربا لا هوادة فيها ويتهمهم بأنهم بابيون(٣٢) سلطان.

استمر رجال الدين و الشعب في ضغطهم على الشاه حتى سقوطه على يد الثوار الايرانيين يوم ١٣ تموز ١٩١٣ ،فلجأ الشاه محمد علي وزوجته الى مبنى المفوضية الروسية في طهران ، بينما استقبل سكان طهران الثوار بحماس كبير، و مباشرة عقد من تبقى من اعضاء المجلس الايراني اجتماعا استثنائيا قرروا خلاله خلع محمد علي شاه وتنصيب ابنه احمد على العرش الايراني باسم احمد شاه وكان وقتذاك يبلغ من العمر ١٤ سنة،فتم وضعه تحت وصاية عضد الدولة (٣٣).

لقد وفرت الثورة الدستورية الايرانية في الفترة من ١٩٠٥-١٩١١م ، رؤية لما ينبغي ان تكون عليه الحكومة الاسلامية للمجتهدين وكان مؤلف محمد حسن النائيني : "تنبيه الامة وتنزيه المله"اشهر الاعمال النظرية و المنهجية التي كتبها فقيه شيعي دعما للدستور الايراني ، وكانت اهمية مؤلف النائيني الذي نشر في النجف

في حوالي ١٩٠٩م تكمن في صياغته نظرية سياسية تحدد مسؤولية الحكم بنظر المجتهدين وتسطر مبادئ مقاومتهم للحاكم وتمثيلهم في شؤون الدولة دون تعطيل الشريعة (٣٤).

بعد خلع محمد علي شاه في تموز ١٩٠٩م واعادة الحياة الدستورية الى ايران ، وجدت روسيا ان نفوذها لم يعد كالسابق ، ايام كان محمد علي شاه يحكم ايران ، لذلك لجأت الى تقديم دعمها له في نشاطه الرامي الى استعادة عرشه ، عن طريق استغلال الاوضاع الداخلية الايرانية (٣٥) سلطان

حدث في عام ١٩١١م ان اصدر مسؤول الخزينة المركزية الايرانية وهو رجل اميركي يدعي " مورغان شوستر" قرارا بمصادرة اموال احد افراد عائلة الشاه المخلوع . وقد استغلت روسيا هذا الحادث ، فاعلنت ان قرار المصادرة يجب ان يلغى ، بدعوى ان الامير يتمتع بالحماية الروسية . وتشددت روسيا في موقفها ، فقدمت انذارا الى الحكومة الايرانية بأنها ستتدخل عسكريا في ايران اذا لم يقال المستر شوستر من منصبه ويبعد خارج ايران . وبالفعل نفذت تهديدها وزحفت الجيوش الروسية باتجاه المناطق الشمالية من ايران (٣٦) ، وذلك اواخر تشرين الثاني ١٩١١م (اوائل ذي الحجة ١٣٢٩هـ) . وقدمثل الهجوم الروسي على ايران تحديا جديدا للعالم الاسلامي ، فقد جاء بعد عدة اسابيع من الاحتلال الايطالي للاراضي الليبية ؛ لذلك كانت استجابة علماء الشيعة سريعة وقوية ، فقد اعلنوا فتاواهم بوجوب الدفاع عن ايران ضد الاحتلال الروسي . فقداصدر السيد كاظم اليزدي بيانا افتى فيه بالجهاد ، وتحدث عن الهجمة الاستعمارية التي تقوم بها كل من ايطاليا و روسيا و بريطانيا على البلاد الاسلامية ، ودعا المسلمين الى التصدي للاستعمار ، والدفاع عن كيان الدولتين الايرانية و العثمانية . جاء في البيان الذي صدر في ٢٧ تشرين الثاني ١٩١١

(٥ ذي الحجة ١٣٢٩هـ) : " اليوم هجمت الدول الاوربية على الممالك الاسلامية من كل جهة ، فمن جهة هجمت ايطاليا على طرابلس الغرب ، ومن جهة اخرى روسيا بتوسط عساكرها احتلت شمال ايران،وبريطانيا تدخلت في جنوبها.وهذا موجب لاضمحلال الاسلام،فلهذا يجب على عموم المسلمين من العرب و العجم ان يهيئوا انفسهم الى دفع الكفرعن الممالك الاسلامية،وان لايقصروا و لايبخلوا في بذل انفسهم واموالهم في جلب الاسباب التي يكون بها اخراج عسكر ايطاليا عن طرابلس الغرب و اخراج عساكر روسيا و الا نجليز من شمال و جنوب ايران ، التي هي من اهم الفرائض الاسلامية حتى تبقى المملكتان العثمانية و الايرانية مصونتين محفوظتين بعون الله من هجوم الصليبيين" (٣٧) .

اصدر السيد اليزدي هذا البيان رغم سوء علاقته بالحكومتين الايرانية و العثمانية . الا ان رؤيته للخطر الذي تتعرض لها البلاد الاسلامية ،وتشخيصه لابعاد التحدي الاستعماري جعلته يتخذ هذا الموقف الحاسم ويصدر فتواه بالجهاد .وكما ان الشيخ كاظم الخراساني وشيخ الشريعة الاصفهاني و السيد اسماعيل الصدر و الشيخ عبد الله المازندراني اصدروا البيان المشترك التالي :"الى الايرانيين و مسلمي الهند عامة .ان هجوم روسيا على ايران ، وايطاليا على طرابلس الغرب موجب لذهاب الاسلام ، واضمحلال الشرعة الطاهرة و القران . فيجب على كافة المسلمين ان يجتمعوا ويطالبوا من دولهم المتبوعة رفع هذه التعديات غير القانونية من روسيا و ايطاليا . وليحرموا السكون و الراحة على انفسهم مالم تكشف هذه الغمة و الغائلة العظمى وليعدوا هذه النهضة منهم تجاه المعتدين على البلاد الاسلامية جهادا في سبيل الله، ، كالجهاد في بدر و حنين " (٣٨) . وكتب الشيخ الخراساني الى علماء الدين في مدينة تبريز يأمرهم بوجوب التدرب على السلاح ، واصدر فتواه بحرمة شراء

البضائع الروسية .وحاولت الحكومة الروسية تهدئة الموقف الشيعي ، فبعث القنصل الروسي في بغداد رسالة الى الشيخ الخراساني ، شرح فيها الأسباب التي دفعت حكومته للتدخل العسكري،واكد ان بلاده ستنسحب من الأراضي الإيرانية عند قبول شروطها؛ولكن الشيخ الخراساني أجاب برسالة شديدة اللهجة،اعرب فيها عن اسفه لنقص روسيا التزاماتها مع ايران،واعتمادها الأسلوب العسكري بدلا من الإجراءات الدبلوماسية،وهدد الخراساني الحكومة الروسية بانها مالم تنسحب من الأراضي الإيرانية و تتخلى عن شروطها فان تراب ايران سيتلون بدماء الملايين ، وقال في رسالته:" لقد نفذ صبر المسلمين،ومادامت بينهم ورقة واحدة من القرآن الكريم،فأنها لايمكن ان يهزموا . اننا نحن المجتهدون مستعدون لبذل آخر قطرة من دمائنا في سبيل حفظ الدولة والشعب الإيراني" (٣٩) .

لقد نظر علماء الشيعة الى التحدي الاستعماري نظرة شاملة ، فحاولوا تصعيد العمل السياسي كموقف إسلامي عام في مواجهة الهجوم الاستعماري الذي يتعرض له العالم الإسلامي .ففي ٥ كانون الأول ١٩١١م (١٣ ذي الحجة ١٣٢٩هـ) أرسل رئيس مجلس الشورى الإيراني برقية الى علماء الدين في النجف الاشرف ، يخبرهم فيها بدخول القوات الروسية مدينة قزوين (٤٠) . فأثار هذا الخبر ردود فعل متزايدة في الأوساط الشيعية،وشهدت مدينة النجف الاشرف تظاهرات جماهيرية شارك فيها العلماء وطلبة الحوزة العلمية .بيد ان هذا التطور الجديد جعل علماء الشيعة يفكرون بعمل سريع ، لمواجهة التحدي الاستعماري المتزايد و الذي يهدد استقلال ايران . وقد وجد علماء الشيعة ان عدم مواجهة التحدي الاستعماري الروسي ، سيمكن الدول الاستعمارية من الاندفاع اكثر في تحقيق مشاريعها العسكرية في بلدان العالم الإسلامي ؛لذلك عقدوا اجتماعا طارئا تقرر فيه التحرك الى

الكاظمية في ١٢ كانون الأول ١٩١١م (٢٠ ذي الحجة ١٣٢٩هـ) ومن ثم قيادة التحرك العسكري ضد الاستعمار الروسي (٤١) . الا انه فجر يوم التحرك توفي الشيخ محمد كاظم الخراساني فجأة . وقد أثيرت حول وفاته المفاجئة الكثير من الشبهات ، فهو كان يمثل القيادة السياسية للعلماء ، وانضوت تحت لوائه حركة الجهاد الشيعي ضد الاستعمار(٤٢).

توجهت الاتهامات الى الروس و الإنكليز في وقوفهم وراء وفاة الشيخ الخراساني المفاجئة . وفي الحقيقة ان وفاة الخراساني كانت تمثل هدفا مشتركا لكل من روسيا وبريطانيا وحتى الحكومة الإيرانية نفسها،والذي يقودنا الى اشراكها ضمن المتهمين – فيما لو كانت الوفاة غير طبيعية – أن الشيخ الخراساني كان يحاول من وراء دخول ايران،إضافة الى اجلاء الروس،إعادة المشروطة الى اتجاهها الصحيح بعد ان انحرفت عنه بمسافات بعيدة . وعلى هذا فأن مشروع الخراساني كان يمثل تهديدا لروسيا و بريطانيا و الحكومة الايرانية على حد سواء،وان اختلفت دوافع الفرقاء الثلاثة.غير ان تصحيح مسار المشروطة و العودة بها الى المنهج الإسلامي الذي أراده الشيخ الخراساني وغيره من علماء الشيعة، وكان يمثل مشروعا مضادا لمصالح الثلاثة . وسيأتي بنا ان الحكومة الإيرانية أخذت تسعى لثني علماء الشيعة عن حركة الجهاد و الزحف نحو ايران. على ان من الضروري القول ان وفاة الخراساني المفاجئة ، لم تؤكد الوثائق التاريخية المعلنة مدى كونها حادثة اغتيال او وفاة طبيعية (٤٣) سلطان.

كانت وفاة الشيخ الخراساني صدمة عنيفة لحركة الجهاد ، مما جعل تحرك العلماء و المجاهدين يتأخر لبعض الوقت .الا ان الاهتمام بالتحدي الاستعماري ظل يستوعب نشاط الوسط الشيعي . فخلالها مراسيم التأبين و الفاتحة التي أقيمت

للشيخ الخراساني ، كانت الخطب و القصائد الشعرية تتركز حول الإخطار التي يتعرض لها العالم الإسلامي من قبل الدوائر الاستعمارية ، وتؤكد على ضرورة التصدي للهجمة الاستعمارية على بلاد المسلمين . و خلال شهر محرم ١٣٣٠هـ (كانون الثاني ١٩١٢م) قرر علماء الدين التوجه الى الكاظمية لاكمال مشروعهم الجهادي .فتم تشكيل لجنة من ثلاثة عشر عالما لادارة التحرك ضد الاحتلال الروسي لإيران . فيما كانت لجنة العلماء تعقد اجتماعاتها في مدينة الكاظمية المقدسة أقدمت القوات الروسية على اجتياح مدينة تبريز و قامت بمجازر بشعة كان من ضمنها اعدام مجموعة من علماء الشيعة . وقد اثار هذا الحدث مشاعر علماء الدين في العراق ، فاعلن السيد كاظم اليزدي انه سيتوجه الى الكاظمية المقدسة للمشاركة في تجمع العلماء (٤٤) .

اثار عزم علماء الدين على التحرك الى ايران على رأس كتائب المجاهدين،واهتمام الحكومة الإيرانية ، فارسلت البرقية التالية في٩ كانون الثاني ١٩١٢م (١٩محرم ١٣٣٠هـ) تطلب فيها من العلماء عدم التوجه الى ايران :"بغداد – من طهران – الجنرال القنصل الإيراني– ليد سماحة نجل الشيخ الخراساني والى حضرات المراجع أدام ظلهم ،يبدومما وصل القنصل في الكاظمية من أنباء،فان خطواتكم المباركة رغم ماينتج عنها من سعادة وبركة، الا ان الدولة تمر حاليا بمرحلة سياسية معقدة جدا،من المحتمل ان تترتب على تحرككم اثار سيئة قد يعتبرها الأجانب خطوة عدائية،الامرالذي قد تنتج عنه عواقب غير محمودة للدولة التي تتبع حاليا سياسة أهون الشرين،وتتجنب كل خطوة تتعارض مع حفظ بيضة الإسلام.وتدعوا الحكومة الإيرانية وبكل إصرار الغاء موضوع المسير،آملين بدعائكم ووجودكم وتوجيهاتكم المباركة ان تدفع الشدائد ويتم التوصل الى الهدف المنشود.مجلس

الوزراء –وثوق الدولة) [٤٥] .وبناء على هذا ، قرر علماء الدين عدم التحرك الى ايران و البقاء في الكاظمية لمتابعة التطورات ، كما ان السيد اليزدي قرر ايضا عدم التوجه الى الكاظمية ، غير ان لجنة علماء الدين أرسلت برقية الى الحكومة الإيرانية تطلب فيها احاطتهم بالمستجدات بصورة عاجلة .

كانت الحكومة الإيرانية تعاني من أزمات داخلية حادة نتيجة اضطراب الامن و خروج العديد من رؤساء العشائر على طاعة الدولة.وقد حاولت الحكومة الإيرانية تهدئة الازمة الداخلية من استكمال مفاوضاتها مع روسيا ؛ لذلك سعت الى الاستعانة بالعلماء في هذا الخصوص،إضافة الى تأكيداتها المتتالية بعدم تحرك العلماء الى ايران ، معللة ذلك بان تحركهم تترتب عليه نتائج خطرة تهدد استقلال ايران ، وان سير المفاوضات سيؤدي الى انسحاب القوات الروسية من الأراضي الإيرانية . بيد أن متابعة العلماء كانت دقيقة لاحداث ايران ، وقد ارسلوا برقياتهم الى الشعب الإيراني يطلبون فيها الوحدة و نبذ الاختلاف . وفي الوقت نفسه كانوا يؤكدون على الشعب الإيراني ضرورة رصده للاحداث ، وعدم سماحه للحكومة ان تعقد أي اتفاقية تمس استقلال ايران [٤٦] .

خلال تلك الفتره نشطت الأجهزة البريطانية التي كانت قواتها تسيطر على المناطق الجنوبية من ايران في تأزيم الأوضاع الأمنية ، عن طريق دفع مراكز القوى و زعماء العشائر الى الاقتتال ، مما دفع علماء الشيعة الى توجيه رسالة الى الشعب الإيراني تدعوهم الى الاتحاد لمواجهة المخططات الاستعمارية الروسية و البريطانية التي تستهدف استقلال البلاد ، جاء في الرسالة التي كتبها في ٢٠اذار ١٩١٢م(١ ربيع الثاني ١٣٣٠هـ) كل من شيخ الشريعة و السيد إسماعيل الصدر و الشيخ عبد الله المازندراني و الشيخ محمد حسين الحائري : "ان وضع المسلمين عامة وفي ايران خاصة

، وهجوم الدول المجاورة وتشبثها بأنواع الحيل و المكائد من اجل القضاء على استقلال المسلمين و استبعادهم و محو شعائرهم ، امر بديهي لا يحتاج الى توضيح ، وان أهم وسيلة تجعلهم يتوصلون الى هدفهم تكمن في زرعهم الخلاف و النفاق وقطع أواصر الاتحاد بين المسلمين . وبعد ان تمكنوا من زرع الخلاف و النفاق بين رؤساء العشائر وغيرهم ، تمكنوا وبكل قوة و بدون أي رادع من ادخال قواتهم الى ايران وفعلوا مافعلوا ، ولم يكن احد يتمكن من منعهم و طردهم لانعدام الوحدة . وبما ان اول فريضة للمسلمين عامة و العلماء الاعلام خاصة هي حفظ بيضة الإسلام ، لذلك فقد اوعزنا . . الى السيد صدر الإسلام ..و الحاج محمد باقر .. بالتهيؤ للسفر و انتخاب نقطة خارج مدينة بوشهر لتجمع كافة الخانات و الزعماء واخذ المواثيق و العهود المؤكدة منهم للاتحاد فيما بينهم ونبذ العداوات الشخصية و المنازعات القديمة ، واخذهم بعين الاعتبار رضى الله و الرسول (ص) و الائمة الاطهار (ع) ، وان لا يقبلوا ان تمحي الشعائر الإسلامية ويتسلط الأجانب على التراب الإسلامي المقدس .. وان لا يسكتوا وهم الذين تربوا في مهد الإسلام تجاه هذه الهجمات المدمرة للدين و الدولة ..." (٤٧) .

إن هذه الرسالة تعكس اهتمام علماء الشيعة بقضية الاستقلال السياسي للبلاد الاسلامية ، وتبين تشخيصهم الدقيق لاساليب الاستعمار في تفتيت الوحدة الاجتماعية للمسلمين من اجل استنزاف قواهم الداخلية ، حتى تسهل السيطرة عليهم . ولقد كان لاهتمام علماء الشيعة بالوحدة الاجتماعية للشعب الايراني ،اثره الكبير في احباط المخططات الاستعمارية الروسية والبريطانية على السواء . فلقد ارادت روسيا وبريطانيا تفاقم الازمة الداخلية في ايران ؛ لايصالها الى مستوى الحرب الاهلية ؛لتتمكنا من وراء ذلك تغطية مشروعهما في فرض وجودهما العسكري على شمال و جنوب ايران . وقد تنبه علماء الشيعة الى هذه الحقيقة ،

فبذلوا جهودهم المكثفة لانهاء الازمة الداخلية ، وبالفعل استطاعوا ان يحققوا في هذا الاتجاه نجاحا ملموسا ، احبط المشروع الاستعماري لكل من روسيا و بريطانيا (٤٨).

الى جانب اهتمام الشيعة بالاوضاع الداخلية الايرانية ، فانهم ظلوا على اهبة الاستعداد للتوجه الى ايران ، فيما لو تعثر سير المفاوضات بين ايران وروسيا ، واصرت الاخيرة على عدم الانسحاب . وكانت الحكومة الايرانية حذرة في مفاوضاتها مع روسيا في مسألة تقديم تنازلات تثير علماء الدين .وقد وصلت في ٢٦آذار ١٩١٢م(٧ربيع الثاني ١٣٣٠هـ) الى الكاظمية برقية من وزير الخارجية الايراني ، قال فيها :" ان القوات الروسية انسحبت من بعض المناطق ، وسيتم انسحاب جميع القوات الاجنبية من الاراضي الايرانية ". وفي ضوء هذ التطور عقدت لجنة العلماء اجتماعا لها تدارست فيه المواقف السياسي الجديد ، وقررت ان مهمة التجمع في الكاظمية قد ادت اغراضها ، فتم الاتفاق على عودة علماء الدين الى اماكن اقامتهم في المدن المقدسة ، وبعد توجيه رسالة الى الشعب الايراني يؤكدون فيها ضرورة الحفاظ على الوحدة الاجتماعية ، و التماسك فيما بينهم من اجل الوقوف امام التحديات الاستعمارية ، التي تستهدف المسلمين بشكل عام ، وتحاول السيطرة على مقدراتهم السياسية و الاقتصادية(٤٩).

إن موقف علماء الشيعة في التصدي للمشاريع الاستعمارية يكشف عن دقة الفعل السياسي عندهم وبعد النظرة التي يحيطون بها الواقع السياسي العام ، كما أن الاحداث بينت حجم التفاعل الجماهيري مع علماء الشيعة في مواقفهم المتصدية للاستعمار ، وبذلك امتلك علماء الدين الشيعة عناصر الفعل السياسي المؤثر ، وفرضوا موقفهم التاريخي على مسار الاحداث .

المبحث الثاني

النشاط الشيعي المسلح خلال الحرب العالمية الاولى وحتى العام ١٣٣٤هـ/١٩١٥

مثلت الحرب العالمية الاولى بداية مرحلة جديدة في النشاط السياسي لعلماء الدين الشيعة ضد المشاريع الاستعمارية ، ولقد كانت هذه المرحلة تحولا حضاريا كبيرا في كل الواقع الاسلامي .حيث افرزت نتائج خطرة على مختلف الجوانب و المجالات في حياة المسلمين ، بدءا من السلطة السياسية و انتهاء بالشؤون الفردية للانسان المسلم . فكانت بذلك البداية الفعلية للسيطرة الحضارية الغربية على العالم الاسلامي ، وتوجيه القرار الغربي لمسارات الحياة في البلاد الاسلامية ، في تحولات ثقافية و سياسية و اجتماعية كانت تتكون بسرعة مذهلة و تعطي نتائج مؤثرة و متلاحقة (٥٠).

رغم هذه الاهمية الاستثنائية لتحديات الحرب العالمية ، وبروز التطبيق العملي الاكبر للمشاريع الاستعمارية ، الا ان الاستجابات الجماهيرية المضادة كانت تتحرك ببطء ثقيل ، فهي لم تقدر خطورة الهجمة القادمة ، ولذلك لم يتحول رد الفعل الى حالة جماهيرية عامة تستوعب كل الامة .ولا شك ان التردي العام الذي كانت تعيشه البلاد العثمانية،و الذي شمل كل جزء من الحياة في الدول ، ترك آثاره المتعبة على المجتمعات الاسلامية ، فنشأت الفاصلة بين السلطة و الامة . ثم جاءت الثورة على السلطة ، والتي سيطرت فيها جمعية الاتحاد و الترقي على الحكم ، لتزيد من اتساع هذه الفاصلة ، نتيجة انتهاج الاتحاديين نهجا قوميا متطرفا جعل ردود الفعل تتزايد حدة ازاء السلطة المركزية (٥١) سلطان.

كان هذا المقطع الزمني ذا اهمية عالية في تحديد اشكال المستقبل فيما بعد . اذ ان المواقف السياسية أخذت تبلور نفسها في اتجاهات مشخصة ، وهو ماتحول عند

اندلاع الحرب العالمية الى مواقف مؤثرة في مسار الاحداث . حيث وقفت الاتجاهات البارزة في البلاد العربية العثمانية ، مواقف متقاطعة و متعاكسة .فكان الاتجاه القومي قد حدد مساره العام بالانحياز الى جانب الانكليز ضد الدولة العثمانية . بينما وقف الاتجاه الاسلامي الشيعي الى جانب الدولة ضد الاستعمار البريطاني .ولقد كان تحديد المواقف قرارا تاريخيا أيامذاك ، باعتبار ان النتائج القريبة التي ستترتب بعد ذلك ، سيكون لها الاثر البالغ في التاثير على المشروع السياسي في الحكم ، وطبيعة الاستقلال الرسمي للدولة(٥٢) سلطان .

إن تلك المرحلة كانت حاسمة في توجيه مستقبل البلاد الاسلامية ،و خصوصا الجزيرة العربية و العراق و الشام ؛ لأنها كانت ساحات الصراع بين الاطراف المختلفة ، وميدان التطبيق الحقيقي للمبادئ و الاتجاهات الفكرية و السياسية . ولقد خضعت هذه المرحلة لتغطية واسعة من الدراسات و الابحاث التاريخية ، لكن الموقف الشيعي لم يأخذ حجمه الحقيقي في معظمها ، وأصر عدد غير قليل على إهماله و تجاوزه .وفي الحقيقة أن موقف الشيعة في مرحلة ما قبل الحرب العالمية الأولى ، كان يعكس مستوى وعي علمائهم و استيعابهم الشمولي لأبعاد الظرف الذي يعيشه العالم الاسلامي ؛ لذلك أكدوا مواقفهم بضرورة مساندة الدولة العثمانية رغم العلاقة المتوترة على طول الخط التاريخي بين الطرفين . و كانت مواقفهم تنطلق من تشخيصهم بان الدولة العثمانية رغم عدم امتلاك سلطانها شرعية الحكم ، إلا انها تمثل الإطار الاسلامي الذي يجمع الشعوب الإسلامية . فلا بدّ من مساندتها لمنع الزحف الاستعماري المتعاظم ، الذي يريد السيطرة على الساحات الاسلامية و يحاول تحكيم ارادته وقيمه على واقع المسلمين و حياتهم العامة(٥٣) سلطان.

إن تاريخ العلاقة بين الدولة العثمانية و الشيعة يشير في ارقامه السريعة الى الاضطهاد الذي عاناه الشيعة من قبل السلاطين العثمانيين،فقد كانت أول ردة

فعل طائفية لهم عندما أعلن الصفويون في ايران ان التشيع هو المذهب الرسمي لدولتهم ، فبادر العثمانيون الى اضطهاد الشيعة (٥٤) .ومارس السلطان سليم الاول سياسة اضطهاد قاسية ضدهم،فقد اعتبر الشيعة غير مسلمين،واعلن ضدهم الحرب المذهبية (٥٥) ، واستصدر من رجال الدين في دولته فتوى بكفر الشيعة وجواز قتلهم. وبناء على تلك الفتوى أقدم على قتل اربعين ألف شيعي (٥٦) .

كما أن وقوع العراق تحت الاحتلال المتناوب بين الصفويين و العثمانيين ، عرض الشيعة و السنة الى اضطهاد متبادل.وقد استمرت هذه الحالة المأساوية حتى الاحتلال العثماني الاخير للعراق عام ١٦٣٨م (١٠٤٨هـ) على يد السلطان مراد الرابع،الذي كان احتلاله للعراق بدافع طائفي بحت،مما جعله يشن حربا قاسية على الشيعة ، فكانت واحدة من النكبات الفظيعة في تاريخ التشيع (٥٧) ،حيث قتل خمسون ألف شيعي. وخلال حكم المماليك ،حاول داود باشا عام ١٨٢٥م (١٢٤١هـ) ،أن يستقل بالعراق عن الحكومة المركزية،فعارضته في ذلك مدينتي كربلاء والحلة،مما جعله ينتقم منهما بقسوة لاسيما مدينة كربلاء المقدسة التي قاومت جيشه ، فحاصرها من عام ١٢٤١هـ الى عام ١٢٤٥هـ حتى تمكن من احتلالها. وقد تعرضت المدينة لانتقامه،فقد قطع أشجار النخيل،واغار المياه ،وقتل عددا كبيرا من سكانها (٥٨) . وتعرضت كربلاء المقدسة أيضا الى انتقام نجيب باشا في عام ١٨٤٢م (ذي القعدة ١٢٥٨هـ) عندما أبت المدينة الخضوع لسلطة الاتراك،فوجهت الحكومة نجيب باشا على رأس جيش كبير اقتحم المدينة و استباحها،وقد زاد عدد القتلى على عشرين ألفا من سكان المدينة(٥٩).

إن مثل هذه الوقفات الدموية لايمكن ان تكون عابرة ، انها في الوجدان الشعبي جرح عميق متوارث عبر الاجيال يتعذر اخضاعه للنسيان ، بل كان التمييز الطائفي

يجعل من المأساة حقيقة متجددة بكل الآمها واحزانها ، خصوصا عندما يكون التعامل حالة سلطوية عامة ، و منهجا متداولا في الحكم رغم تبدل السلاطين و الولاة . وحتى بعد مجيئ الاتحاديين الى السلطة فإن هذه الصورة لم تتغير ، فلقد ظل الشيعة محاصرين في دائرتهم يتعرضون للمضايقة و التمييز الطائفي .في ضوء هذه الحقائق التاريخية ، كان المفترض أن يصبح الشيعة أقل شعوب الدولة العثمانية تفاعلا مع التحديات التي تتعرض لها . غير ان النتيجة جاءت معاكسة لذلك تماما .فلقد كان علماء الشيعة سباقين الى الفعل السياسي المؤثر الذي يدعم الدولة ضد التحديات الاستعمارية . انهم يتناسون مآسي الامس ؛ لانهم يجدون في تحديات اليوم خطرا يستهدف الاسلام و المسلمين ، وهذا ما شكل مفاجاة مذهلة للحكومة العثمانية عندما اندلعت الحرب العالمية الاولى (٦٠).

موقف علماء الشيعة من الاحتلال البريطاني للعراق:

في بداية آب ١٩١٤م اندلعت الحرب العالمية الاولى ، وقد سارعت تركيا الى اعلان حيادها ، غير ان هذا الموقف خضع لضغوط عديدة من أجل زجها في الحرب ، لاسيما وان الدوافع الحقيقية كانت تتطلب فرض الحرب عليها لتنفيذ المشروع لاستعماري في تقاسم اقاليمها . وقد التقت تلك الدوافع مع الرغبة الجامحة للزعماء الاتحاديين في دخول الحرب الى جانب المانيا ، حيث كانوا يتصورون أن انتصار المانيا في الحرب مسألة حتمية ، وان الضمان الوحيد لسلامة تركيا من الاطماع الروسية هو تحالفها مع المانيا (٦١) . وتصورت حكومة الاتحاديين ان هذا لو تم ودخلت تركيا الحرب ، فانها ستعيد امجادها و تخرج من الحرب منتصرة قوية (٦٢).

أما المانيا فانها لم ترغب في البداية باشراك الدولة العثمانية معها في الحرب؛ لانها كانت ترى ان نهاية الحرب لصالحها،فلا مبرر لان يشاركها العثمانيون في

مكاسب النصر،اذ صرح السفير الألماني فون ونغنهايم :"إن المانيا كانت ترمي الى اثارة العالم الاسلامي على المسيحيين،أي انها كانت تنوي تسعير حرب دينية للقضاء على سلطة انكلترا وفرنسا في مستعمراتها الاسلامية كالهند و مصروالجزائروغيرها. ان تركيا بحد ذاتها ليست شيئا مهما،جيشها ضعيف ولا ننتظر منه اعمالا مجيدة في ساحات القتال،ولكننا نحن لا نرى في تركيا الا العالم الاسلامي،فاذا تمكنا من اثارة الرأي الاسلامي العام ضد انكلترا وفرنسا و روسيا،نكون قد أرغمناهم على طلب الصلح في وقت قريب" (٦٣) .

في اواخر تشرين الاول ١٩١٤م اعلنت كل من روسيا وفرنسا وبريطانيا الحرب على الدولة العثمانية (٦٤) وبذلك بدأت بدات مرحلة الحسم الاستعماري في السيطرة على البلاد الاسلامية.وقبل اعلان الحرب كانت بريطانيا قد استكملت اجراءاتها في ترتيب مقدمات غزوها للمنطقة الخليجية من خلال عقد عدة اتفاقيات مع الشيخ مبارك شيخ الكويت،والشيخ خزعل امير المحمرة،وعبد العزيز بن سعود ملك السعودية (٦٥) . لكن المشكلة التي واجهتها،هي موقف علماء الشيعة من احتلال العراق،حيث كانت بريطانيا تدرك ان علماء الشيعة لا يمكن ان يتقبلوا الاحتلال البريطاني،وذلك من خلال المواقف التي تبنوها ازاء الاحتلال الاستعماري للأقاليم الاسلامية ، وتصديهم لاي محاولة استعمارية تستهدف كيان المسلمين السياسي، وهذا ما عبر عنه السفير البريطاني في اسطنبول في رسالة له بتاريخ ٢٥ أيلول ١٩١٤م الى وزير الخارجية البريطاني قال فيها :"ان على نائب القنصل البريطاني في المدن الشيعية المقدسة ان يؤثر عليهم –على المجتهدين-بشكل كيس بجلبهم الى جانبنا" (٦٦) .لكن هذا المسعى لم يؤثر على الموقف الشيعي شيئا فلقد سارع علماء الدين الشيعية الى اعلان الجهاد فور تعرض العراق لهجوم القوات البريطانية (٦٧).

اعلان الجهاد

قبل ان تعلن بريطانيا الحرب على الدولة العثمانية ، صدرت الاوامر الى القوات البريطانية في بومبي بالتحرك نحو المياه الخليجية و المرابطة في البحرين . وبعد اعلان الحرب تقدمت القوات البريطانية نحو العراق في ١٤ تشرين الثاني ١٩١٤م (٢٥ ذي الحجة ١٣٣٢هـ) فاحتلت الفاو (٦٨) . وكانت الدولة العثمانية قد اعلنت الجهاد في ٧ تشرين الثاني ، لكن هذا الاعلان لم يحقق النتائج المطلوبة في اقاليم الدولة . وكانت المفاجأة الكبيرة للحكمة العثمانية ان يبادر علماء الدين الشيعة الى اصدار فتواهم بالجهاد ووجوب محاربة الانكليز.وفي ٩ تشرين الثاني ١٩١٤م وصلت برقية من البصرة الى علماء الدن في المدن المقدسة و مختلف المدن العراقية تخبرهم بالخطر الذي يهدد المدينة جاء فيه :"ثغر البصرة الكفار محيطون به ، الجميع تحت السلاح ، نخشى على باقي بلاد الاسلام ، ساعدونا بامر العشائر بالدفاع" (٦٩) .

استجاب مراجع الدين الشيعة بشكل سريع و مكثف لهذا الخبر ، فأصدروا فتاواهم بوجوب الدفاع عن البلاد ضد الغزو البريطاني ، وعقدوا اجتماعا كبيرا في مسجد الهندي في مدينة النجف الاشرف ، خطب فيه السيد محمد سعيد الحبوبي، والشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ جواد الجواهري ، واكدوا وجوب مشاركة الحكومة المسلمة في دفع الكفار عن بلاد الاسلام (٧٠) .وفي الصحن العلوي الشريف ارتقى السيد كاظم اليزدي المنبر و خطب في الناس يدعوهم الى الدفاع عن البلاد الاسلامية ، وأوجب على الغني العاجز بدنا ان يجهز من ماله الفقير القوي (٧١) . وفي الكاظمية تصدى الشيخ مهدي الخالصي لحركة الجهاد (٧٢) واصدر فتواه بوجوب الدفاع عن بلاد الاسلام ، وكتب رسالة بعنوان "الحسام البتار في جهاد الكفار" كما أصدر حكما اوجب فيه على المسلمين صرف جميع اموالهم في

الجهاد حتى تزول غائلة الكفار، ومن امتنع عن بذل ماله وجب اخذه كرها. كذلك أفتى السيد مهدي الحيدري بوجوب الجهاد ، وعقد اجتماعا كبيرا في الصحن الكاظمي الشريف، دعا فيه الناس الى الجهاد .وفي سامراء اصدر الميرزا محمد تقي الشيرازي فتواه بوجوب محاربة الانكليز، وارسل ابنه الشيخ محمد رضا للالتحاق بالسيد الحيدري (٧٣).

ان دعوة علماء الشيعة للجهاد كشف عن رؤيتهم الواعية لطبيعة المرحلة التي تعيشها البلاد الاسلامية ، فقد وجدوا في الغزو البريطاني جزءا من المشروع الاستعماري الكبير الذي بدأ قبل ذلك بسنوات ، والذي يستهدف السيطرة على البلاد الاسلامية و تجزئتها الى مناطق نفوذ متعددة بين القوى الاستعمارية. واذا كانت فتاوى علماء الشيعة في وجوب الجهاد شكلت مفاجأة للحكومة العثمانية ،فإن مبادرتهم في قيادة كتائب المجاهدين و سرعة الاستجابة الشيعية لهذه المبادرة، شكل مفاجأة للأتراك و الانكليز على حد سواء(٧٤).

توجه علماء الدين الى جبهات القتال على رأس كتائب المجاهدين الذين زاد عددهم على اربعين الف مجاهد . فقد انطلق السيد محمد سعيد الحبوبي من النجف في ١٥ تشرين الثاني ١٩١٤م (٢٥ ذي الحجة ١٣٣٢هـ) عن طريق السماوة و الناصرية. وفي ١٧ تشرين الثاني تحرك موكب السيد عبد الرزاق الحلو.وتلا ذلك تحرك المجاهدين عن طريق بغداد بقيادة كل من، شيخ الشريعة الاصفهاني، والسيد علي الداماد، والسيد مصطفى الكاشاني،وموفدوا السيد كاظم اليزدي، وهم ابنه السيد محمد ،والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، وذلك في ٢ تشرين الثاني ١٩١٤م (٧محرم ١٣٣٢هـ) .وفي ٢٢ كانون الاول ١٩١٤م (٤ صفر ١٣٣٣هـ) غادر النجف الشيخ جعفر الشيخ عبد الحسين، والشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ حسين الحلي،

والشيخ حسين الواسطي، و الشيخ منصور المحتصر، و كثير من العلماء و طلبة الحوزة العلمية (٧٥) .

وقد توزع المجاهدين على ثلاث فرق . الاولى في القرنة، برئاسة السيد مهدي الحيدري، وشيخ الشريعة الاصفهاني، والسيد مصطفى الكاشاني، والسيد الداماد . و الثانية في الحويزة، برئاسة الشيخ مهدي الخالصي وابنه الشيخ محمد و السيد محمد اليزدي و الشيخ جعفر راضي و السيد كمال الحلي . والثالثة في الشعبية، برئاسة السيد محمد سعيد الحبوبي، والشيخ باقر حيدر، والسيد محسن الحكيم(٧٦).

بذل علماء الشيعة جهودهم لتوسيع دائرة حركة الجهاد ، وكانت امارة عربستان تمثل منطقة هامة من الناحية العسكرية انذاك ؛ لذا ارسل علماء النجف الاشرف الى حاكمها الشيخ خزعل البرقية التالية في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٤م (١ محرم ١٣٣٣هـ) : "باسم الشريعة المحمدية يجب عليك النهوض و القيام و اتفاقكم مع المسلمين في مدافعة الكفار عن ثغر البصرة بالمال و النفس و بكل ما تقدرون عليه، وهذا حكم ديني لا يفرق بين الايراني و العثماني جاهدوا باموالهم و انفسكم لينصركم الله بحوله" . وقع على هذه البرقية كل من شيخ الشريعة (فتح الله) الاصفهاني، والسيد مصطفى الكاشاني، والميرزا مهدي الخراساني، والسيد علي التبريزي، والشيخ محمد حسين المهدي (٧٧) .

وفي نفس اليوم ارسل السيد كاظم اليزدي البرقية التالية الى الشيخ خزعل :" لا يخفى ان من اهم الواجبات المحافظة على بيضة الاسلام و الدفاع بالنفس و النفيس عن ثغور المسلمين ضد مهاجمة الكفار . وانت في ثغرمهم من تلك الثغور ، فالواجب حفظ ذلك الثغر عن هجوم الكفار بكل ما تتمكن . كما يجب ذلك على سائر العشائر القاطنين في تلك الجهات ، و اللازم عليك تبليغ ذلك اليهم .كما انه يحرم

على كل مسلم معاونة الكفار معاونة الكفار و معاضدتهم على محاربة المسلمين ، و الامل بهمتك و غيرتك ان تبذل تمام جهدك في دفع الكافرين . و اللّه مؤيدك بالنصر على اعدائه ان شاء اللّه تعالى" (٧٨).

كان الشيخ خزعل يرتبط مع الانكليز باتفاقية تحالف ، تعهد فيها الانكليز بالحفاظ على امارته و الاعتراف باستقلالها اذا ماظلّ حليفا لهم يعمل بمشورتهم (٧٩) وهذا ماجعله يتمسك بحياده .وقد حاول الشيخ عبد الكريم الجزائري بحكم العلاقة الوثيقة مع الشيخ خزعل ان يحمله على مشاركة في الجهاد ، فكتب اليه يأمره ان يقف الى جانب الدولة العثمانية ، وان يعبئ العشائر لمحاربة الانكليز.غير ان خزعل اجابة بالاعتذار شارحا موقفه من الانكليز . فقطع الشيخ الجزائري علاقته به، ومع ان الشيخ خزعل حاول اعادة العلاقة بعد انتهاء الحرب ، الا ان الشيخ الجزائري اجابة بمبدئية :" فرق ما بيني و بينك الاسلام"() (٨٠) .لكن الشيخ خزعل سمح لقوات المجاهدين بالمرور عبر اراضيه وذلك استجابة لطلب السيد اليزدي (٨١) .وفي اواخر كانون الثاني ١٩١٥ وصلت من العمارة قوة تركية بقيادة توفيق بك الخالدي فعسكرت على ضفاف نهر الكرخة على بعد عشرين ميلا من بلدة الاهواز .ثم جاءت على اثرها قوات المجاهدين بقيادة الشيخ مهدي الخالصي، وابنه الشيخ محمد، والسيد محمد اليزدي، والشيخ عبد الكريم الجزائري، والسيد عيسى كمال الدين . واعقب ذلك عمليات عسكرية نفذتها العشائر ضد المنشآت النفطية البريطانية (٨٢) .

اهتم علماء الدين الشيعة بتعبئة العشائر العراقية ومتابعة شؤون حركة الجهاد . فمثلا امتنع الشيخ خيون العبيد في الشطرة عن المشاركة في الجهاد . فكتب اليه السيد كاظم اليزدي عدة رسائل يأمره بالمشاركة ، فقد بعث برسالة الى عشائر

الشطرة يحثهم على الجهاد قال فيها :" السلام على كافة اخواننا في الشطرة وفيما حولها ورحمة اللّه وبركاته .غير خفي عليكم أنا ابرقنا غير مرة لكم و لغيركم وكتبنا حتى كل القلم و شافهنا حتى اضطرب اللسان حثا على الدفاع و الزاما بحفظ الثغر المهاجم ، وأقول الان عودا على بدء : يجب عليكم الدفاع وحفظ بيضة الاسلام ، فبأي عذر بعد اليوم تعتذرون ، واتقوا اللّه حتى تقاته و لاتموتن الا وانتم مسلمون " (٨٣) .

وفي رسالة شخصية بعثها السيد اليزدي الى الشيخ خيون العبيد كتب فيها يقول :"ذو الرشد المتكاثر و العقل الوافر ولدنا الاعز خيون ادام اللّه عزته وأجزل توفيقه و كرامته .وبعد ، فقد بلغك كما بلغنا هجوم الكفار على بلاد المسلمين وأحاطتهم بالبصرة يريدون ليطفئوا نور اللّه بأفواههم ويأبي اللّه الا ان يتم نوره وحيث كان الامر كذلك فأني الزمك وأوجب عليك ان تتوجه انت مع جمع المسلمين الذين هم طوع امرك الى البصرة لسد ثغرها ودفع الكفرة الحافين بها ، فإن ذلك واجب عليك من اللّه تعالى ، و على كل من بلغه كلامي ممن شد الرحال الى البصرة بماله و نفسه و خيله وسلاحه ورجاله ، وليس لمسلم متمكن من ذلك عذر ، و الحكومة و ساير المسلمين في هذا اليوم سواء في وجوب الدفاع و حفظ بيضة الاسلام . وفقكم اللّه وساير المسلمين لذلك ، وبلوغ الاجر فيما هنالك . و السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته" (٨٤).

وارسل السيد السيد اليزدي رسالة أخرى الى الشيخ خيون يقول فيها:"جناب الافخم خيون ال عبيد حرسه اللّه تعالى"بعد السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته...يقينا"بلغت كما بلغنا هجوم الكفار على بلاد المسلمين واحاطتهم البصرة يريدون ليطفئوا نور اللّه بأفواههم ويأبى اللّه الا أن يتم نوره ولو كره المشركون. وحيث ان الامر كذلك فلا يجوز لك ان تشغل نفسك بغير مدافعة

الكافرين ، فأن الواجب عليك – وعلى كل من بلغه فتوانا من وجوب الدفاع على المتمكنين من المسلمين عند مهاجمتهم الكفار على بلاد الاسلام ان تشد رحلك الى حفظ ذلك الثغر ، ولايسوغ عن التقاعد عن نصرة الاسلام والمسلمين"(٨٥).

لم يكتف السيد كاظم اليزدي بمخاطبة خيون العبيد ، انما طلب من بعض رؤساء العشائر بذل جهودهم في الضغط عليه من اجل مشاركته في الجهاد . فقد كتب السيد اليزدي الى رئيس عشيرة الازيرج في الناصرية الرسالة التالية :" ذو العز المنيع و المجد الرفيع و الفضل الجلي، قاطع آل بطي أدام اللّه عزته وأجزل توفيقه و كرامته ..... وبعد ، فقد بلغنا أن خيون غير موافق للحكومة ، والحكومة في هذا اليوم وساير المسلمين سواء في وجوب دفاع الكفار ؛ لانه يجب على كل مسلم متمكن حفظ بيضة الاسلام و دفاع الكفار الهاجمين على المسلمين . فاللازم عليك من قبلنا أن تمنعه من مخالفة الحكومة ، وتلزمه مع أصحابه و الجمع الذي تحت يده ان يتوجه الى البصرة لحماية ثغرها،ودفع الكفرة المحيطين بها،فإني أوجب عليهم ذلك.كما إني أوجب عليك ان تتوجه مع جمعك وأصحابك الى البصرة لسد ثغرها ورد الكفرة عنها،فإن لكم بذلك الأجر الجزيل و الثواب الجميل من اللّه العزيز الجليل.وليس لكم ولا لكل مسلم متمكن من ذلك عذر عند اللّه تعالى . والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته" (٨٦).

كما بعث السيد اليزدي رسائل أخرى بهذا الخصوص الى رؤساء الناصرية ، وظل يتابع بدقة موقف الشيخ خيون العبيد من اجل اشراكة في الحرب دفاعا عن بلاد الاسلام . وقد برر خيون قعوده بانه كان قد استولى على مجموعة من الاسلحة من الاتراك، لو امتلكوا القوة فإنهم سينتقمون منه ، فكتب اليه السيد اليزدي بأنه يضمن عدم تعرضه لسخط الاتراك (٨٧).والى جانب ذلك ارسل السيد محمد سعيد

الحبوبي الى خيون يطلب حضوره الى الناصرية ، وهناك استحصل له من الحكومة عفوا عنه وعن اتباعه وبذلك اعلن حركة الجهاد (٨٨).

عندما اعلن خيون العبيد مشاركته في الدفاع عن الدولة ضد الهجوم البريطاني ،ارسل اليه السيد اليزدي رسالة يثمن فيها موقفه فكتب يقول : "ذي العزة و المنعة و الاباء و الرفعة الامجد الاكرم جناب الشيخ خيون المكرم زيد توفيقه ....لازلت مؤيدا منصور ، وقلب الشرع بك فرحا مسرور بما انت فيه من حياطة الإسلام و صيانة اعراض المسلمين ، و المحافظة على الذمام ، وحماية شريعة سيد المرسلين ، تعطي السيف حقه جهادا في سبيل اللّه ، باذلا نفسك طلبا لرضاه ، مخلدا لك الكر الجميل في كل جيل و كل قبيل آمين بمحمد صلى اللّه عليه وآله الطاهرين. وبعد ، فقد بلغني عنك ما هو المأمول فيك من الشيمة العربية و النهضة الاسلامية ، شكر اللّه تعالى مساعيك ، وشدد صولتك على الكافرين وجعل من طلائعك الرعب ، و النصر لك قرين . فلعمري لقد نشطتني على المداومة لك بالدعوات راجيا من اللّه تعالى ان يزهق بسيفك أرواح المشركين ويطهر تلك الصفحات وها انا بما اعد اللّه تعالى للمجاهدين من الخير أهنيك ، ويرسم التعزية بالأكرمين عسكرومطر أعزيك، فلك البقاء و لهما البشرى بالسعادة الابدية ، و الحياة السرمدية ، و الامل ان تكون المبلغ كافة العشائر المشتركين في هذا الوجه الحسن عني التشكر لتلك المساعي المشكورة ، و الوثبات المأثورة ، وأن تخصهم و نفسك بالتحية و السلام" (٨٩).

موقف الجهاد في مسار الحرب

حاولت بعض الدراسات التاريخية الحديثة التقليل من شأن المجاهدين الذين اشتركوا في الدفاع ضد الاحتلال البريطاني ، وذلك عن طريق وصفهم بأنهم اندفعوا في المعركة من اجل الحصول على المغانم و حاولت كتابات أخرى ان تصور اشتراك علماء الدين الشيعة و المجاهدين في الحرب ضد الهجوم الاستعماري ، على انه

مشاركة هامشية لا تمتلك قيمة عسكرية مؤثرة . وذهب الى ذلك ذوو الاتجاه القومي في كتابة التاريخ المعاصر . وحاول بعض هؤلاء الباحثين إغفال دور مراجع و علماء الدين من غير العرب ، الذين أفتوا بالجهاد و شاركوا في القتال ، اما بصورة مباشرة او عن طريق ممثليهم كالسيد كاظم اليزدي و الميرزا محمد تقي الشيرازي ، وذلك من اجل سعيهم لتوظيف حركة الجهاد بالاتجاه القومي(٩٠).

ان حركة الجهاد استطاعت ان تعبئ و بسرعة ملحوظة عددا كبيرا من المجاهدين بلغ اكثر من اربعين الف مقاتل ، وهو رقم كبير قياسا بعدد افراد الجيش العثماني النظامي ، كما ان المواقف البطولية و الاداء العسكري كان ناجحا في اكثر من معركة ، انما الخلل كان في طريقة الاداء العسكري التركية وعدم قدرتها على توظيف طاقات المجاهدين واخلاصهم في الدفاع عن بلاد الاسلام . وننقل هنا نص وثيقة تاريخية وهي رسالة بعثها الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء الى السيد محمود اليزدي من جبهات القتال ، وكان معه السيد محمد ابن السيد كاظم اليزدي ، وفيها يتحدث عن الموقف العسكري و الانتصارات التي حققها المجاهدين على القوات البريطانية ، قال فيها :

" بسم اللّه الرحمن الرحيم وسلام اللّه على نبيه وأهل بيته الى الاخ الاعز الامجد ثقة الاسلام سيدنا الاجل السيد محمود اطال اللّه عمره وشد ازره ...بعد تقديم عرائض الشوق و التحية و التسليم . نبدي لكم انه وصلنا كتابكم مؤرخ ٢٤ صفر وحمدنا اللّه سبحانه على سلامتكم و سلامة ايه اللّه أدام اللّه على الاسلام ظله ، اما نحن و حضرة المولى السيد محمد ادام اللّه علاه و جميع متعلقيه ففي خيروعافيه ، واما بشائر الجيش الاسلامي نصره اللّه فمن اول امس الى اليوم صباحا و مساءً تردنا البشائر بالتقديم و الظفر واندحار العدو خذله اللّه . اما القوى و العساكر والمدافع

فهي ايضا كل يوم ترد منها كثرة لا تعد،وتنحدر في المراكب الى الاوردي. واولياء الامور يحثون العلماء وخاصة المولى السيد محمد علي التوجه الى ايران لانها في غاية الاغتشاش،وربما يلزمهم ذلك ويتعين عليهم ولا مندوحة لهم عنه،ونسأله تعالى ان يقضي لهم بما فيه الخير والصلاح ان شاء الله ..." (٩١)

لقد كان دفاع المجاهدين وصمودهم ،له الاثرالكبيرفي بعض المعارك التي دارت بين الانكليز و الجيش العثماني،ففي ٢٠ كانون الثاني ١٩١٥م (٤ ربيع الاول ١٣٣٣هـ) شنت القوات البريطانية هجوما مكثفا على موقع الروطة الواقع على بعد خمسة عشر كيلو مترا شمال القرنة ، وكان المجاهدون بقيادة السيد مهدي الحيدري الذي نصب خيامه في مقدمة الجيش قريبا من مواقع الانكليز . وقد بدأ الانكليز هجومهم بقصف مدفعي مكثف على مواقع الجيش الاسلامي ،وكانت القذائف تسقط حول خيام السيد الحيدري . فعرض عليه اصحابه تقويض الخيام و الانسحاب الى الخلف ، لكنه رفض ذلك وأصر على البقاء قائلا :"ان معنويات الجيش كله ستنكسر اذا قوضتم خيامنا ،وربما ظنوا بأننا قد انسحبنا عن مراكزنا،فتضعف عزيمتهم وتنهار قوتهم،بل يجب أن تبقى هذه الخيام قوة للجيش وراية للاسلام وهيبة للمسلمين ورهبة للكافرين" (٩٢) .ولم يكتف السيد الحيدري بذلك ، بل خرج يحث المجاهدين على الثبات و الصمود .وكان الانكليز يرمون بثقلهم في المعركة مستخدمون كثافة نارية في هجومهم ، حتى ان القائد العثماني سليمان العسكري جرح خلال المعركة ، واخذ الضابط الاتراك يفكرون بالانسحاب ، غير ان صمود السيد مهدي الحيدري و كتائب المجاهدين ، فرض عليهم مواصلة الدفاع حتى انتهت المعركة بانتصار الجيش الاسلامي ، و تقهقر القوات البريطاني (٩٣) .

كان حضور علماء الدين و كتائب المجاهدين بقيادة السيد محمد سعيد الحبوبي فاعلا قبل معركة الشعبية التي وقعت في ١٢ نيسان ١٩١٥م(٢٧ جمادي الاولى ١٣٣٣هـ) و خلالها . فقد تحصنت القوات البريطانية في الشعبية تقع على بعد تسعة اميال من الجنوب الشرقي للبصرة ،ونظمت دفاعات مستحكمة حولها . وكانت الخطة التي وضعها القائد العثماني سليمان العسكري تقضي بقيام الجيش النظامي بالهجوم على موقع الشعبية من القلب ، فيما يشن المجاهدون هجومهم من الجانبين الايمن و الايسر . وقد اقترح عليه قادة المجاهدين ان الهجوم على الشعبية لا يحقق النتائج المطلوبة نظرا لقوة التحصينات التي اقامها الانكليز ، كما ان الضباط الالمان ابدوا لسليمان العسكري وجهة النظر نفسها (٩٤) . لكن العسكري لم يهتم بهذه الاراء ، واصر على الهجوم ،فدارت المعركة بشدة بين الطرفين،وكان القتال ضاربا اضطر فيه الجانبان الى الاقتتال بالسلاح الابيض،وابدى المجاهدون بسالة مشهودة وكذلك الجيش العثماني . وفي اليوم الثالث من القتال قررالانكليز الانسحاب الى الوراء،فأمر القائد البريطاني نقل الجرحى الى الخطوط الخلفية تمهيدا للانسحاب، وفي هذه اللحظة قرر الاتراك الانسحاب (٩٥) .

ادى انسحاب الاتراك الى تغيير نتائج المعركة تماما ، فبدل ان تلحق الهزيمة بالانكليز ، فأنهم تحولوا الى منتصرين لسوء تقدير قيادة الجيش العثماني . ورغم اخلاص المجاهدين و مواقفهم البطولية ، فان القادة الاتراك لم يحسنوا التعامل معهم في معظم الحالات . فمثلا قال احمد بك اوراق احد قادة الاتراك امام المجاهدين : " اننا لو فتحنا الشعيبة و البصرة يبقى علينا واجب ثان وهو فتح العراق و خاصة الفرات اولا و عشائر شط دجلة ثانيا لانهم خونة" ، فأجابه الشيخ بدر الرميض رئيس بني مالك

: " أنتم الخونة للاسلام و تحزبكم ضد العرب كاف لمصداق قولي ، وانتم بعد هذا اولى بالحرب و القتال ممن نحارب . ولولا فتوى علمائنا لما وجدتمونا في هذه الساحات التي نقاتل فيها " (٩٦).

لقد كانت لنتائج معركة الشعبية اثرها العميق في نفوس المجاهدين . وقد تسببت في وفاة السيد محمد سعيد الحبوبي كمدا لما شاهده من هزيمة في الوقت الذي كان بالامكان فيه تحقيق النصر على الانكليز لولا سوء تقدير و ادارة القيادة العثمانية للعمليات الحربية ،كما لم تكن معاملة الاتراك لقوات المجاهدين و لجهود علماء الدين الشيعة تتمتع بالياقات المطلوبة في ظروف صعبة مثل ظروف الحرب . ورغم ذلك فقد كان اندفاع العلماء قويا لمواجهة الاستعمار البريطاني باعتباره تحديا عسكريا يستهدف بلاد المسلمين . وكان هذا الموقف يمثل اروع صور مواقف المرجعية الدينية في جهادها ضد الاستعمار بكافة انواعه واتجاهات

الخاتمة

كان التاريخ الجهادي للمرجعية للدينية حافل ومليء بالاحداث الملتهبة التي لايمكن اختصارها في كتاب أو كتابين ،بل يمكن القول : ان تاريخ المسلمين – خصوصا"الحديثةرهين لتاريخ النضال الدامي الذي قام به وقاده علماء الدين المجاهدين. وفي حقبة من هذا النضال،حقبة بالغة الحساسية في تاريخ المسلمين لاسيما في العراق وايران،كان لعلماء الدين دورهم المتميز خصوصا" خلال الحقبة الممتدةمن ثورة التنباك في نهايات القرن التاسع عشر الميلادي وحتى ثورة العشرين في اواخر العقد الثاني من القرن العشرين.بين الشيرازي محمد حسن الكبير والشيرازي محمد تقي، ومابين هاتين الثورتين تعقيدات ونضال متراكم لاحد له، فقضية الحركة الدستورية في ايران كانت مخاضا" غير وجه الحياة الايرانية

عموما"، وثورة العشرين في العراق تركت بصماتها على مستقبل الشعب العراقي برمته.بيد ان هناك الكثير من المواقف والرؤى والتحليلات حول ادوار علماء الدين في الحياة السياسية والنضالية، كما وهناك الكثير من التشويه والبخس لبعضهم على الاقل.

عندما قام الاستعمار الايطالي باحتلال ليبيا سنة١٩١١م،كانت الاستجابة الشيعية نشطة إزاء الحدث ، اذ ماكادت الدولة تتبنى اعلان الجهاد ، حتى بادر علماء الشيعة الى اصدار فتاواهم في وجوب الجهاد و محاربة الاستعمار الإيطالي . كما ساهمت الشيعة الى جانب السنة في تشكيل لجان الدفاع عن طرابلس الغرب ، وجمع التبرعات ، حتى ان الشيخ مبدر الفرعون رئيس ال فتله تبرع بمبلغ خمسمائة ليرة ، واعرب عن استعداده للاشتراك في الجهاد رغم انه كان معتقلا ، وقد اطلقت الحكومة العثمانية سراحه تثمينا لمواقفه،في كربلاء عقد الأهالي اجتماعا عاما عند ضريح الامام الحسين (ع) ألقيت فيه الخطب الحماسية ، ثم جرى جمع التبرعات . وفي ١٢ تشرين الأول ١٩١١م (١٨ شوال ١٣٢٩هـ) تظاهر ما يقرب من الالفين من أهالي المدينة. وشهدت مدينتا النجف الاشرف و سامراء تظاهرات جماهيرية ألقيت فيها الخطب الحماسية ، ودعا الخطباء الى نبذ الخلافات الطائفية و توحيد الجهود.

وعندما زحفت الجيوش الروسية باتجاه المناطق الشمالية من ايران، وذلك اواخر تشرين الثاني ١٩١١م (اوائل ذي الحجة ١٣٢٩هـ) . كان هذا الهجوم الروسي على ايران قد مثل تحديا جديدا للعالم الاسلامي ، فقد جاء بعد عدة اسابيع من الاحتلال الايطالي للاراضي الليبية ؛ لذلك كانت استجابة علماء الشيعة سريعة وقوية ، فقد اعلنوا فتاواهم بوجوب الدفاع عن ايران ضد الاحتلال الروسي . فقداصدر السيد كاظم اليزدي بيانا افتى فيه بالجهاد ، وتحدث عن الهجمة الاستعمارية التي تقوم بها

كل من ايطاليا و روسيا و بريطانيا على البلاد الاسلامية ، ودعا المسلمين الى التصدي للاستعمار ، والدفاع عن كيان الدولتين الايرانية و العثمانية. وكانت هذه الفتوى تعكس اهتمام علماء الشيعة بقضية الاستقلال السياسي للبلاد الاسلامية ، وتبين تشخيصهم الدقيق لاساليب الاستعمار في تفتيت الوحدة الاجتماعية للمسلمين من اجل استنزاف قواهم الداخلية ، حتى تسهل السيطرة عليهم.

ان دعوة علماء الشيعة للجهاد كشف عن رؤيتهم الواعية لطبيعة المرحلة التي تعيشها البلاد الاسلامية ، فقد وجدوا في الغزو البريطاني جزءا من المشروع الاستعماري الكبير الذي بدأ قبل ذلك بسنوات ، والذي يستهدف السيطرة على البلاد الاسلامية و تجزئتها الى مناطق نفوذ متعددة بين القوى الاستعمارية . واذا كانت فتاوى علماء الشيعة في وجوب الجهاد شكلت مفاجأة للحكومة العثمانية ،فإن مبادرتهم في قيادة كتائب المجاهدين للتوجه لقتال البريطانيين في معركة الشعيبة، وسرعة الاستجابة الشيعية لهذه المبادرة ، شكل مفاجأة للأتراك و الانكليز على حد سواء ،ولقد كانت لنتائج معركة الشعبية اثرها العميق في نفوس المجاهدين . وقد تسببت في وفاة السيد محمد سعيد الحبوبي كمدا لما شاهده من هزيمة في الوقت الذي كان بالامكان فيه تحقيق النصر على الانكليز لولا سوء تقدير و ادارة القيادة العثمانية للعمليات الحربية ،كما لم تكن معاملة الاتراك لقوات المجاهدين و لجهود علماء الدين الشيعة تتمتع باللياقات المطلوبة في ظروف صعبة مثل ظروف الحرب . ورغم ذلك فقد كان اندفاع العلماء قويا لمواجهة الاستعمار البريطاني باعتباره تحديا عسكريا يستهدف بلاد المسلمين . وكان هذا الموقف يمثل اروع صور مواقف المرجعية الدينية في جهادها ضد الاستعمار بكافة انواعه واتجاهاته.

الهوامش:

[1] ساطع الحصري ، البلاد العربية و الدولة العثمانية،ط٢ ،(بيروت :دار العلم للملايين،١٩٨٥م) ، ص١٥١.

[2] لويس دوللو ، التاريخ الدبلوماسي،ترجمة وتحقيق ،سموحي فوق العادة ، (عمان:دار عويدات للنشر والطباعة،١٩٩٩م)،ص٢١.

[3] د.علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، الجزء الثاني ،(بغداد:مطبعة الارشاد،١٩٦٩-١٩٧٦م)، ص٦٢.

[4] جورج انطونيوس، يقظة العرب،ط٤ ،(بيروت:دار العلم للملايين،١٩٨٢م)، ص٩٣.

[5] المصدر نفسه،ص ٩٣،

[6] لويس دوللو مصدر سابق،، ص٢٩-٤٠.

[7] عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، الجزء الثامن،(بغداد:مطبعة بغداد الجديدة،١٩٦٥م)،ص٢١٩.

[8] المصدر نفسه،ص٢٢٠.

[9] ساطع الحصري ،مصدر سابق ، ص١٧٥-١٧٦

[10] د.توفيق برو،العرب والترك في العهد الدستوري العثماني١٩٠٨-١٩١٤،(القاهرة:دارالهنا للطباعة والنشر،١٩٦٠م)، ص٢٧٨.

[11] ساطع الحصري ،مصدر سابق ، ص١٧٥-١٧٦.

[12] المصدر نفسه،ص١٧٦.

[13] جورج انطونيوس،مصدر سابق،ص٩٤.

[14] حسن شبر، تاريخ العراق السياسي المعاصر التحرك الاسلامي في العراق ١٩٠٠- ١٩٥٧ ،الجزء الثاني،(بيروت:دار المنتدى،١٩٩٠م) ، ص١١١.

[15] د.وميض جمال عمر نظمي، شيعة العراق و قضية القومية العربية - المستقبل العربي، (مجلة)،بيروت ،العدد(٥٦)،آبد تشرين الأول ١٩٨٢.

[16] علي الخاقاني،شعراء الغري ،(النجف: دارالبيان،١٩٥٥م)،الجزء الأول، ص٤٣٠ ،والجزء السابع ،ص٣٤،والجزءالثامن ،ص١٧٩. ؛ د.ابراهيم الوائلي ، الشعر العراقي و حرب طرابلس.،(بغداد :بلا،١٩٦٤م)صص٥٥-٥٧

[17] حسن شبر،مصدر سابق ، الجزء الثاني ، ص١١٢.

[18] المصدر نفسه،ص١١٢.

[١٩]) عبد الحليم محمد علي ،المصلح المجاهدالشيخ محمد كاظم الخراساني،(النجف : مطبعة النعمان، ١٩٧٢م)،ص١٨٤-١٨٥.

[٢٠]) المصدر نفسه،ص١٨٥.

[٢١] ( ) د. عبدالله فياض ،الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ ،(بغداد:وزارة الثقافة والاعلام، ١٩٧٥م)، ص٢٧-٢ وقد نشرت هذه البرقية في جريدة (النجف الاشرف) في عددها رقم (٣٠) الصادر بتاريخ٢٣ذي الحجة ١٣٢٩هـ

[٢٢] ( ) د. عبد الله فياض، المصدر نفسه، ص٢٨-٢٩ ، كما نشرت البرقية في جريدة (النجف الاشرف) ، العدد (٣٠).

[٢٣] ( ) د. عبد الله فياض ، المصدر نفسه، ص٢٦-٢٧.

[٢٤])المصدر نفس ،ص٢٦.

[٢٥] ( )تراجع النقاط العشر في : "العلم"،(مجلة)، النجف، العدد الثاني، لسنة ١٩١١م.،ص٤

[٢٦] ( ) نظام الدين زاده ،هجوم روس بإيران و اقدامات رؤساء دين در حفظ ايران،مج١ ،(بغداد:مطبعة الاداب، ١٣٣١ه) ،ص٢٢١.

[٢٧] ( ) ساطع الحصري ، مصدر سابق ، ص١٩١-١٩٢ .

[٢٨] ( ) د . علي الوردي ، مصدر سابق ، الجزء الثالث ، ص١٥١.

[٢٩] ( ) د.توفيق برو ،مصدر سابق ، ص٣٤٩.

[٣٠] ( ) حسن الاسدي ،ثورة النجف على الانكليز،(بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٥م)،ص١٢٤.

[٣١] ( ) محمد علي كمال الدين النجف في ربع قرن منذ سنة ١٩٠٨م،تحقيق وتعليق كامل سلمان الجبوري، (بيروت:دار القاري للطباعة و النشرو التوزيع ، ٢٠٠٥م)،ص١٣٣.

[٣٢]) المصدر نفسه،ص١٣٣.

[٣٣] ( ) خضير مظلوم فرحان البديري ، التأريخ المعاصر لايران وتركيا، (النجف:دار الضياء١٤٣٠ه/٢٠٠٩م)، ص٥٢.

[٣٤])صباح كريم رياح الفتلاوي ،ايران في عهد محمد علي شاه ،(النجف:دار التميمي للنشر والتوزيع، ١٤٣٣ه/٢٠١٢م)،ص٢٦٩.

[٣٥]) المصدر نفسه،ص٢٧٠.

[٣٦] ( ) جوزف .لمبتون ،نكارشي برتاريخ نوين،ترجمة سيمين فصيحي،(مشهد:جاب هاشميون،بلا)، ص٥٢-٥٣.

[٣٧] ( ) د.عبدالله فياض ، مصدر سابق ،ص١١٧ .

[٣٨] ( ) ينظر: "لغة العرب"،(مجلة)، (بغداد ،دارالحرية للطباعة، ١٣٩٥ه/١٩٧٥م)،مج(١)،العددالسابع،كانون الثاني ١٩١٢.صص٣٨

[٣٩]( ) عبد الحسين مجيد نوائي، زند كاني آخوند خراساني ،(تهران:نيناد فرهنك،١٣٤٧ه)،ص٢٥٧.

[٤٠]( ) مجلة لغة العرب، المصدر السابق،ص٣٩..

[٤١]( ) عبد الرحيم محمد علي ،مصدر سابق ،ص١٠٦.

[٤٢]) المصدر نفسه،ص١٠٦.

[٤٣]) المصدر نفسه،ص١٠٧

[٤٤]( ) نظام الدين زاده ،مصدر سابق ،ص١٢٩.

[٤٥]( ) المصدر نفسه ،ص١٣٦ـ١٣٧.

[٤٦]( ) عبد الهادي الحائري ، تشيع و مشروطيت در ايران ونقش ايرانيان مقيم عراق(طهران:دار امير كبير،١٣٦٤ه)،ص١٦٢.

[٤٧]( ) نظام الدين زاده، مصدر سابق ، ص٢٢٢ ويراجع هذا الكتاب للاطلاع على البرقيات المتبادلة بين علماء الدين وبين رجال الدولة في ايران ، وهي تمثل وثائق تاريخية هامة و نادرة ، كما ان كتاب (نظام الدين زاده) يعتبر مصدرا تاريخيا هاما لان مؤلفه كان معاصرا للاحداث . وقد طبع الكتاب في بغداد عام ١٩١٣م(١٣٣١هـ) مع ملاحظة ان المؤلف يتحامل كثيرا على السيد كاظم اليزدي ، ويهمل ذكر نشاطاته انذاك .ومنها على سبيل المثال ، انه يعتبر السيد اليزدي رفض بشده التدخل في مسألة الاحتلال الروسي لايران حتى وفاة الشيخ الخراساني . مع ان السيد اليزدي اصر فتواه بوجوب الجهادو مواجهة الاستعمار الروسي في بداية الحدث ، وكان مع اوائل علماء الشيعة الذين افتوا بالجهاد . وقد نشرنا نص فتواه في الصفحات السابقة .

[٤٨]) سليم الحسني،دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار١٩٠٠ـ١٩٢٠،(بيروت:الغدير للدراسات والنشر،١٤١٥ه/١٩٩٥م)،ص٧١.

[٤٩]) المصدر نفسه ص٧٢.

[٥٠]) عبد الهادي الحائري،مصدر سابق،ص١٦٣.

[٥١]) المصدر نفسه،ص١٦٤.

[٥٢]) سليم الحسني،مصدر سابق،ص٧٧.

[٥٣])المصدر نفسه ص٧٧.

[٥٤]( ) صادق نشأت و مصطفى حجازي ،صفحات من ايران،(القاهرة: مطبعة مخيمره،١٩٦٠م) ، ص٧٩.

[٥٥]( ) محيط طباطبائي، تطور حكومت در أيران بعد از اسلام،(طهران: نشر بعثت،١٣٧٥ه)، ص١٩٢.

[٥٦]( ) د. علي الوردي ، مصدر سابق ، الجزء الاول ، ص٤٦.

[٥٧]( ) محمد حسين المظفر ، تاريخ الشيعة،(بيروت:دار الزهراء ،١٩٨٢م) ، ص١٦.

[٥٨] ( ) سلمان هادي الطعمة ، تراث كربلاء،(بيروت:مطبعة الايمان،١٤٠٣/١٩٨٣م)،ط٢،ص٣٧٦.

[٥٩]) المصدر نفسه،ص ٣٧٦.

[٦٠]) سليم الحسني،مصدر سابق،ص٧٩

[٦١] ( ) د.توفيق برو مصدر سابق ،ص٤٩٨.

[٦٢] ( ) محمد طاهر العمري ، تاريخ مقدرات العراق السياسية ، الجزء الاول ،(الموصل: مطبعة محفوظ،١٩٢٤م)،ص٦٨.

[٦٣] ( ) د.علي الوردي ،مصدر سابق ، الجزء الرابع ، ص٢٠.

[٦٤] ( )عباس العزاوي، مصدرسابق، الجزء الثامن ، ص٢٥٤.

[٦٥] ( ) يرجع في هذا الخصوص : حسين خلف الشيخ خزعل، تاريخ الكويت السياسي،(بيروت:الدار العربية،١٩٧١م).ص٣٢؛. رياض نجيب الريس،جواسيس العرب،.(لندن:دار رياض الريس للنشر،١٩٨٥م)،ص١١٢-١١٤؛ ستيفن همسلي لونكريك،. اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث،ترجمة جعفر خياط ،(بغداد: مكتبة اليقضة العربية،١٩٨٥م)،صص١٩٩-٢٠٣؛

[٦٦] ( ) د.غسان العطية ،العراق ..نشأة الدولة،ترجمة عبد الرزاق الوهاب ،(لندن:دار اللام،١٩٨٨م)،ص١١٦.

[٦٧]) المصدر نفسه،ص١١٧.

[٦٨] ( ) تشارلس طونزند،مذكرات الفريق طونزيد (محاربتي في العراق)،ترجمة عبد المسيح وزير،(بغداد:مطبعة دار السلام،١٩٢٣م)،ص٥١.والمولف يروي تفصيلات الحملة العسكرية البريطانية و سيرها في العراق .

[٦٩] ( ) د.علي الوردي، مصدر سابق ،الجزء الرابع ، ص١٢٧.

[٧٠] ( ) المصدر نفسه ،الجزء الرابع ، ص١٢٨.

[٧١] ( ) حسن شبر ،مصدر سابق ، الجزء الثاني ،ص١٤٩.

[٧٢] ( ) محسن الامين ، اعيان الشيعة . المجلد العاشر ،(بيروت:دار التعارف،١٤٠٣/١٩٨٣م)،ص١٥٧.

[٧٣] ( ) حسن شبر، المصدر السابق ، الجزء الثاني ، ص١٤٩-١٥٠.

[٧٤])سليم الحسني،مصدر سابق،ص٨٣

[٧٥] ( ) حسن الاسدي ،مصدر سابق ، ص٩١.

[٧٦]) المصدر نفسه،ص٩١.

[٧٧] ( ) حسن شبر مصدر سابق ، الجزء الثاني ، ص١٥٢.

[٧٨] ( ) المصدر نفسه ، ص١٥٣.

[٧٩] ( ) حسين خلف الشيخ خزعل ، المصدر السابق ، الجزء الثالث ، ص١٠١.

[٨٠]) د.علي الوردي ، المصدر السابق ، الجزء الرابع ، ص١٤١.

[٨١]) سليم الحسني، مصدر سابق،ص٨٦.

[٨٢]) د.علي الوردي ، مصدر سابق ، الجزء الرابع ، ص١٤١-١٤٢.

[٨٣]) وثيقه خطية يحتفظ بها السيد عبد العزيز الطباطبائي ضمن مجموعة الوثائق الخطية للسيد اليزدي.،نقلا" عن :سليم الحسني،مصدر سابق،ص٨٦.

[٨٤]) وثيقه خطية يحتفظ بها السيد عبد العزيز الطباطبائي ضمن مجموعة الوثائق الخطية للسيد اليزدي.:نقلا" عن سليم الحسني،المصدر نفسه،ص٨٨.

[٨٥]) السيد عبد العزيز الطباطبائي ، مجموعة وثائق السيد اليزدي المخطوطة:نقلا عن سليم الحسني، المصدر نفسه،ص٩٠.

[٨٦]). د.علي الوردي ،مصدر سابق ، الجزء الرابع ،ص٢٤٧

[٨٧]). السيد عبد العزيز الطباطبائي ،مجموعة وثائق السيد اليزدي المخطوطة: نقلا عن سليم الحسني، المصدر نفسه،ص٩١.

[٨٨]) السيد عبد العزيز الطباطبائي ، مجموعة وثائق السيد اليزدي المخطوطة: نقلا عن سليم الحسني، المصدر نفسه،ص٩٣

[٨٩]). السيد عبد العزيز الطباطبائي ، مجموعة وثائق السيد اليزدي المخطوطة: نقلا عن سليم الحسني، المصدر نفسه،ص٩٧

[٩٠]) حسن شبر، المصدر السابق ، الجزء الثاني ، ص١٥٥.

[٩١]( ). أحمد الحسيني ، الامام الثائر السيد مهدي الحيدري، (النجف: مطبعة الاداب ،١٣٨٦ه)،ص٤٠-٤١ .والمؤلف يتحدث عن تفصيلات الواقعة واعجاب القادة الاتراك بالسيد الحيدري الذي تجاوز الثمانين من العمر.

[٩٢]) محمد طاهر العمري ، المصدر السابق، الجزء الاول ، ص١٠٦ . .

[٩٣]) المصدر نفسه ، ص١٠٦

[٩٤]( )فريق المزهرالفرعون،الحقائق الناصعة في الثورة العراقية لسنة ١٩٢٠ ونتائجها،الجزءالاول،(بغداد :مطبعة النجاح،١٩٥٥م)،ط٢،ص٤٠..

[٩٥]) د.علي الوردي مصدر سابق، الجزء الرابع ، ص١٤٩.

[٩٦]) فريق المزهر الفرعون،مصدر سابق،ص٤١.

.....

المصادر والمراجع:

اولا:الوثائق:

١ـالسيد عبد العزيز الطباطبائي،مجموعة وثائق السيد كاظم الطباطبائي اليزدي،محفوظة عند السيد سليم الحسني.

ثانيا:المصادر العربية والمعربة

١ـأحمد الحسيني ، الامام الثائر السيد مهدي الحيدري، ، (النجف: مطبعة الاداب ،١٣٨٦ه)

٢ـ تشارلس طونزند، (محاربتي في العراق)،ترجمة عبد المسيح وزير،(بغداد:مطبعة دار السلام،١٩٢٣م).

٣ـحسين خلف الشيخ خزعل، تاريخ الكويت السياسي،،(بيروت:الدار العربية،١٩٧١م).

٤ـحسن الاسدي ، ثورة النجف على الانكليز ،. ،(بغداد: دار الحرية للطباعة،١٩٧٥م)،

٥ـحسن شبر،تاريخ العراق السياسي المعاصر،التحرك الاسلامي في العراق١٩٠٠ـ ١٩٥٧،الجزء الثاني،(بيروت:دار المنتدى،١٩٩٠م)

٦ـ جورج انطونيوس، يقظة العرب،ط٤،(بيروت:دار العلم للملايين،١٩٨٢م).

٧ـخضير مظلوم فرحان البديري،التأريخ المعاصر لايران وتركيا، (النجف:دار الضياء١٤٣٠ه/٢٠٠٩م)،

٨ـ د.ابراهيم الوائلي ، الشعر العراقي و حرب طرابلس.،(بغداد:بلا،١٩٦٤م).

٩ـد.توفيق برو،العرب والترك في العهد الدستوري العثماني١٩٠٨ـ ١٩١٤،(القاهرة:دارالهنا للطباعة والنشر،١٩٦٠م)

١٠ـد. عبدالله فياض ،الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠،(بغداد:وزارة الثقافة والاعلام،١٩٧٥م)

١١ ـد.غسان العطية ، العراق ..نشأة الدولة ، ترجمة عبد الرزاق الوهاب ،(لندن:دار اللام،١٩٨٨م)،

١٢ـرياض نجيب الريس. جواسيس العرب،.(لندن:دار رياض الريس للنشر،١٩٨٥م)،

١٣ـساطع الحصري ، البلاد العربية و الدولة العثمانية،ط٢،(بيروت :دار العلم للملايين،١٩٨٥م)

١٤ـستيفن همسلي لونكريك،اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث،ترجمة جعفر خياط،(بغداد : مكتبة اليقضة العربية،١٩٨٥م)،

١٥ـ سليم الحسني،دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار١٩٠٠ـ ١٩٢٠،(بيروت:الغدير للدراسات والنشر،١٤١٥/١٩٩٥م)،

١٦ـسلمان هادي الطعمة ، تراث كربلاء،(بيروت:دار الزهراء ،١٩٨٢م)

١٧ـصادق نشأت ومصطفى حجازي،صفحات من ايران،(القاهرة:مطبعة مخيمره،١٩٦٠م).

١٨ـصباح كريم رياح الفتلاوي ايران في عهد محمد علي شاه،(النجف:دار التميمي للنشر والتوزيع،١٤٣٣/٢٠١٢م)،

١٩ـفريق المزهر الفرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية لسنة ١٩٢٠ ونتائجها،الجزء الاول(بغداد :مطبعة النجاح،١٩٥٥م)،

٢٠ـ عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين ، الجزء الثامن،(بغداد:مطبعة بغداد الجديدة،١٩٦٥م)

٢١ـ عبد الحليم محمد علي ،المصلح المجاهد الشيخ محمد كاظم الخراساني،(النجف : مطبعة النعمان،١٩٧٢م)

٢٢ـ علي الخاقاني،شعراء الغري ،(النجف: دارالبيان،١٩٥٥م)،الجزء الأول، ص٤٣٠ ،والجزء السابع ،ص٣٤ ،والجزءالثامن

٢٣ـد.علي الوردي،لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث،الجزء الثاني،(بغداد:مطبعة الارشاد،١٩٦٩ـ١٩٧٦م)

٢٤ـمحسن الامين ، اعيان الشيعة . المجلد العاشر،(بيروت:دار التعارف،١٤٠٣/١٩٨٣م)

٢٥ـمحمد حسين المظفر ، تاريخ الشيعة ، (بيروت:دار الزهراء ،١٩٨٢م)

٢٦ـمحمد طاهر العمري، تاريخ مقدرات العراق السياسية ، الجزء الاول،(الموصل: مطبعة محفوظ،١٩٢٤م)،

٢٧ـمحمد علي كمال الدين النجف في ربع قرن منذ سنة ١٩٠٨م ، تحقيق و تعليق كامل سلمان الجبوري،(بيروت: دار القاري للطباعة و النشرو التوزيع ، ٢٠٠٥م).

٢٨ـ لويس دوللو ، التاريخ الدبلوماسي. لويس دوللو ، التاريخ الدبلوماسي،ترجمة وتحقيق ،سموحي فوق العادة ، (عمان:دار عويدات للنشر والطباعة،١٩٩٩م)،

ثانيا:المصادر الفارسية:

١ـ جوزف .لمبتون ،نكارشي برتاريخ نوين،ترجمة سيمين فصيحي،(مشهد:جاب هاشميون،بلا)،

٢ـ عبد الحسين مجيد كفائي ،زند كاني آخوند خراساني،(تهران:نيناد فرهنك،١٣٤٧ه)،

٣ـعبد الهادي الحائري،تشيع ومشروطيت در ايران ونقش ايرانيان مقيم عراق،(طهران:دارامير كبير،١٣٦ه).

٤ـ محيط طباطبائي، تطور حكومت در أيران بعد از اسلام ،(طهران: نشر بعثت،١٣٧٥ه).

٥ـ نظام الدين زاده ،هجوم روس بإيران و اقدامات رؤساء دين در حفظ ايران،مج١،(بغداد:مطبعة الاداب، ١٣٣١ه).

ثالثا:الصحف والمجلات العربية:

١ـجريدة (النجف الاشرف) في عددها رقم(٣٠) الصادر بتاريخ٢٣ذي الحجة ١٣٢٩هـ

٢ ـمجلة العلم النجفية العدد الثاني لسنة ١٩١١م

٣ ـمجلة لغة العرب ،(بغداد:دارالحرية للطباعة والنشر،١٩٧٥م)، العدد السابع ، كانون الثاني ١٩١٢.

المقالات المنشورة

١ـد.وميض جمال عمر نظمي، شيعة العراق وقضية القومية العربية،" المستقبل العربي"،(مجلة)،بيروت،آب – تشرين الأول ١٩٨٢.

(Abstract)

The history of the jihadist reference to religion is full of inflammatory events that can not be summarized in a book or two books, but it can be said that the history of Muslims - especially the "modern" - bears witness to the history of the bloody struggle waged by the Mujahideen. In the history of Muslims, especially in Iraq and Iran, religious scholars had their distinctive role, especially during the period extending from the Tanbak revolution in the late ١٩th century until the twentieth revolution in the late ٢٠th century. Between Shirazi Muhammad Hassan al-Kabir and Shirazi Muhammad Taqi, and between these two revolutions And the revolution of the twentieth in Iraq left its mark on the future of the Iraqi people as a whole. However, there are many positions, visions and analyzes on the roles of religious scholars in political life and struggle, There is also a lot of distortion and deception for

When the Italian colonial occupation of .at least some of them Libya in ١٩١١, the Shiite response was active about the event, as the state rarely adopt the declaration of jihad, even initiated the Shiite scholars to issue their fatwas that jihad and fight against Italian colonialism. The Shiites also contributed to the formation of the committees to defend Tripoli and the West, and to raise funds. Even Sheikh Mabdir al-Fara'un, head of al-Fatilah, donated ٥٠٠ liras and expressed his readiness to participate in the jihad

even though he was detained. The Ottoman government released him as an appreciation of his positions. Karbala The parents held a public meeting at the shrine of Imam Hussein (AS), where speeches were delivered enthusiastically, and then raised donations. On ١٢ October ١٩١١ (١٨ Shawwal ١٣٢٩ e), nearly two thousand people demonstrated in the city. The cities of Najaf and Samarra witnessed mass demonstrations in which speeches were delivered enthusiastically, and called on speakers to renounce

When the Russian armies .sectarian differences and unite efforts moved towards the northern regions of Iran, in late November ١٩١١ (early Dhu al-Hijjah ١٣٢٩ e). The Russian attack on Iran posed a new challenge to the Muslim world. It came a few weeks after the Italian occupation of Libyan territory. Therefore, the response of Shiite scholars was quick and strong. They declared their intention to defend Iran against the Russian occupation. Mr. Kazem al-Yazdi issued a statement in which he declared jihad. He spoke of the colonial campaign by Italy, Russia and Britain against the Islamic countries. He called on Muslims to confront colonialism and defend the two Iranian and Ottoman states. This fatwa reflects the interest of Shiite scholars in the issue of the political independence of the Islamic countries. Their precise diagnosis of colonial methods revealed the fragmentation of the social unity of the Muslims in order to drain their internal forces

The Shiite clerics' call for jihad .so as to facilitate their control revealed their conscious vision of the nature of the stage in which the Islamic countries lived. In the British invasion, they found part of the great colonial project begun several years earlier, aimed at controlling the Islamic country and dividing it into multiple spheres of influence among the colonial powers. If the fatwas of the Shiite scholars on the necessity of jihad were a surprise to the Ottoman government, their initiative in leading the Mujahideen Brigades to fight the British in the battle of Shuaiba, and the speed of Shiite response to this initiative, was a surprise for both the Turks and the English. Mujahideen It caused the death of Mr. Mohammed Said al-Haboubi as a defeat for the defeat of the English without the misjudgment and management of the Ottoman leadership of the war. The Turks' treatment of the Mujahideen forces and the efforts of Shiite clerics Difficult as war conditions. However, the surge of scientists was strong against British colonialism as a military challenge targeting Muslim countries. This position was the finest images of the positions of the religious authority in its struggle against colonialism of all kinds and trends

(دور المرجعية الدينية في محاربة الارهاب والحفاظ على الوحدة الوطنية)

أ.م.د. عائدة محمد عبيد/ جامعة الموصل/ كلية الآداب

د. اكسم احمد فياض/ سوريا

المقدمة:

كونت المواقف الانسانية للمرجعية الدينية ابرز مظاهر التحدي لمواجهة للإرهاب والتطرف، وهو في أوج قوته وشدة بأسه، وما يملك من مال وحشد للجند والأتباع فكانت فتوى المرجعية الدينية اكثر شمولية ببعدها الوطني والانساني، إذ ساهمت في سد الطريق امام كارثة كادت تحل بالعراق فحالت دون سقوطه، انطلاقا من مبدأ الدفاع عن الأرض والمقدسات والدماء البريئة وحفظ العباد فالنداء الذي قصدته المرجعية هو لغرض حشد المؤيدين والمتطوعين والأتباع للقتال من اجل الحق ودفاعا عن العراق والمقدسات الدينية، ولإيضاح ما تنشده وتدعو إليه المرجعية الدينية، وما أراد السيد علي الحسين السيستاني (دام ظله الوارف) تحقيقه، وطبيعة النهج القادم، وأسلوب العمل بموجبه، تجلى كل ذلك في أحاديثه وخطبه وأقواله فيما هو قادم عليه منذ اصدار الفتوى من النجف الاشرف وحتى وطأت اقدام المقاتلين المجاهدين الابطال الاراضي المحتلة من قبل الارهابيين. إذ عززت معاني الاخوة بعيدا عن الخلافات الطائفية والمذهبية، فهذا دليل على حكمة المرجعية الدينية، التي تتولى مواقفها على اسس انسانية ووطنية فقد اثبتت الفتوى بامكان العراقيين جميعا التوحد من اجل محاربة الارهاب.

وكان لخطاب المرجعية اثره البالغ في اذكاء روح المواطنة من اجل محاربة الارهاب، وهذه الفتوى لها ارتباط وثيق بالعمق التاريخي المتمثل بواقعة الطف وبالإمام الحسين (عليه السلام)، ونهضته في وجه الظلم والفساد، فأيقضت هذه الفتوى

تجليات ومأثرات الروح الحسينية لبذل الأرواح والدماء من اجل التصدي والفاع عن مبادئ واخلاقيات الدين الاسلامي لاحقاق الحق، فما اشبه اليوم بطف الأمس.

وهذه الفتوى لها ارتباط وثيق بالعمق التاريخي المتمثل بواقعة الطف وبالإمام الحسين (عليه السلام)، ونهضته في وجه الظلم والفساد، فأيقضت هذه الفتوى تجليات ومأثرات الروح الحسينية لبذل الأرواح والدماء من اجل التصدي والفاع عن مبادئ واخلاقيات الدين الاسلامي، فما اشبه اليوم بطف الأمس. فالفتوى تهدف الى بيان مفهوم الاسس والقيم الحضارية الانسانية والرؤية المستقبلية للمرجعية الدينية، وفق مفاهيم الشريعة الاسلامية لإرساء السلام ومحاربة الارهاب.

ان تبني هذه الفئات لفكرة محاربة الاسلام قد جعلها ترتكب مجموعة من الاعمال الفاسدة التي تخالف الشريعة الإسلامية، والتي اوجبت على المرجعية الدينية ان يقف ضدها ويضع حدا لها لئلا تاخذ مجراها وبالتالي يصعب السيطرة عليها وقد تمثلت هذه الأعمال في عدة جوانب منها ما ظهر من هذه الفئات من قتل واستباحة لدماء المسلمين التي نهى عنها الدين الاسلامي في كثير من الايات القرانية كقوله تعالى : ﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْسا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعا﴾ (١)، وقوله تعالى :﴿ ولا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ ﴾(٢).

وهذا ما دفع السيد السيستاني (دام ظله) إلى العمل على ايقاف هذه الظاهرة من قتل المسلمين عملا بقوله تعالى :﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ...﴾ (٣). ومن توصيات الإمام علي (عليه السلام) ما كتبه للاشتر النخعي لما ولاه على مصر إياك والدماء وسفكها بغير حلها: فانه ليس شيء أدنى لنقمة ولا

أعظم لتبعة ولا احرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة، فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فان ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد لأن فيه قود البدن(٤).

وكذلك أجمعت الأمة الإسلامية على تحريمه فان فعله إنسان متعمدا يباح دمه وأمره إلى الله ان شاء عذبه وان شاء غفر له. يتضح لنا من هذه النصوص ان اعتداء الإنسان على غيره بغير حق حرمه الله ﷻ في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله العظيم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأجمعت الأمة على هذا التحريم.

ويتجلى البعد الديني والإنساني لفتوى المرجعية في ما حققته في حفظ المبادئ الحقة للإسلام والتي حملت معها جميع ما بشر به الرسول الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم) في عصر الرسالة الإسلامية أما البعد السياسي والعالمي فيقع في مصاديق ثورة التحرير التي استوعبتها أهدافها السامية في الحرية والاستشهاد من أجل الكرامة والأثر الذي تركته هذه الفتوى المباركة في الفكر المعاصر وهكذا نرى تجليات النصر على داعش الارهابي تحققت بفعل التضحيات ، فلا لافرق بين طف الامس وحرب اليوم.

ومن وصايا سماحة المرجع الديني السيد السيستاني (دام ظله) قوله :(ان الله سبحانه كما ندب الى الجهاد ودعا اليه وجعله دعامة من دعائم الدين وفضل المجاهدين على القاعدين فانه عز اسمه جعل له حدودا وآدابا أوجبتها الحكمة واقتضتها الفطرة ... فمن رعاها حق رعايتها أوجب له ما قدره من فضله وسنه من بركاته ومن اخل بها احبط من اجره ولم يبلغ به امله) (٥).فقد جعل الجهاد دعامة من دعائم الدين

وهذه التعليمات هي عملا بمنهج الامام علي (عليه السلام) فهكذا كان يرى الامام علي (عليه السلام) ان الاقدام على الموت عن رغبة وحب وبلا عجز ولا ملل يجعل الفرد في رؤية يسيرة له ، ويبعده عن التردد الذي يعجز عن التقدم والبذل في المعركة، وقد عبر عن هذه الرؤية بقوله: " امشوا إلى الموت مشية سجحا (أي سهلة) "(٦)

وجعل الجهاد في هذه الحالة فرضا كفائيا فيه حكمة بالغة ، فلو كان الجهاد في الاحوال كلها فرضا عينيا ، لتوجب أن ينفر الجميع للقتال في الاوقات كلها ، ولتوجب ايضا ترك المصالح والاعمال ، وذلك فيه نقض لمصالح الأمة(٧)

فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، فهو في سبيل الله(٨) . فقد جاء رجل الى رسول الله (ﷺ) يسأله عن الرجل يقاتل للمغنم ، وآخر يقاتل ليرى مكانه ، فمن في سبيل الله ؟ قال (ﷺ) : "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله"(٩)

وقال رسول الله (ﷺ) مرغبا في المرابطة : "عينان لا تمسهما النار ؛ عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله"(١٠) .

وقال النبي (ﷺ) : "إن هذا الانسان بنيان الله ، فملعون من هدم بنيانه"(١١) . وروى عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) قال : "رأيت رسول الله (ﷺ) يطوف بالكعبة ويقول : ما أطيبك وأطيب ريحك ، وما أعظمك وأعظم حرمتك ، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمتك ؛ ماله ودمه"(١٢) .

فاذا كان الاسلام قد أعطى مثل هذه الحرمة للانسان عامة فهذا يدل دلالة قاطعة على ضرورة حفظ حياة الانسان وتجنيبها كل ما قد يودي بها ؛ فإن المجاهد في سبيل الله أولى بالحرص على حفظ حياته ؛ فهذا المجاهد قوة فاعلة ومهمة في حفظ كيان الامة ودينها ، لذا توجب الحرص على حياته وعدم التفريط بها . وهذه ولاشك

مسألة أخلاقية مهمة ، فحياة الانسان ثمينة يجدر الحفاظ عليها بكل ما أوتي المعنيون من سعة .

وعندما نقف امام تلك المشاهد لعمليات التحرير نقتبس من رحيقها النهضة الغنية بالقيم والمثل العليا والتي تعلمنا كيف نعيش احرارا وكيف نموت سعداء منتصرين لو ادركنا اهداف تلك الفتوى التي ماهي الا امتداد لواقعة الطف الخالدة والمجزرة الرهيبة التي حصلت حينها والتي ايقظت المسلمين، فالامام الحسين (عليه السلام) عبرة وعبر وكفانا ان نقف امام كلماته و نجسدها في حياتنا بقوله "أرى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا برما." " هيهات من الذله "، قال لإبنه زين العابدين(عليه السلام): أي بني إياك وظلم من لا يجد عليك ناصرا الا الله عز وجل، إن قوما عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإن قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإن قوما عبدوا الله شكرا فتلك عبادة الأحرار، وهي أفضل العبادة.

واقعة الطف تمثل الصورة الحقيقية والتوجه الانساني المحق للسير على منهج السلوك الى الله سبحانه وتعالى،هذه الملحمة التاريخية اثرت وبشكل فطري وعفوي في وقتنا ىالحالي لما لها من قيم واهداف، اليوم نحن بحاجة الى كربلاء بحاجة الى الامة القوية الامة التى تفخر بعظماها وتنهل من عمق فكرها ومواقف رجالاتها، هي كربلاء الاباء هي كربلاء الكروب هي كربلاء التضحيات هي كربلاء الموقف هي كربلاء السلام والتعابش السلمي.

فالدور التأريخي الذي لعبته فتوى المرجعية الرشيدة في تعبئة الشعب لمساندة القوات المسلحة كبير فالمساندة التي حصلت عليها القوات المسلحة من الحشد الشعبي والقوات الشعبية الاخرى هي التي مكنت قواتنا المسلحة من الحصول على الفرصة لاعادة البناء والهيكلة والتعبئة في الحرب ضد داعش الارهابي وان جميع القوات

العراقية هي تحت قيادة القائد العام للقوات المسلحة. لم يكن الحشد الشعبي تطوّرا مُفاجئا بعيدا عن الواقع، بقدر ما هو تعبير عن حاجة مُلحّة وضرورة إستراتيجية للأمن الوطني العراقي من جهة، ولحماية منهج الإسلام المعتدل من جهة ثانية.

۞ فتوى الجهاد المقدسة وأثرها في استنهاض الهمم من اجل محاربة الارهاب:

كانت فتوى الجهاد المقدس هي السبيل الى اذكاء روح الجهاد من اجل محاربة الارهاب، فهذه الفتوى لها ارتباط وثيق بالعمق التاريخي المتمثل بواقعة الطف وبالإمام الحسين (عليه السلام)، ونهضته في وجه الظلم والفساد، فأيقضت هذه الفتوى تجليات ومأثرات الروح الحسينية لبذل الأرواح والدماء من اجل التصدي والفاع عن مبادئ واخلاقيات الدين الاسلامي لاحقاق الحق، فما اشبه اليوم بطف الأمس. والجهاد فريضة إلهية فرضها الله تعالى على هذه الأمة، كما فرضها على من كان قبلها من الامم ذات الرسالات السماوية ، فالجهاد والقتال في سبيل الله ورد بالصيغة نفسها التي وردت بها أركان الاسلام الاخرى ، بقوله تعالى : كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ(١٣)، ثم ان الله تعالى رغّب عباده المؤمنين بالجهاد وحث عليه ووعد المجاهدين في سبيله جنات عرضها السماوات والارض(١٤) .

وأدلة الكتاب على فرضية الجهاد كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(١٥) وهنا جمع الله تعالى الجهاد بالمال والنفس معا وفي ذلك اعلى المراتب . وبهذا أبان

اللّه تعالى أن حب اللّه ورسوله والجهاد في سبيله (فرض) وانه لا ينبغي أن يكون شيء سواه أحب الى المؤمنين منه(١٦) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(١٧) . وفي هذه الآية قال المفسرين: ما من مسلم الا وللّه في عنقه بيعة ، وفى بها أو مات عليها(١٨). وهي بيعة على القتال في سبيله ، والبيعة ملزمة لمن بايع شرعا على القدرة والاستطاعة .

ثم اشار سماحته (دام ظله) الى ان هناك حدودا وادابا للجهاد و يجب التفقه بها ومراعاتها ... واشار الى ان من رعاها حق رعايتها سينال الدرجات والثواب ، والعكس من ذلك من اخل بها فإن اللّه يحبط أجره .

أما أدلة فرضية الجهاد في السنة النبوية المطهرة ، فأولها وفي مقدمتها أن النبي ﴿ﷺ﴾ جاهد بنفسه في غزوات عديدة، فالاقتداء بالنبي ﴿ﷺ﴾ أمر واجب شرعا لقوله تعالى : لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الأَخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا (١٩) . كما أن النبي ﴿ﷺ﴾ حث على الجهاد ورغّب فيه(٢٠) . فالجهاد فرض كفاية إذا قام به من يكفي من المسلمين سقط الإثم عن الباقين. قال اللّه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾(٢١).

فهذه كلمات مضيئة في "فضل الجهاد في سبيل اللّه تعالى، وأسباب النصر على الأعداء"، وجهها السيد علي السيستاني (دام ظله) إلى كل مواطن قادر على حمل السلاح في عراقنا الحبيب للتطوع لإعلاء كلمة اللّه تعالى ، والتي بيّن فيها

الحكمة من مشروعية الجهاد وفضله لمحاربة الارهاب والجماعات المتطرفة التي جمعت بين الجهل بدين الله وظلم الناس إذ وقف اهالي نينوى والمدن الاخرى العزل عاجزين امام تلك التطورات وامام عدو لايعرف الرحمة والشفقة ونال منهم ما نال فقد انتهك كل القيم الاخلاقية واستخدم كل انواع القتل والتنكيل والابادة والتخريب الوحشي فاباحوا دماء الناس في الموصل وعامة المناطق التي اجتاحوها نتيجة ابتداعهم وتطرفهم اذ يرون من لايؤمن بمنهاجهم وأفكارهم خارجا عن الدين، إلا ان المرجعية الدينية لم تغفل عن تلك الجرائم فأصدرت فتوى الجهاد الكفائي وذلك لتحقيق السلام الذي اصبح اليوم ضرورة اجتماعية وثقافية وسياسية لاسيما في مجتمعات أصبحت تسودها المنازعات والتناحرات وذلك من اجل الوقوف أمام كل المخاطر التي تستهدف الأمة الإسلامية، وعليه يجب العمل بكل الوسائل لتطبيق المبادئ التي أكدت عليها المرجعية الدينية، فالجهاد فرض كفاية إذا قام به من يكفي من المسلمين سقط الإثم عن الباقين. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (٢٢) فالمرجع الديني أثبت قدرة فائقة في محاربة تنظيم داعش الارهابي نيابة عن العالم"، مطالبا الجميع بدعم بلاده في هذه المعركة، ، وهكذا لاحظنا على ارض الولقع بأنه لولا فتوى المرجعية الدينية والحشد الشعبي لسقط العراق بيد الارهاب.

وجعل الجهاد في هذه الحالة فرضا كفائيا فيه حكمة بالغة ، فلو كان الجهاد في الاحوال كلها فرضا عينيا ، لتوجب أن ينفر الجميع للقتال في الاوقات كلها ، ولتوجب ايضا ترك المصالح والاعمال ، وذلك فيه نقض لمصالح الأمة(٢٣)

قال الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم): "فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان". وفي لفظ: "من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه" وجاءت الفتوى لنصرة المظلومين، قال تعالى: ﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل اللّه والمستضعفين من الرّجال والنّساء والولدان الذين يقولون ربّنا أخرجنا من هذه القريّة الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليًّا واجعل لنا من لدنك نصيرًا ﴾(٢٤). وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فليقاتل في سبيل اللّه الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل اللّه فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرًا عظيمًا﴾(٢٥). وقال اللّه تعالى: ﴿إنّ اللّه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة يقاتلون في سبيل اللّه فيقتلون ويقتلون وعدًا عليه حقًّا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من اللّه فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾(٢٦).

فالجهاد حقيقة اسلامية دعا اليها اللّه تعالى في كتابه الكريم ، ورغّب فيها النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ، وحرض المؤمنين على القتال . وعدّه طاعة من أعظم الطاعات ، وقربة من أفضل القربات . وان تركه واهماله فيه مذلة ومهانة ، وان التولي يوم الزحف من أكبر الذنوب والمعاصي.

وقول النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) : "من أطاعني فقد أطاع اللّه ، ومن عصاني فقد عصى اللّه ، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ، ومن يعص الأمير فقد عصاني"(٢٧) فلبى ابطالنا الغيارى نداء المرجعية وامتثلوا لاوامرها للدفاع عن الارض والعرض والمقدسات. وقال الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) : "جاهدوا المشركين بأيديكم وألسنتكم وأموالكم"(٢٨) والجهاد باللسان له مظهران ، جهاد بالتحريض على

القتال والحث عليه ثم جهاد بالدعوة والتبيلغ واقامة الحجة على الكافرين والمنافقين ومن سواهم(٢٩) . وهذا ما طبقته المرجعية الدينية على ارض الواقع.

بيّنت المرجعية الدينية في فتواها الحكمة من مشروعية الجهاد وفضله لمحاربة الارهاب والجماعات المتطرفة التي جمعت بين الجهل بدين اللّه وظلم الناس إذ وقف اهالي نينوى والمدن الاخرى العزل عاجزين امام تلك التطورات وامام عدو لايعرف الرحمة والشفقة ونال منهم ما نال فقد انتهك كل القيم الاخلاقية واستخدم كل انواع القتل والتنكيل والابادة والتخريب الوحشي فاباحوا دماء الناس نتيجة ابتداعهم وتطرفهم اذ يرون من لايؤمن بمنهاجهم وأفكارهم خارجا عن الدين. وحرم الإسلام القتل وعاقب عليه وجعل الاعتداء على حياة الإنسان وإزهاق روحه بمثابة العدوان على اللّه ﷻ، وعده تحديا سافرا لإرادة اللّه ومشيئته. ومن وصايا السيد السيستاني التي تندرج ضمن هذه المعاني قوله (واعلموا إنّ من شهد الشهادتين كان مسلما، يعصم دمُه وماله....) (٣٠)

والمرجعية الدينية لم تغفل عن تلك الجرائم الارهابية فأصدرت فتوى الجهاد الكفائي وذلك لتحقيق السلام فالجهاد فرض كفاية إذا قام به من يكفي من المسلمين سقط الإثم عن الباقين. قال اللّه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾(٣١)

فقد ساهمت فتوى الجهاد في سد الطريق امام كارثة كادت تحل بالعراق فحالت دون سقوطه، فأوقفت ذلك التقدم الذي وصل الى مشارف بغداد. فكانت الفتوى اكثر شمولية ببعدها الوطني والانساني والمستوحى من الادب الحسيني، إذ عززت معاني الاخوة بعيدا عن الخلافات الطائفية والمذهبية ، فهذا دليل على حكمة

السيد السيستاني(دام ظله الوارف) الذي يتولى مواقفه على اسس انسانية ووطنية فقد اثبتت الفتوى بامكان العراقيين جميعا التوحد من اجل محاربة الارهاب. انطلاقا من مبدأ الدفاع عن الأرض والمقدسات والدماء البريئة وحفظ العباد.

في هذا الإطار تتمحور التقييمات المنهجية لدى المرجعية الدينية بمقارنة الاهداف التي يتوقع ان تحققها عمليات الجهاد لتحقيق الرسالة التي من اجلها اصدرت الفتوى والاطلاع على خطط وأساليب القتال التي ستتبع في قواطع العمليات لاعداد جيل من المقاتلين يتملكون روح التسامح وسعة الافق ورجاحة التفكير ليسهموا في الوصول إلى الفكرة المطلوبة من فتوى المرجعية ومن ثم تطبيقها على أرض الواقع، ولمعرفة مدى كفائيتها لتحقيق المحصلة المتوقعة من اجل بناء السلام والقضاء على الارهاب منهجا وتطبيقا. ويتجلى البعد الديني والإنساني للفتوى في ما حققته في حفظ المبادئ الحقة للإسلام والتي حملت معها جميع ما بشر به الرسول الكريم(صلى الله عليه وآله) في عصر الرسالة الإسلامية أما البعد السياسي والعالمي فيقع في مصاديق االفتوى التي استوعبتها أهدافها السامية في الحرية والاستشهاد من أجل الكرامة والأثر الذي تركته هذه الفتوى المباركة في الفكر المعاصر، كانت نتيجتها تحقيق النصر على ارض الواقع.

فالفتوى تهدف الى بيان مفهوم الاسس والقيم الحضارية الانسانية والرؤية المستقبلية للمرجعية الدينية وفق مفاهيم الشريعة الاسلامية لإرساء السلام ومحاربة الارهاب، وهذا ما تمخض عن السيد السيستاني في سياسته العامة التي رسمت المعالم الأساسية للسلم والتعايش السلمي والتي كانت شاملة لكل مناحي الحياة وجوانبها فقد كان السلام هدفا اسمى لدعوة المرجعية لمحاربة الارهاب، فهو الحالة الطبيعية التي يمكن للناس فيها ان يؤدوا رسالتهم في الارض، ويتمكنوا من إعمارها واقامة الخير

والاصلاح فيها، وذلك لايتأتى مالم تتحقق مفاهيم الوحدة والسلام والقضاء على الارهاب

فالنداء الذي قصدته المرجعية هو لغرض حشد المتطوعين والأتباع للقتال من اجل الحق ودفاعا عن العراق والمقدسات الدينية، ولإيضاح ما تنشده وتدعو إليه المرجعية الدينية، وذلك ليتناسب مع خلود واقعة الطف التي كان تخطيطها الهيا فكان الطريق الذي سلكته سجلا حافلا بكل مضامين الجهاد واتجاهاته، وما أراد السيد علي الحسين السيستاني (دام ظله) تحقيقه، وطبيعة النهج القادم، وأسلوب العمل بموجبه، وتجلى كل ذلك في أحاديثه وخطبه وأقواله فيما هو قادم عليه منذ اصدار الفتوى من النجف الاشرف وحتى وطأت اقدام المقاتلين المجاهدين الابطال الاراضي المحتلة من قبل الارهابيين. وهذا مايذكرنا بالركب الحسيني الذي خرج من المدينة المنورة باتجاه العراق لاحقاق الحق، وجبهة الحق دائما منتصرة، ودائما في علو ، لأن اللّه ناصرها . وان أنصار الحق فتية آمنوا بربهم وزادهم اللّه هدى كما جاء بقوله تعالى:﴿ نحْنُ نقُصُّ عَلَيْكَ نبَأهُم بالحَقِّ إنَّهُمْ فِتيَةٌ آمَنُوا بربِّهِمْ وَزِدْناهُمْ هُدًى ﴾(٣٢) فكانت لهم الشهادة خاتمة والجنة موئلا.

ان البذل والتضحية والسخاء عطاء ، ولكن الشهادة في سبيل اللّه والحق أسمى العطاء. هذه الجبهة المؤمنة رجالا سمت بهم الهمم العالية إلى اقتحام الأهوال وهانت عليهم المخاطر بالنفس في سبيل حياة المجد والعزة والكرامة، فاستحسنوا التضحية بأنفس الأشياء وأغلاها عندهم وأجلها قدرا وأعلاها.

وضمت وصايا المرجعية بين فقراتها التذكير بحروب الرسول (صلى اللّه عليه وآله) ضد الكفار والمشركين ، وحروب أمير المؤمنين الامام علي (عليه السلام) وأخلاقياته في القتال ، وقد حث المرجع الديني على الالتزام بنفس الاخلاقيات، فلما

استجاب المتطوعين لنداء المرجعية، كان لابد للمرجعية من اصدار توجيهات وتعليمات للإلتزام بها أثناء عمليلت التحرير.

وجاء في الخطبة التي القاها الشيخ الكربلائي قوله (وفي الوقت الذي تؤكد فيه المرجعية الدينية العليا دعمها واسنادها لكم يا ابناءنا في القوات المسلحة تحثكم على التحلي بالشجاعة والبسالة والثبات والصبر) (٣٣) تأسيا بما كان يوصي به الامام الحسين (عليه السلام) فقد كان الامام الحسين (عليه السلام) يعمل على رفع الروح المعنوية من خلال الحث على الصبر في مواطن البأس والثبات في قتال الاعداء

فكان موكب الشهادة يستحث الخطى إلى الجنة يعبد طريقها بالتضحيات ويرصفها بالأرواح ويبلل ثراها بالدماء الزكية التي تجلّت في سلاح التضحية والفداء، وقد تحقق كل ذلك وبأروع المواقف المشرفة . وهكذا بدأت طلائع الحق ممن لبى نداء المرجعية تتأهب للسير إلى ساحة المعركة وهي تعلن ولاءها التام وتفانيها في الدفاع عن العراق ومقدساته.

في هذا الإطار تتمحور التقييمات المنهجية لدى المرجعية الدينية بمقارنة الاهداف التي يتوقع ان تحققها عمليات الجهاد لتحقيق الرسالة التي من اجلها اصدرت الفتوى والاطلاع على خطط وأساليب القتال التي ستتبع في قواطع العمليات لاعداد جيل من المقاتلين يتملكون روح التسامح وسعة الافق ورجاحة التفكير ليسهموا في الوصول إلى الفكرة المطلوبة من فتوى المرجعية ومن ثم تطبيقها على أرض الواقع، ولمعرفة مدى كفائيتها لتحقيق المحصلة المتوقعة من اجل بناء السلام والقضاء على الارهاب منهجا وتطبيقا

ويعد الاستنفار من مبادئ الحرب الاساسية والمهمة في المجال العسكري ، فمن خلاله تستطيع القيادة أعلان الحرب او عدمه ، ويعتمد هذا المبدأ على قدرة القيادة في

توجيه الراي العام وتحشيده ، والاساليب التي تعتمدها في ذلك فقد استطاع السيد السيستاني (دام ظله) ان يجعل من هذه المنطلقات الفكرية وسيلة لاستنفار الراي العام الاسلامي ، من خلال تبيان جملة من الاهداف التي تبناها في ذلك كالدفاع عن مصلحة الامة الإسلامية ، والدفاع عن القران الكريم ومبادئ الاسلام السمحاء والدفاع عن الحق .

وتناولت وسائل الإعلام المحلية والعالمية باهتمام كبير بيان المرجعية الدينية العليا المتمثلة بالمرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله) وجاءت الدعوة إلى حمل السلاح في خطبة صلاة الجمعة التي ألقاها نيابة عنه ممثله الخاص الشيخ عبد المهدي الكربلائي بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٣ فامتد صدى الفتوى الى جميع انحاء البلاد واندفع الناس بحماس كبير من اجل التطوع، قال سبحانه وتعالى: { فليُقاتِلْ في سَبيلِ اللّهِ الذين يَشْرُونَ الحَيَاة الدُّنيَا بالآخِرَةِ وَمَن يُقاتِلْ فِي سَبيلِ اللّهِ فيُقْتَلْ أو يَغْلِبْ فسَوْفَ نُؤْتيهِ أجْرًا عَظِيمًا(٣٤). وقال تعالى: ﴿مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ فمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾(٣٥).

ولعل من يقف جليا امام اهداف تلك الجموع المجاهدة ويقطف من ثمارها على عظم بشاعة العدو فقد كانت تجلياتها واهدافها كثيرة جدا، فالاصرار على المسير هي لطلب الشهادة، ونشر العدل والقضاء على الارهاب، ومحاربة كل انواع الفساد، وسيادة المجتمع الاسلامي السليم. عملا بما قام به الحسين (عليه السلام) حين قال:" ألا واني لم اخرج أشرا ولا بطرا، ولا ظالما ولا مفسدا، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في امة جدي، أريد آمر بالمعروف وانهي عن المنكر" (٣٦). فإن من أعظم نعم الله عز وجل على هذه الأمة أن أنزل إليها خير كتبه ، وأرسل إليها أفضل خلقه ، وجعلها خير أمة

أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله، قال تعالى﴿ كُنتمْ خَيْرَ أمَّةٍ أخرِجَتْ لِلنَّاسِ تأمُرُونَ بالمَعْرُوفِ وتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وتؤمِنُونَ باللهِ﴾(٣٧) كما تكفل لها بحفظ دينها الذي ارتضاه لها،﴿ إنَّا نحنْ نزَّلنَا الذِّكْرَ وإنَّا لهُ لحَافِظُون﴾(٣٨) وكلفها حمل هذه الرسالة العالمية. وقد تأسى الرسول (ﷺ) بالقرآن الكريم في مناقشاته ومحاوراته مع اتباعه او اعدائه، وان أهله واصحابه واتباعه الأخيار قد نهجوا نهجه، واتبعوا طريقته امتثالا لقوله تعالى:﴿ لقَدْ كَانَ لكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَة حَسَنَة لمَن كَانَ يَرْجُو اللَّه واليَوْمَ الأخِرَ وذَكَرَ اللَّه كَثِيرًا ﴾ (٣٩).

والمرجع الديني (دام ظله) احس بأن المجتمع بحاجة ماسة الى غرس قيم ومتطلبات اخلاقيات بناء السلام والتعايش السلمي وفقا لمناهج الشريعة الاسلامية للنهوض بالامة الاسلامية، وإشاعة قيم السلام والحوار والتسامح والمحبة والالفة بين ابناء المجتمع. قال رسول الله : " لا تزال هذه الأمة بخير ما إذا قالت صدقت، وإذا حكمت عدلت، وإذا استرحمت رحمت ". فالإنسانية متساوية في الخطاب الدعوي الإسلامي، ولذلك نجد أن المرجعية الدينية دعت إلى تحقيق العدالة الاجتماعية بين الإنسانية وبالمساواة بين أجناس البشر، وبوحدة التشريع بالمساواة بين الخاضعين لأحكام الإسلام في الحقوق المدنية.

هذه الأهداف الإصلاحية الإنسانية، حددها المرجع الديني (دام ظله) في خطبه وأحاديثه قبيل المعركة وأثنائها لتكون حجة على الحاضرين والغائبين

فإذا عرفنا هذا وما يحيط بالمرجعية الدينية من المخاطر لمواجهة الارهاب وطغيانه ، ادركنا عظم هذه المهمة من جهة ، ومدى قوة ايمانها وعزمها من جهة اخرى ، فلما امرت المرجعية بالفتوى لم يكن ممن دعتهم الا السمع والطاعة دون أي تردد او خوف او تساؤل ، ولم تهزهم او تضعفهم تلك الجموع الارهابية التي اجتمعت بفعل اجندة

خارجية من كل حدب وصوب لتدمير العراق بلد الانبياء والحضارات. وقد استطاعت المرجعية الدينية ان تجعل من المنطلقات الفكرية للامام الحسين (عليه السلام) وسيلة لاستنفار الراي العام الاسلامي ، من خلال تبيان جملة من الاهداف التي تبنتها في ذلك كالدفاع عن مصلحة الامة الإسلامية ، والدفاع عن القران الكريم ومبادئ الاسلام السمحاء والدفاع عن الحق وعن المقدسات.

ولتحقيق ذلك تطلب القيام بعملية استنفار (حشد) للقوات ، وهذا ما يجعلنا أمام صورة واضحة عن الجهود المبذولة من فبل المرجعية الدينية على الرغم من الظروف السياسية والعسكرية الغير مستقرة التي شهدتها فترة اصدار الفتوى.

ان هذه المواقف التي عبرت عن حالة العزم والاقدام والثبات لدى الجميع تحمل الدلالات العظيمة وهي الايثار بالنفس في سبيل العقيدة، وقد عبرت عن هذا الايثار الاية القرآنية الكريمة :﴿ ومِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ واللَّهُ رَؤُوفٌ بالعِبَادِ ﴾ (٤٠) . وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) "ن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد"(٤١).

ان هذه المواقف الشجاعة تعد تحديا للارهابيين ، واستخفافا بهم وبجبروتهم وطغيانهم . وان في هذه الدعوة للجهاد ما يوجز الحقيقة بتجليات واقعة الطف كما اثبت هذه المواقف زهدهم في الحياة وصدقهم واخلاصهم ومودتهم وشجاعتهم بل وسائر الصفات الحميدة التي يمثلونها.

ولم يثن المرجعية المرجعية عن مبادئها ومواقفها ومسؤوليتها مهما كلفها ذلك لقوله تعالى: ﴿ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ﴾ "(٤٢) ، ومن هنا كان للسيد علي السيستاني(دام ظله الوارف) مجموعة من المنطلقات الفكرية الحضارية في فكره التي جاءت في بعدين رئيسيين هما : المنطلقات الشرعية ، والدفاع عن

مصلحة الامة . هناك مجموعة من المنطلقات الشرعية التي كانت بمثابة القاعدة التي استطاع ان يثبت من خلالها مشروعية فتواه ودعوته للجهاد وهذه المنطلقات لها جوانب عديدة منها الدفاع عن الحق الذي يعد أحد اهم المنطلقات الفكرية الحضارية التي اعتمدها في دعوته للجهاد

و نحن على ارض الواقع في مدينة الموصل كدنا أن نفقد الأمل في التحرير وتخليصنا من تلك الجماعات الارهابية وكدنا أن نفقد العراق و نخسره الى الأبد، لولا فتوى المرجعية المؤمنة باللّه تعالى وبحبّ العراق وأهله ومُقدّساته و نخله ومائه وترابه وهوائه، والتي تتحرّك في عروقها ودمها غيرة الدفاع عن كل ذلك ضد أعداء الدين والوطن والإنسانية.

فقد أدركت المرجعية الدينية الحكيمة أنّ الظرف واللحظة الزمانية للبلد تحتم الوقوف صفا واحدا للتصدي لمغول العصر، الذين كادوا أن يُفتكوا بالبلد ويُحقّقوا مآربهم لولا أن منّ اللّه تعالى علينا بنعمة الحشد الوطني والفتوى الوطنية للدفاع عن بلدنا من شر الأعداء الارهابيين.

لقد ظهر الحشد الشعبي وتكوّن في فترة وجيزة نتيجة لفتوى مقدسة من لدن المرجعية، ألهبت الجماهير وصعّدت فيهم الهمّة والغيرة والروح الوطنية للحفاظ على العراق بكافة طوائفه وقومياته وتشكّلاته الدينية والسياسية والثقافية "مضيفا "لقد حفظت الفتوى الوطنية للجهاد الكفائي البلد من الإنهيار والسقوط والدمار، وأنقذته والمنطقة من كارثة إنسانية لا مثيل لها، وحقّقت إنجازا لا يُصدّقه كثيرون، وأدّت من النتائج ما لم تستطع الدولة بهيبتها والحكومة بمؤسّساتها والأحزاب بقياداتها، فقد وقفت بوجه الإرهاب بعد أن شكّلت الحشد الشعبي الوطني، السور الأمين والسد العظيم وصمّام الأمان الذي حفظ البلد والدولة والحكومة والعملية السياسية برمّتها، بعد أن فشلت الأحزاب وقياداتها والحكومة في الدفاع

عن البلد، لاسيما حين وصل الأمر الى إشتراك أطراف من العملية السياسية وممَن أتت بهم الديمقراطية الى الحكومة والبرلمان في التآمر على أبناء البلد ومُحاولتهم الإطاحة بالعملية السياسية من أجل تحقيق مآربهم الشخصية والحزبية والطائفية الضيقة، ولكن كُشف أمرهم وبانت نواياهم وأفعالهم الإجرامية القذرة التي كادت أن تسقط البلد وأهله لولا أن تداركنا اللّه برحمته".

من هُنا نرى إنّ الحشد الشعبي جاء كردّ فعل على قوى ظلامية إندفعت مُستخدمة العنف وسفك الدماء البشرية، لاسيما إنّها لا تؤمن إلا بنفسها، ومن خالفها فمصيره الموت والفناء من الوجود، لذا فالحشد الشعبي جاء كمُعدّل عقائدي إنساني مُهمّته حفظ النوع والحفاظ على التنوّع، لأنّه جاء ليكون جزءً من حل على المستوى الأمني وليس جزءً من مُشكلة ملبية بإيمان تام وإقبال كبير، نداء المرجعية في مواجهة خطر الارهاب القادم من وراء الحدود. وسيكتب التاريخ ان الفتوى قد ابهرت العالم اجمع بما حمله من لبى نداءها من عقيدة مخلصة فكانوا قوة ضاربة للدواعش الارهابيين وابوا الركوع الا للّه تعالى فارخصوا في سبيله الارواح يتسابقون على بذل الدماء الغالية والنفيسة من اجل احقاق الحق،وهكذا كانت المواقف البطولية والمعطيات الحضارية لواقعة الطف ودورها في محاربة الارهاب.

۞ وصايا المرجعية الدينية ودورها في محاربة الارهاب:

يظهر من التوصيات ان المرجعية الدينية ارادت ايصال منهج الاسلام القويم وهي نقيض الصورة التي رسمها الارهابيون وشوهوها بافعالهم الارهابية فكان جل اهتمام الرجعية حقن الدماء والحفاظ على الانفس ورعاية الحرمات والحفاظ على الممتلكات العامة والخاصة والتي اشار اليها المرجع الديني السيد السيستاني (دام ظله

) في اكثر من موضع. فثورة الحسين (عليه السلام) وفتوى المرجعية الدينية لهما من الخصائص يكاد أن يجعلهما خالدتان ابد الدهر

وقد قام المرجع الديني(دام ظله) ، كونه له دور في تأسيس الحشد الشعبي عن طريق فتواه بالجهاد الكفائي، بإصدار توجيهات دينية تنظم علاقة وتعامل الحشد الشعبي مع أهالي المناطق المحررة من تنظيم داعش بالعراق، وتتضمن التوجيهات ٢٠ توصية، تضمنت حث منتسبي الحشد الشعبي على التعامل بالأخلاق الإسلامية وعدم التعرض للناس أوأهالي المنتمين لداعش (في المناطق المحررة) بأي أذى أو اضطهاد، وعدم إيذاء الكبار بالسن والأطفال والنساء وعدم قطع أي شجرة إلا أن يضطروا إلى قطعها وكذلك معاملة غير المسلمين معاملة حسنة وعدم المساس بهم وغير ذلك مما قاله في توجيهاته الاخرى.

واكد السيد السيستاني على ضرورة التوكل على اللّه سبحانه وتعالى ، والارتباط مع الباري في اوقات الحرب لما لها من اهمية في تقوية الروح المعنوية للقائد والجند ، وطلب النصر والعون من اللّه سبحانه وتعالى لانه الناصر والمؤيد وهذا ماتمخض عن السيد السيستاني من خلال وصاياه للمجاهدين إذ يوصيهم بقوله: (واستعينوا على انفسكم بكثرة ذكر اللّه سبحانه وتلاوة كتابه واذكروا لقاءكم به ومنقلبكم اليه، كما كان عليه امير المؤمنين علي عليه السلام وقد ورد أنه بلغ من محافظته على ورده انه يبسط له نطعٌ بين الصفين ليلة الهرير فيصلي عليه ورده، والسهام تقع بين يديه وتمرّ على صماحيه يمينا وشمالا فلا يرتاع لذلك ولايقوم حتى يفرغ من وظيفته)(٤٣).

كذلك كان الامام الحسين (عليه السلام) في واقعة كربلاء يرفع يديه داعيا اللّه بقوله: (اللهم أنت ثقتي في كل كرب وأنت رجائي في كل شدة وأنت لي في كل

أمر نزل بي ثقة وعدة، كم من هم يضعف فيه الفؤاد وتقل فيه الحيلة و يخذل فيه الصديق ويشمت فيه العدو، أنزلته بك وشكوته إليك رغبة مني إليك عمن سواك ، ففرجته عني وكشفته ، فأنت ولي كل نعمة ، وصاحب كل حسنة ومنتهى كل رغبة)(٤٤).

ومن نصائحه (دام ظله) قوله:(وهذا وينبغي لمن قبلكم من الناس ممن يتترس بهم عدوكم ان يكونوا ناصحين لحماتهم يقدرون تضحياتهم ويبعدون الاذى عنهم ولايثيرون الظنة بأنفسهم، فإن اللّه سبحانه لم يجعل لاحد على اخر حقا إلا وجعل لذاك عليه حقا مثله فلكلٍ مثل ماعليه بالمعروف. واعلموا انكم لاتجدون انصح من بعضكم لبعض اذا تصافيتم واجتمعتم فيما بينكم بالمعروف حتى وإن اقتضى الصفح والتجاوز عن بعض الاخطاء بل الخطايا وان كانت جليلة(٤٥)

ومن الوصايا المهمة للمرجعية ((ولا يظنن احد ان في الجور علاجا لما لايتعالج بالعدل ، فان ذلك ينشأ عن ملاحظة بعض الوقائع بنظرة عاجلة اليها من غير انتباه الى عواقب الامور ونتائجها في المدى المتوسط والبعيد ، ولا اطلاع على سنن الحياة وتاريخ الامم ، حيث ينبه ذلك على عظيم ما يخلفه الظلم من شحن للنفوس ومشاعر العداء مما يهد المجتمع هدا ، وقد ورد في الاثر (ان من ضاق به العدل فان الظلم به اضيق) وفي احداث التاريخ المعاصر عبرة للمتامل فيها ، حيث نهج بعض الحكام ظلم الناس تثبيتا لدعائم ملكهم ، واضطهدوا مئات الالاف من الناس ، فاتاهم اللّه سبحانه من لم يحتسبوا حتى كانهم ازالوا ملكهم بايديهم(٤٦)

فهذه الوصيا فيها من المعاني والمضامين والحكمة البالغة تصلح ان تكون منهجا عاما للمقاتلين في سوح الوغى، فالجور هو العدول عن الحق، ولايمكن ان يكون علاجا لأي امر فقد نهى اللّه تعالى عنه فالآيات القرآنية الكريمة كثيرة التي تنهى عن الجور والظلم لأن فيه اضطهاد وغبن للحقوق، ويشير المرجع الديني (دام ظله) بان

الظلم لا يخلف إلا الشحناء والبغضاء ومشاعر العداء ويستشهد بقول امير المؤمنين علي (عليه السلام) ((من ضاق عليه العدل فالجور عليه اضيق)) (٤٧) وأكد الخليفة امير المؤمنين الامام علي (عليه السلام) على ضرورة التزام الوالي بالعدل وعد من اسس قيام الحكم الالتزام بتحقيق مبادئ الاسلام. وروي عن الرسول (ﷺ) انه قال : "ثلاث من كن فيه من الولاه ... اضطلع بأمانته وأمره ... إذا عدل في حكمه ولم يحتجب دون غيره .. .وأقام كتاب اللّه في البعيد والقريب"(٤٨).

وهناك العديد من الوصايا المهمة للمرجعية الدينية واتي تؤكد على حقن الدماء، وعدم اراقتها، وصيانة الانفس وأداء الحقوق ورعاية الحرمات والحفاظ على الممتلكات العامة والخاصة والسعي الى بناء المجتمع السليم والتعايش السلمي بين ابنائه، ولا يخفى عن احد ان نهج المرجعية هو نهج الرسول (صلى اللّه عليه وآله) واهل بيته الطاهرين .

من وصايا السيستاني (فللجهاد آداب عامة لابد من مراعاتها حتى مع غير المسلمين ، وقد كان النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) يوصي بها اصحابه قبل ان يبعثهم الى القتال ، فقد صح عن الامام الصادق (عليه السلام) انه قال (كان رسول اللّه ص اذا اراد ان يبعث بسرية دعاهم فاجلسهم بين يديه ثم يقول سيروا باسم اللّه وباللّه وفي سبيل اللّه وعلى ملة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) لاتغلوا ولاتمثلوا ، ولاتغدروا ، ولا تقتلوا شيخا ولا صبيا ولا امراة ، ولا تقطعوا شجرا الا ان تضطروا اليها) (٤٩).

لقد أقر الاسلام قيودا شرعية على مبادئ القتال في الاسلام تعد بمثابة مبادئ اساسية ينبغي العمل بها في مختلف ظروف القتال. وكان الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) يوصي المقاتلين عند توجههم للقتال بتقوى اللّه وطاعته ومحاسبة النفس(٥٠).ومن التوصيات الاخرى: "أن النبي قال اغزوا باسم اللّه وفي سبيل اللّه وقاتلوا

من كفر بالله اغزوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا"(٥١). ويروي أنس بن مالك (رضي الله عنه) وصية أخرى للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قائلا: "أن رسول الله قال انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ولا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا ولا صغيرا ولا امرأة ولا تغلوا وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين"(٥٢).

ان من المهام الأساسية التي يناط بها القائد العسكري هو إعداد الجيش إعدادا كاملا، بحيث يكون على أهبة الاستعداد لمواجهة الأخطار المحيطة به. لذا نجد ان من واجبات الأمير كما جاء في نصوص رسائل الخليفة علي بن أبى طالب (عليه السلام) إلى أحد قادته وامرائه: أمره بتقوى الله الذي لابد من لقائه يوما ولا يقاتل إلا من بدأ بقتاله بعد الأعذار إليه ووضع الحجج عليه، وذلك في نص رسالته إلى معقل بن قيس الرياحي(*)عندما عينه قائدا لجيش أنفذه إلى الشام في ثلاثة آلاف مقاتل: "اتق الله الذي لابد من لقائه ولا منتهى لك دونه ولا تقاتلن إلا من قاتلك"(٥٣) فهذه الاخلاقيات أوصى بها المرجع الديني (دام ظله) وحث على الالتزام بها لما فيها من المعاني والمضامين العالية من اجل تحقيق النصر على الاعداء. فقدرة الخطاب الحسيني للمرجعية الدينية على التأثير في فكر المخاطبين، والرقي بها نحو الأهداف المرغوبة.

وتكمن أهمية الوصايا خلال اسهامها في تنمية المعاملة الطيبة والقيم والاخلاق الحسنة، وتساعد المقاتلين المجاهدين على التكيف الاجتماعي بينهم ومن ثم المجتمع. فضلا عن ترسيخ المفاهيم الاسلامية الحضارية وتفعيلها واهمها مفهوم السلام، كما انها تعمل على تهيئة المقاتلين للتعايش في مجتمع متعدد المذاهب والافكار.

وفي هذا الصدد يوجه السيد السيستاني توصياته للمجاهدين وينصحهم بأن يدعوا العصبيات الذميمة ويتمسكوا بمكارم الاخلاق ... وان لا تغلبهم الأفكار الضيقة والانانيات الشخصية (٥٤)، إن جميع مبادئ الأديان السماوية تؤكد على مكارم الأخلاق وعلى بناء الصرح الأخلاقي للمجتمعات الإنسانية، وقد وصل هذا الصرح إلى ذروته في الشموخ والتمام على يد خاتم الأنبياء والمرسلين محمد (صلى اللّه عليه وآله وسلم) بقوله : "بعثت لأتمم حسن الأخلاق" (٥٥)، وفي رواية أخرى " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" (٥٦)،ونبينا محمد (صلى اللّه عليه وآله وسلم) هو القائل عن نفسه: "أنا سيد ولد آدم"(٥٧). ووصف اللّه تعالى رسوله بأنه ذو خلق عظيم كما جاء بقوله عز وجل : ﴿ وإِنكَ لعَلى خلقٍ عظِيم ﴾ (٥٨)، فالإيمان والتدين لا يكمل إلا بالأخلاق . إذ قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) : (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا)(٥٩) ، فالأخلاق هي الترجمة العملية للاعتقاد والإيمان الصحيح إلى عمل سلوكي ظاهر، ولذلك نجد ان المرجعية الدينية تربط الأخلاق بتحقيق النصر ربطا قويا. وهذا ماتم ملاحظته على ارض الواقع فقد شاهدنا مايتمتع به ابناء الحشد الشعبي والقوات المسلحة من اخلاق وصفات حميدة في تعاملهم مع ابناء المناطق المحررة والتي كانت سببا رئيسيا في تعاون ابناء تلك المناطق معهم من اجل محاربة الارهاب. وقد واصل المقاتلين من ابناء الحشد هذه المهمة لتترجم في الواقع في أعمال وممارسات وعلاقات ، ولهذا كانت القيم الأخلاقية هي المحور الأساسي في عملياتهم العسكرية وفي تحقيق النصر على داعش الارهابي.

الخاتمة والاستنتاجات:

إن المرجعية الدينية صاحبة الفتوى كانت تحرص اشد الحرص على انتزاع الحقوق بالوسائل السلمية والابتعاد عن العنف مادامت تلك الوسائل متاحة وتؤدي إلى الحفاظ على أرواح الناس.

وان مايتمتع به السيد السيستاني من العلم والحلم والزهد والتقوى والورع، وألاخلاق الحسنة والمكانة الاجتماعية وما أشبه وتدبيره للأمور من العوامل التي سبّبت حبّ الناس له وسرعة الاستجابة للفتوى.

من هُنا تبين إنّ الحشد الشعبي جاء كردّ فعل على قوى ظلامية إندفعت مُستخدمة العنف وسفك الدماء البشرية، لاسيما إنها لا تؤمن إلا بنفسها، ومن خالفها فمصيره الموت والفناء من الوجود فجاءت ملبية بإيمان تام وإقبال كبير نداء المرجعية من اجل مواجهة خطر الارهاب القادم من وراء الحدود. وقد حققت الفتوى اهدافها لإيقاف تنظيم ارهابي خارج عن السيطرة وذلك للحفاظ على وحدة العراق ودحر اعتى عدو للانسانية.

والامة الاسلامية اليوم باشد الحاجة الى الوحدة والتماسك، من اجل الوقوف امام كل المخاطر التي تستهدف البشرية جمعاء، لاسيما وانها تمر بظروف عصيبة توالت عليها المحن والنزاعات والتناحرات من كل حدب وصوب واتي فرضتها قوى الشر والتسلط والاستعلاء في الارض، فالسلام هو النبع الاصيل لاعادة تنظيم العلاقات بما يوفر امكانية حقيقية لمواجهة كل التحديات والصعوبات ..... واللّه الموفق

الهوامش:

(١) سورة المائدة ، من الاية ٣٢ .
(٢) سورة الاسراء، الاية ٣٣ .
(٣) سورة المائدة ٣٣ .
(٤) شرح نهج البلاغة لمحمد عبده تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد مطبعة الاستقامة ١١٩/٣.
(٥) مركز الحوراء زينب ،من وصايا السيد السيستاني، في كتاب ومنهم من ينتظر الجزء الثاني.
٦ . نهج البلاغة ، ٩٧ .
(٧) محمد بن أبي سهيل السرخسي : ، المبسوط، مطبعة السعادة (القاهرة : ١٣٢٤هـ) ، ٣/١ .
(٨) أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه ، سنن ابن ماجه ، حكم على أحاديثه : محمد ناصرالدين الألباني (الرياض : د. ت) مكتبة المعارف ، ط١ ، ٤٧٣ .
(٩) محمد بن اسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، مكتبة الصفا، (القاهرة: ٢٠٠٣) ، كتاب الجهاد والسير ، باب من قاتل لتكون كلمة الله العليا(٢٨١٠) .
(١٠) محمد بن عيسى الترمذي ، سنن الترمذي ، تحقيق احمد محمد شاكر واخرون دار احياء التراث العربي (بيروت: د.ت) كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله (ﷺ) ، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله (١٦٣٩) .
(١١) جمال الدين عبد الله الزيلعي، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، تحقيق: عبد الله عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة، ط١ (الرياض: ١٤١٤هـ) ، ٣٤٦/١ .
(١٢) ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، كتاب الفتن ، باب حرمة دم المؤمن وماله (٣٩٣٢).
(١٣) سورة البقرة ، الآية ٢١٦ .
(١٤) عبد الله ابن المبارك، الجهاد ، تحقيق: نزيه حماد ، الدار التونسية للنشر، (تونس : ١٩٧٢)، ١٥.
(١٥) سورة الصف ، الآية ١٠ـ١٣ .
(١٦) احمد بن الحسين البيهقي ، شعب الايمان، تحقيق محمد السعيد البسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٤١٠ه)، ٣٦٣/١ .
(١٧) سورة التوبة، الآية ١١١ .
(١٨) الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير ، جامع البيان في تفسير القرآن ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب ، ط١ ، ٥/١٢ (الرياض : ٢٠٠٣).
(١٩) سورة الأحزاب ، الآية ٢١ .
(٢٠) محمد يوسف الكاند هلوي ، حياة الصحابة تحقيق : عادل أنور خضر، دار الجيل ، (بيروت : ٢٠٠٥)، ٣٠٠/١ .

(٢١) سورة التوبة: ١٢٢

(٢٢) سورة التوبة: الآية ١٢٢.

(٢٣) السرخسي : محمد بن أبي سهيل ، المبسوط، مطبعة السعادة ، (القاهرة : ١٣٢٤هـ) ، ٣/١ .

(٢٤) سورة النساء، الآية ٧٥.

(٢٥) سورة النساء، الآية ٧٤.

(٢٦) سورة التوبة، ١١١.

(٢٧) ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري ، تحقيق: مصطفى اديب، دار ابن كثير، (بيروت: ١٩٨٧) كتاب الجهاد والسير، ٢٩٥٧ .

(٢٨): محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، مشكاة المصابيح ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الاسلامي، (بيروت : ١٩٨٥) ، ٢/ ١١٢٤ .

(٢٩) سيد قطب ، هذا الدين، دار القلم، (د.م : ١٩٦١) ، ١٠-١١ ؛ د. عبد الكريم زيدان ، اصول الدعوة ، ٢٧٣ ؛ محمد متولي الشعراوي ، السيرة النبوية، مكتبة التراث الاسلامي ، ط٢ (القاهرة : ٢٠٠١) ، ص ٤٦٠-٤٦٢ .

(٣٠) مركز الحوراء زينب، ومنهم من ينتظر، ٩٩/٢.

(٣١) سورة التوبة/ الآية ١٢٢.

(٣٢) سورة الكهف، الآية ١٣ .

(٣٣) من خطبة الجمعة في الصحن الحسيني الشريف لسماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دام عزه) بتاريخ ١٣ حزيران ٢٠١٤.

(٣٤) سورة النساء، الاية، ٧٤.

(٣٥) سورة الاحزاب ،الآية، ٢٣ .

٣٦ () ابن أعثم، الفتوح، ٢٣/٥؛ ابن شهر أشوب، المناقب، ٨٩/٤.

(٣٧) سورة آل عمران من الآية ١١٠.

(٣٨) سورة الحجر / الآية ٩.

(٣٩) سورة الاحزاب/ الآية ٢١.

(٤٠) سورة البقرة، الاية ٢٠٧ .

(٤١) رواه أبو داود والترمذي وصححه سنن أبي داود.

(٤٢) سورة المائدة /٥٤ .

(٤٣) مركز الحوراء زينب، ومنهم من ينتظر، ١٧٤/٢.

(٤٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٢٢/٥، محمد بن محمد بن النعمان المفيد ، الإرشاد ، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، ط٢ ، (قم : ١٤١٦هـ) ، ٩٦/ ٢.

(٤٥) مركز الحوراء زينب، ومنهم من ينتظر، ١٨٨/٢.
(٤٦) مركز الحوراء زينب، ومنهم من ينتظر، ١٤٠/٢.
(٤٧) ابن أبي الحديد، نهج البلاغة، ١/ ٢٧٠.
(٤٨) الجاحظ رسائل الجاحظ، ٣٠٠/٢ .
(٤٩) مركز الحوراء زينب، ومنهم من ينتظر، ٥٣/٢ .
(٥٠) ينظر: ابو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم، صحيح مسلم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه (مصر: د.ت)، ١٣٨/٥؛ محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، حكم على أحاديثه : محمد ناصر الدين الألباني، ط١، (الرياض : د:ت) مكتبة المعارف، ٨٥/٣.
(٥١) سليمان بن الأشعث الازدي أبو داؤود، سنن ابي داؤود، عمان، لبت الافكار الدولية، (الرياض: د.ت)، ٣٧/٣، ابو بكر عبد اللّه بن محمد أبن أبي شيبة، المصنف، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة، ط١، (جدة: ٢٠٠٦)، ٤٧٥/٦؛ مسلم، صحيح مسلم، ١٣٥٧/٣؛ الطبراني، ابو القاسم سليمان بن احمد، المعجم الصغير، محمد شكور محمود، المكتب الاسلامي (بيروت: ١٩٨٠)، ٣١١/١؛ ابو عبداللّه محمد بن احمدأبن عبد البر القرطبي، الجامع لاحكام القرآن، تحقيق: هشام سليم البخاري، (بيروت: ١٩٩٥) ٣٣/٥).
(٥٢) أبو داود، سنن ابي داؤود، ٣٧/٣؛ وينظر: أبو بكر عبد اللّه بن محمد أبن أبي شيبة، المصنف، ٤٧٥/٦؛ أبن داود، سلاح المؤمن في الدعاء، ٣٧١/١؛ أبو علي محمد بن أحمد أبن حزم، المحلى شرح المجلى، تحقيق : أحمد محمد شاكر (بيروت : ١٩٩٧) دار احياء التراث العربي ، ط١.
٢٩٧/٧؛ أبن عبد البر القرطبي، ٣٣/٥).
(*) معقل بن قيس الرياحي: من بني يربوع، قائد من الشجعان، ادرك عصر النبوة، وكان من امراء الصفوف يوم الجمل توفي سنة ٤٣هـ. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: ابي محمد ابراهيم، (القاهرة: ١٩٦٣)، ٢٠٩/٥.
(٥٣) عز الدين عبد الحميد ابن أبى الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابي الفضل ابراهيم، (القاهرة:١٩٥٩)٤، ٥٣٣؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، ٣٧٩/٤ـ٣٨٠.
(٥٤) ومنهم من ينتظر، ١٩٦/٢.
(٥٥) مالك؛ الإمام مالك بن أنس، كتاب الموطأ، صححه ورقمه : محمد فؤاد عبد الباقي، ط:٢، المكتبة الثقافية، (بيروت: ١٩٩٢م)، كتاب حسن الخلق، ص٩٠٤.
(٥٦) ينظر الكاندهلوي؛ العلامة الشيخ محمد زكريا : أوجز المسالك لموطأ مالك، ط:٣، دار الفكر، بيروت لبنان: ١٩٨٠م)، المجلد : ١٤، ص١٣٢ .
(٥٧) القشيري ، مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، دار الكتب العلمية (بيروت: ١٩٧٧)، ٢ / ٣١٠ ؛ الأصفهاني ، أبي نعيم أحمد بن عبد اللّه، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، دار الفكر، (بيروت: د.ت)،١ / ٦٣ ؛ هاشم الحسيني البحراني التوبلي (القرن الحادي عشر) ؛

الإنصاف في النص على الأئمة الاثني عشر الأشراف، تحقيق: سلام الزبيدي ويوسف العلي ، مؤسسة ام القرى، لبنان، (بيروت : ٢٠٠٣)٨٤ .

(٥٨) سورة القلم، الآية ٤ .

(٥٩) سليمان بن الأشعث السجستاني الازدي أبي داود ، سنن أبي داود، إعداد : عزت عبيد الدعاس، عادل السيد، ط: ١ ، دار ابن حزم،(بيروت: ١٩٩٧م)، ج: ٥، ص٤٢ .

موقف المرجعية الدينية من الحركة الصهيونية (١٩٣٢-١٩٦٧)

م.د. علياء سعيد ابراهيم
في العتبة العلوية المقدسة / شعبة المكتبة

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد واله المنتبجين .

المرجعية الدينية وقيادة الامة هبة عظيمة ونعمة كبيرة من الله على بعض عبادة الصالحين اذ ورد في قوله تعالى :((اللهُ أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالتهُ)) ، وقد نشأت استنادا الى حاجة الامة للتواصل مع الرسالة الالهية المحمدية التي منحها الباري عز وجل له ثم امتدت عبر حركة التاريخ حتى يومنا هذا ، فضلا عن ذلك تعد المرجعية الدينية احدى العناصر المهمة التي لها دور مهم اساسي في العالم من خلال وقوفها ضد الاستعمار في داخل العراق وخارجه ومن بينها القضية الفلسطينية وما قام به زعماء الحركة الصهيونية من أعمال وإجراءات ضدها وعدم صمتها تجاه الاستعمار بما يقوم به من اعمال متخاذلة ، كما وقفت في الوقت نفسه ضد لاستعمار البريطاني الذي كان يدعم الحركة الصهيونية الرامية للاستيلاء على الأرض العربية ، لذلك تم اختيار موضوع " موقف المرجعية الدينية من الحركة الصهيونية " والتعرف على ما قامت به من إجراءات وخطوات اتجاهها ، وعليه قسم البحث الى مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة وقائمه للمصادر والمراجع .

تضمن المبحث الاول " نبذة تعرفيه عن المرجعية الدينية والحركة الصهيونية " حيث تم التطرق الى معنى المرجعية الدينية والى اهم المراحل التاريخية التي مرت بها وكذلك تم التحدث الى بدايات الوجود اليهودي في فلسطين ، وكيف تم وضع

الاساس الاول لليهود فيها من قبل زعماء الصهاينة فضلا عن تطورات القضية حتى عام ١٩٣١ .

اما المبحث الثاني تطرق الى" موقف المرجعية الدينية من الحركة الصهيونية (١٩٣٢-١٩٤٧) " فقد وضح ماقام به الصهاينة من اعمال ضد ابناء الشعب الفلسطيني ، وما صدر من علماء المرجعية الدينية في النجف من شجب لتلك الممارسات اللانسانية .

واما المبحث الثالث فقد سلط الضوء على " دور الفئة المرجعية الدينية من الحركة الصهيونية (١٩٤٨-١٩٦٧) ، حيث بين فيه ابرز التطورات التي حصلت في فلسطين من خلال اعلان الحروب على ابناء الشعب الفلسطيني من قبل الكيان الصهيوني وبمساعدة الدول الاستعمارية البريطانية والامريكية وما هو موقف المرجعية الدينية من ذلك .

واستخدم البحث عدد من المصادر والمراجع العربية والمعربة جاء في مقدمتها " فلسطين من التقسيم الى اوسلو ١٩٣٧-١٩٩٥ " لـباحث " طاهر خلف البكاء" علاوة على كتاب " العراق والقضية الفلسطينية ١٩٥٨- ١٩٧٣ " لباحث يونس حسن حمد السامرائي الى جانب عدد من الدراسات الاكاديمية وكان في مقدمتها رسالة الماجستير التي حملت بعنوان " الموقف السوري من فصائل المقاومة الفلسطينية ١٩٦٤- ١٩٧٣ لـباحث " عيد جاسم سليم نجم الدليمي" وكذلك تمت الاستعانة ببعض المقالات ومنها مجلة دراسات تاريخية فضلا عن مجلة السدير .

المبحث الاول: نبذة تعرفيه عن المرجعية الدينية والحركة الصهيونية

المطلب الاول / المرجعية الدينية ومراحلها

قبل اعطاء تعريف للمرجعية الدينية لابد من تعريف المرجعية لغة ثم التعرف عليها بعد ذلك ، فالمرجعية لغة ترجع الى الفعل رَجَع يَرْجع رَجعًا ورُجُوعا ورُجْعَى ورُجْعانا

ومَرْجعاً ومَرْجعة ، ومرجعة أي انصرف ، وفي التنزيل :ان الى ربك الرجعة أي الرجوع والمرجع : العود الى ما كان منه البدء ، او تقدير البدء مكانا او فعلا او قولا ، وبذاته كان رجوعه او بجزء من اجزائه ، او بفعل من افعاله (١) ووردت كلمة رجع في كتابه العزيز قوله : ((يَقُولونَ لَئِنْ رَجَعْنا إِلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْها الأَذَلَّ)) (٢) وقوله تعالى : ((وَلَمَّا رَجَعَ مُوسى إِلى قَوْمِهِ غَضْبانَ أَسِفاً قالَ بِئْسَما خَلَفْتُمُونِي)) (٣) . اما كلمة المرجعية فتعني :هي الجهة التي تتولى الموقع الاول في الهيكل العام لنظام الجماعة (الشيعة) عند غياب المعصوم ، وكذلك تعرف ايضا : هي المؤسسة التي تقوم بالمهمات الاساسية للإمامة ، وهي الولاية لشؤون المسلمين ، والافتاء من اجل توضيح مفاهيم الرسالة الربانية وتبليغها ، فضلا عن القضاء في موارد النزاع والفصل في الخصومات (٤).

والمرجعية الدينية هو قيام المجتهد الجامع للشرائط والاحكام مقام الإمام عليه السلام في مهماته الرئيسية الثلاث الولاية ، والفتيه ، والقضاء وبما أن المجتهدين كانوا يقومون بالدورين الآخرين ، كما دلت عليه النصوص ومنها : ((اما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله))(٥) لم يشك أحد من العلماء في أن المجتهد هو (المرجع) للأمة في هذين الموضعين ، بل كان العلماء والمجتهدون يقومون بهذين العملين لدى المسلمين حتى في زمن الخلافة الاسلامية ، ويرجع إليهم المسلمون في الافتاء والقضاء والفصل في امور الخاصة بهم(٦) .

وقد مرت المرجعية الدينية تاريخيا بمراحل عدة اذ تبدأ اولى مراحلها من عام ٩٤٠م الى عام ١٣٧٠ م وتعد مرحلة الاتصال الفردي اذ اعتمدت المرجعية فيها على الاتصالات الفردية مع المقلدين من اجل الاجابة على الاسئلة والاستفتاءات للمسلمين في

مختلف شؤون حياتهم ، ثم ارتقى الامر الى انتشار بعض تلامذة المراجع في البلاد من اجل الاجابة على اسئلة الناس وفق اراء اساتذتهم(٧) .

اما المرحلة الثانية فتبدا من(١٣٧٠ م- ١٧٩٠ م) : وشهدت هذه المرحلة تطورا عن سابقتها وتمثلت باتصال الفقيه المرجع بالقواعد الشعبية ، وعمل المرجع الى ارسال وكلاء الى مختلف المناطق والاطراف وكانوا ينقلون رأيه في المسائل الشرعية التي تهم الناس ومن خلال هؤلاء الوكلاء والمبلغين المرتبطين بالمرجع ، بدئت ملامح الجهاز المرجعي تتشكل ، ويعد محمد بن جمال العاملي عام ١٣٧٠ م اذ ارسل وكلاء الى مختلف بلاد الشام ، والذي امر بجباية الحقوق الشرعية وبذلك انشأ كيان ديني قوي للمسلمين ، وكان انشاؤه لهذا الكيان من اهم الاسباب التي ادت الى قتله (٨).

والمرحلة الثالثة (١٧٩٠ – ١٨٦٤ م) : وهي مرحلة التمركز والاستقطاب ، وبرزت خلال هذه الفترة مرجعيات كبرى شملت مناطق عدة من العالم الاسلامي فضلا عن قيامها بإقامة علاقات بين العراق ومناطق العالم كافة ، وبذلك انها وضعت نواه الاستقطاب والتمركز ، وقيام المرجعية الدينية المركزية الدينية في النجف (٩).

اما المرحلة الرابعة (١٨٦٤ م- ....) اذ ساعدت الظروف والتحديات الخارجية على بروز علماء دين وتسلموا زمام القيادة للأمور اذ اخذ المرجع يتبنى المحافظة على مصالح المسلمين وقد ظهر خلال هذه الفترة مراجع الدين وهم كلا من محمد كاظم الخراساني(١٠) ومحمد كاظم اليزدي (١١) ومحمد تقي الشيرازي (١٢) وشيخ الشريعة الاصفهاني (١٣) ، والذين كانوا لهم دور كبير في قضايا عدة منها القضية الفلسطينية .

المطلب الثاني : لمحة تاريخية عن الحركة الصهيونية حتى عام ١٩٣١

الحركة الصهيونية :هي حركة سياسية توسعية استعمارية ، تهدف الى جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود كمرحلة اولى لقيام دولة اسرائيل ، وسميت بأسم صهيون نسبة الى احد التلال التي تقوم عليها القدس (١٤).

وتعود جذور الحركة الى عام ١٦١٦ للكاتب هنري فنيش Henry Finch في كتابه " نداء اليهود " اذ تضمن دعوة لا قامة وطن لليهود ،ثم ظهرت كحركة منظمة خلال القرن التاسع عشر مع الكاتب موسى هس Moses Hess (١٥) في كتابة الصادر عام ١٨٦٢ وهو " روما القدس " الذي دعا فيه الى اقامة مستعمرات يهودية في غور الاردن وقناه السويس تمهيدا للسيطرة على فلسطين ، ولكن الذي وضع اساس الحركة الصهيونية هو هرتزل Herzl(١٦) في كتابة الدولة اليهودية اذ صرح في اول مؤتمر الصهيوني عقد في مدينة بازل بسويسرا في ٢٩ اب ١٨٩٧ اذ اشار في افتتاحية خطابه :((اننا هنا لنرسي حجر الاساس للبيت الذي سيظل الامة اليهودية))(١٧).فضلا عن تنظيم الهجرة اليهودية وربطها بواسطة منظمات محلية ودولية تتلائم مع القوانين المتبعة في كل بلد ، وتقوية الشعور الوطني والقومي اليهودي وتعزيزية مع اتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على الموافقات الحكومة العثمانية لتحقيق غاية الصهاينة (١٨)

لذلك عمل هرتزل بتوجيه رسالة في تشرين الثاني ١٨٩٨ الى قيصر المانيا ويلهم غليوم Welhm Guillaume يطلب منه المساعدة بإقامة شركة لأعمار الارضي يديرها الصهاينة تحت الحماية الالمانية تهتم بأمور الهجرة اليهودية (١٩)، علاوة على اقناع السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (٢٠) بحق اليهود في فلسطين مع اقامة

مستعمرات لليهود المهاجرين فيها ،الا ان السلطان العثماني رفض ذلك وامر ان لا يسمح لغير العثمانيين بامتلاك الاراضي في فلسطين ، وكان جواب السلطان العثماني بما يلي :

" لا اقدر ابيع ولو قدما واحدة من البلاد لأنها ليست لي بل لشعبي ، لقد حصل شعبي على هذه الامبراطورية بإراقة الدماء وسوف نغطيها بدمائنا قبل ان نسمح لأحد باغتصابها منا . لقد حاربت كتيبتان من جيشنا في سوريا وفلسطين وقتل رجالنا الواحد بعد الاخر لا احمد منا لم يرض بالتسليم ، وفضلوا ان يموتوا في ساحة القتال . الامبراطورية التركية ليست لي وانما للشعب التركي ، لا استطيع ابدا ان اعطي احدا أي جزء منها ، ليحتفظ اليهود ببلاييينهم ، فاذا قسمت الامبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين بدون مقابل ، انما لن تقسم جثثنا ولن نقبل بتشريحنا لاي غرض كان " (٢١).

ولكن الحركة وجدت قبولا من قبل بريطانيا صاحبة الاطماع في الشرق الاوسط التي لها مطامع كثيرة في الهند خصوصا بعد فتح قناة السويس عام ١٨٦٩ اذ حرصت بريطانيا بتكرس طاقاتها من اجل حماية هذا الممر المائي من اجل مصالحها الحيوية (٢٢).

وكان للأحداث التي وقعت في بداية القرن العشرين اثر على الحركة الصهيونية ولصالح بريطانيا ومنها قيام الحرب العالمية الاولى وانضمام الدولة العثمانية الى جانب الاولى ، لذلك حاولت بريطانيا استمالة العرب الى جانبهم وحملهم على القتال ضد الامبراطورية العثمانية التي كانت في وقتها مسيطرة على معظم مناطق المشرق العربي ، اذ تم لها ذلك من خلال اتفاقية حسين مكماهون(٢٣) والتي تضمنت ان يعلن عرب المشرق الحرب على الدولة العثمانية ، لقاء مساعدة بريطانيا لهم في

انشاء دولة عربية والاعتراف باستقلالهم ، ولكن بريطانيا تعهدت في الوقت نفسه لحليفتها فرنسا بالعمل على تقسيم بلاد المشرق العربي الى مناطق نفوذ بينهما من خلال التوقيع على اتفاقية سايكس بيكو Sykes – Pico في ١٦ ايار ١٩١٦ ، ثم اصدرت بريطانيا في العام التالي وعد بلفور في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ الذي هو عبارة عن كتاب موجة من اللورد جيمس بلفور Arthur James Balfour Lord(٢٤) وزير خارجية بريطانيا الى اللورد روتشيلد Lord Rothschild (٢٥) احد زعماء الصهاينة بتأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين ، حيث حصلت الحكومة البريطانية على مساعدات مالية ضخمة من ال روتشليد (٢٦) .

وكان هذا الوعد بمثابة الصدمة للعرب من قبل الحلفاء الذين ساعدوهم ضد الدولة العثمانية والمتمثل بالثورة العربية الكبرى، لذلك عملت بريطانيا من اجل امتصاص نقمة الغضب العربي بأرسال احد مبعوثيها الى الشريف حسين وهو ديفيد هوجارث David Hogarth في كانون الثاني ١٩١٨ لأجل طمأنة الشريف حسين حيث حمل تصريحا مبينا فيه بأن الهجرة اليهودية لن تتعارض مع المصالح السياسية والاقتصادية من جهة ، ومن جهة ثانية حمل التصريح للقياديين السوريين السبعة في حزيران ١٩١٨ وفيه تأكيدات واضحة على ان الارض التي يحتلها البريطانيون (جنوب فلسطين وجنوب العراق) سوف تحكم وفق رغبات السكان ، فضلا عن الموافقة على استقلال المناطق التي تحت السيادة العثمانية من شمال فلسطين وشرق الاردن وسورية ولبنان وشمال العراق ، وعندما انتهت الحرب العالمية الاولى صدر التصريح الانجلو فرنسي في ٧ تشرين الثاني ١٩١٨ الذي يؤكد للعرب بأن لهم الحرية والاستقلال الذين كانوا تحت الحكم العثماني(٢٧) .

أي ان بريطانيا ارادت من هذا الامر اجهاض الثورة ضدها من جانب العرب ومن جانب اخرى كانت مؤيدة للحركة الصهيونية ، ويدل على ذلك عندما حصل الصهاينة على دعم بريطانيا لهم ركزوا جهودهم في الحصول على دعم الدول الاخرى ، من خلال مؤتمر الصلح في باريس الذي عقد في ٢٨ كانون الثاني ١٩١٩ اذ قدم وفد صهيوني مذكرة الى مؤتمر الصلح بعنوان " تصريح المنظمة الصهيونية حيال فلسطين "، اذ تضمن حدود الدولة اليهودية المقترحة بحيث تشمل اجزاء من لبنان وسورية ومصر وشرق الاردن ، ولم يقصر الامر على ذلك وانما طالبوا بالتخلص من ٣٠ ملاك عربي و ٦٠٠ فلاح عربي لكي تصبح فلسطين وطنا قوميا يهوديا (٢٨) وكذلك جرت مفاوضات بين حاييم وايزمن Chaim Weizmann (٢٩)رئيس الحركة الصهيونية والامير فيصل (٣٠)ممثل والده لمؤتمر الصلح ووقعت اتفاقية اعترف فيها فيصل بالحركة الصهيونية مقابل قيام الدولة العربية في المشرق العربي ، لذلك عندما تم انتهى اعمال المؤتمر في ٢٨ حزيران ١٩١٩ تم التوقيع على ميثاق عصبة الامم الذي اعطى للدولة المنتصرة بالسيطرة على الاراضي التي كانت تحت السيادة العثمانية اي ان الصهاينة حققت اهدافها بعد حصولها على تصريح بلفور وحققت الهدف الثاني بعد اجتماع الحلفاء في مؤتمر سان ريمو في ٢٥ نيسان ١٩٢٠ الذي قرر في اليوم التالي حق انتداب بريطانيا على فلسطين(٣١).

وبعد اعلان مؤتمر سان ريمو ازداد الحماس الصهيوني من اجل تحقيق اهدافهم في هذه المرحلة الجديدة ومن اجل ذلك دعا قادة الحركة الصهيونية الى عقد مؤتمر في لندن عام ١٩٢٠ والذي كان من مقرراته انشاء جهاز مالي " الصندوق التأسيسي لفلسطين – كيرن هايسود" حدد مهمته بالمساهمة في تنفيذ وعد بلفور ولأجل

تنظيم الهجرة والاستيطان وقد اكد الصندوق التأسيسي على مبدأ تهويد الارض وتهويد العمل (٣٢).

ثم جاء المؤتمر الصهيوني الثاني عشر في ايلول عام ١٩٢١ مبرمج ومنظم للهجرة الصهيونية والمؤسسات التي تشرف عليها والذي حدد نشاطات الوكالة اليهودية من خلال العمل على خلق زيادة مستمرة في حجم الهجرة اليهودية الى فلسطين ،مع جعل الاراضي في فلسطين ملكا لليهود ، والاستعمار الزراعي المبني على العمل اليهودي، وتبني اللغة العربية وثقافتها في فلسطين (٣٣).

وقد ابدى عرب فلسطين مقاومة ضد الهجرة اليهودية والتي توجت بحادثة البراق في ١٦ اب ١٩٢٩ (٣٤) والتي لها الاثر الكبير في جمع صفوف المقاومة وظهور حركات تنظيمه جماهيرية تعمل من اجل مقاومة مسلحة ضد اليهود المهاجرين الى فلسطين (٣٥)

وبالرغم من ذلك استمرت الحركة الصهيونية وبمساعدة الانتداب البريطاني من الاستمرار بالهجرة الى فلسطين والتي ارتفع عدد اليهود عام ١٩٢٢ من ٨٣,٧٩٠ الى ١٤٧,٦٠٦ عام ١٩٣١ (٣٦).

المبحث الثاني : موقف المرجعية من الحركة الصهيونية (١٩٣٢-١٩٤٧)

شهد عام ١٩٣٢ حصول العراق على استقلاله بعد دخوله عضوا في عصبة الامم المتحدة وكان من بين القضايا التي اهتم فيها هي الحركة الصهيونية الرامية الى تحول فلسطين الى دولة يهودية وكان لأبناء العراق المثقفين الدور الفاعل في الوقوف امام الاطماع الاستعمارية (٣٧).

وكان لحصول العراق لاستقلاله حافزا لدى ابناء الشعب الفلسطيني للحصول على استقلالهم اذ قدمت القيادة الفلسطينية بزعامة محمد امين الحسيني(٣٨) في تشرين

الثاني عام ١٩٣٥ الى المندوب السامي البريطاني هربرت صموئيل Herbert Samuel [٣٩]عدد من المطاليب اهمها : اقامة حكومة وطنية مستقلة في فلسطين اسوة بما حصل في الاقطار العربية الاخرى ومنع انتقال الاراضي الفلسطينيين الى المستوطنين اليهود مع وضع حد للهجرة اليهودية[٤٠].

ولم تفلح القيادة الفلسطينية في مهمتها ادى الى اندلاع الثورة في فلسطين في ١٦ نيسان ١٩٣٦ نتيجة لازدياد الهجرة اليهودية للبلاد فضلا عن العدوان الذي كانت تشنه العصابات الصهيونية على الاهالي واستيلاء اليهود على اراضـــي العرب [٤١] وقد اتسمت الثورة التي استمرت ثلاثة سنوات بمواقف بطولية واستشهادية مما دعا الحكومة البريطانية الى دعوة الحكومات العربية للتوسط لإيقافها ، كما شكلت بريطانيا لجنة لدراسة الوضع برئاسة اللورد بيل Lord Samuel [٤٢].

وكان للثورة صدى كبير لدى ابناء الشعب العربي ومثقفيها ومن بينهم العراق حيث شهدت بغداد الكثير من المظاهرات ضد السياسة البريطانية فضلا عن اقامة الكثير من المهرجانات الشعبية والعديد من الاجتماعات[٤٣] قادتها المرجعية الدينية اذ كان لعلماء الدين الدور الاول والفاعل فيها ومنهم العالم الديني الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء [٤٤] الذي شجب الحركة الصهيونية ، وبين ان تحرير فلسطين لا يكون بالاعتماد على الدول الكبرى كالولايات المتحدة المساندة للحركة الصهيونية بل على المسلمين الالتزام بالجهاد من اجل نصرة فسطين [٤٥] ، واصدر الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء بيانا تضمن فتواه معتبرا الجهاد فيها كالمجاهد مع النبي و اهم ما جاء فيا ☹((أيها العرب ويا أيها المسلمون، بل يا أيها البشر ويا أيها الناس أصبح الجهاد في سبيل فلسطين واجبا على كل إنسان والخطة

العملية في ذلك هي أن من يستطيع اللحوق بمجاهدي فلسطين بنفسه فليلتحق بهم ، وإني ضمين أنه كالمجاهدين مع النبي عليه الصلاة والسلام في (بدر) ، ومن لم يستطع اللحوق بنفسه فليمدهم بماله أو بتجهيز من لا مال له ليلحق بهم أو بإرسال المال الى المجاهدين وعيالهم وأطفالهم ومن عجز عن كل ذلك فعليه أن يجاهد ويساعد بلسانه وقلمه ومساعيه جهد إمكانه وهذه أدنى المراتب)) ([٤٦]) .

فضلا عن ذلك كان للشيخ عبد الكريم الزنجاني([٤٧]) دور في المشاركة في المؤتمر الاسلامي الذي عقد في المسجد الاقصى في ١٠ حزيران عام ١٩٣٦ اذ القى فيها خطبة مؤكدا فيها على الترابط بين الصهاينة ومطامع الدول الاجنبية في البلاد العربية داعيا المسلمين الى التضامن والتعاون والالتزام بتعاليم الدين والسنة النبوية والى الوقوف الى جانب الشعب الفلسطيني في محنته ضد الصهاينة مع تأكيده للدور الولايات المتحدة في دعم الحركة الصهيونية ([٤٨])

ونتيجة لاستمرار الثورة وامتداد نفوذها فضلا عن ذلك لجوء الحكومة البريطانية الى الحكام والساسة العرب من اجل بذل جهدهم من اجل انهاء الثورة طرح نوري السعيد ([٤٩])مشروع عام ١٩٣٧ وكان مشروعه يتضمن توحيد العراق وامارة شرق الاردن تحت عرش الملك غازي مع تحديد نسبة اليهود المهاجرة ، مع ضمان الامتيازات الضرورية للأقلية اليهودية مع السماح لمليوني يهودي اضافي بالإقامة في هذه الدولة الموحدة لكن المشروع عندما قدم للحكومة البريطانية رفضته وقدمت مشروع لجنة بيل الذي ذكرناه سابقا([٥٠]) .

وبعد انتهاء الثورة عام ١٩٣٩ شهد نوع من التغيير في سياسة الحكومة البريطانية نتيجة لاندلاع الحرب العالمية الثانية والتي عملت لأجل كسب ود العرب على ارسال الكولونيل نيوكمب New Kam الى بغداد في تموز ١٩٤٠ لأجل التفاوض مع

الزعماء البغداديين والفلسطينيين الموجودين فيها بخصوص المسألة الفلسطينية التي كانت سببا لخلاف العرب مع بريطانيا وقد اشترطوا من اجل تحقيق التعاون بين الطرفين هو تحديد الهجرة وتعديل قانون انتقال الاراضي واصدار دستور للبلاد واصدار عفوا عام عن قادة الحركة ، لذلك قدم العراق للوفد البريطاني عدة مقترحات لغرض دخول العراق الى جانب بريطانيا في الحرب اهمها ايجاد حل للقضية الفلسطينية ، الا ان وصول ونستون تشرشل Winston Churchill (٥١) للحكومة البريطانية حال دون تقديم أي من المقترحات العراقية والاستمرار في تزويد اليهود بالسلاح من قبل الحاميات البريطانية بحجة الدفاع عن انفسهم ضد المانيا (٥٢) .

ونتيجة لازدياد الهجرة اليهودية الى فلسطين عادت بريطانيا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية الى اساليب المراوغة وتضليل الفلسطينيين وبدأت خطواتها الى تأسيس كيان للصهيونية واقامة وطن قومي في فلسطين لذلك عرضت الامر على الامم المتحدة في ٢ نيسان ١٩٤٧ والتي قامت بأرسال لجنة امريكية- بريطانية(٥٣) الى البلاد العربية ومنها بيروت والقدس ودمشق لمعرفهم آرائهم وخلال تلك الفترة ارسل وزير الخارجية فاضل الجمالي (٥٤) في ٢٣ تموز ١٩٤٧ مذكرة احتاج الى لجنة التحقيق في الامم المتحدة عند زيارتها الى بيروت وان اهم ما جاء فيها ان فلسطين جزء من البلاد العربية ، وان الانتداب ليس ادبي وقانوني والذي يسبب الكثير من القلق والاضطراب وانه مصدر الصهيونية السياسية ومطامعها المتزايدة ، مع التأكيد على انشاء دولة ديمقراطية موحدة في فلسطين ، بالإضافة الى التأكيد على موضوع الهجرة يجب ان تكون بموافقة عرب فلسطين ، فضلا عن اعتراف جميع دول

الاعضاء في الامم المتحدة بفلسطين دولة ديمقراطية وعضوا في جامعة الدول العربية وفي الامم المتحدة (٥٥)

وبالرغم من ذلك في قدمت اللجنة تقريرها للأمم المتحدة في ٣١ اب ١٩٤٧ الذي اكد على منح الاستقلال وحماية الاماكن المقدسة واحترام الحقوق الانسانية والدينية والاقليات فضلا عن انها قدمت تقرير بالأكثرية لخطة التقسيم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية وان تكون القدس تحت الادارة الدولية وعلية اصدرت هيئة الامم المتحدة في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ مشروع تقسيم فلسطين الى قسمين الاول يضم اليهود والثاني للعرب المسلمين (٥٦) .

فقابلت الاوساط المثقفة العراقية ذلك القرار بالسخط والاستنكار وعلى راسهم علماء الدين في العراق فضلا عن ارسال عدد علماء مدينة النجف برقية احتجاج على الى هيئة الامم المتحدة (٥٧) وهم كلا من علي بحر العلوم ومحمد جواد الشيخ طاهر الحجامي ومحمد صادق الطباطبائي ، فضلا عن ذلك ندد الشيخ محمد رضا الشبيبي (٥٨)قرار تقسيم فلسطين اذ وصفه القرار بانه تجاوز للحقوق الشعب العربي ومبادئه وكرامته وحقوقه(٥٩) .

المبحث الثالث : ردود افعال المرجعية الدينية من حروب الحركة الصهيونية (١٩٤٨- ١٩٦٧) دراسة في نماذج

المطلب الاول: موقف المرجعية الدينية من حرب ١٩٤٨

بعد قرار تقسيم فلسطين اندلعت الحرب بين الطرفين وكان الكاهل الاكبر للحرب على عاتق ابناء الشعب الفلسطيني من اجل اجبارهم على الرحيل اذ قامت المنظمات والعصابات الصهيونية الارهابية مسلحة بالهجوم ضد العديد من المدن والقرى العربية التي هي ضمن قرار التقسيم للعرب (مثلا قرية سلامة في نيسان

١٩٤٨ ومدينة عكا في اوائل ايار ١٩٤٨) وكان ذلك خلال الاشهر الستة الاولى الواقعة بين قرار التقسيم ونهاية الانتداب البريطاني في ١٥ ايار ١٩٤٨ لان بريطانيا اعلنت في مثل ذلك التاريخ بانها سوف تنسحب من فلسطين وقيام دولة اسرائيل اذ قامت بتسليم مواقعها ومعسكراتها الى المنظمات اليهودية لإرغام العرب على الجلاء عن المناطق التي تراها ضرورية لقيام الدولة اليهودية (٦٠).

وكان موقف الدول العربية مترديا وذلك لان الدول العربية رفضت ارسال جيوشها الى ان تخرج بريطانيا في ١٥ ايار ١٩٤٨ (٦١).

وقد شكل الفلسطينيون جيش سمي "الجهاد المقدس "بقيادة عبد القادر الحسيني علاوة على تشكيل الجامعة العربية "جيش الانقاذ" الذي يتكون من الدول العربية ومنها العراق التي كانت غير جادة في البداية على ارسال جيوشها لولا تدخل علماء الدين بإعلان الجهاد المقدس لإنقاذ فلسطين ومنهم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء جاء فيها :

((ان المحنة والبلوى قد تجاوزت حدود الفتوى واصبح كل ذي حس من المسلمين يفتى له وجدانه ويوحي له ضميره وجوب الدفاع عن فلسطين بكل ما في وسعة ويستهون بذل العزيزين النفس والمال في هذا السبيل واعلان الجهاد المقدس ، فلا تهنوا ايها المسلمون ولا تخذلوا وانتم الاعلون)) (٦٢).

ولكن الحرب العربية الاسرائيلية بسبب الهزائم التي منيت بها جيوشها لعدة اسباب منها تخاذل الحكام العرب في الدفاع عنها ، فضلا عن الاسلحة الفاسدة التي تم تزيد الجيش بها في المعركة مع عدم وجود تخطيط وتنسيق بين الجيوش العربية (٦٣)، وعلية قبل الحكام العرب بقرار مجلس الامن بوقف اطلاق النار الى اجل غير مسمى في ١٥ حزيران عام ١٩٤٨ (٦٤) .

ولكن هذا القرار لم يكن يرضي ابناء الشعب العراقي ومنهم الشيخ محمد حسين كاشف ومنها الذي دعا الى اعلان الحرب من جديد لأجل تطهير البلاد المقدسة (٦٥) لكن تخاذل الحكام العرب وعدم جديتها في الحرب ادت الى الخسارة مرة اخرى ، فضلا عن قيام الحكام العرب بتوقيع هدنة عام ١٩٤٩ في مودرس بين اسرائيل واربعة دول عربية هي مصر والاردن ولبنان وسوريا وقد كان متوقعا منها خطوات لمحادثات السلام الا انها لم تحقق المرجو منها فشهدت المنطقة العربية حروب اهمها حرب ١٩٦٧ (٦٦)وكان للفئة المثقفة العراقية دور كبير في الوقوف مع ابناء الشعب العربي في الدفاع عن ارضه وهذا ما سنلاحظه في المبحث الثاني.

المطلب الثاني : المرجعية الدينية وحرب ١٩٦٧

قبل قيام الحرب هناك العديد من المشاريع الدولية التي طرحت والتي كانت ذات اهداف متباينة لحل القضية الفلسطينية وايقاف الحركة الصهيونية لكنها جمعيها منيت بالفشل (٦٧) والنتيجة ادت الى اندلاع حرب في ٥ حزيران ١٩٧٦ ، عندما قام الكيان الصهيوني بحركة مباغتة عدوانية على كلا من الاردن ومصر وسورية اذ تمكن خلال سته ايام من احتلال الضفة الغربية لنهر الاردن وكذلك صحراء سيناء في مصر مع هضة الجولان في سوريا وكان لها اثر سلبي على واقع الامة العربية (٦٨) .

وكان للفئة المثقفة العراقية دور مهم من تلك الحرب وعلى راسهم رجال الدين ومنهم الامام القاسم الخوئي(٦٩) من بين العلماء الدين الذين وقفوا الى جانب الشعب الفلسطيني ضد الاستعمار الصهيوني اذ صرح بالجهاد ضد العدو واخراجه من الاراضي الاسلامية بكل وسيلة وطريقة داعيا كافة المسلمين للعمل على تحرير الاراضي المغتصبة من براثن الصهاينة (٧٠)

ولكن عندما اخفق العرب في هذه النكبة ([٧١]) قام الامام الخوئي بإصدار بيان حث فيها المسلمين لاخذ موقف حازم تجاه الصهاينة الذين هم اعداء الاسلام والانسانية هذا نصه : (ان النكبة التي اصابتنا في صراع المسلمين مع اليهود والقوى الكافرة المتعاونة معهم ، قد ادمت قلوبنا ، وان الحق المغتصب يجب ان يسترد على ايدي المسلمين بمختلف قومياتهم ،وان يكونوا يد واحدة في رد كيد اليهود ودحرهم متمسكين بقوله تعالى:

((واعتصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَميعاً وَلا تفَرَّقوا)))([٧٢]).

فضلا عن ذلك كان المرجع الاعلى السيد محسن الحكيم([٧٣]) له دور فعال في الوقوف ضد هذه الحركة ودعا جميع حكام العرب الى نبذ الخلافات وازالة والتعاون ويظهر ذلك واضحا عندما ارسل الية رئيس الحكومة العراقية عبد الرحمن عارف([٧٤])رساله يدعو فيها مساندة المرجعية الدينية في الحرب ضد اسرائيل جاء فيها: (قد تسلمنا رسالتكم الكريمة التي تذكرون فيها المواقف العصيب التي تواجه الامة الاسلامية في قضية فلسطين وما تتعرض فيه البلاد من عدوان من قبل اعدائها الذين ناصبوها العداء العقائدي والديني منذ صدر الاسلام فتألمنا كثيرا لهذه الحالة التي تهدد المسلمين في وجودهم وكرامتهم ، واننا بالوقت الذي نرفع اكفنا بالدعاء الى اللّه جل جلاله ان يشمل هذه الامة الاسلامية بلطفه وتأييده ويكلل جهود المسلمين وقادتهم النصر والعزة ويرد كيد المعتدين ويعيد فلسطين الى موضعها من دار الاسلام ،ندعو حكام البلاد الاسلامية ان يتناسوا جمعيا خلافاتهم ويوحدوا صفوفهم ويبذلوا كل مالديهم من امكانيات في سبيل كسب الموقف لمصلحة الاسلام والرد على الاعتداء الصهيوني)([٧٥])

وكان لعلماء بغداد والكاظمية دور في الوقوف ضده من خلال اقامة احتفال في جامع براثا في بغداد وهي تقف ضد هذا العدوان والذي شارك فيه جميع العلماء

والاباء من العراق ومنهم ابو القاسم الخوئي الذي اصدر مايلي "((أيها المسلمون ، السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته

أما بعد فقد قال اللّه تعالى في كتابه المجيد ((لتجدن أشد الناس عداوة للذين ءامنوا اليهود والذين أشركوا)) (٧٦).أيها المسلمون مازال اليهود منذ أيام الإسلام الأولى وحتى يومنا هذا يمثلون العدو الألد للإسلام والمسلمين فهم لم يدعوا فرصة تمرّ بهم دون أن ينتهزوا للنيل من كرامة الإسلام ومقدساته .وما مواقفهم المخزية أيام الرسول الأعظم (ص) وحربهم للّه ورسوله ببعيدة عن أذهان الأمة الإسلامية .ولقد كان آخر حلقة في سلسلة اعتداءاتهم وجرائمهم اغتصابهم للأرض الإسلامية المقدسة (فلسطين) بمناصرة المشركين والمستعمرين وإقامة ما يسمى بإسرائيل عليها تلك العصابة التي صارت منطلقا للاعتداءات الأثيمة على بلاد المسلمين ومركزا للتهديدات المستمرة لسيادتهم وكيانهم . والآن ونحن نعيش الأزمة الحاضرة التي خلقتها إسرائيل ومن ورائها من أعداء الإسلام نوجه نداءنا إلى المسلمين عامة والى الملوك ورؤساء البلاد الإسلامية خاصة بأن يرصوا صفوفهم ويجمعوا كلمتهم ويستجيبوا لأمر اللّه تعالى في قوله : ((واعتصموا بحبل اللّه جميعا ولا تفرقوا)) (٧٧)، وأن يتركوا خلافاتهم ويجمعوا أمرهم ويعدّوا ما استطاعوا من قوة لردّ العدوان الإسرائيلي الكافر وإنقاذ الأرض الإسلامية المقدسة من أيدي المغتصبين الغزاة لترفرف عليها مرة أخرى راية الإسلام الظافرة بإذن اللّه تعالى)) (٧٨) .

الخاتمة

❖ تعد المرجعية الدينية المأوى الاول لكثير من المسلمين وفي جميع بقع العالم فضلا عن انها ربطت نفسها بالمؤمنين من خلال دفاعها عن مصالحهم وامورهم .

❖ تعد المرجعية الدينية من اهم الفئات التي كان لها دور في الوقوف بوجه الحركة الصهيونية من خلال فتاواهم لأبناء الشعب العراقي لأجل بذل الغالي والنفيس وتقديم المساعدة لأبناء فلسطين ، فضلا على اصدارهم الفتاوى الخاصة بالجهاد خصوصا مدينة النجف الاشرف زعيمة الحوزة العلمية فيها والتي عرفت في كل مكان وزمان بعلمائها وكامل هيئاتها بمواقفها الصلدة النابعة من روح الدين الاسلامي للوقف ضد الظلم والطغيان .

❖ وكانت بيانات العلماء ازاء تلك القضية تعبر عن مدى اسفهم لتلك الحركة منددين بالسياسية البريطانية التي دعمتها فضلا عن الادارة الامريكية في جميع مراحلها .

❖ واستأثرت الحركة الصهيونية اهتمام المرجعية الدينية اذ عبروا عن حزنهم واسفهم لتلك القضية مستغلين كافة المناسبات والاعياد الدينية ، اذ عدها اول هموم العربية وازداد الاهتمام بها بعد اشتراكهم في الحرب العربية الصهيونية عام ١٩٤٨ لكنها لن تستمر اذ سرعان ما تدخل الوف الامريكي في الامم المتحدة الى تقديم مشروع قرار وقف اطلاق النار نتيجة البطولات التي ابدتها الجيوش العربية .

❖ وكانت المرجعية الدينية في جميع الحروب التي قام الكيان الصهيوني ضد ابناء الشعب الفلسطيني الجريح تعبر من عن مدى اسفها وحزنها من تلك الحروب التي يستخدم فيها الاعداء ابشع صور القتل والذبح دون تميز بين وصغار وكبار، فضلا عن هدم وحرق الكثير من القرى والمنازل ، علاوة على مناشدتها للجميع الحكام العرب بالوحدة والوقوف ضد هذا الكيان الصهيوني المحتل .

❖ المرجعية الدينية كيان ديني مهم لأيمكن لأي جهة من الجهات الحكومية والغير الحكومية التغافل عن دورها وعن نصائحها وارشادات في كل زمن من الازمان ومهما بلغت الظروف

الهوامش:

---

[١] ( ) ابن منظور ، لسان العرب ، (بيروت : دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٨ م)، مج ٥ ، ص ١٤٨ ؛ الراغب الاصفهاني ، مفردات الفاظ القران الكريم ، تحقيق : صفوان عدنان داووي ، (دمشق: دار القلم ، ط ٣ ، ٢٠٠٢ م) ، ص ٣٤٢ ـ ٢٤٤.

[٢] ( ) سورة المنافقون ، اية ٨ .

[٣] ( ) سورة الاعراف ، اية ١٥٠ .

[٤] ( ) عبد الكريم يوسف الجزائري ، المرجعية العلمية لأهل البيت(عليهم السلام) في الامة الاسلامية،(كربلاء : العتبة الحسينية المقدسة ، ٢٠١٧ م) ، ص ١٦ – ١٧ .

[٥] ( ) محمد تقي الآملي ، مصباح الهدى في شرح عروة الوثقى ، (طهران : مطبعة الفردوسي ، ١٣٤٦ش) ، ج ٨ ، ص ٣٧٢.

[٦] ( ) محسن الطباطبائي الحكيم ، دليل الناسك ، تحقيق: محمد القاضي الحكيم ، (د.م : مطبعة جاويد ، ط ٣ ، ١٩٩٥ م)، ص ٣٩ .

[٧] ( ) حيدر نزار السيد سلمان ، المرجعية الدينية في النجف الاشرف ومواقفها السياسية في العراق من عام ١٩٨٥ ـ ١٩٦٨ " تاريخ سياسي"،(بيروت : دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠١٠ م)، ص ٢٨ – ٢٩ .

[٨] ( ) محمد باقر احمد البهادلي ، الحياة الفكرية في النجف الاشرف ، (د.م : مطبعة ستارة ، ٢٠٠٤ م)، ص ١٤٨ .

[٩] ( ) حيدر نزار السيد سلمان ، المصدر السابق ، ص ٢٩ .

[١٠] ( ) محمد كاظم الخراساني (١٨٣٩ – ١٩١١):مرجع ديني ، ولد في مدينة خراسان ، ودرس المقدمات في مدينة مشهد ثم سافر الى مدينة النجف عام ١٨٦٢ م، وحصل فيها على درجه الاجتهاد ،وتتلمذ على يده طلاب عدة ،وله مؤلفات عدة منها حاشية على المكاسب. عدي محمد كاظم، محمد كاظم الاخوند ١٨٣٩ – ١٩١١ ، رسالة ماجستير،(جامعة الكوفة : كلية الآداب ، ٢٠٠٧م) ؛ ضياء السيد مصطفى الحسيني ، رياض الذكرى في تاريخ مدرسة الاخوند الكبرى :

اضواء على حياة مؤسس المدرسة اية الله العظمى الشيخ محمد كاظم الاخوند الخراساني (د.م : د.ت).

(١١) محمد كاظم اليزدي(١٨٣١ – ١٩١٩): مرجع ديني ولد في قرية كنسو من قرى مدينة يزد في ايران ، ودرس فيها المقدمات ثم ذهب ثم سافر الى مشهد ودرس فيها الفقه والاصول الفلسفة والهيئة والرياضيان ثم الى اصفهان وحصل فيها على درجة الاجتهاد ، ثم سافر الى النجف الاشرف ودرس على استاذتها ، وله عدة مواقف ضد الاستعمار منها ضد الاحتلال الايطالي لليبيا عام ١٩١١ وغيرها، وله مؤلفات عدة منها العروة الوثقى فيما يعم به البلوى .للمزيد ينظر : كامل سلمان الجبوري ، السيد محمد كاظم اليزدي سيرته واضواء على مرجعتيه وموافقه ووثائقه السياسية ، (قم : مطبعة برهان ، ١٣٨٥ش).

(١٢) ومحمد تقي الشيرازي (١٨٤٢ – ١٩١٩): مرجع ديني ،ولد في مدينة شيراز ، ودرس فيها ، ثم سافر الى النجف الاشرف لاكمال دراسته وحصل فيها على درجة الاجتهاد ، وتخرج على يده طلاب عدة ،وله مواقف جهادية منها وقوفه ضد الاحتلال البريطاني للعراق عام ١٩١٤ ، وله مؤلفات عدة منها حاشية على المكاسب وغيرها . للتفاصيل ينظر : كامل سلمان الجبوري ، محمد تقي الشيرازي القائد الاعلى للثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠ سيره ومواقفه ووثائقه السياسية ، (قم : مطبعة برهان ، ١٣٨٥ ش).

(١٣) شيخ الشريعة الاصفهاني (١٨٥٠ – ١٩٢٠): مرجع ديني ، ولد في مدينة اصفهان ،ودرس فيها الدراسة الاولية ثم درس في مدينة مشهد ثم سافر مدينة النجف وحصل فيها على درجة الاجتهاد ، وله مواقف جهادية منها قيادته لثورة العشرين عام ١٩٢٠ ،وله مؤلفات عدة صيانه الابانة عن وصمة الرطانة وغيرها. للتفاصيل ينظر : عبد الحسين الحلي ، شيخ الشريعة : قيادته في الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠ ووثائقه السياسية ، تحقيق : كامل سلمان الجبوري ،(بيروت : دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٥ م).

(١٤) اكرم زعيتر ، القضية الفلسطينية ،(عمان : دار الجليل ، ط٣ ، ١٩٨٦)، ص ٤٦ ؛ حمزة عمر فاروقي ، ضياع فلسطين ١٩٤٨ ، (د.م،٢٠٠٣) ، ص ١٣ـ ١٤ .

(١٥) موس هس (١٨١٢ـ ١٨٧٥) : يعتبر من المؤسسيين للفكر الصهيوني ويعد الاب الروحي للحركة الصهيونية، ولد في المانيا وهو من دعاة الفكر الاسترجاعي الذي يؤكد على ان اليهود لهم الحق في فلسطين . عبد الوهاب المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، (بيروت : دار الشروق ، ط٥ ، ٢٠٠٩) ، مج٢ ، ص ٢٨٩ـ٢٩٠.

(١٦)هرتزل (١٨٦٠ـ١٩٠٤): كاتب نمساوي ولد في هنغاريا ،مؤسس الحركة الصهيونية ، وهو اول من دعا الى عقد مؤتمر دولي وتكوين منظمات صهيونية في البلاد التي يتواجد فيها اليهود بأعداد كبيرة . محمد محمود الصياد واخرون ، المجتمع العربي والقضية الفلسطينية ،(بيروت :

دار النهضة العربية ، ١٩٧٧)، ص٣٤٨-٣٤٩ ؛ احمد كنعان ، دائرة القرن العشرين ، (بيروت :دار النفائس ، ٢٠٠٠)، ص ١٦٠ .

(١٧) ألن تايلر ، تاريخ الحركة الصهيونية : تحليل للدبلوماسية الصهيونية ١٨٩٧ – ١٩٤٧ ، ترجمة : بسام ابو غزالة ، (بيروت : دار الطليعة ،١٩٦٦) ، ص ١٤.

١٨() عيد جاسم سليم نجم الدليمي ، الموقف السوري من فصائل المقاومة الفلسطينية ١٩٦٤-١٩٧٣ ، رسالة ماجستير ، (جامعة الانبار : كلية الآداب ، ٢٠٠٩) ، ص ١١.

١٩() عادل حامد الجادر ، اثر قوانين الانتداب البريطاني في اقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين ،(بغداد : مطبعة اسعد ، ١٩٧٦)، ص ١٣-١٤.

٢٠( ) عبد الحميد الثاني : السلطان العثماني الرابع والثلاثون من ال عثمان تولى العرش عام ١٨٧٦ ، وله دور في وضع الدستور العثماني في السنة ولايته للحكم ثم قام بإلغائه في السنة التالي بحجة الحروب مع روسيا وكان حكمة مستبدا مما ادى الى اغتياله على ايدي جمعية الاتحاد والترقي عام ١٩٠٩. زين العابدين شمس الدين نجم، تاريخ الدولة العثمانية ،(عمان : دار الميسرة، ٢٠٠٩)،ص ٣٦٣-٣٤٩ .

٢١( ) مقتبس من حمزة عمر فاروقي ، المصدر السابق ، ص ١٨.

٢٢() طاهر خلف البكاء ، فلسطين من التقسيم الى اوسلو ١٩٣٧-١٩٩٥ ، (بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، ٢٠٠١) ، ص١٧.

٢٣( ) مراسلات حسين – مكماهون : رسائل تبادلت بين شريف مكة شريف حسين وبين المعتمد السامي البريطاني في مصر هنري مكماهون التي بدئت في ١٤ تموز ١٩١٦ وانتهت في ١٠ اذار ١٩١٦ من اجل اقامة مشروع تحت زعامة الشريف حسين وعقد معاهدة دفاعية بين بريطانيا ومصر والغاء جميع الامتيازات الاجنبية . سعد سعدي ، معجم الشرق الاوسط ،(بيروت :دار الجيل ، ١٩٩٨)،ص ١٦٢؛ ماكولم ياب، نشوء الشرق الادنى الحديث ١٧٩٢-١٩٢٣،ترجمة: خالد الجبيلي،(سوية : الاهالي للطباعة ، ١٩٩٨)، ص٣٠٣-٣٠٦.

(٢٤) جيمس بلفور (١٨٤٨- ١٩٢٠): صهيوني غربي بريطاني ،وهومن دعاة الاسترجاعية لليهود باعتبارهم شعب الله المختار ، تولى رئاسة الوزراء في بريطانيا عام ١٩٠٢ -١٩٠٥ ثم اصبح وزير للخارجية عام ١٩١٦-١٩١٩ . عبد الوهاب المسيري ، المصدر السابق ، ص ٢١٩-٢١٠ ؛ اكرم عبد الوهاب ،تاريخ الحرب العالمية الاولى ، (القاهرة : مكتبة ابن سينا ، ٢٠١٠)، ص٢٧٨.

٢٥( ) اللورد روتشليد (١٨٤٥- ١٩٣٤) : احد زعماء الصهاينة له دور في المساهمة في المشاريع الاستيطانية الصهيونية في فلسطين ،على الرغم من انه في البداية لم يكن مؤيد لصهيونية

هرتزل لكن بعد مقابلته اقتنع بالفكرة وايده ،ومن ابرز اعماله هو تأسيس جمعية الاستيطان اليهودي في فلسطين عام ١٩٢٤ . عبد الوهاب المسيري ، المصدر السابق ، ص ٢٦٠-٢٦١.

[٢٦]() حمزة عمر فاروقي ، المصدر السابق، ص ٢٣ .

[٢٧]() محسن محمد صالح ، القضية الفلسطينية : خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة ، (بيروت : مركز الزيتونة ، ٢٠١٢) ، ص٣٥.

([٢٨]) خليل علي مراد ، كيف تم اجلاء الفلسطينيين قبل عام ١٩٤٨ ، ((دراسات تاريخية)) ، (مجلة) ، بغداد ، السنة الثالثة ، العدد الثالث ، تموز ٢٠٠١ ، ص ٩ .

[٢٩]() *حاييم وايزمن (١٨٧٤ - ١٩٥١) : زعيم الحركة الصهيونية بعد هرتزل له ولد في روسيا ، وله دور كبير في اصدار وعد بلفور ، كان رئيسا للمنظمة الصهيونية العالمية(١٩٢٠-١٩٤٦) وانتخب أول رئيس لدولة إسرائيل عام ١٩٤٩ . شبكة المعلومات الدولية ، حاييم وايزمان - ويكيبيديا، الموسوعة الحرة ، الموقع ، /*ar.wikipedia.org/wiki

[٣٠]()فيصل بن الحسين (١٨٨٣-١٩٣٣) : ولد في مدينة الطائف ، كان الابن الثالث لشريف مكة الشريف حسين ، تولى قيادة الجيش الشمالي اثناء الثورة العربية الكبرى ١٩١٦ ، وسافر الى باريس لتمثيل والده في مؤتمر الصلح ، نودي به ١٩٢٠ ملكا على سوريا ،وأصبح ملكا على العراق عام ١٩٢١ وحتى وفاته في العاصمة السويسرية عام ١٩٣٣ . للتفاصيل ينظر : علاء جاسم محمد ، الملك فيصل الاول حياته ودوره السياسي في الثورة العربية وسورية والعراق ١٨٨٣-١٩٣٣ ، (بغداد : مطبعة الخلود ، د.ت).

([٣١]) طاهر خلف البكاء ، المصدر السابق ، ص ٣١ .

[٣٢]() خليل علي مراد ، المصدر السابق ، ص ١٠ .

([٣٣]) طاهر خلف البكاء ، المصدر السابق ، ص ٢٤ .

[٣٤]() حاثة البراق : احداث واصطدامات عام ١٩٢٩ بين عرب فلسطين من جهة وبين القوات الصهيونية والبريطانية من جهة اخرى ، وكان السبب المباشر لها هو اطماع اليهود في الحائط الغربي للمسجد الاقى الذي يسمى البراق اذ قام اليهود برفع علم صهيوني على الحائط المبكى مع ترتيل الاناشيد للقومية الصهيونية وبشتم العرب والاسلام في ١٤ اب ١٩٢٩ مما ادى هذا الحادث على اثارة العرب ضدهم في اليوم التالي والنتيجة ادى الى نزاعات بين الطرفين ذهب ضحيتها عدد من القتلى والجرحى من الطرفين . للتفاصيل ينظر : عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة ، (بيروت : مؤسسة مصطفى قانصو للطباعة والتجارة ، ط٥ ، ٢٠٠٩)،ج١ ، ص ٨٧٩-٨٨٠.

([٣٥]) عيد جاسم سليم نجم الدليمي ، المصدر السابق ، ص ١٧ .

(٣٦) خليل علي مراد ، المصدر السابق، ص ١١ .

(٣٧) فاضل البراك، دور الجيش في حكومة الدفاع الوطني والحرب مع بريطانيا سنة ١٩٤١، (بغداد : الدار العربية للطباعة، ١٩٧٩) ، ص ٤٨ .

(٣٨) محمد امين الحسيني (١٨٩٦-): زعيم سياسي عربي عين مفتيا لبيت المقدس عام ١٩٢١، كان من المعارضين لإقامة دولة يهودية في فلسطين ، وقبض علية عام ١٩٢١ بتهمة التحريض على الجهاد ضد اليهود فذهب الى لبنان . محمد شفيق الغربال، الموسوعة العربية الميسرة،(بيروت:دار نهضة لبنان،١٩٨٨)، ص٢٢٩

(٣٩) هربرت صموئيل (١٨٧٠- ١٩٦٣) : احد الشخصيات اليهودية البريطاني التي كان لها دور كبير في تأسيس الوطن القومي اليهودي في فلسطين ولد في مدينة ليفربول في بريطانيا، عين مندوب سام لفلسطين عام ١٩٢٠، وكان من المعارضين لصدور الكتاب الابيض عام ١٩٣٩ . للتفاصيل ينظر : ذياب عبود حسين الفهداوي ، هربرت صموئيل حياته ، ودوره السياسي في تأسيس الكيان الصهيوني ، "كلية التربية الاساسية" ، (مجلة)، الجامعة المستنصرية، العدد ٧٤ ، ٢٠١٢ ، ص ٢١٣_٢٢٨.

(٤٠) سامي عبد الحافظ القيسي ، العراق وفلسطين في الوثائق البريطانية ، (بغداد : دار الشؤون الثقافية، ٢٠١١) ، ص ٥١ .

(٤١) للتفاصيل عن الثورة ينظر : يعقوب كامل الدجاني ، ولينا يعقوب الدجاني ، فلسطين واليهود ،(الاردن : دار الفكر العربي ، ٢٠٠١) ، ص ٤٧٧_ ٥١٠ .

(٤٢) شكلت هذه اللجنة في ٢٠ تموز عام ١٩٣٧ والتي عرفت باسم لجنة بيل برئاسة المندوب السامي البريطاني اللورد صموئيل والتي كانت ترمي الى قيام اتحاد واسع يضم السعودية والعراق وسورية وفلسطين وشرق الاردن. علي محافظة ، جامعة الدول العربية : الواقع والطموح ، ط ٢ (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٢) ، ص ٣٥.

(٤٣) مقدام عبد الحسن الفياض ، النجف والقضية الفلسطينية من انتفاضة البراق ١٩٢٩ الى حرب اكتوبر١٩٧٣ ، (النجف : مطبعة البينة، ٢٠١٢) ، ص ٢٩ .

(٤٤) محمد حسين كاشف الغطاء (١٨٧٦_١٩٥٤) : عالم ديني ولد في مدينة النجف الاشرف ودرس على اجله اساتذتها ومنهم الشيخ محمد كاظم الخرساني ، وله مواقف بطولية جهادية منها مشاركته مع العلماء في مواجهة الاحتلال البريطاني للعراق ولدية العديد من المؤلفات ومنها شرح العروة الوثقى وهو خمسة اجزاء للتفاصيل ينظر : حيدر نزار عطية ،محمد حسين كاشف الغطاء ودوره الوطني والقومي ،(النجف الاشرف : ٢٠٠٧).

[٤٥]() صلاح عبد الرزاق ، علماء الشيعة ونصرة القضية الفلسطينية ، (بيروت : منتدى المعارف ، ٢٠١٢) ، ص ١٦ .

([٤٦])صلاح عبد الرزاق ، المصدر السابق ،ص١٦ـ١٧ ..

[٤٧]() عبد الكريم الزنجاني (١٨٨٦ ـ ١٩٦٨) : من كبار الحوزة العلمية ولد في مدينة زنجان ودرس فيها الاولية ثم جاء للنجف الاشرف لاكمال دراسته علي علمائها امثال محمد كاظم الخراساني وتتلمذ على يده العيد من التلاميذ منهم المرجع الديني ابو القاسم الخوئي، وله دور كبير في مقاومة الاستعمار . للتفاصيل ينظر : محمد جواد جاسم الجزائري ، الشيخ عبد الكريم الزنجاني دراسة تاريخية ١٨٨٦ـ ١٩٨٦ ، رسالة ماجستير ، (جامعة الكوفة : كلية الاداب ، ٢٠٠٩).

([٤٨]) المصدر نفسه ، ص ١٤٠.

[٤٩]() نوري السعيد (١٨٨٨ـ١٩٥٨) : سياسي عراقي ولد في بغداد شغل منصب رئاسة الوزراء في المملكة العراقية اربعة عشر مرة ، كان له دور في وضع مشروع مجلس الاعمار في العراق ١٩٥٠ من اجل بالواقع الاقتصادي بالعراق . عبد الرزاق احمد النصيري، نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية حتى عام ١٩٣٢ ،ط٢ ، (بغداد : مكتبة اليقظة العربية، ١٩٨٨)؛ عصمت االسعيد ، نوري السعيد رجل الدولة والانسان ،(لندن: مطبعة مبرة عصام السعيد ، ١٩٩٢) ، ص ٣٥٨ـ ٣٦٢.

[٥٠]() احمد باش اعيان، المصدر السابق ، ص ٧٦٠ .

[٥١]() ونستون تشرشل(١٨٧٤ـ١٩٦٥): رئيس وزراء بريطانيا مرتين الاولى ١٩٤٠ـ١٩٤٥ والثانية ١٩٥١ـ١٩٥٥ ولد في مدينة اوكسفورد شاير وتولى مناصب عديدة منها وكيل وزير المستعمرات في المدة (١٩٠٦ ـ١٩٠٨)،وكذلك وزيرا للحرب مابين (١٩١٩ـ١٩٢٠)، وزير المستعمرات عام ١٩٢١ ، ثم اصبح وزير البحرية عام ١٩٣٩ واعتزل العمل السياسي حتى وفاته عام ١٩٦٥. عماد هادي عبد علي ، التطورات السياسية في منطقة البلقان ١٩٣٠ـ١٩٣٩ ،(بيروت : مطبعة انوار الغدير ، ٢٠١٠)، ص ١٧١ .

[٥٢]() يحيى محمد زاير ، القضية الفلسطينية وهيئة الامم المتحدة (١٩٤٧ـ ١٩٥٦) ،رسالة ماجستير ، (جامعة بغداد : كلية الاداب ، ٢٠٠٦)، ص ٤٢.

([٥٣]) لابد من الذكر ان الامم المتحدة ارسلت لجنة اخرى الى المانيا والنمسا والتي قابلت ممثلين عن الوكالة اليهودية ومنظمات يهودية اخرى.مكتب استعلامات الهند ، الهند وفلسطين ،(د.م،د.ت)،ص ٢١

(٥٤) فاضل الجمالي (١٩٠٣-١٩٩٧): وزير عراقي ولد في الكاظمية ودرس فيه الابتدائية ، وقد حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة كولومبيا في نيويورك ١٩٣٢ ، تسنم عدة مناصب منها وزير الخارجية في العراق ١٩٤٩ .حسن لطيف كاظم الزبيدي ، موسوعة الاحزاب العراقية ، (بيروت : مؤسسة العارف للمطبوعات ، ٢٠٠٧)، ص ٢٧٧ .

(٥٥) يونس حسن حمد السامرائي ،العراق والقضية الفلسطينية ١٩٥٨- ١٩٧٣ ، (بغداد : دار الشؤون الثقافية : ١٩٩٩) ،ص ١٧ .

(٥٦) صباح مهدي رميض ، صحافة العهد الملكي مصدر لدراسة تاريخ العراق المعاصر ، (بيروت : مؤسسة مصر المرتضى ، ٢٠١٠) ، ص ٢٣٥

(٥٧) مقدام عبد الحسن الفياض ، المصدر السابق ،ص ٦٣ ؛ الغري ، مجلة ،السنة ٩ ، العدد ٢ ، ٣٠ ايلول ١٩٤٧ ،ص ٧-٨

(٥٨) محمد رضا الشبيبي (١٨٨٩- ١٩٦٥): عالم كبيرو زعيم وطني ومصلح اجتماعي تسنم وزارة المعارف عدة مرات وأسس المجمع العلمي العراقي وظل رئيسا له حتى استقال منه عام ١٩٦٥ . وسن صاحب عيدان الجبوري، وثائق ثورة العشرين في كتابات كامل سلمان الجبوري دراسة تحليلية ، رسالة ماجستير،(جامعة الكوفة: كلية التربية للبنات، ٢٠١١)، ص ٨٥.

(٥٩) مقدام عبد الحسن الفياض ، المصدر السابق، ص ٦٦ .

(٦٠) صلاح عبد الرزاق ، المصدر السابق ، ص ٣٢ ؛ خليل علي مراد ، المصدر السابق ، ص ٢١ .

(٦١) محسن محمد صالح ، المصدر السابق ، ص ٦١ .

(٦٢) مقدام عبد الحسن باقر الفياض ، تاريخ النجف السياسي ١٩٤١-١٩٥٨ ، (بيروت : دار الاضواء ، ٢٠٠٢)، ص ١٦٥ ؛ محسن محمد صالح ، المصدر السابق ، ص ٦١ .

(٦٣) للتفاصيل ينظر : محمود شاكر ، موسوعة تاريخ اليهود ، (الاردن : دار عمان ، ٢٠٠٠) ، ص ٢٧٠-٢٧٢ .

(٦٤) مقدام عبد الحسن باقر الفياض ، تاريخ النجف .... ، ص ١٦٩.

(٦٥) مقدام عبد الحسن الفياض ، موقف النجف..... ، ص ٨٨ .

(٦٦) احمد سعيد السيد حسن زيدان ، موقف الامم المتحدة من الصراع المصري الاسرائيلي (١٩٦٧-١٩٧٤)، (القاهرة : مكتبة بستان المعرفة ، ٢٠٠٨) ، ص ٥١ .

(٦٧) من المشاريع التي طرحت هي المشروح النرويجي عام ١٩٥٢ والتي تقدم مندوبها الى الامم المتحدة في تشرين الثاني ١٩٥٢ من اجل حل الصراع وعدم القيام بأعمال عدوانية ضد بعضهما والدخول

في مفاوضات الا ان هذا المشروع بقي مجرد مقترح في ملفات فلسطين في هيئة الامم المتحدة ومن المشاريع الاخرى هي مشروع جونسون عام ١٩٥٥ و مشروع انطوني ايدن في ٩ تشرين الثاني عام ١٩٥٥ ، ومشروع همرشولد ١٩٥٩ ، ومشروع بورقيبة ١٩٦٥ ، ومشروع ليفي اشكول عام ١٩٦٥ ، للتفاصيل ينظر :طاهر خلف البكاء ، المصدر السابق ، ص ٢١٥_٢٢٧ .

[٦٨]( ) للتفاصيل اكثر ينظر : محمد علي عبودي ، جامعة الدول العربية والصراع العربي الاسرائيلي ١٩٥٤_ ١٩٩١ ،(بيروت : دار الهادي ، ٢٠٠٦)، ص٤٢٤_٤٥٤.

[٦٩]( ) الامام ابو القاسم الخوئي (١٨٩٩_ ١٩٩٢): مرجع ديني كبير وزعيم الحوزة العلمية في النجف الاشرف، ولد في بلدة خوي في اذربيجان ودرس فيها على يد والده بعض الدروس ثم جاء للعراق لإكمال دراسته فدرس على يد شيخ الشريعة الاصفهاني ، وتتلمذ على يده العديد من التلاميذ منهم السيد محمد باقر الصدر، وله دور في الوقوف بوجه الحكام المستبدين الطغاة ، مما ادى الى اغتياله .احمد الواسطي ، سيرة وحياة الامام الخوئي، (بيروت : دار الهادي، ١٩٩٨).

[٧٠]( ) هاشم فياض الحسيني، المصدر السابق ، ص ٢٨١_٢٨٣ .

[٧١]( ) من الاسباب التي ادت الى اخفاق نكبة ٥ حزيران هي ايقاف المد الشعبي التقدمي مع تحجيم الكفاح الجماهيري للوحدة العربية وقد تعاونت اسرائيل مع الدول الربية في تحقيق هذا الهدف ،مع قيم اسرائيل بتحطيم الجيوش العربية ، مع اعادة الوطن العربي الى مناطق نفوذ الاستعمار المباشر وتأمين حماية مصالحه البترولية ، مع الافتقاد الى الوحدة العسكرية بين الدول العربية .للتفاصيل اكثر ينظر : محمود شاكر ، موسوعة تاريخ اليهود ، (الاردن : دار عمان ، ٢٠٠٠)، ص ٣٧٨_٣٧٩ .

[٧٢]( ) سورة الصف ، اية ١٠ ؛ هاشم فياض الحسيني ، بحوث ودراسات عن علماء الحوزة العلمية في النجف الاشرف ، (النجف الاشرف : الكلمة الطيبة ، ٢٠١٠) ، ج ١ ، ص ٢٨٣ .

[٧٣]( ) محسن الحكيم (١٨٨٩_١٩٧٠): مرجع ديني كبير ولد في النجف ونشأ وترعرع في بيت حافل بالعلم ، درس بالنجف على كبار اساتذتها والف كتب عديدة منها مستمسك العروة الوثقى ، كان من المشاركين في ثورة العشرين . للتفاصيل ينظر : احمد الحسيني ، الامام الحكيم السيد محسن الطباطبائي ،(النجف : مطبعة الاداب ١٣٨٤هـ).

[٧٤]( ) عبد الرحمن عارف (١٩١٦_١٩٦٨) رئيس الجمهورية العراقية عام ١٩٦٦ ، ولد في بداد ودرس فيها ثم انتمى للكلية العسكرية وتخرج برتبة ملازم عام ١٩٣٦ ، ثم انتسب لحركة الضباط الاحرار في بغداد في الخمسينيات .حميد المطبعي ، موسوعة اعلام العراق في القرن العشرين ،(بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٩٦) ، ج٢ ، ص ١٤١_١٤٢.

[٧٥]( ) حيدر نزار عطية ، المرجعية الدينية في النجف الاشرف... ، ص ١٧٥_١٧٦ .

(٧٦) سورة المائدة ، اية ٨٢ .

(٧٧) سورة ال عمران ، اية ١٠٣ .

(٧٨) حسن شبر،تاريخ العراق السياسي المعاصر : حزب الدعوة الاسلامية ، تأريخ مشرق وتيار في الامة ، الكتاب الاول ١٩٥٧/١٠/١٢ م ـ ١٩٦٨/٧/١٧ م، (بيروت : العارف للمطبوعات، ط ٢ ، ٢٠٠٩)، ص ٣٠٨ – ٣٠٩

المصادر والمراجع

اولا: القران الكريم

١) سورة ال عمران ، اية ١٠٣ .

٢) سورة الاسراء ، اية ٤ .

٣) سورة الاعراف ، اية ١٥٠ .

٤) سورة الصف ، اية ١٠ .

٥) سورة المائدة ، اية ٦٤ ، اية ٨٢ .

٦) سورة المنافقون ، اية ٨ .

٧)

ثانيا : الرسائل والاطاريح الجامعية

١) جاسب عبد الحسين صيهود الخفاجي ، موقف الصحافة العراقية من الصراع العربي الصهيوني ١٩٤٧ـ١٩٦٧ دراسة تحليلية ، اطروحة دكتوراه ، (جامعة الكوفة : كلية الآداب ، ١٩٩٥).

٢) رسول نصيف جاسم الشمرتي ، مجلة الاعتدال النجفية ، رسالة ماجستير، (جامعة الكوفة: كلية الآداب ، ٢٠٠٥).

٣) عدي محمد كاظم، محمد كاظم الاخوند ١٨٣٩ – ١٩١١ ، رسالة ماجستير،(جامعة الكوفة : كلية الآداب ، ٢٠٠٧م) .

٤) علي عبد المطلب خان حمود علي خان المدني ، الحياة الاجتماعية في مدينة النجف الاشرف ١٩١٤ـ ١٩٣٢ ، رسالة ماجستير ، (جامعة الكوفة : كلية الآداب ، ٢٠٠٤).

٥) عيد جاسم سليم نجم الدليمي ، الموقف السوري من فصائل المقاومة الفلسطينية ١٩٦٤ـ ١٩٧٣ ، رسالة ماجستير ، (جامعة الانبار : كلية الآداب ، ٢٠٠٩) .

٦) غفران محمد صيهود الخفاجي الشبلي، مجلة النجف ١٩٥٦ـ ١٩٦٣ ، رسالة ماجستير، (جامعة الكوفة : كلية الآداب ، ٢٠١٠).

٧) محمد جواد جاسم الجزائري ، الشيخ عبد الكريم الزنجاني دراسة تاريخية ١٨٨٦ـ ١٩٨٦ ، رسالة ماجستير ، (جامعة الكوفة : كلية الآداب ، ٢٠٠٩).

٨) ناجح عبد الحسين عبد علوان الرماحي، مواقف النجف من القضية الفلسطينية ١٩٢٩ـ ١٩٥٨ ، رسالة ماجستير ، (جامعة الكوفة : كلية الآداب ، ٢٠١٢).

٩) وسن صاحب عيدان الجبوري، وثائق ثورة العشرين في كتابات كامل سلمان الجبوري دراسة تحليلية ، رسالة ماجستير،(جامعة الكوفة: كلية التربية للبنات، ٢٠١١).

١٠) يحيى محمد زاير ، القضية الفلسطينية وهيئة الامم المتحدة (١٩٤٧ـ ١٩٥٦) ، رسالة ماجستير ، (جامعة بغداد : كلية الآداب ، ٢٠٠٦).

ثالثا : المصادر العربية والمعربة :

١) احمد الحسيني ، الامام الحكيم السيد محسن الطباطبائي ،(النجف : مطبعة الاداب ١٣٨٤هـ).

٢) احمد الواسطي ، سيرة وحياة الامام الخوئي، (بيروت : دار الهادي، ١٩٩٨).

٣) احمد باش اعيان ، العراق الملكي وقضية فلسطين (١٩١٤ـ١٩٥٨) ، (لندن : دار الحكمة ، ٢٠١٣) .

٤) احمد سعيد السيد حسن زيدان ، موقف الامم المتحدة من الصراع المصري الاسرائيلي (١٩٦٧ـ ١٩٧٤)، (القاهرة : مكتبة بستان المعرفة ، ٢٠٠٨).

٥) اكرم زعيتر ، القضية الفلسطينية ،(عمان : دار الجليل ، ط٣ ، ١٩٨٦).

٦) اكرم عبد الوهاب ،تاريخ الحرب العالمية الاولى ، (القاهرة : مكتبة ابن سينا ، ٢٠١٠).

٧) ألن تايلر ، تاريخ الحركة الصيهونية : تحليل للدبلوماسية الصهيونية ١٨٩٧ – ١٩٤٧ ، ترجمة : بسام ابو غزالة ، (بيروت : دار الطليعة ،١٩٦٦).

٨) حسن شبر ،تاريخ العراق السياسي المعاصر : حزب الدعوة الاسلامية ، تأريخ مشرق وتيار في الامة ، الكتاب الاول ١٩٥٧/١٠/١٢ م ـ ١٩٦٨/٧/١٧ م، (بيروت : العارف للمطبوعات، ط ٢ ، ٢٠٠٩).

٩) حمزة عمر فاروقي ، ضياع فلسطين ١٩٤٨ ، (د.م،٢٠٠٣).

١٠)حيدر نزار عطية ، محمد حسين كاشف الغطاء ودوره الوطني والقومي ،(النجف الاشرف : ٢٠٠٧).

١١) .....، المرجعية الدينية في النجف الاشرف ومواقفها السياسية في العراق من عام ١٩٨٥-١٩٦٨،(بيروت : دار احياء التراث العربي ، ٢٠١٠).

١٢) سامي عبد الحافظ القيسي ، العراق وفلسطين في الوثائق البريطانية ، (بغداد : دار الشؤون الثقافية ، ٢٠١١).

١٣) سعد عبد الواحد عبد الخضر الجدوع ، جمعية منتدى النشر واثرها الفكري والسياسي على الحركة الاسلامية في العراق ١٩٣٥-١٩٦٤ ، (بغداد : دار المدينة الفاضلة ، ٢٠١١).

١٤) زين العابدين شمس الدين نجم ، تاريخ الدولة العثمانية ،(عمان : دار الميسرة، ٢٠٠٩).

١٥) صباح مهدي رميض ، صحافة العهد الملكي مصدر لدراسة تاريخ العراق المعاصر ، (بيروت : مؤسسة مصر المرتضى ، ٢٠١٠).

١٦) صلاح عبد الرزاق ، علماء الشيعة ونصرة القضية الفلسطينية ، (بيروت : منتدى المعارف ، ٢٠١٢).

١٧) ضياء السيد مصطفى الحسيني ، رياض الذكرى في تاريخ مدرسة الاخوند الكبرى : اضواء على حياة مؤسس المدرسة اية الله العظمى الشيخ محمد كاظم الاخوند الخراساني (د.م : د.ت).

١٨) طاهر خلف البكاء ، فلسطين من التقسيم الى اوسلو ١٩٣٧-١٩٩٥ ، (بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، ٢٠٠١).

١٩) عادل حامد الجادر ، اثر قوانين الانتداب البريطاني في اقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين ،(بغداد : مطبعة اسعد ، ١٩٧٦).

٢٠) عبد الحسين الحلي ، شيخ الشريعة : قيادته في الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠ ووثائقه السياسية ، تحقيق : كامل سلمان الجبوري ،(بيروت : دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٥ م).

٢١) عبد الرحيم محمد علي ، فصول من تاريخ النجف وبحوث اخرى ، (لبنان : دار الرافدين ، ٢٠١١)، ج ١ .

٢٢) عبد الرزاق احمد النصيري، نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية حتى عام ١٩٣٢ ،ط٢ ، (بغداد : مكتبة اليقظة العربية، ١٩٨٨).

٢٣) عبد الكريم يوسف الجزائري ، المرجعية العلمية لأهل البيت(عليهم السلام) في الامة الاسلامية،(كربلاء : العتبة الحسينية المقدسة ، ٢٠١٧ م) .

٢٤) علاء جاسم محمد ، الملك فيصل الاول حياته ودوره السياسي في الثورة العربية وسورية والعراق ١٨٨٣ـ ١٩٣٣ ، (بغداد : مطبعة الخلود ، د.ت).

٢٥) علي فاروق محمود عبد الله الحبوبي، محمد سعيد الحبوبي ودوره الفكري والسياسي ١٨٤٩ـ ١٩١٥ م ، (النجف الاشرف : العتبة العلوية المقدسة ،٢٠١٢).

٢٦) علي محافظة ، جامعة الدول العربية : الواقع والطموح ، ط ٢ (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٢).

٢٧) عماد هادي عبد علي ، التطورات السياسية في منطقة البلقان ١٩٣٠ـ١٩٣٩ ،(بيروت : مطبعة انوار الغدير ، ٢٠١٠).

٢٨) فاضل البراك، دور الجيش في حكومة الدفاع الوطني والحرب مع بريطانيا سنة ١٩٤١، (بغداد : الدار العربية للطباعة، ١٩٧٩)

٢٩) فيصل حسون ، صحافة العراق مابين عامي ١٩٥٤ـ ١٩٧٠ (د.م : د.ت) .

٣٠)ماكولم ياب، نشوء الشرق الادنى الحديث ١٧٩٢ـ١٩٢٣،ترجمة: خالد الجبيلي،(سوية : الاهالي للطباعة ، ١٩٩٨).

٣١) كامل سلمان الجبوري ، السيد محمد كاظم اليزدي سيرته واضواء على مرجعتيه وموافقه ووثائقه السياسية ، (قم : مطبعة برهان ، ١٣٨٥ش).

٣٢) كامل سلمان الجبوري ، محمد تقي الشيرازي القائد الاعلى للثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠ سيره ومواقفه ووثائقه السياسية ، (قم : مطبعة برهان ، ١٣٨٥ ش).

٣٣) محسن الطباطبائي الحكيم ، دليل الناسك ، تحقيق: محمد القاضي الحكيم ، (د.م : مطبعة جاويد ، ط ٣ ، ١٩٩٥ م).

٣٤) محسن محمد صالح ، القضية الفلسطينية : خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة ، (بيروت : مركز الزيتونة ، ٢٠١٢).

٣٥) محمد باقر احمد البهادلي ، الحياة الفكرية في النجف الاشرف ، (د.م : مطبعة ستارة ، ٢٠٠٤م).

٣٦) محمد تقي الآملي ، مصباح الهدى في شرح عروة الوثقى ، (طهران : مطبعة الفردوسي، ١٣٤٦ش) ، ج ٨ .

٣٧) محمد حسين الصغير ، فلسطين في الشعر النجفي المعاصر (١٩٢٨ـ ١٩٦٨)، (بغداد، ١٩٦٩).

٣٨) محمد علي عبودي ، جامعة الدول العربية والصراع العربي الاسرائيلي ١٩٥٤- ١٩٩١ ،(بيروت : دار الهادي ، ٢٠٠٦).

٣٩) محمد محمود الصياد واخرون ، المجتمع العربي والقضية الفلسطينية ،(بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٧٧).

٤٠)مركز اعداد الجادرجي للابحاث، كامل الجادرجي في حق ممارسة السياسة والديمقراطية ، (المانيا : منشورات الجمل ، ٢٠٠٣)

٤١) مقدام عبد الحسن باقر الفياض ، تاريخ النجف السياسي ١٩٤١- ١٩٥٨ ، (بيروت : دار الاضواء ، ٢٠٠٢).

٤٢) مقدام عبد الحسن الفياض ، النجف والقضية الفلسطنية من انتفاضة البراق ١٩٢٩ الى حرب اكتوبر١٩٧٣ ، (النجف : مطبعة البينة ، ٢٠١٢).

٤٣) مكتب استعلامات الهند ، الهند وفلسطين ،(د.م،د.ت).

٤٤) هاشم فياض الحسيني ، بحوث ودراسات عن علماء الحوزة العلمية في النجف الاشرف ، (النجف الاشرف : الكلمة الطيبة ، ٢٠١٠) ، ج ١ .

٤٥) يعقوب كامل الدجاني ، ولينا يعقوب الدجاني ، فلسطين واليهود ،(الاردن : دار الفكر العربي ، ٢٠٠١).

٤٦) يونس حسن حمد السامرائي ،العراق والقضية الفلسطينية ١٩٥٨- ١٩٧٣ ، (بغداد : دار الشؤون الثقافية : ١٩٩٩) .

رابعا :الموسوعات العربية :

١) احمد كنعان ، دائرة القرن العشرين ، (بيروت :دار النفائس ، ٢٠٠٠).

٢) حسن لطيف كاظم الزبيدي ، موسوعة الاحزاب العراقية ، (بيروت : مؤسسة العارف للمطبوعات ، ٢٠٠٧).

٣) حميد المطبعي ، موسوعة اعلام العراق في القرن العشرين ، (بغداد : دار الشؤون الثقافية ، ١٩٩٥) ، ج١ .

٤) ..... ، موسوعة اعلام العراق في القرن العشرين ،(بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٩٦) ، ج٢ .

٥) سعد سعدي ، معجم الشرق الاوسط ،(بيروت :دار الجيل ، ١٩٩٨).

٦) عبد الرضا فرهود ، النجف الاشرف ادباؤها كتابها مؤرخوها ١٩٥٠ـ ٢٠٠٢ ، (النجف : مؤسسة النبراس، ٢٠٠٦).

٧) عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة ، (بيروت : مؤسسة مصطفى قانصو للطباعة والتجارة ، ط٥ ، ٢٠٠٩) ، ج١ .

٨) عبد الوهاب المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، (بيروت : دار الشروق ، ط٥ ، ٢٠٠٩) ، مج٢ .

٩) محمد شفيق الغربال، الموسوعة العربية الميسرة،(بيروت:دار نهضة لبنان،١٩٨٨)، ص٢٢٩ .

١٠)محمود شاكر ، موسوعة تاريخ اليهود ، (الاردن : دار عمان ، ٢٠٠٠) .

١١) مير البصري ، اعلام السياسة في العراق الحديث ،(لندن:مطبعة رياض الرئيس للكتب والنشر ، ١٩٨٥).

خامسا: الدراسات والمقالات العربية:

١) جاسب عبد الحسين الخفاجي ، مجلة النجف : دراسة تحليلية في اعادها الوطنية ،" السدير"، (مجلة) ، جامعة الكوفة ، السنة الاولى ، العدد الاول ، ٢٠٠٣ .

٢) خليل علي مراد ، كيف تم اجلاء الفلسطينيين قبل عام ١٩٤٨ ، ((دراسات تاريخية)) ، (مجلة) ، بغداد ، السنة الثالثة ، العدد الثالث ، تموز ٢٠٠١.

٣) العقيدة ، (مجلة) ، العدد ١و ٢ ، ١٥ حزيران ١٩٤٨ ؛ "العقيدة" ،(مجلة) ، العدد ١٧ و١٨ ، ٣٠ ايلول ١٩٤٩ .

٤) الغري ، مجلة ،السنة ٩ ، العدد ٢ ، ٣٠ ايلول ١٩٤٧.

٥) محمد كامل عبد الرحمن الربيعي ، وعلي عظم، الموقف القومي لابناء الديوانية من القضية الفلسطينية ابان النكبة ١٩٤٧ـ ١٩٤٨ ، (السدير) ، "مجلة" ،جامعة الكوفة السنة الثانية ، العدد الرابع ، ٢٠٠٤ .

٦) هربرت صموئيل حياته ، ودوره السياسي في تأسيس الكيان الصهيوني ، " كلية التربية الاساسية" ، (مجلة)، الجامعة المستنصرية ، العدد ٧٤ ، ٢٠١٢ .

سادسا : شبكة المعلومات الدولية ، الانترنيت:

١) حاييم وايزمان - ويكيبيديا، الموسوعة الحرة ، الموقع، ar.wikipedia.org/wiki/

Abstractسلطان

Religious authority is considered as one of the important and basic elements in world due to its wisdom and judiciousness in facing the different events and as it is the legal successor of the prophet Mohammed and his progeny(P.U.Th). The religious authority in Al- Najaf Al-Ashraf occupied the first rank by facing colonialism and its actions in and outside Iraq. Moreover it had followed up all the issues of the Arab homeland, especially the Palestinian issue and the actions of the chiefs of Zionism. It also opposed the British colonialism which had supported Zionism in its aim to occupy the Arab lands. So the researcher decided to study (The religious authority attitude towards Zionism)to recognize its actions and procedures in this aspect. سلطان

The research is divided into an introduction, three topics, a conclusion and a bibliography. سلطان

The research exhibits, in brief, the history of Zionism till ١٩٣١, the religious authority attitude towards Zionism(١٩٣٢-١٩٦٧), the Zionists actions against the Palestinian people, the condemnation of the men of Al-Hawza in al-Najaf Al-Ashraf- like sheik Mohammed Hussain Kashhif Al-Ghitaa, Syed Abul-Qhasim Al-Khoo`yand Syed Mohsin Al-Hekeem, upon these nonhuman actions.

فتوى السيد السيستاني(دام ظلّه) بالجهاد الكفائي

وأثرها في درء الفتنة الطائفيّة والحفاظ على الوحدة الوطنية

م.د فارس فضيل عطيوي

جامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام / قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

الملخص:

تحتلّ المرجعيّة الدينية المكانة الكبيرة في المجتمع الإسلامي الشيعي طالما هي الامتداد الوضعي للإمامة الإلهية ، فمنذ ابتداء الغيبة الكبرى للإمام المهدي عليه السلام وإلى يومنا لا زالت هي الداعم الوحيد للشعوب المظلومة والمقهورة .

وعليه ، فمن يتابع تاريخ الفقهاء يجد ذلك واضحا من خلال الأدوار التي مارسها الفقهاء والمواقف الحكيمة التي صدرت عنهم في مختلف المحن والأزمات .

ومن أولئك الفقهاء الذين كانت لهم اليد الطولى في حفظ المقدسات ووحدة العراق هو سماحة آية الله العظمى السيّد علي الحسيني السيستاني (دام ظله) الذي يُعدّ صمام الأمان لوحدة العراق وشعبه .

وأحاول في هذه العجالة أن أسلط الضوء على الأثر الكبير والواضح لفتوى الجهاد الكفائي في درء الفتنة الطائفيّة والحفاظ على الوحدة الوطنيّة .

وقد انتظم البحث على مقدّمة ومبحثين وخاتمة وقائمة بأهم المصادر والمراجع المعتمدة في البحث والدراسة وكما يأتي :

أما المقدّمة فقد اشتملت على بيان أهميّة الموضوع ومكانته وصورة موجزة عن العمل التنظيمي من خلال البحث .

أنعقد المبحث الأوّل في حفريات الجهاد الكفائي ومآلاته في الشريعة الإسلامية في مطلبين، والمقصود من حفريات الجهاد الكفائي كل ما يتعلق بمفهوم الجهاد سواء أكان ذلك على مستوى المفهوم والمعنى أم على مستوى التنقيح والأدلة أم على مستوى المناقشة والتوصيف والعرض.

والمراد من المآلات مجموع الرؤى المرسومة والمتصوّرة ابتداءا والنتائج الواقعيّة والقضايا غير المفكّر بها التي كانت في طول فتوى الجهاد الكفائي.

وبيّن المبحث الثاني أثر فتوى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله) في درء الفتنة وتعزيز الوحدة الوطنيّة في مطلبين – أيضا -.

ويشار إلى أن أحلك ما ورد على الساحة العراقيّة بالأخص بعد سقوط نظام بغداد عام ٢٠٠٣ م هو غيم الفتن والتشرذم والعنصرية والمذهبية التي فاقت كل التصورات وبحق كأنها قطع الليل المظلم.

أمّا الخاتمة فقد وضّحت النتائج التي توصلت لها وأفرزتها معايير البحث العلمي والتي على رأسها بيان مكانة فتوى الجهاد الكفائي على الساحة العراقية ودورها في الدفاع عن المقدّسات وحماية الأعراض وإبعاد شبح الفتنة الطائفيّة وصيانة الوحدة الوطنية والتي منها :

١ ـ تعدّ المرجعيّة الدينية – وعلى مرّ العصور – صمام الأمان للمسلمين كافة بلا استثناء، وفي سبيل ذلك تقدّم الغالي والنفيس.

٢ ـ أثبتت المرجعيّة الدينية العليا في النجف الأشرف المتمثلة بسماحة السيّد السيستاني (دام ظله) متابعتها للظروف والمحن التي مرّ بها هذا البلد المنكوب ومواكبتها لمستجدات الواقع المعاش.

٣ ـ إن إصدار فتوى الجهاد الكفائي كانت وفق توقيتات إلهيّة ، فلا أحد من الناس يعلم سرّها وبلورتها بهذا الشكل الملفت للنظر .

٤ ـ أثبتت المرجعيّة الدينية العليا في النجف للعالم أجمع حقيقتها وأثرها ودورها في قلوب شيعة أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، ومن جانب آخر أثبتت مدى طاعة رجالات الشيعة لمرجعيتهم الرشيدة والإلتزام بأوامرها .

٥ ـ من ثمار فتوى الجهاد الكفائي المباركة هو حماية المقدّسات والأنفس والأعراض التي ما فتئت المرجعيّة تنادي بالمحافظة عليها على طول هذه السنوات .

٦ ـ استطاعت المرجعيّة الدينية المحافظة على الوحدة الوطنية بين أطياف المجتمع العراقي على اختلافه وتنوّع مشاربه .

وعرضت في قائمة الاعتماد العلمي أهم المصادر والمراجع المعتمدة في عملية البحث العلمي وما يرتبط بها .

وفي الختام ، والختام مسك نسأل اللّه تعالى (أن يجعل هذا البلد آمنا) وأن يحفظ مرجعيتنا الرشيدة وأن يُبعد عن شعبنا العراقي كل مكروه إنه نعم المولى ونعم النصير .

مقدّمة:

تحتلّ المرجعيّة الدينية المكانة الكبيرة في المجتمع الإسلامي الشيعي طالما هي الامتداد الوضعي للإمامة الإلهية ، فمنذ ابتداء الغيبة الكبرى للإمام المهدي عليه السلام وإلى يومنا لا زالت هي الداعم الوحيد للشعوب المظلومة والمقهورة .

وعليه ، فمن يتابع تاريخ الفقهاء يجد ذلك واضحا من خلال الأدوار التي مارسها الفقهاء والمواقف الحكيمة التي صدرت عنهم في مختلف المحن والأزمات .

ومن أولئك الفقهاء الذين كانت لهم اليد الطولى في حفظ المقدسات ووحدة العراق هو سماحة آية اللّه العظمى السيّد علي الحسيني السيستاني (دام ظله) الذي يُعدّ صمام الأمان لوحدة العراق وشعبه .

وأحاول في هذه العجالة أن أسلط الضوء على الأثر الكبير والواضح لفتوى الجهاد الكفائي في درء الفتنة الطائفيّة والحفاظ على الوحدة الوطنيّة .

وقد انتظم البحث على مقدّمة ومبحثين وخاتمة وقائمة بأهم المصادر والمراجع المعتمدة في البحث والدراسة وكما يأتي :

أما المقدّمة فقد اشتملت على بيان أهميّة الموضوع ومكانته وصورة موجزة عن العمل التنظيمي من خلال البحث .

أنعقد المبحث الأول في حفريات الجهاد الكفائي ومآلاته في الشريعة الإسلامية في مطلبين ، والمقصود من حفريات الجهاد الكفائي كل ما يتعلق بمفهوم الجهاد سواء أكان ذلك على مستوى المفهوم والمعنى أم على مستوى التنقيح والأدلة أم على مستوى المناقشة والتوصيف والعرض .

والمراد من المآلات مجموع الرؤى المرسومة والمتصوّرة ابتداءا والنتائج الواقعيّة والقضايا غير المفكّر بها التي كانت في طول فتوى الجهاد الكفائي .

وبيّن المبحث الثاني أثر فتوى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله) في درء الفتنة وتعزيز الوحدة الوطنيّة في مطلبين – أيضا - .

ويشار إلى أن أحلك ما ورد على الساحة العراقيّة بالأخص بعد سقوط نظام بغداد عام ٢٠٠٣ م هو غيم الفتن والتشرذم والعنصرية والمذهبية التي فاقت كل التصورات وبحق كأنها قطع الليل المظلم .

أما الخاتمة فقد وضّحت النتائج التي توصلت لها وأفرزتها معايير البحث العلمي والتي على رأسها بيان مكانة فتوى الجهاد الكفائي على الساحة العراقية ودورها في الدفاع عن المقدّسات وحماية الأعراض وإبعاد شبح الفتنة الطائفية وصيانة الوحدة الوطنية.

المبحث الأول : حفريات فتوى الجهاد الكفائي ومآلاتها

لابدّ من الاعتراف وبكل صراحة ؛ إن فتوى الجهاد الكفائي التي أصدرها نائب الإمام الحجة عليه السلام سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني (دام ظله) لم تتم دراستها أكاديميا وعلميا بشكل دقيق ، ولم تبحث من قبل المثقفين والكتاب بالمستوى المطلوب ، وقد تعامل البحث معها من باب العلمية المجردة من الأبعاد العقائدية والاستشراف المستقبلي.

وعليه فإن وجود مثل هذه الأبحاث له الأثر الكبير في بيان حفريات ومعطيات ومدخلات ومخرجات فتوى الجهاد الكفائي العراقي ، وهذا ما أحاول بيانه وتوصيفه وكما يأتي :

المطلب الأول : حفريات فتوى الجهاد الكفائي

إذا ما أردنا الوقوف على حفريات الجهاد من الأسباب والدوافع والرؤى والنتائج فلابدّ من استعراض آراء الفقهاء ومن ثمّ ملاحظتها بظرفية الزمان التي انطلقت فيه الفتوى.

أولا : حقيقة الجهاد الكفائي

عند متابعة المصادر الإسلامية المختلفة نلاحظ عدم وجود مصطلح "الجهاد الكفائي" ، نعم يوجد التعبير الآتي (الجهاد على الكفاية) وأول من استخدمه هو العلامة الحلي (ت : ٧٢٦ هـ) عند بحثه من يقاتل مع الإمام عليه السلام إذ جاء في حديثه ما نصّه : ((البحث الثاني في المقاتلين مع الامام . مسألة : قد بينا انه يجب على كل

مكلف حر ذكر غيرهم ولا مريض ولا أعرج الجهاد على الكفاية ويتعين إذا عينه الإمام العادل ...))[١] .

وذكر المحقق العراقي (ت : ١٣٦١ هـ) في بيان معناه قوله : ((وهو من الجهد - بالفتح - بمعنى المشقة ، وبالضم بمعنى الوسع والطاقة ، وأطلق بالعناية على بذل النفس والمال وتهيئة سائر المقدمات لإعلاء كلمة الحق والإسلام ، وإقامة شعائر الدين والإيمان ، وهو باب من أبواب الجنة ، وأفضل الأشياء بعد الفرائض . وقد عقد في الوسائل بابا لوجوب الجهاد على الكفاية))[٢] .

والمقصود من الكفاية كما أوضحها المحقق الكركي (ت : ٩٤٠ هـ) : ((هو كل مهم ديني يتعلق غرض الشرع بحصوله ، ولا يقصد عين من يتولاه . ومن جملته إقامة الحجج العلمية ، ودفع الشبهات ، وحل المشكلات ، والأمر بالمعروف ، والصناعات المهمة التي بها قوام المعاش حتى الكنس والحجامة ولو امتنع الكل عنها لحقهم الإثم ، ودفع الضرر عن المسلمين ، وإزالة فاقتهم كإطعام الجائعين ، وستر العراة ، وإعانة المستغيثين في النائبات على ذوي اليسار مع قصور الصدقات الواجبة ، وكالقضاء ، وتحمل الشهادة))[٣] .

فيكون معنى الجهاد الكفائي : بذل النفس في سبيل المحافظة على الدين ، وإعلاء كلمة الحق على من بهم الكفاية .

ثانيا : أقسام الجهاد والحكمة منه

لبيان اقسام الجهاد والحكمة منه يتوضح كما يأتي :

١ ـ أقسام الجهاد

ينقسم الجهاد على أقسام ثلاثة وكما يأتي :

أ ـ أن يكون ابتداء من المسلمين للدعوة إلى الاسلام . وهذا هو المشروط بالبلوغ والعقل والحرية والذكورية ونحوها ، وإذن الإمام أو من نصبه . ووجوبه على الكفاية إجماعا ، وهو ما يُسمّى بالجهاد الابتدائي .

ب ـ إذا دهم المسلمين عدوا من الكفار ، يريد الاستيلاء على بلادهم أو أسرهم أو أخذ أموالهم وما أشبهه من الحريم والذرية . وجهاد هذا القسم ودفعه واجب على الحر والعبد والذكر والأنثى إن احتيج إليها ، ولا يتوقف على إذن الإمام ولا حضوره . ولا يختص بمن قصدوه من المسلمين ، بل يجب على من علم بالحال النهوض ، إذا لم يعلم قدرة المقصودين على المقاومة ، وهو ما يُسمّى بـ (الجهاد الدفاعي) .

ج ـ أن يكون بين المشركين أسيرا أو غيره ، ويغشاهم عدو ، ويخشى المسلم على نفسه ، فيدفع عنها بحسب الإمكان ، على وجه يدفع به الضرر عن نفسه(٤) .

فهذه ثلاثة أقسام من الجهاد : فالأول يُشترط فيه إذن الإمام المعصوم عليه السلام أو من ينصّبه الإمام ، والثاني لا يتوقف على إذن الإمام المعصوم عليه السلام بل يكفي العلم به ، والثالث دفاع الشخص عن نفسه من باب حفظ النفس ودفع الضرر عنها .

٢ ـ الحكمة من الجهاد

إن الحكمة من تشريع الجهاد هو الدفاع عن العدالة والتوحيد لا التسلط على البلاد واستثمار العباد على ما هو دأب المستعمرين والظالمين .

ففي خبر الحسن بن محبوب عن بعض أصحابه عن أبى جعفر عليه السلام في بيان حدود الجهاد قال : ((وأول ذلك الدعاء إلى طاعة الله من طاعة العباد ، والى عبادة الله من عبادة العباد ، والى ولاية الله من ولاية العباد . . . وليس الدعاء من طاعة عبد إلى طاعة عبد مثله ...))(٥) .

وورد في كتاب اللّه المجيد قوله تعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، فان انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾(٦) .

ممّا يعنى إن الغرض من القتال : هو رفع الفتنة وبسط التوحيد . ولعل الأول هو الدفاعي المصطلح ، والثاني هو الابتدائي ، وإذا تحقق الغرض فلا عدوان بالاستعباد و الاستثمار ، إلا ان يكون القوم ظالمين فيراد رفع ظلمهم وشرّهم ، ورفع لظلم أيضا دفاع لا محالة(٧) .

ولأهميته وما ينتج عنه ذكر السيّد الخوئي في المسألة الثانية بعدما حدد إن الأصل في الجهاد أن يكون كفائيًا ما نصّه :

((إن الجهاد مع الكفار من أحد أركان الدين الإسلامي وقد تقوى الإسلام وانتشر أمره في العالم بالجهاد مع الدعوة إلى التوحيد في ظل راية النبي الأكرم صلى اللّه عليه وآله ، ومن هنا قد اهتم القرآن الكريم به في ضمن نصوصه التشريعية ، حيث قد ورد في الآيات الكثيرة وجوب القتال والجهاد على المسلمين مع الكفار المشركين حتى يسلموا أو يقتلوا ، ومع أهل الكتاب حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، ومن الطبيعي أن تخصيص هذا الحكم بزمان مؤقت وهو زمان الحضور لا ينسجم مع اهتمام القرآن وأمره به من دون توقيت في ضمن نصوصه الكثيرة ...))(٨) .

فلم يرتض السيد الخوئي تخصيص حكم الجهاد بزمان مؤقت كزمان حضور الإمام المعصوم عليه السلام ، إذ لا ينسجم هذا التوجيه مع إهتمام القرآن الكريم بمسألة الجهاد ، وهذا المقدار من استنطاق النصوص فهمه جملة من الأعلام أيضا(٩) .

فالهدف من الجهاد ليس سفك دماء الإنسانية أو التهجّم عليهم أو الاستحواذ كما قد يُتراءى لأوّل وهلة بل هو عمليّة تقويم كبرى في الدين والدنيا .

ثالثا : حُكم الجهاد

اتفقت آراء فقهاء الإسلام على أن حكم الجهاد هو (الوجوب الكفائي) وقد استدلوا على ذلك بأدلة عديدة منها :

١ ـ القرآن الكريم

يُستدل على مشروعيّته من القرآن الكريم بآيات كريمة منها :

أ ـ قوله تعالى : ﴿ لا يَسْتوِي القاعِدُونَ من المُؤمِنِينَ غَيْرُ أولِي الضَّرَرِ والمُجاهِدُونَ في سَبيلِ اللَّهِ بأمْوالِهِمْ وأنفُسِهِمْ فضَّلَ اللَّهُ المُجاهِدِينَ بأمْوالِهِمْ وأنفُسِهِمْ على القاعِدِينَ دَرَجَةً وكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الحُسْنَىٰ وفضَّلَ اللَّهُ المُجاهِدِينَ على القاعِدِينَ أجْرًا عَظِيمًا ﴾(١٠) .

وجه الإستدلال : أنه تعالى فاضل بين المجاهدين والقاعدين غير أولي الضرر وعد كلا منهم الحسنى ، ولولا أن وجوبه على الكفاية لما وعد القاعدين عنه الحسنى والمثوبة ولما كان لهم فضيلة .

ب ـ قوله تعالى : ﴿ انفِرُوا خِفافًا وثِقالًا وجاهِدُوا بأمْوالِكُمْ وأنفُسِكُمْ في سَبيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(١١) .

وجه الإستدلال : دعا القرآن الكريم بصيغة الأمر (انفروا) بالنفر الى الجهاد في سبيله بالأموال والأنفس .

وعقّب السيد محمد صادق الروحاني بقوله :

((بعد أن الحق كون الواجب الكفائي واجبا على الجميع وإن كان لو قام به جماعة فيهم الكفاية سقط عن الباقين سقوطا مراعي باستمرار القائم به إلى أن يحصل الغرض المطلوب شرعا ـ لا يترتب ثمرة مهمة على كون وجوبه كفائيا أو عينيا فإنه إن قام جماعة بالجهاد وحصل الغرض سقط الوجوب كفائيا كان أم

عينيا ، وإن تركت هذه الفريضة عوقب الجميع كفائيا كان أم عينيا ، وإن لم يتمكن بعض الأفراد أو كان عليهم حرجيا زيادة على ما في الجهاد توجه التكليف إلى المتمكنين وسقط عن العاجزين من غير فرق بين القسمين ، فلا يهمنا البحث في ذلك ...))(١٢) .

فثمرة الجهاد متى ما تحققت واتت أكلها فقيدُ الكفائية متحقق على كلّ حال ، فإن كان بأصله كفائيا فهو من حكمة الفقيه ، وإن كان عينيا فقد تمّ بمن خرج للجهاد .

٢ ـ السنة الشريفة

يستدلّ على وجب الجهاد من السنة الشريفة بروايات كثيرة منها :

أ ـ ما ورد عن النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) أنه قال : ((غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها))(١٣) .

ب ـ ما روي عن جعفر عن أبيه عن آبائه عليهم السلام أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال : ((فوق كل ذي بر بر حتى يقتل في سبيل الله فإذا قتل في سبيل الله فليس فوقه بر ، وفوق كل ذي عقوق عقوق حتى يقتل أحد والديه فإذا قتل أحد والديه فليس فوقه عقوق))(١٤) .

ج ـ عن منصور بن حازم عن أبي عبد الله عليه السلام قال ، قلت : أي الأعمال أفضل ؟ قال عليه السلام : ((الصلاة لوقتها وبر الوالدين والجهاد في سبيل الله))(١٥) .

٣ ـ الإجماع

يستدلُ العلامة الحلي على وجوب الجهاد بالإجماع إذ جاء في كلامه : ((وهو واجب بالنصّ والإجماع ، ووجوبه على الكفاية ...))(١٦) .

وقد فصّل الفقهاء الأدلة على وجوب الجهاد عليه بالأخذ والرد والنقض والإبرام وصولا إلى ثبوت الحكم بالكتاب العزيز والسنة الشريفة والإجماع.

المطلب الثاني : مآلات الجهاد الكفائي في الشريعة الإسلامية

إن الجهاد قانون عام في عالم المخلوقات ، فإن كل مخلوق سواء كان من النباتات أو الحيوانات يسعى لإزالة ما يعترض طريقه من موانع بواسطة الجهاد ، لكي يستطيع كل واحد منهم بلوغ الكمال المطلوب في التكوين.

فجذر النبات – مثلا - الذي ينشط للحصول على الغذاء والطاقة بصورة دائمة ، لو ترك نشاطه وكف عن السعي لاستحال عليه إدامة حياته ، ولذلك فإن هذا الجذر حين يعترض طريقه مانع في عمق الأرض يحال تخطيه بثقبه ، والعجيب هنا أن الجذور الرقيقة تعمل في مثل هذه الحالة كالمسمار الفولاذي في ثقب الموانع التي تعترضها ، فلو عجزت في هذا المجال لحرفت طريقها واجتازت المانع عن طريق الالتفاف حوله.

وفي داخل وجود الإنسان- أيضا - وحتى في ساعات النوم هناك صراع غريب ومستمر ما دام الإنسان حيا ، وهو الصراع بين كريات الدم البيضاء والأجسام المعادية المهاجمة ، فلو أن هذا الصراع توقف لساعة واحدة وتخلت الكريات البيض عن الدفاع ، لتسلطت الجراثيم والمكروبات المتنوعة على كافة أجهزة جسم الإنسان ولعرضت حياته إلى الخطر.

على هذا الأساس فإن كل من يواصل " الجهاد " و " المراقبة " تكون الحياة من نصيبه - وهو منتصر دائما - أما الذين تلهيهم عن الجهاد الأهواء والملذات والشهوات والأنانية وحب الذات فلن ينالهم غير الفناء والدمار عاجلا أو آجلا ، وسيحل محلهم أناس يمتازون بالحيوية والنشاط والكفاح الدؤوب(١٧) . وهذا هو الشيء الذي يؤكد عليه رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ يقول : ((فمن ترك الجهاد ألبسه الله ذلا

وفقرا في معيشته ، ومحقا في دينه ، إن اللّه أعز أمتي بسنابك خيلها ومراكز رماحها))[١٨] .

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال في مستهل خطبته عن الجهاد : ((... فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فتحه اللّه لخاصة أوليائه ، وهو لباس التقوى ، ودرع اللّه الحصينة ، وجنته الوثيقة ، فمن تركه رغبة عنه ألبسه اللّه ثواب الذل وشمله البلاء ، وديث بالصغار والقماء ...))[١٩] .

فمآلات الجهاد كثيرة ومتنوعة وقد أشار ابن ميثم البحراني (ت : ٦٧٩ هـ) في شرحه إلى بعض منها :

١ ـ من نتائج الجهاد هو الأمر بالمعروف وهو شدّ ظهور المؤمنين ومعاونتهم على إقامة الفضيلة والعدالة والمساواة قدر الإمكان .

٢ ـ ثمرة النهى عن المنكر . وهى إرغام أنوف المنافقين وإذلالهم بالقهر عن ارتكاب المنكرات وإظهار الرذيلة في المجتمع المسلم .

٣ ـ ايجاب الصدق في المواطن والمواضع المكروهة وهى قضاء الواجب من أمر اللّه تعالى في دفع أعدائه والذبّ عن الحريم .

٤ ـ بغض الفاسقين والغضب للّه تعالى وهى غضب اللّه لمن أبغضهم وإرضاه يوم القيامة في دار كرامته[٢٠] .

وفي الحقيقة أن مآلات الجهاد تكاد لا تخفى على أي شخص يعيش في بقعة ملئها الظلم والاستخفاف والقتل والتهجير والحرمان .

المبحث الثاني : أثر فتوى السيّد السيستاني بالجهاد الكفائي في درء الفتنة وتعزيز الوحدة الوطنية

تمرّ شعوب العالم بشكل عام وبلاد المسلمين بشكل خاص بأزمات كبيرة وعلى مختلف الأصعدة ، الاقتصادية منها والأمنية والإنسانية وغيرها .

وقد عانت هذه الشعوب الأمرين من ويلات الحروب والدمار وخطر الإرهاب المتفشي بصوره المختلفة وبأسماء مُحدثة ، ومن بينها الشعب العراقي الذي عانى ولازال حتى شارف على المائة عام من الحروب والدمار .

ومن بركات اللّه تعالى على هذا الشعب المظلوم هو وجود المرجعية الدينية التي لازالت تثبت للعالم حرصها على دماء الإنسانية مهما اختلفت انتماءاتها ، وها هي اليوم تعود مرّة أخرى لتثبت للعالم إسلامية السلم والإنسانية .

ومن هنا ، سأحاول تسليط الضوء على دور المرجعية الدينية العليا المتمثلة بسماحة آية اللّه العظمى السيد علي الحسيني السيستاني في الأزمة التي عصفت بالعراق من قبل العصابات الإجرامية وكما يأتي :

المطلب الأوّل : أثر الفتوى بالجهاد الكفائي في درء الفتنة

كان لفتوى سماحة السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله الوارف) الأثر الكبير والواضح في درء الفتنة التي كادت أن تأخذ العراق إلى دهاليز مظلمة لا يُعرف نهايتها إلى أين ، وبالأخص بعد سيطرة ما يُسمّى بتنظيم الدولة (داعش) على ثلاث محافظات عراقيّة ذات الأغلبية السنيّة والذين وصفهم سماحته بـ (أنفسنا) وليس إخواننا ! وهو تعبير كبير للاعتزاز بهم والمحبة إليهم .

ولكي تتوضح هذه المسألة ينتظم البحث كالآتي :

أوّلا : معنى الفتن

وردت كلمة الفتنة في القرآن الكريم والسنة الشريفة بمعنى عام ، ومعنى خاص

فالمعنى العام : كل امتحان وابتلاء يتعرض له الإنسان ، سواء كان من نفسه أو من الشيطان أو الناس ، فينجح فيه وينجو من الفتنة أو يسقط في الفتنة ، كما في قوله تعالى : ﴿ ألم أحسِبَ النّاسُ أن يُترَكُوا أن يَقُولوا آمنّا وهُمْ لا يُفْتَنون ﴾(٢١) .

والمعنى الخاص : الأحداث والأوضاع التي تؤدي إلى افتتان المسلمين عن دينهم . وهذا المعنى هو المقصود بالفتن التي أنذر منها النبي (صلى الله عليه وآله)(٢٢) .

وعن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) أنه قال :

((لتأتين على أمتي أربع فتن : الأولى تستحل فيها الدماء . والثانية تستحل فيها الدماء والأموال . والثالثة تستحل فيها الدماء والأموال والفروج . والرابعة صماء عمياء مطبقة ، تمور مور السفينة في البحر ، حتى لا يجد أحد من الناس ملجأ . تطير بالشام ، وتغشى العراق ، وتخبط الجزيرة بيدها ورجلها . يعرك الأنام فيها البلاء عرك الأديم ، لا يستطيع أحد أن يقول فيها مه مه ! لا ترفعونها من ناحية إلا انفتقت من ناحية أخرى))(٢٣) (سلطان) .

ومن يتابع الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة يجد عشرات الآيات والروايات التي حذرت من الفتن وأمرت الناس بإجتنابها .

ثانيا : مواجهة الفتنة

ترد الفتن في كلّ زمان ومكان ، ومن المهم مواجهتها بالطرق الممكنة التي حددها القرآن الكريم والسنة الشريفة ، ومن خلال المتابعة للنصوص الدينية نجد هنالك قواعد عامة للمواجهة إذا ما جاءت الفتن كقطع الليل المظلم وقواعد خاصة أو وقتية (مرتبطة بزمن معيّن أو مكان معيّن) وتوضيحها كالآتي :

ومن تلك القواعد التي وُضعت للمواجهة هي ما يأتي :

١ ـ الوسطية والاعتدال

التي أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله : ((كن في الفتنة كابن اللبون لا ظهر فيركب ، ولا ضرع فيحلب))(٢٤) .

وابن اللبون فصيل الناقة قبل أن يقوى ظهره للركوب ، أو يصلح ضرعها للحليب ، والتقدير لا ظهر صالحا للركوب ، ولا ضرع صالحا للحليب ، والمراد بالفتنة هنا الباطل ، فيكون المعنى إذا رأيت باطلا فلا تدخل فيه ، واحذر من أهله أن يخدعوك ويستغلوك في أغراضهم ومآربهم(٢٥) .

وأيام الفتنة هي أيام الخصومة والحرب بين رئيسين ضالين يدعوان كلاهما إلى ضلالة كفتنة عبد الملك وابن الزبير ، وفتنة مروان والضحاك ، وفتنة الحجاج وابن الأشعث ونحو ذلك ، فأما إذا كان أحدهما صاحب حق فليست أيام فتنة كالجمل وصفين ونحوهما بل يجب الجهاد مع صاحب الحق وسل السيف والنهى عن المنكر وبذل النفس في إعزاز الدين وإظهار الحق(٢٦) .

قال عليه السلام : ((أخمل نفسك أيام الفتنة ، وكن ضعيفا مغمورا بين الناس لا تصلح لهم بنفسك ولا بمالك ولا تنصر هؤلاء وهؤلاء))(٢٧) .

٢ ـ التزام الجماعة

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله : ((... فلا تكونوا أنصاب الفتن وأعلام البدع ، وألزموا ما عقد عليه حبل الجماعة))(٢٨) .

والمقصود من الجماعة – حسب الظاهر – أمران ، أما يراد بهم هم أهل البيت (عليهم السلام) فيكون التعبير كناية عنهم ، وأما يراد منه جماعة أهل البيت وأتباعهم الذين يأخذون منهم ويصدرون العلم منهم .

وورد أيضا :

((إلزموا السواد الأعظم ، فإنّ يد الله مع الجماعة ، وإيّاكم والفرقة ، فإنّ الشاذ من الناس للشيطان ، كما أنّ الشاذ من الغنم للذئب ، ألا مَن دعا إلى هذا الشعار فاقتلوه ولو كان تحت عمامتي هذه))[٢٩] .

٣ ـ الابتعاد عن الفتن

في الفتنة يختلط الحق بالباطل ، ويلتبس الصواب بالخطأ ، فلا يتميز أحدهما من الآخر ، وفي هذه الحالة يكون الموقف الأسلم والأوفق بالشرع هو الابتعاد عن الفتنة والامتناع عن المشاركة مع هذا الطرف أو ذاك ، إذ لا يأمن المشارك من أن يقع في الباطل وهو يرى أنه ينصر الحق ، أو يحارب الحق وهو يرى أنه يحارب الباطل .

ولكن هذا الموقف يكون صوابا حين لا يكون الإمام العادل موجودا ، ولا يتاح للمسلم أن يتبين الحق من الباطل في الأحداث والمواقف التي تجري أمامه ، أما حين يكون الإمام العادل موجودا ، ويتخذ من الفتنة موقفا ، فإن على المسلم أن ينسجم في مواقفه مع مواقف الإمام العادل ، وليس له أن يبقى على السلبية متذرعا بأنه يخشى الوقوع في الباطل ، وإنما يكون موقفه هذا ، في هذه الحالة ، جبنا وخذلانا للحق ، بل إنه يكون ، من بعض الوجوه ، خيانة ومساهمة في الفتنة ، لأنه بسلبيته غير المبررة قد يضلل آخرين يجدون في سلبيته تبريرا لمواقفهم[٣٠] .

المطلب الثاني : أثر الفتوى بالجهاد الكفائي في تعزيز الوحدة الوطنية

من أوضح مصاديق تعزيز الوحدة الوطنية المستوحاة من فتوى الجهاد الكفائي هو دفاع الشيعي عن بقية إخوانه المسلمين والطوائف الأخرى من غير المسلمين ، وهو أمر ليس بغريب على ساحة القدس الإلهي والذوات المقدّسة (سلام اللّه عليهم) .

ومن هنا ، أصدر سماحة السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله) الوجوب الكفائي على العراقيين من أجل وئد الفتنة الطائفية والقضاء عليها ، والمحافظة على وحدة البلاد وأعراض الناس وحماية المقدسات .

وقد جاء ذلك على لسان ممثلها في مدينة كربلاء المقدسة الشيخ عبد المهدي الكربلائي / الخطبة الثانية يوم الجمعة المصادف ١٤ شعبان سنة ١٤٣٥ هـ الموافق ١٣ حزيران عام ٢٠١٤ م وهذا نص الكلام :

((إنّ الأوضاع التي يمرّ بها العراق ومواطنوه خطيرة جدا ، ولابدّ أن يكون لدينا وعي بعمق المسؤولية الملقاة على عاتقنا أنها مسؤولية شرعية ووطنية كبيرة، لذا نود توضيح ما يلي :

١ ـ إنّ العراق وشعب العراق يواجه تحدّيا كبيرا وخطرا عظيما وإنّ الإرهابيين لا يستهدفون السيطرة على بعض المحافظات كنينوى وصلاح الدين فقط بل صرّحوا بأنهم يستهدفون جميع المحافظات، ولا سيّما بغداد وكربلاء المقدسة والنجف الأشرف ، فهم يستهدفون كلّ العراقيين وفي جميع مناطقهم ومن هنا فإنّ مسؤولية التصدي لهم ومقاتلتهم هي مسؤولية الجميع ولا يختصّ بطائفةٍ دون أخرى أو بطرفٍ دون آخر.

٢ ـ إنّ التحدي وإنّ كان كبيرا إلا أنّ الشعب العراقي الذي عُرِفَ عنه الشجاعة والإقدام وتحمّل المسؤولية الوطنية والشرعية في الظروف الصعبة أكبر من هذه التحديات والمخاطر، فإنّ المسؤولية في الوقت الحاضر هي حفظ بلدنا العراق ومقدساته من هذه المخاطر وهذه توفر حافزا لنا للمزيد من العطاء والتضحيات في سبيل الحفاظ على وحدة بلدنا وكرامته وصيانة مقدساته من أن تهتك من قبل

هؤلاء المعتدين، ولا يجوز للمواطنين الذين عهدنا منهم الصبر والشجاعة والثبات في مثل هذه الظروف أن يدبّ الخوف والإحباط في نفس أيّ واحدٍ منهم، بل لابدّ أن يكون ذلك حافزا لنا لمزيد من العطاء في سبيل حفظ بلدنا ومقدساتنا.

قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿ يا أيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا واتّقُوا اللّهَ لعَلّكُمْ تفْلِحُون ﴾(٣١) .

وقال تعالى: ﴿ قالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتعِينُوا باللّهِ واصْبِرُوا إنّ الأرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ والعَاقِبَةُ للمُتقِينَ ﴾(٣٢) .

وقال تعالى: ﴿ وأطِيعُوا اللّهَ ورَسُولَهُ ولا تَنَازَعُوا فتفْشَلُوا وتَذْهَبَ رِيحُكُمْ واصْبِرُوا إنّ اللّهَ مَعَ الصّابِرِينَ ﴾(٣٣) .

وقال تعالى: ﴿ أمْ حَسِبْتمْ أنْ تدْخُلُوا الجَنّةَ ولَمّا يَأتِكُمْ مَثَلُ الذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسّتهُمُ البَأسَاءُ والضّرّاءُ وزُلْزِلُوا حَتى يَقُولَ الرّسُولُ والذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتى نَصْرُ اللّهِ ألا إنّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ ﴾(٣٤) .

وقال تعالى: ﴿ وقاتِلُوا في سَبِيلِ اللّهِ الذِينَ يُقاتِلُونَكُمْ ولا تَعْتدُوا إنّ اللّه لا يُحِبُّ المُعْتدِينَ ﴾(٣٥).

٣ ـ إنّ القيادات السياسية في العراق أمام مسؤولية وطنية وشرعية كبيرة وهذا يقتضي ترك الاختلافات والتناحر خلال هذه الفترة العصيبة وتوحيد موقفها وكلمتها ودعمها وإسنادها للقوات المسلحة ليكون ذلك قوة إضافية لأبناء الجيش العراقي في الصمود والثبات، مُوضّحا أنها ـ أي القيادات السياسية ـ أمام مسؤولية تاريخية ووطنية وشرعية كبيرة .

٤ ـ إنّ دفاع أبنائنا في القوات المسلحة وسائر الأجهزة الامنية هو دفاع مقدّس ويتأكّد ذلك حينما يتضح أنّ منهج هؤلاء الإرهابيين المعتدين هو منهج ظلامي بعيد عن روح الإسلام يرفض التعايش مع الآخر بسلام ويعتمد العنف وسفك الدماء وإثارة الاحتراب الطائفي وسيلة لبسط نفوذه وهيمنته على مختلف المناطق في العراق والدول الأخرى، فيا أبناءنا في القوات المسلحة أنتم أمام مسؤولية تاريخية ووطنية وشرعية واجعلوا قصدكم ونيتكم ودافعكم هي الدفاع عن حرمات العراق ووحدته وحفظ الأمن للمواطنين وصيانة المقدسات من الهتك ودفع الشر عن هذا البلد المظلوم وشعبه الجريح.

وفي الوقت الذي تؤكّد فيه المرجعية الدينية العليا دعمها وإسنادها لكم تحثكم على التحلي بالشجاعة والبسالة والثبات والصبر، وإنّ من يضحّي منكم في سبيل الدفاع عن بلده وأهله وأعراضهم فإنه يكون شهيدا ـ إن شاء اللّه تعالى ـ .

والمطلوب أن يحثّ الأبُ ابنه والأمُ ابنها والزوجة زوجها على الصمود والثبات دفاعا عن حرمات هذا البلد ومواطنيه .

٥ ـ إنّ طبيعة المخاطر المحدقة بالعراق وشعبه في الوقت الحاضر تقتضي الدفاع عن هذا الوطن وأهله وأعراض مواطنيه وهذا الدفاع واجب على المواطنين بالوجوب الكفائي (بمعنى أنّ من يتصدّى له وكانت فيه الكفاية بحيث يتحقّق الغرض وهو حفظ العراق وشعبه ومقدساته يسقط عن الباقين) وتوضيح ذلك بمثال أنه إذا تصدّى عشرة آلاف وتحقّق الغرض منهم سقط عن الباقين فإن لم يتحقق وجب على البقية وهكذا، ومن هنا فإنّ على المواطنين الذين يتمكّنون من حمل السلاح

ومقاتلة الإرهابيّين دفاعا عن بلدهم وشعبهم ومقدساتهم عليهم التطوّع للا نخراط في القوات الأمنية لتحقيق هذا الغرض المقدس .

٦ ـ إنّ الكثير من الضباط والجنود قد أبلوا بلاءً حسنا في الدفاع والصمود وتقديم التضحيات فالمطلوب من الجهات المعنية تكريم هؤلاء تكريما خاصا لينالوا استحقاقهم من الثناء والشكر وليكون حافزا لهم ولغيرهم على أداء الواجب الوطني الملقى على عاتقهم)) (٣٦) .

ومن خلال متابعة الخطبة يوجد عدد من النتائج المتوخاة لفتوى الجهاد الكفائي :

أ ـ الدفاع عن المقدّسات

يكون الدفاع عن المقدّسات بما تقتضيه المصلحة وبما يدفع المفسدة المترتبّة على تركه وبحسب نوع الخطر المتوجّه إلى هذه المقدّسات ، فتارة بالفكر والقلم والكتابة ، وأخرى بالفنّ والإعلام ، وثالثة بالقتال والجهاد وغير ذلك من المجالات والميادين.

والمقصود من المقدّسات هي الذات الإلهية المقدّسة وكتاب الله المجيد والانبياء والرسل (عليهم السلام) والأئمة المعصومين (عليهم السلام) والسيدة البتول الطاهرة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) .

ب ـ صون العرض

إن صون العرض والأعراض من قواعد الإسلام السبعة التي أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام حينما سئله كميل بن زياد النخعي رضي الله عنه ، إذ قال كميل بن زياد : سألت أمير المؤمنين عليه السلام عن قواعد الإسلام ما هي ؟ فقال :

قواعد الإسلام سبعة :

فأولها : العقل وعليه بني الصبر .

والثاني: صون العرض وصدق اللهجة .

والثالثة : تلاوة القرآن على جهته .

والرابعة : الحب في اللّه والبغض في اللّه .

والخامسة : حق آل محمد صلى اللّه عليه وآله ومعرفة ولايتهم .

والسادسة : حق الاخوان والمحاماة عليهم .

والسابعة : مجاورة الناس بالحسنى(٣٧) .

وتعدّ مسألة صون العرض من المسائل المهمّة التي بنى عليها الشارع المقدّس أحكاما كثيرة واعتنى بها أيما إعتناء ، ومن ذلك : إن الشارع جعل في اثبات الزنا أربعة شهود وفي القتل اثنان ، وما ذاك إلا لعظيم هذه المسألة .

ج ـ وحدة العراق

من يتابع خطابات المرجعيّة الدينية العليا في العراق منذ سقوط نظام بغداد عام ٢٠٠٣ م وإلى يومنا هذه يجدها تؤكد مرارا وتكرارا على الوحدة الوطنية ورص الصفوف والوقوف صفا واحدا كالبُنيان المرصوص ، وقد صدرت العديد من البيانات من مكتب سماحة السيد علي الحسيني السيستاني التي تؤكد هذه المضامين والتي منها : بسم اللّه الرحمن الرحيم ﴿ واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾

تمرّ الأمة الاسلامية بظروف عصيبة وتواجه أزمات كبرى وتحدّيات هائلة تمسّ حاضرها وتهدّد مستقبلها ، ويدرك الجميع ـ والحال هذه ـ مدى الحاجة الى رصّ الصفوف ونبذ الفرقة والابتعاد عن النعرات الطائفية و التجنّب عن إثارة الخلافات المذهبية ، تلك الخلافات التي مضى عليها قرون متطاولة ولا يبدو سبيل الى حلّها بما يكون مرضيًا ومقبولا لدى الجميع ، فلا ينبغي اذا إثارة الجدل حولها خارج إطار

البحث العلمي الرصين ، ولاسيما انها لا تمسّ أصول الدين واركان العقيدة ، فان الجميع يؤمنون باللّه الواحد الأحد وبرسالة النبي المصطفى صلى اللّه عليه و آله وبالمعاد وبكون القرآن الكريم ـ الذي صانه اللّه تعالى من التحريف ـ مع السنة النبوية الشريفة مصدرا للأحكام الشرعية و بمودة أهل البيت عليهم السلام ، و نحو ذلك مما يشترك فيها المسلمون عامة ومنها دعائم الاسلام : الصلاة والصيام والحج و غيرها.

فهذه المشتركات هي الاساس القويم للوحدة الاسلامية ، فلا بدّ من التركيز عليها لتوثيق أواصر المحبة والمودة بين أبناء هذه الأمة ، ولا أقل من العمل على التعايش السلمي بينهم مبنيا على الاحترام المتبادل وبعيدا عن المشاحنات والمهاترات المذهبية والطائفية أيّا كانت عناوينها.

فينبغي لكل حريص على رفعة الاسلام و رقيّ المسلمين أن يبذل ما في وسعه في سبيل التقريب بينهم والتقليل من حجم التوترات الناجمة عن بعض التجاذبات السياسية لئلا تؤدي الى مزيد من التفرق والتبعثر وتفسح المجال لتحقيق مآرب الاعداء الطامعين في الهيمنة على البلاد الاسلامية و الاستيلاء على ثرواتها.

و لكن الملاحظ ـ و للأسف ـ أن بعض الاشخاص و الجهات يعملون على العكس من ذلك تماما ويسعون لتكريس الفرقة والانقسام و تعميق هوة الخلافات الطائفية بين المسلمين ، وقد زادوا من جهودهم في الآونة الأخيرة بعد تصاعد الصراعات السياسية في المنطقة واشتداد النزاع على السلطة والنفوذ فيها ، فقد جدّوا في محاولاتهم لاظهار الفروقات المذهبية ونشرها بل والاضافة عليها من عند أنفسهم

مستخدمين أساليب الدسّ والبهتان لتحقيق ما يصبون اليه من الاساءة الى مذهب معين التنقيص من حقوق أتباعه وتخويف الآخرين منهم .... .

عند أنفسهم مستخدمين أساليب الدسّ و البهتان لتحقيق ما يصبون اليه من الاساءة الى مذهب معين و التنقيص من حقوق أتباعه و تخويف الآخرين منهم .

وفي إطار هذا المخطط تنشر بعض وسائل الإعلام من الفضائيات ومواقع الانترنيت والمجلات وغيرها بين الحين والآخر فتاوى غريبة تسيء الى بعض الفرق والمذاهب الاسلامية وتنسبها الى سماحة السيد دام ظله في محاولة واضحة للإساءة الى موقع المرجعية الدينية وبغرض زيادة الاحتقان الطائفي وصولا الى أهداف معينة .

ان فتاوى سماحة السيد دام ظله انما تؤخذ من مصادرها الموثوقة ـ ككتبه الفتوائية المعروفة الموثقة بتوقيعه وختمه ـ وليس فيها ما يسيء الى المسلمين من سائر الفرق و المذاهب أبدا ، ويعلم من له أدنى إلمام بها كذب ما يقال وينشر خلاف ذلك.

ويضاف الى هذا ان مواقف سماحته والبيانات الصادرة عنه خلال السنوات الماضية بشأن المحنة التي يعيشها العراق الجريح ، وما أوصى به أتباعه ومقلديه في التعامل مع إخوانهم من أهل السنة من المحبة والاحترام ، وما أكّد عليه مرارا من حرمة دم كل مسلم سنيا كان أو شيعيا وحرمة عرضه وماله والتبرؤ من كل من يسفك دما حراما أيّا كان صاحبه .... كل هذا يفصح بوضوح عن منهج المرجعية الدينية في التعاطي مع أتباع سائر المذاهب ونظرتها اليهم ، ولو جرى الجميع وفق هذا المنهج مع من يخالفونهم في المذهب لما آلت الامور الى ما نشهده اليوم من عنف أعمى يضرب كل مكان وقتل فظيع لا يستثني حتى الطفل الصغير والشيخ الكبير والمرأة الحامل

والى الله المشتكى. نسأل الله تبارك وتعالى أن يأخذ بأيدي الجميع الى ما فيه خير هذه الأمة وصلاحها انه على كل شيء قدير.

وهذا نص البيان الذي أصدره مكتب المرجع الديني الأعلى بتاريخ ١٤/محرّم/١٤٢٨ هـ :

موقع مكتب
سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني (دام ظله)

بسم الله الرحمن الرحيم
(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)

تمر الأمة الاسلامية بظروف عصيبة وتواجه أزمات كبرى وتحديات هائلة تمس حاضرها وتهدد مستقبلها، ويدرك الجميع – والحال هذه – مدى الحاجة الى رص الصفوف ونبذ الفرقة والابتعاد عن النعرات الطائفية والتجنب عن إثارة الخلافات المذهبية، تلك الخلافات التي مضى عليها قرون متطاولة ولا يبدو سبيل الى حلها بما يكون مرضياً ومقبولاً لدى الجميع، فلا ينبغي اذاً إثارة الجدل حولها خارج إطار البحث العلمي الرصين، ولاسيما انها لا تمس أصول الدين وأركان العقيدة فان الجميع يؤمنون بالله الواحد الأحد، وبرسالة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله، وبالمعاد، وبكون القرآن الكريم – الذي صانه الله تعالى من التحريف – مع السنة النبوية الشريفة مصدراً للأحكام الشرعية، وبمودة أهل البيت عليهم السلام، ونحو ذلك مما يشترك فيها المسلمون عامة ومنها دعائم الاسلام: الصلاة والصيام والحج وغيرها.

فهذه المشتركات هي الاساس القويم للوحدة الاسلامية، فلابد من التركيز عليها لتوثيق أواصر المحبة والمودة بين أبناء هذه الامة، ولا أقل من العمل على التعايش السلمي بينهم مبنياً على الاحترام المتبادل وبعيداً عن المشاحنات والمهاترات المذهبية والطائفية أياً كانت عناوينها.

فيجدر بكل حريص على رفعة الاسلام ورقي المسلمين أن يبذل ما في وسعه في سبيل التقريب بينهم والتقليل من حجم التوترات الناجمة عن بعض التجاذبات السياسية لئلا تؤدي الى مزيد من التفرق والتبعثر وتفسح المجال لتحقيق مآرب الاعداء الطامعين في الهيمنة على البلاد الاسلامية والاستيلاء على ثرواتها.

ولكن الملاحظ – وللأسف – ان بعض الاشخاص والجهات يعملون على العكس من ذلك تماماً ويسعون لتكريس الفرقة والانقسام وتعميق هوة الخلافات الطائفية بين المسلمين، وقد زادوا من جهودهم في الآونة الاخيرة بعد تصاعد الصراعات السياسية في المنطقة واشتداد النزاع على السلطة والنفوذ فيها، فقد جدّوا في محاولاتهم لاظهار الفروقات المذهبية وزرعها بل والاضافة عليها من عند أنفسهم مستخدمين أساليب الدس والبهتان لتحقيق ما يصبون اليه من الاساءة الى مذهب معين والتنقيص من حقوق اتباعه وتخويف الآخرين منهم.

وفي اطار هذا المخطط تنشر بعض وسائل الاعلام – من الفضائيات ومواقع الانترنيت والمجلات وغيرها – بين الحين والآخر فتاوى غريبة تسيء الى بعض الفرق والمذاهب الاسلامية وتنسبها الى سماحة السيد دام ظله في محاولة واضحة للاساءة الى موقع المرجعية الدينية وبغرض زيادة الاحتقان الطائفي وصولاً الى اهداف معينة.

ان فتاوى سماحة السيد دام ظله انما تؤخذ من مصادرها الموثوقة – ككتب الفتاوى المعروفة الموثقة بتوقيعه وختمه – وليس فيها ما يسيء الى المسلمين من سائر الفرق والمذاهب أبداً، ويعلم من له أدنى إلمام بها كذب ما يقال وينشر خلاف ذلك.

ويضاف الى هذا ان مواقف سماحته والبيانات الصادرة عنه خلال السنوات الماضية بشأن المحنة التي يعيشها العراق الجريح وما أوصى به أتباعه ومقلديه في التعامل مع اخوانهم من أهل السنة من المحبة والاحترام، وما أكد عليه مراراً من حرمة دم كل مسلم سنياً كان او شيعياً وحرمة عرضه وماله والتبرؤ من كل من يسفك دماً حراماً أياً كان صاحبه.. كل هذا يفصح بوضوح عن منهج المرجعية الدينية في التعامل مع أتباع سائر المذاهب ونظرتها اليهم، ولو عمل الجميع وفق هذا النهج مع من يخالفهم في المذهب لما آلت الامور الى ما نشهده اليوم من عنف أعمى يضرب بكل مكان وقتل فظيع لا يستثني حتى الطفل الصغير والشيخ الكبير والمرأة الحامل والى الله المشتكى.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يأخذ بأيدي الجميع الى ما فيه خير هذه الامة وصلاحها انه على كل شيء قدير.

١٤/ المحرم/ ١٤٢٨
٣/ ٢/ ٢٠٠٧

مكتب السيد السيستاني

WWW.SISTANI.ORG
WWW.AL-SISTANI.ORG
SISTANI@SISTANI.ORG
SISTANI@AL-SISTANI.ORG

د ـ القضاء على منبع الشر والفتنة

من دوافع فتوى الجهاد الكفائي هو القضاء على منبع الشر والفتنة والمتمثلة بما يُسمّى تنظيم الدولة اللا إسلامية (داعش) فقد عاثوا في الأرض الفساد وقتلوا الأطفال والرجال ونهبوا النساء وسرقوا الأموال وعملوا كل القبائح وأرذلها .

ومن هنا ، فقد وجدت المرجعيّة الدينية أنه لابدّ من وقفة حقيقية بوجه هذا المدّ العاتي لإيقافه والتخلص منه من خلال فتوى الجهاد وتشكيل سرايا الحشد الشعبي .

الخاتمة نتائج البحث :

من الطبيعي أن يكون لكلّ بحث ودراسة مجموعة من النتائج التي توصّل إليها الباحث وأفرزتها معايير البحث العلمي الرصين ، وبالإمكان إجمالها بما يأتي :

١ ـ تعدّ المرجعيّة الدينية – وعلى مرّ العصور – صمام الأمان للمسلمين كافة بلا استثناء ، وفي سبيل ذلك تقدّم الغالي والنفيس .

٢ ـ أثبتت المرجعيّة الدينية العليا في النجف الأشرف المتمثلة بسماحة الإمام السيستاني (دام ظله) متابعتها للظروف والمحن التي مرّ بها هذا البلد المنكوب ومواكبتها لمستجدات الواقع المعاش .

٣ ـ إن إصدار فتوى الجهاد الكفائي كانت وفق توقيتات إلهيّة ، فلا أحد من الناس يعلم سرّها وبلورتها بهذا الشكل الملفت للنظر .

٤ ـ أثبتت المرجعيّة الدينية العليا في النجف للعالم أجمع حقيقة ثقل ودور المرجعيّة في قلوب شيعة أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، ومن جانب آخر أثبتت مدى طاعة رجالات الشيعة لمرجعيتهم الرشيدة والإلتزام بأوامرها .

٥ ـ من ثمار فتوى الجهاد الكفائي المباركة هو حماية المقدّسات والأنفس والأعراض التي ما فتئت المرجعيّة تنادي بالمحافظة عليها على طوال هذه السنوات .

٦ ـ استطاعت المرجعيّة الدينية المحافظة على الوحدة الوطنية بين أطياف المجتمع العراقي على اختلافه وتنوّع مشاربه .

الهوامش:

---

(١) منتهى المطلب ، الحسن بن يوسف العلامة الحلي ، الطبعة : الحجرية ، بلا ط ، بلا ت : ٢ / ٩٠٦

(٢) شرح تبصرة المتعلمين ، آغا ضياء الدين العراقي ، تح : محمد الحسون ، طبع ونشر : مؤسسة النشر الإسلامي – قم ، ط ١ ، ت : ١٤١٤ هـ : ٤ / ٣١٦ .

(٣) جامع المقاصد ، علي بن الحسين المحقق الكركي ، طبع ونشر : مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) – قم ، ط ١ ، ت : ١٤٠٨ م : ٣ / ٣٦٥ .

(٤) مسالك الإفهام ، زين الدين العاملي الجبعي ، تحقيق ونشر : مؤسسة المعارف الإسلامية ، المطبعة : فروردين – قم ، ط ١ ، ت : ١٤١٤ هـ : ٣ / ٨ .

(٥) وسائل الشيعة ، الحر العاملي ، طبع ونشر : مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) ، ط ٢ ، ت : ١٤١٤ هـ : ١٥ / ١٢ كتاب الجهاد ح ٨ .

(٦) البقرة / ١٩٣ .

(٧) ينظر : دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية ، حسين منتظري ، المطبعة : مكتب الإعلام الإسلامي – قم ، ط ١ ، ت : ١٤٠٨ هـ : ١ / ١١٦ .

(٨) منهاج الصالحين ، أبو القاسم الخوئي ، المطبعة : مهر – قم ، ط ٢٨ ، ت : ١٤١٠ هـ : ١ / ٣٦٤ .

(٩) ينظر : النور الساطع في الفقه النافع ، علي كاشف الغطاء ، المطبعة : الآداب – النجف ، بلا ط ، ت : ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١ م : ١ / ٥٦٢ .

(١٠) النساء / ٩٥ .

(١١) التوبة / ٤١ .

(١٢) فقه الصادق ، محمد صادق الروحاني ، المطبعة : فروردين – قم ، ط ٣ ، ت : ١٤١٣ هـ : ١٣ / ٢٢

(١٣) عوالي اللئالي ، ابن أبي جمهور الإحسائي ، تح : مجتبى العراقي ، المطبعة : سيد الشهداء – قم ، ط ١ ، ت : ١٤٠٤ هـ : ٣ / ١٨٢ باب الجهاد ح ١ .

(١٤) تهذيب الأحكام ، محمد بن الحسن الطوسي ، تح : حسن الموسوي الخرسان ، المطبعة : خورشيد – قم ، ط ٤ ، ت : ١٣٦٥ ش : ٦ / ١٢٢ كتاب الجهاد ح ٤ .

(١٥) الكافي ، محمد بن يعقوب الكليني ، تح : علي أكبر الغفاري ، المطبعة : الحيدري – قم ، ط ٤ ، ت : ١٣٦٥ هـ : ٢ / ١٥٨ باب البر بالوالدين ح ٤ .

(١٦) تحرير الأحكام ، العلامة الحلي ، تح : ابراهيم البهاردي ، المطبعة : اعتماد – قم ، ط ١ ، ت : ١٤٢٠ هـ : ٢ / ١٣٠ .

(١٧) ينظر : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ناصر مكارم الشيرازي ، بلا ط ، بلا ت : ٣ / ٤٠٥

(١٨) الكافي ، محمد بن يعقوب الكليني : ٥ / ٢ باب فضل الجهاد ح ٢ .

(١٩) الكافي ، محمد بن يعقوب الكليني : ٥ / ٤ باب فضل الجهاد ح ٦ .

(٢٠) ينظر : شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني ، المطبعة : مكتب التبليغ الإسلامي – قم ، ط ١ ، ت : ١٣٦٢ ش : ٥ / ٢٥٨ .

(٢١) العنكبوت / ١ – ٢ .

(٢٢) ينظر : عصر الظهور ، علي الكوراني العاملي ، بلا ط ، بلا ت : ٢٣ .

(٢٣) الفتن ، نعيم بن حمّاد المروزي ، تح : سهيل زكاز ، طبع ونشر : دار الفكر – بيروت ، بلا ط ، ت : ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م : ١ / ٢٨ .

(سلطان) هذه الرواية أول من أوردها هو نعيم بن حمّاد المروزي المتوفى سنة ٢٨٨ هـ في كتابه الفتن الذي هو من المصادر التاريخيّة ، ثم نقلها السيد ابن طاووس المتوفى سنة ٦٦٤ هـ في كتابه الملاحم والفتن الذي هو من مصادر الحديث العام وليس المصادر الحديثية والمجاميع الروائيّة ، ثمّ نقلها بعضٌ عنهما ولم أجد لها ذكرا في المجاميع الروائيّة الأساسية ، ولهذا اقتضى التنويه ، والله العالم بحقائق الأمور .

(٢٤) نهج البلاغة ، جمع خطب الإمام علي عليه السلام للشريف الرضي ، تح : محمد عبده ، المطبعة : النهضة – قم ، ط ١ ، ت : ١٤١٢ هـ : ٤ / ٣ .

(٢٥) ينظر : في ظلال نهج البلاغة ، محمد جواد مغنية ، المطبعة : ستاره – قم ، ط ١ ، ت : ١٤٢٧ هـ : ٤ / ٢١٣ .

(٢٦) ينظر : شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد المعتزلي ، تح : محمد أبو الفضل ابراهيم ، المطبعة : اسماعيليان – قم ، ط ، بلا ت : ١٨ / ٨٣ .

(٢٧) المصدر نفسه .

(٢٨) نهج البلاغة ، جمع خطب الإمام علي عليه السلام للشريف الرضي : ٢ / ٣٩ .

(٢٩) المصدر نفسه .

(٣٠) ينظر : التاريخ وحركة التقدّم البشري ونظرة الإسلام ، محمّد مهدي شمس الدين ، بلا ط ، بلا ت : ١٧٣ .

(٣١) آل عمران / ٢٠٠ .

(٣٢) الأعراف / ١٢٨ .

(٣٣) الأنفال / ٤٦ .

(٣٤) البقرة / ٢١٤ .

(٣٥) البقرة / ١٩٠ .

(٣٦) خطبة الجمعة في كربلاء المقدّسة بتاريخ ١٣ حزيران ٢٠١٤ م .

(٣٧) بحار الأنوار ، محمد باقر المجلسي ، تح : محمد باقر البهبودي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط ٣ ، ت : ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م : ٦٥ / ٣٨١ .

أهم المصادر والمراجع :

خير ما نبتدئ به القرآن الكريم .

١ـ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ناصر مكارم الشيرازي ، بلا ط ، بلا ت .

٢ـ بحار الأنوار ، محمد باقر المجلسي ، تح : محمد باقر البهبودي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط ٣ ، ت : ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م .

٣ـ التاريخ وحركة التقدّم البشري ونظرة الإسلام ، محمّد مهدي شمس الدين ، بلا ط ، بلا ت.

٤ـ تحرير الأحكام ، العلامة الحلي ، تح : ابراهيم البهاردي ، المطبعة : اعتماد – قم ، ط ١ ، ت : ١٤٢٠ هـ .

٥ـ تهذيب الأحكام ، محمد بن الحسن الطوسي ، تح : حسن الموسوي الخرسان ، المطبعة : خورشيد – قم ، ط ٤ ، ت : ١٣٦٥ ش .

٦ـ جامع المقاصد ، علي بن الحسين المحقق الكركي ، طبع ونشر : مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) – قم ، ط ١ ، ت : ١٤٠٨ م .

٧ـ دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية ، حسين منتظري ، المطبعة : مكتب الإعلام الإسلامي – قم ، ط ١ ، ت : ١٤٠٨ هـ .

٨ـ شرح تبصرة المتعلمين ، آغا ضياء الدين العراقي ، تح : محمد الحسون ، طبع ونشر : مؤسسة النشر الإسلامي – قم ، ط ١ ، ت : ١٤١٤ هـ .

٩ـ شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني ، المطبعة : مكتب التبليغ الإسلامي – قم ، ط ١ ، ت : ١٣٦٢ ش .

١٠ـ عصر الظهور ، علي الكوراني العاملي ، بلا ط ، بلا ت .

١١ـ عوالي اللئالي ، ابن أبي جمهور الإحسائي ، تح : مجتبى العراقي ، المطبعة : سيد الشهداء – قم ، ط ١ ، ت : ١٤٠٤ هـ .

١٢ـ الفتن ، نعيم بن حمّاد المروزي ، تح : سهيل زكاز ، طبع ونشر : دار الفكر – بيروت ، بلا ط ، ت : ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م .

١٣ـ فقه الصادق ، محمد صادق الروحاني ، المطبعة : فروردين – قم ، ط ٣ ، ت : ١٤١٣ ٥ .

١٤ـ في ظلال نهج البلاغة ، محمد جواد مغنية ، المطبعة : ستاره – قم ، ط ١ ، ت : ١٤٢٧ هـ .

١٥ـ الكافي ، محمد بن يعقوب الكليني ، تح : علي أكبر الغفاري ، المطبعة : الحيدري – قم ، ط ٤ ، ت : ١٣٦٥ هـ .

١٦ـ مسالك الإفهام ، زين الدين العاملي الجبعي ، تحقيق ونشر : مؤسسة المعارف الإسلامية ، المطبعة : فروردين – قم ، ط ١ ، ت : ١٤١٤ هـ .

١٧ـ منتهى المطلب ، الحسن بن يوسف العلامة الحلي ، بلا ط ، بلا ت .

١٨ـ نهج البلاغة ، جمع خطب الإمام علي عليه السلام للشريف الرضي ، تح : محمد عبده ، المطبعة : النهضة – قم ، ط ١ ، ت : ١٤١٢ هـ .

١٩ـ وسائل الشيعة ، الحر العاملي ، طبع ونشر : مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) ، ط ٢ ، ت : ١٤١٤ هـ .

موقف علماء الدين الشيعة من السياسة البريطانية في بناء الدولة العراقية ١٩٢١ – ١٩٢٣

م.د .أركان مهدي عبد الله

المديرية العامة للتربية في محافظة ذي قار

المقدمة:

تمثل مواقف علماء الدين الشيعة تجاه القضايا الوطنية نقطة لامعة في تاريخ العراق السياسي الحديث والمعاصر،وهي الصورة الوطنية المشرقة والناصعة من تاريخ الأمة،فطوال الاحتلال البريطاني للعراق كانت للمرجعية الدينية مواقف جهادية أجبرت بريطانيا من تغيير سياستها الاستعمارية في العراق وان تقيم دولة طالما حرص علماء الدين على استقلالها وإبعادها عن الأطماع البريطانية.

ارتأى الباحث أن يكون له نصيب في دراسة هذا الموضوع نظرا لأهميته المتأتية من اعتبارات متعددة لعل من أبرزها : موقف علماء الدين الشيعة تجاه السياسة البريطانية في بناء الدولة العراقية كعامل مؤثر في تطور الاحداث السياسية التي شهدها العراق خلال المدة (١٩٢١-١٩٢٣) لان موقف المرجعية الدينية كان ينبع من أصول عقائدية وأحكام دينية ومبادئ ومفاهيم قيمية وثورية لا تقبل المهادنة والانصياع خارج دائرة ما يؤمن به علماء الدين من ثوابت ومحددات شرعية ، كما أنهم كعلماء روحانيين يمتلكون درجة كبيرة في التاثير في اوساط الامة وممكن من خلال فتاواهم ان يحركوا الشارع العراقي،لذلك كانت بريطانيا تخشى سطوتهم،وترى التعامل معهم بحذر من أهم أولوياتها السياسية والدبلوماسية.

لقد جاءت الدراسة لتسلط الضوء على أهم مدة تاريخية شهدها تاريخ العراق السياسي والتي تمتد من عام (١٩٢١- ١٩٢٣) فالبدء بعام ١٩٢١ راجع إلى أن هذا

التاريخ يمثل قيام الدولة العراقية ودور السياسة البريطانية في تشكيلها وموقف علماء الدين من هذه السياسة ،أما عام ١٩٢٣ فهو نهاية هذه الدراسة إذ شهد هذا العام موقف علماء الدين من الانتخابات المجلس التأسيسي،ومن ثم تسفير العلماء خارج العراق بسبب موقفهم المعارض من السياسة البريطانية في تمرير المعاهدة العراقية البريطانية.

قسم البحث الى عدة مواضيع رئيسية هي: الإستراتيجية البريطانية في تشكيل الحكومة العراقية المؤقتة،لقد كان لعلماء الشيعة من المجتهدين دور كبير في تخليص البلاد من الاحتلال البريطاني والضغط عليه بكل الوسائل والتي كان أهمها الإفتاء بالجهاد وقيام ثورة العشرين التي أجبرت البريطانيين على تشكيل حكومة عراقية ،كما مارس فقهاء الشيعة معارضة سياسية من اجل استقلال العراق ولم يقبلوا بحكومة منقوصة السيادة وخاضعة للاطماع الاجنبية،وعلى هذا الاساس طالبت المرجعية الدينية المتمثلة بالسيد ابو الحسن الاصفهاني والميرزا النائيني بالاستقلال أولا حتى تكون الظروف مهيأة لقيام حكومة عراقية حرة بعيدة عن التدخلات الاجنبية.

كذلك تناول البحث الموقف السياسي لعلماء الدين من قيام الدولة العراقية ،وقد تميز هذا الموقف بأبعاده الوطنية والأخلاقية والشرعية الرافضه للاحتلال بكافة أشكاله وعناوينه، ان علماء الشيعة كانوا يؤمنون بضرورة قيام الدولة لحفظ الأمن وتنظيم أمور المسلمين وفق نظرة وطنية مفادها ان يكون العراق دولة وطنية مستقلة يرأسها حاكم عربي مسلم يعمل على تحقيق العدالة الاجتماعية بين افراد الشعب بعيدا عن الطائفية والحزبية والعنصرية، كانت هذه الرؤيا تستند الى فكر سياسي يرى ان قيام دولة عراقية لابد ان يكون في حدود إيجاد حكومة

سياسية مستقلة مقيدة بدستور تعمل على حفظ النظام،ومن هنا كافح علماء الشيعة وأصروا على الاستقلال ورفض كل من السيد ابو الحسن الاصفهاني والميرزا النائيني تنصيب فيصل كملك على العراق قبل تحقيق الاستقلال الكامل للعراق لان ظروف الانتداب لا تنشأ حكومة وطنية مستقلة منبثقة من الارادة الوطنية العراقية، في وقت كان هناك من يرى صعوبة ان يحصل الاستقلال دون ان تحقق بريطانيا مصالحها التي جاءت من اجلها، لذلك يجب التعامل مع الاحتلال البريطاني كأمر واقع لا مفر منه .

كذلك سيتطرق البحث الى المعارضة السياسية لعلماء الدين من اجل الاستقلال ١٩٢٢ – ١٩٢٣ وفي هذا الموضوع سنبين ان بريطانيا ارادة ان تبقي العراق تحت هيمنتها الاستعمارية من خلال عقد معاهدة لا تختلف كثيرا عن بنود الانتداب فرضت على الحكومة العراقية،واجه فقهاء الشيعة هذه السياسة بإصدار فتاوى تحرم الانتخابات التي كان من المقرر إقامتها من اجل انتخاب المجلس التأسيسي الذي سيأخذ عل عاتقه تصديق المعاهدة العراقية البريطانية،وقد أدركت المرجعية الدينية أنه لا يمكن ضمان نزاهة الانتخابات في أجواء كانت مشحونة برغبة الحكومة العراقية بتصديق المعاهدة ،أن فتاوى التحريم كانت فتاوى شرعية ذات أبعاد وطنية تحمل في مضامينها المصلحة العراقية كذلك تعمل على استنهاض الجماهير وتحشيدهم كقوة معارضة يمكن الضغط من خلالها على الحكومة من أجل الغاء المعاهدة،كانت نتيجة هذه المعارضة ان قامت الحكومة العراقية وفي الأول من تموز ١٩٢٣بتسفير الشيخ محمد مهدي الخالصي والسيد أبو الحسن الأصفهاني والميرزا النائيني وعدد من العلماء ليبلغ مجموعهم تسعة من العلماء وبذلك تكون الحركة المعارضة قد ماتت في مهدها بعد ان ابعد عنها قادتها.

اعتمد البحث في معلوماته التاريخية على جملة من المصادر تنوعت في مادتها واختلفت في أهميتها ، تقف في مقدمتها الوثائق العربية والأجنبية المنشورة وغير المنشورة، أما الوثائق العربية غير المنشورة فتمثلت بوثائق وزارة الداخلية المحفوظة في دار الكتب والوثائق بالمكتبة الوطنية في بغداد وأما الوثائق الأجنبية فتمثلت بوثائق سجلات وزارة الخارجية البريطانية (Foreign ٠ffice) المحفوظة في دار الكتب والوثائق ،وفيما يخص الوثائق المنشورة فتم استعمال الوثائق البريطانية المنشورة والمترجمة في كتاب ((العراق في سجلات الوثائق البريطانية ١٩١٤-١٩٦٦))، أما ما يتعلق بالوثائق العربية المنشورة،فشملت الوثائق العراقية المنشورة في الكتاب الوثائقي((الثورة العراقية الكبرى١٩١٤- ١٩٢٣،كذلك أعتمد البحث على مجموعة من الكتب العربية وبعض الاطاريح العلمية والكتب الاجنبية والمجلات العلمية والصحف العربية.

وأخيرا يمكن القول إن هذه الدراسة هي خطوة متواضعة في طريق البحث الأكاديمي ، ويأمل الباحث أن تكون محاولة جادة في تسليط الضوء على صفحة مهمة من تاريخ العراق السياسي وفي ختام الكلام الحمد والثناء للّه رب العالمين والصلاة والسلام على خير أنبيائه محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين .

- الإستراتيجية البريطانية في تشكيل الحكومة العراقية المؤقتة

شكلت ثورة العشرين ضغطاً كبيراً على القوات البريطانية وكبدتها خسائر كبيرة جعلت الرأي العام البريطاني مضطرباً لدرجة أخذت الصحف البريطانية تطالب الحكومة بوجوب الجلاء عن العراق وإيقاف الخسائر التي تكبدتها هناك، وقد أثرت هذه الضجة على الأوساط الحكومية ، لاسيما وان نفقات الاحتلال في العراق كلفت دافعي الضرائب في((١٩١٩ - ١٩٢٠)) ٨٠ مليون جنيه إسترليني

وحتى بداية عام ١٩٢١ بلغت مصاريف الاحتلال ١٠٠ مليون جنيه إسترليني كل ذلك دفع الإدارة البريطانية من تغيير سياستها في العراق بما يتناسب مع المرحلة المقبلة.(١)

عين برسي كوكس (percy) Cox) ليتولى إدارة العراق كمندوب سامي بعد انهاء خدمات السير ارنولد ولسن (A. T. Wilson) (٢)ليأخذ على عاتقه مسؤولية قيام حكومة عراقية مؤقتة تمهيداً لتأسيس الدولة العراقية، ومن هنا بدأت مرحلة جديدة من تاريخ العراق السياسي ولون جديد من السياسة الاستعمارية البريطانية في العراق يعطي ظاهر السلطة للعراقيين من اجل مصادرة الثورة والالتفاف على أهدافها وتبقى السلطة الحقيقية بيد البريطانيين (٣)

كانت هذه السياسة هي أفضل ما توصلت إليه الإدارة البريطانية لإبقاء مصالحها محفوظة في العراق دون ان تكلفها شيء، في وقت أنها تدرك ان بقاءها كقوة عسكرية لا يمكن ان يستمر طويلاً(٤).

هذه السياسة لم يكن مراجع الشيعة يقبلوا بها للأمر الذي أنتج معارضة سياسية طالبت باستقلال العراق و مثلت الإرادة الحقيقية للوطنيين العراقيين لبناء دولة وطنية مستقلة بعيدة عن الهيمنة البريطانية بالمقابل كان هناك اتجاه سياسي مغاير مثله عبد الرحمن النقيب وطالب النقيب (٥)والضباط القوميين وبعض الشخصيات السياسية ، يرون ان من الصعب الوقوف بوجه بريطانيا لتحصيل الاستقلال ، كما ان من الضروري مسايرتها والاعتماد عليها في قيام الدولة العراقية وليس من الصحيح معارضتها والوقوف بوجهها ، فمثلاً نجد ياسين الهاشمي(٦) وناجي السويدي(٧) ونوري السعيد قد بينوا آرائهم منذ أيار ١٩١٩ في لقاء جمعهم مع ولسن والمس بيل في لندن كشفت عنه الأخيرة حينما ذكرت ((قام السادة

المذكورون بطرح أفكارهم فيما يتعلق بمستقبل بلاد المسلمين ما بين النهرين وهي آراء لم تكن معتدلة وعقلانية فحسب بل كانت تصب في إطار برنامجنا العام نقوم باعتماده حالياً)) (٨).

ان هذه الفهومات والآراء شكلت فيما بعد الأساس الفكري والسياسي لنشوء الدولة العراقية والتي سيصطدم بها مراجع الدين الشيعة بسبب الاختلاف في الأفكار والرؤى في معاملة الهيمنة البريطانية وبناء الدولة العراقية .

كما ان بريطانيا ووفقا لما تقدم كانت أمام مشهد سياسي مختلف تماماً يتكون من اتجاهين مختلفين سياسيا وفكريا اتجاه مثله علماء الدين طيلة السنوات الماضية (١٩١٥ ، ١٩١٨ ، ١٩٢٠) لا يقبل بقيام دولة في ظل الانتداب إلا بعد تحقيق الاستقلال الناجز و التام ،واتجاه مثله من كان يُحسب على الاتجاه القومي الذي ادعى ضرورة التعامل مع بريطانيا في بناء الدولة العراقية .

وبطبيعة الحال فان بريطانيا ليس أمامها إلا التعامل مع الاتجاه الذي يقبل ان يتعامل معها ولذلك قرر برسي كوكس ان يؤلف حكومة محلية من العراقيين الموالين لبريطانيا والذين وقفوا من الثورة الموقف المعارض لها على ان تكون هذه الحكومة تحت الإدارة البريطانية المباشرة ، ويكون لها مستشارون بريطانيون يسيرونها على النحو الذي يحقق الأهداف البريطانية في العراق ، (٩)

وفي ٢٥ تشرين الأول ١٩٢٠ استطاع كوكس تشكيل الحكومة العراقية المؤقتة برئاسة عبد الرحمن النقيب وثمانية وزراء مع مجلس استشاري ممن يتوخى منهم تحقيق الأهداف السياسية من الوجوه والأشراف، وكان عددهم اثني عشر شخصاً ليكونوا وزراء بلا وزارة بمساعدة المس بيل ليشكلوا مجلسا استشاريا

لمجلس الوزراء ، ولكي تضمن الإدارة البريطانية سيطرتها على المواقف الإدارية كافة فرضت على كل وزير عراقي مستشاراً بريطانياً (١٠) .

وبهذه الطريقة التي تم بها إنشاء الحكومة المؤقتة لا يمكن ان نصف هذه الحكومة بأنها وطنية وإنما بريطانية بامتياز ولكن بواجهة عراقية أو كما قال عبد الرزاق الحسني ((أما الوزارة كلها فكانت واجهة عربية تدار بعقول بريطانية يتولى السير برسي كوكس إدارة سكانها متى شاء وحيث شاء)) (١١).

وعلى هذا الأساس فان من الصعوبة استساغة هكذا حكومة للاعتبارات أهمها ان من يعمل فيها لا يمثل إرادة الشعب العراقي وإنما الإدارة البريطانية ، كما ان تشكيل هكذا حكومة لا ينبئ بان الإرادة البريطانية جادة في بناء دولة عراقية مستقلة تمثل مصلحة العراقيين حتى يمكن مجاراتها إلى حين تشكيل هذه الدولة .

كان علماء الدين أمثال شيخ الشريعة الأصفهاني(١٢) الذي ترأس المرجعية بعد وفاة الميرزا محمد تقي الشيرازي(١٣) وبقية العلماء كانوا واعين ومدركين من ان بريطانيا تريد ان تلتف على مطالب وأهداف الثورة والتي أهمها الاستقلال التام للبلاد، وحذروا من ان تنطلي على الناس عملية إبدال ولسن وإعادة كوكس إلى العراق ، كما واجه علماء الدين في الكاظمية الحكومة المؤقتة بالمعارضة وطالبوا بتأليف حكومة منتخبة من قبل الشعب ، ولما انتهت الثورة وعقد الصلح مع البريطانيين في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٠ كان احد شروط الثوار هو ان يكون للعراق حكومة عربية مستقلة في وقت ان الحكومة المؤقتة لم يمض عليها أكثر من شهر ، وهذا دليل على عدم القناعة بهذه الدولة دون ان تكون هناك حكومة

وطنية مستقلة[١٤]،من جانب آخر واصل شيخ الشريعة قيادة المعارضة والتحريض ضد الاحتلال والانتداب حتى وفاته في كانون الأول ١٩٢٠ .[١٥]

تشكلت الحكومة العراقية المؤقتة ولكن بلون طائفي واحد وإستراتيجية بريطانية طويلة الأمد خطط لها البريطانيون ونفذها السياسيون العراقيون من العلمانيين القوميين الذين اتخذوا من القومية شعاراً لهم في محاربة أتباع الفكر الإسلامي الذي طالما وقف بوجه السياسة البريطانية طيلة مدة الاحتلال (١٩١٤-١٩٢٠)،هذه المقاومة هي التي حتمت على صانع السياسة البريطانية في العراق ان يبعد فقهاء الشيعة عن بناء الدولة لأنه لا يمكن ان يتصور تحقيق المصالح البريطانية مع وجودهم[١٦]ولذلك عملت بريطانيا على تأسيس سلطة بعيدا عن ارادة المرجعية الدينية في العراق وقد أشارت المس بيل وهي مهندسة السياسة البريطانية في العراق إلى هذه الحقيقة من ان بريطانيا ارادة للسلطة في العراق ان تكون بهذه الطريقة ((لتفادي قيام دولة يديرها المجتهدون تعتبر شراً ما بعده شر))[١٧] وعليه تبنت بريطانية سياسة إذكاء الطائفية في العراق من اجل تحقيق مصالحها ، فأخذت تصور لبعض السياسيين السنة ان قيام دولة يحكمها الشيعة هو شر يحيط بهم عملت هي على تخليصهم منه و هي بذلك قد جملتهم بصنيعها هذا ، و يؤكد هذا المعنى مسؤول بريطاني في قوله : ((إن للأجيال اللاحقة من ساسة العراق السنة أن يقدروا الجميل الذي يدينون به للبريطانيين في إنقاذهم من النجف الشيعة)) [١٨] ، وبذلك تكون بريطانيا قد نقلت الصراع من صراع عراقي - بريطاني إلى صراع العراقيين فيما بينهم .

هذه الإستراتيجية اسماها حسن العلوي بـ((الضد النوعي)) استخدمتها بريطانيا بعد الثورة وهي عبارة عن ضرب العراقيين مع بعضهم البعض من خلال تأسيس حكومة

يرأسها ((محمدي)) كما يسمونه تقف بمواجهة فقهاء الشيعة وتعمل على إبعادهم عن الساحة السياسية لتخليص بريطانية من مشكلة الاصطدام المباشر بهم (١٩)، وقد وجدت بريطانيا ضالتها في بعض السياسيين الذين لا يلتزمون بآراء المراجع من علماء الدين بحجة ان العلماء دائماً يحولون دون إقامة دولة في العراق لأنهم أصحاب فكر ديني لا يؤمن إلا بدولة يكون الإمام الشرعي هو حاكمها (٢٠).

وبطبيعة الحال فإن هذا الكلام على إطلاقه غير صحيح ، فعلى المستوى الفكري فإن الشيعة على الرغم من إيمانهم بأحقية أئمتهم في الحكم عبر التاريخ ، إلا أنهم وفي زمن الغيبة يؤمنون كأي عاقل بضرورة قيام الدولة لحفظ الأمن وتنظيم أمور المسلمين،أما على مستوى موقفهم السياسي فهذا واضح لأنهم الجهة الوطنية الأبرز في الساحة السياسية العراقية التي طالبت وجاهدت من اجل ان يكون العراق دولة وطنية مستقلة يرأسها حاكم عربي مسلم و حركتهم الاستقلالية التي توجت بثورة العشرين خير شاهد على ذلك .

وقد دفع الشيعة ثمن جهادهم هذا إذ ابعدوا عن السلطة وكما ذكر الكاتب هنري فوستر ((وان الشيعة بثورتهم عام ١٩٢٠ يتحملون وزر قيام هذه الدولة حيث طغت مشاعرهم القومية على الحقائق الموضوعية وقد كانوا بالنتيجة ضحية تلك العواطف حيث لا يزالون يعانون منها حتى اليوم))(٢١)

لقد كانت هناك عدة أمور تحكمت في ذلك الوقت بالمعادلة السياسية لتفضي إلى نتائج سلبية لا تتكافأ مع ما قدمته الشيعة من تضحيات ، وكان أبرزها هو طبيعة الفكر السياسي الشيعي وما يمتلكه من موقف أخلاقي وشرعي رافض للاحتلال بكافة أشكاله وعناوينه ،وهذا الموقف لا يمكن التخلي عنه مهما كانت الظروف واختلفت المصالح ، كما ان من اتخذ طريق المواجهة مع بريطانيا لم يستطع

ان يكون مرناً في إيجاد موازنة بين ما هو ثابت من مبادئ وما هو متغير من مصلحة تؤمن بها الحقوق ، لاسيما وان علماء الشيعة لم يكونوا يتصورون أو يؤمنون ان تكون هناك دولة وطنية مستقلة في ظل الاحتلال ،ومن هنا كافحوا وأصروا على الاستقلال في وقت ان هناك من أدرك صعوبة ان يحصل الاستقلال دون ان تحقق بريطانيا مصالحها التي جاءت من اجلها، لذلك تعاملت مع الاحتلال البريطاني كأمر واقع ما دامت السلطة تؤول إليهم،هذا الاختلاف في الرؤى اضعف المعارضة الوطنية العراقية فلم تكن لتستمر في حركتها لتحقيق الاستقلال ما دام هناك من يتعامل مع البريطانيين وفق نظريته في بناء الدولة.

ليس هناك من ينكر ان ثورة العشرين هي التي أجبرت البريطانيين بتشكيل حكومة عراقية فهذه هي المس بيل الناطق الرسمي باسم حكومة الاحتلال تقول: ((لم يكن يدور بخلد أحد، و لا حتى حكومة صاحب الجلالة ان يمنح العرب مثل الحرية التي سنمنحهم إياها الآن كنتيجة لثورة ١٩٢٠)) (٢٢).

وبذلك يتبين ضرورة ما قام به علماء الشيعة من ثورة شكلت قوة ضاغطة على الإدارة البريطانية لتجبرها على إنشاء حكومة وطنية ، ولم تكن الحكومة المؤقتة التي شكلها النقيب والتي أسست إلى قيام الدولة العراقية فيما بعد منحة أعطتها بريطانيا بالمجان وإنما انتزعت منها بثمن كان هذا الثمن دماء الشيعة وإقصاؤهم من الحكم ، ولكن الثمن كان أغلى من المثمن لان قيام حكومة وطنية بمقاسات بريطانيا لا يعني تبديل سياسة بريطانيا الاستعمارية وعلى قول آيرلاند ((ان سياسة حكومة الجلالة البريطانية الأصلية لم تتبدل وان سياستها المقبلة قد تبدلت في أساليب تطبيقها وليس في جوهرها بنتيجة نشوب الثورة)) (٢٣) .

إلا أن علماء الدين في واقع الأمر لم يكونوا يقصدوا في جهادهم وبذل دماؤهم أنشاء حكومة تكن أداة طيعة بيد الإدارة البريطانية وإنما كانوا يتطلعون إلى حكومة وطنية يشترك فيها الجميع ،وسبق وان اظهروا ذلك حتى بعد ان شكلت بريطانيا الحكومة المؤقتة إذ طالب رجال الثورة أمثال جعفر ابو التمن والسيد نور الياسري والسيد ابو طبيخ برسالة بعثوا بها إلى الأمير عبد الله بن الحسين في ١ شباط ١٩٢١ جددوا فيها رغبتهم في تشكيل حكومة يرأسها الأمير عبد الله وأعلنوا رفضهم لحكومة عربية وصفوها بـ ((الكاذبة)) رجالها صنيعة بريطانيا ليس بيدهم حل و لا عقد يمقتهم الوطن والشعب . (٢٤)

- الموقف السياسي لعلماء الدين من قيام الدولة العراقية :

لم تكن مسألة رفض الشعب العراقي الحكومة المؤقتة غائبا عن الإدارة البريطانية بعد ان أصبحت حديث الناس وسخريتهم في المجالس العامة، لذلك سعت بعد اكتمال الوزارة النقيبية كمرحلة انتقالية في الحكم إلى إكمال مشروعها وهو إدارة العراق من قبل حاكم عراقي مؤيد من قبل الشعب و يضمن عقد معاهدة تصاغ في بنود الانتداب بشكل يحفظ المصالح البريطانية في العراق ويكون هذا الحاكم هو الراعي لها، وبهذه الإستراتيجية تقلل بريطانيا من نفقاتها في العراق وتتجنب عداء الشعب لها .(٢٥)

كانت بريطانيا ترى ان احد أنجال الشريف حسين وبالتحديد فيصل هو الخيار الأفضل لتولي عرش العراق مع وجود عدة مرشحين (٢٦)لهذا المنصب، ومنذ أواخر تموز ١٩٢٠ كانت وزارة الخارجية البريطانية مهتمة بأن يكون فيصل هو ملك العراق في حالة ان حكومة جلالة الملك منحت العراقيين حكومة وطنية ،وقد كتبت بهذا الشأن إلى الحاكم المدني بالوكالة ولسن و طلبت منه ان يهتم بالموضوع ،وفي برقية

جوابية له ذكر ان فيصل مقبول لدى العراقيين كما انه يدرك جيدا صعوبة إدارة حكومة عربية دون الاعتماد بشكل كبير على الحكومة البريطانية لاسيما بعد طرده من سوريا فضلا عن إخلاص عائلة الشريف حسين لبريطانيا أثناء الحرب، كما ان منح فيصل عرش العراق سيعيد اعتبار بريطانيا في أعين العرب(٢٧) ،وفي تقرير لوزارة الحربية ذكر فيه أهمية اختيار فيصل لعرش العراق كونه يمتلك تجربة في الوسائل الإدارية البريطانية وبوسعه ان يحكم العراق بالتعاون معها أفضل من أي شخص آخر ، كما انه مقبول من قبل الشعب العراقي .(٢٨)

وعلى هذا الأساس تقرر في مؤتمر القاهرة والذي عقد للمدة ١٢-١٤ آذار ١٩٢١ ان فيصل هو أفضل من يحكم العراق بعد مناقشة جميع الأسماء المرشحة لتولي العرش ، كما تم التأكيد على ضرورة العمل لضمان أفضل فرصة ممكنة لاختياره ولكن دون تدخل مباشر من قبل الحكومة البريطانية ، وإنما يجب ان يتم اختياره من قبل الشعب العراقي بعد مجيئه للعراق ، كما ان من غير المرغوب فيه ان يقوم فيصل بحملة انتخابية وإنما يدخل العراق على أمل قبوله بشكل عفوي (٢٩).ويبدو ان بريطانيا كانت متخوفة من ان يرفض فيصل من قبل العراقيين تحديا لهم ان هم فرضوه عليهم .

من جانب آخر كان الساسة البريطانيين مهتمين بما إذا كان فيصل مقبولا عند المرجعية الدينية أم لا ، وفي تقرير لوزارة الحربية البريطانية بين ان موقفهم من قبل كان مُطمئنا فزعماء الشيعة من رجال دين ورؤساء قبائل طالبوا بأحد أنجال الشريف حسين ليكون ملكا ً على العراق في استفتاء ١٩١٩ ، وقد تجددت المطالبات أثناء الثورة وهذا ينبأ بقبول فيصل إجمالا ، كما انه مع كونه سني

الاعتقاد إلا أن انتماءه لسلالة النبي محمد وهم أئمة الشيعة يجعل منه شخصية مقبولة حسب الظاهر (٣٠).

ومما عزز هكذا قناعات عند عوام الشيعة شخصية فيصل نفسه حيث كانت منفتحة على جميع المذاهب، فبعد دخوله العراق في حزيران ١٩٢١ اخذ يتودد إلى الشيعة ومع انه كان سني المعتقد قومي الفكر إلا انه يجيد التحدث مع الشيعة بطريقة ضمن فيها خطاباته الدينية عبارة تنم عن ولائه للنبي وأهل بيته وانه من سلالتهم ويسير بهداهم حتى انه زار الأئمة (عليهم السلام) في النجف وكربلاء بمجرد دخوله العراق وقبل ان يصل إلى مركز إمارته في بغداد (٣١).

إلا أن كل ذلك لا يمكن ان يولد قناعة عند علماء الشيعة ومفكريهم فليست المسألة بهذه البساطة حتى يمكن القبول بها بأدلة واهية وإنما هي مسؤولية شرعية تحتاج إلى قناعة خاصة مبنية على أسس علمية في تحديد الموقف الشرعي تجاهها، وسوف نبسط البحث في هذه المسألة بشكل أوسع عما تناولناه في استفتاء عام ١٩١٩ لنقف بشيء من التحليل نستجلي به حقيقة الموقف التاريخي والسياسي للفكر الشيعي تجاه تنصيب فيصل ملكا على العراق وقيام الدولة العراقية .

رجوعا إلى استفتاء ١٩١٩ نجد ان المطالبة من قبل علماء الدين بأحد أنجال الشريف حسين ليكون ملكا على العراق قد كشف عن تبني الفكر السياسي الشيعي للنظام الملكي وبقي هذا المتبني حتى بعد دخول فيصل إلى العراق رغم ان هناك من الفقهاء من رفض هذا التنصيب - كما سنبين - إلا انه لم يرفض النظام الملكي فالجميع متفق على هذا النظام ، وبذلك فان فكرة الملكية كانت هي الرائجة مع ان هناك من طرح فكرة الجمهورية ، إلا إنها رفضت بحجج كثيرة منها : ((ان البلاد لا تستطيع ان تهضم الحكم الجمهوري)) ((ان تكون الحكومة ملكية لا

جمهورية لان هذه لا تصلح إلا لشعب راقي)) وقول عبد الواحد سكر ((لسنا أيها السادة أكفاء للجمهورية حتى نختار حكومة جمهورية)) (٣٢).

كان هناك من يؤيد فكرة الجمهورية كنظام أصلح للبلد باعتباره أفضل أنواع الحكم أمثال معروف الرصافي (٣٣) الذي غالبا ما كان ينتقد النظام الملكي على انه ((ثمرة البغاء السياسي الانكليزي أبوها الانكليز وأمها الثورة العراقية)) ، كذلك ناجي شوكت كان ممن دعا لفكرة الجمهورية ورفض النظام الملكي حتى انه لم يبايع فيصل ملكا ً على العراق ولم يحضر حفل التتويج ، كما ان طالب النقيب كان هو أيضا من المتحمسين للنظام الجمهوري لضرب بناء الملكية الشريفية في العراق من اجل الوصول إلى الحكم من خلال التسلق عبر فكرة الجمهورية وكان ينشر بين أوساط المثقفين أهمية ان يكون الحكم في العراق جمهوريا وان فيصل وأعضاء البيت الهاشمي غرباء عن العراق ولا حق لهم في حكمه (٣٤).

لم يكتب لهذا التوجه في إقامة نظام جمهوري في العراق النجاح ؛ لان سلطات الاحتلال قاومت فكرة الجمهورية ولم تفسح لها المجال للتعبير عن نفسها لذلك كانت أساليب دعوتها تقتصر على التبشير بآرائهم في بعض المنتديات والصحف والمجلات(٣٥) ، أما بالنسبة لعلماء الدين الشيعة فإنهم لم يناقشوا فكرة الجمهورية ولم يدعوا لها ويبدو ان ذلك راجع لعدة أمور أهمها : التخوف من النظام الجمهوري من انه يعطي صلاحيات واسعة للحكام ولا يمكن تقيده وبالتالي يؤدي إلى الاستبداد ، وهذا ما كان يعتقده السيد أبو الحسن الأصفهاني (٣٦) والميرزا النائيني(٣٧) ، وقد كان هذا الاعتقاد سائدا بين أوساط المجتمع حتى ان جريدة الاستقلال البغدادية ردت على هذا الاعتقاد في احد أعدادها قائلة:((ولو فكرت في كلا الطرفين لرأيت ان رئيس الجمهورية ليس إلا عبارة عن ملك يتقلد الأمر لمدة

معلومة فتنتهي ملوكيته بانتهاء تلك المدة ويصبح كأحد أفراد الأمة ويتسنم موقعه منتخب آخر وهذه الملوكية المؤقتة أحسن بكثير من الملوكية الإرثية لان الأمة لا تنتخب إلا الذي تعتقد فيه الأهلية والطراز الآخر تابع لما تلد البطون)) (٣٨).

كما ان فقهاء التشيع أساسا اعرضوا في أبحاثهم الفكرية ومصنفاتهم الفقهية عن التحدث عن النظام الجمهورية كأحد أنظمة الحكم السياسي ، وحتى حينما جاء المفكر الإسلامي النائيني وهو ممن كتب في الفقه السلطاني لم يتطرق في أبحاثه إلى النظام الجمهوري وإنما بين موقف الفكر السياسي الشيعي من قيام الدولة في حدود وجود سلطة وحكومة سياسية تحفظ النظام ومقيدة بدستور سواء كانت السلطة قائمة بفرد ام مؤسسة جماعية وسواء جاءت عن طريق الوراثة كالنظام الملكي ام بالانتخاب كالنظام الجمهوري . (٣٩)

وبعد المطالبة بأحد أنجال الشريف حسين كملك على العراق يكون علماء الشيعة قد تبنوا النظام الملكي بشكل عملي ، إلا أنهم اختلفوا في مسألة ترشيح فيصل فلم يكن موقفهم موحدا وانقسموا إلى اتجاهين مختلفين مثل الاتجاه الأول اثنين من كبار مراجع النجف هما السيد أبو الحسن الأصفهاني والشيخ الميرزا محمد حسين النائيني ، وقد رفض هذا الاتجاه ترشيح فيصل أو أي مرشح آخر في ظل الانتداب مقدمين بذلك هدف الاستقلال التام وتشكيل حكومة مقيدة ومستقلة عن الأجنبي على إي هدف آخر ، أما الاتجاه الثاني فكان مؤيدا لترشيح فيصل و مثله ابرز علماء الكاظمية وهما الشيخ محمد مهدي الخالصي(٤٠) والسيد محمد الصدر(٤١) وكان الأخير مرافقا لفيصل في سفرته أثناء مجيئه إلى العراق (٤٢)

ومع ان أصحاب هذين الاتجاهين كانت لهما آرائهما الخاصة في تقدير الأوضاع ، إلا أن نتيجة الاختلاف في ما بينهم كشفت عن عدم وجود رؤية موحدة لعلماء الدين في كيفية ان تحصل الدولة على استقلالها لتكون في مأمن من مخططات الأعداء

،فالسيد ابو الحسن الأصفهاني والميرزا النائيني يصرون على تحقيق الاستقلال قبل قيام أية حكومة ويبدو ان وجود هكذا حكومة عندهم يعطي للانتداب بشكل غير مباشر الصفة القانونية ، لاسيما وان فيصل صاحب علاقات قوية مع بريطانيا وهو مرشحها في مؤتمر القاهرة .

لقد كانت شبهة العلاقة مع بريطانيا تمثل هاجسا وقلقا ً للشيعة فهم غالبا ما كانوا ينظرون بشك وريبة الى كل قضية تقف وراءها بريطانيا ، حتى ان علي الوردي كان يرى ان الوطنيين من الشيعة حينما اختاروا ملكا شريفيا لعرش العراق كان ذلك تحديا لبريطانيا التي كانت غير راغبة في ذلك الوقت ولو كانت راغبة في هذا الاختيار يوم ذاك لكان جواب رجال الثورة بالضد منه (٤٣)وفي موضع آخر ينقل الوردي كلام للمس بيل يؤكد ما ذكره ، فهي ترى ان الشيعة كان يهتفون لأبناء الشريف حسين لأنهم يعدونهم خلاف رغبة بريطانيا إلى ان تقول : ((ان فيصل حين يأتي ويسير معنا جنبا إلى جنب سوف لا يكون شخصا محبوبا)) (٤٤).

وللفقيه السيد حسن الصدر والد محمد الصدر كلام في احد مجالسه في الكاظمية يُقيم فيه فيصل فذكر ان الأخير كان له مؤهلات من حيث النسب رجل يليق به ان يكون محط آمال العرب وأمانيهم إلا أن علاقته وصلاته مع البريطانيين هي التي أفسدته (٤٥) ومن خلال هذا التصور نجد ان ثقافة العداء لبريطانيا وعدم الثقة بها والتعامل معها كانت من أهم أدبيات الفكر السياسي الشيعي وهي الحاكمة في تقييم الأمور، وهي ثقافة لها مبرراتها الموضوعية فهي ليست نظرة دينية فقط تجعل من بريطانيا دولة كافرة لا يمكن التعامل معها وإنما هي أيضا دولة محتلة تعمل لتحقيق مصالحها على حساب مصالح الوطن فيجب الوقوف بحذر من مخططاتها وعدم الوثوق بها .

ولم تكن هذه النظرة غائبة عن الاتجاه الموافق لترشيح فيصل والذي مثله الشيخ محمد مهدي الخالصي ،فالأخير كان يعلم مدى علاقة فيصل مع بريطانيا لذلك جعل الخالصي بيعته لفيصل مشروطة على ان يبايع فيصل ملكا على العراق مستقلا منقطعا عن أي سلطة أجنبية وإلا فعلى فيصل ان يغادر العراق ويترك العراقيين مع البريطانيين حتى يأخذوا حقهم ، وقد وافق فيصل وبايع الشيخ، وقد كتبت هذه البيعة في ٧ ذي القعدة ١٣٣٩ / ٢تموز ١٩٢١ وجاء فيها : ((الحمد للّه الذي نشر لواء الحق على رؤوس الخلق فأيدهم بالنصر برياسة من حازه الشرف والفخر الملك المطاع الواجب له علينا الإتباع الملك المبجل عظمة مليكنا فيصل الأول..فأحكموا بيعته بالسر والجهر على ان يكون ملكا على العراق مقيد بمجلس نيابي منقطعا عن سلطة الغير مستقلا معه بالنهي والأمر وللّه الأمر))(٤٦).

وذكر الشيخ محمد محمد مهدي الخالصي(٤٧)ان والده علل بيعته لفيصل بقول مفاده ان طرد فيصل قبل ان يبدر منه ما يخالف استقلال العراق كان أمرا مستحيلا لأسباب أهمها : ان العراقيين لم تبق فيهم القوة لتنفيذ هذا الأمر، كما أنهم لا يحيطون بحقيقة الأمر وبنية فيصل فطرده بدون حجة قبل ان يبدر منه ما يخالف استقلال العراق يكون الخالصي مضيعا للاستقلال العراق في نظرهم لا سيما وان بريطانيا ستستغل ذلك وتظهر للرأي العام العالمي ان العراقيين غير راغبين بالاستقلال ولا يريدون إلا الحكم البريطاني المباشر ،وليس لهم في ذلك اليوم القدرة على بيان حقيقة الأمر وإظهاره ، وحتى لا يبايع العراقيين فيصل بالملوكية مطلقا جاءت البيعة المشروطة فان نفذ فيصل الشرط وهو المحافظة على استقلال العراق كان المطلوب وان خالف كانت الحجة قائمة على طرده (٤٨) .

وهناك من يرى ان الشيخ الخالصي وجد ان تنصيب فيصل ملكا على العراق حقيقة واقعة، وان بريطانيا عازمة على تنفيذها وفي ضوء هذه الحقيقة يكون من الأفضل تقييده بشروط تتعلق باستقلال العراق فإذا لم يلتزم بها سقطت البيعة (٤٩).

ومن خلال ما تقدم يظهر ان الشيخ مهدي الخالصي غير مقتنع بتنصيب فيصل وانه فرض كأمر واقع وعلى ضوء هذه الصور نطرح عدة ملاحظات :

أولا : ان الشيخ الخالصي من العلماء الذين طالبوا في استفتاء ١٩١٩ بحكومة عربية يرأسها احد أنجال الشريف حسين ، وقد جدد الشيخ الخالصي في نيسان ١٩٢١ - اي بعد مؤتمر القاهر الذي اختير فيه فيصل ملكا لعرش العراق - موقفه عندما كتب هو ومجموعة من رجال الدين إلى الشريف حسين يطلب منه إرسال ابنه فيصل ليكون ملكا على العراق مقيدا بمجلس نيابي ولما امتنع موظف دائرة البريد من استلام البرقية(٥٠) أصر الشيخ الخالصي على إبراقها ، وكتب بذلك إلى نوري السعيد يطلب منه ان يساعده في إيصال البرقية (٥١) وقد استجاب السعيد وكتب للشيخ الخالصي ان الحكومة البريطانية لا تمانع من إرسال البرقية وان دوائر البرق مستعدة لقبول البرقيات (٥٢)وعلى هذا الأساس أوعز الخالصي للناس بإرسال البرقيات الى الشريف حسين وأخذت البرقيات من مختلف أنحاء العراق تصل بشكل لم يسبق له مثيل (٥٣).

وبذلك يتضح ان مبايعة الشيخ الخالصي لفيصل لم تكن من باب الأمر الواقع كما صور وإنما كانت عن قناعة وعن قصد ولو لم تكن كذلك لما كاتب الشيخ الخالصي للشريف حسين ان يبعث فيصل للعراق ليكون ملكا وما بين البيعة والمكاتبة إلا ثلاثة أشهر تقريبا ، إلا إذا قلنا ان خلال هذه المدة حصل مستجد غيّر من قناعة الشيخ الخالصي ، إلا انه لم يتبين ذلك .

ثانيا : ان بيعة الشيخ الخالصي وان كانت شرعية إلا إنها لم تأخذ الصفة القانونية فالناس لم يبايعوا فيصلاً على أساسها وإنما على أساس مضابط أعدها كوكس فجاءت خالية من أي شرط اشترطه الشيخ الخالصي في بيعته لفيصل ،وكان تنظيم المضابط والتوقيع عليها يتم بطريقة روتينية فحواها ان يجتمع الناس في كل ناحية أو مدينة فيقوم احد المسؤولين بذكر فضائل فيصل ثم يسال الحاضرين عن الموافقة فيجيبونه بالإيجاب عند ذلك يعرض عليهم مضابط معدة سلفا فيوقعون عليها ليكون الجميع قد بايع فيصلاً ، وقد بدأت عملية تنظيم المضابط والتوقيع عليها أواخر تموز ١٩٢١ وانتهت في ٦ آب حسب ما كان متوقع وجاءت جميعها خالية من أي شرط إلا بعض مضابط بغداد فإنها طالبت ان يكون فيصل منقطع عن سلطات الغير (٥٤).وبذلك نجد ان الغاية التي أرادها الشيخ الخالصي من البيعة وهي ان يبايع الناس بيعة مشروطة لم تتحقق .

ثالثا : ان بيعة الشيخ الخالصي كانت بيعة ألزمت مقلديه في عموم العراق ان يبايعوا فيصلاً فشكلت بذلك دعما شرعيا لفيصل ومنحت حكمه بعداً دينيا مما دعاه إلى نشرها على أوسع نطاق بين العراقيين، فنشرت الفتوى في الصحف وفي منشور خاص بها ، فكان لها التأثير الكبير في إقناع الكثير من المتمردين على بيعة فيصل ، كما وأصبحت حجة شرعية يحتج بها العراقيون في بيعتهم لفيصل (٥٥)، فضلاً عن أنها أضعفت من فعالية المعارضة الدينية السياسية الرافضة للانتداب والتي يمثلها السيد ابو الحسن الأصفهاني الذي أصبح عاجزا أمام هذه البيعة في إصدار أي فتوى من شأنها ان تمنع الناس من مبايعة فيصل (٥٦).

كما يمكن القول ان بريطانيا وفيصل استغلوا الجانب الذي يخدم مصالحهم في فتوى البيعة وتركوا شروط البيعة دون ان يذكروها في مضابط البيعة ، وعليه

فإننا نعتقد ان الشيخ الخالصي لو لم يبايع فيصل لكان أفضل وهذا ما يراه نجله الشيخ محمد محمد مهدي الخالصي (٥٧)وان يكتفي بإصدار فتوى توجيهية فقط تبين للناس انه لا يجوز انتخاب فيصل الا بشروط دون ان يعلن الشيخ مبايعته لفيصل بفتوى تأخذ بعد ذلك بعدا شرعيا يستغله فيصل وبريطانيا لصالحهما .

مثلت بيعة الشيخ الخالصي لفيصل طوراً جديداً في الفكر السياسي الشيعي في العراق لم يشهده الفكر من قبل ولعل هذه البيعة هي أول بيعة يبايع فيها فقيه شيعي لشخص بالملوكية المقيدة في العراق ، لذلك يمكن ان نعد هذه البيعة خروج عن المألوف، فغالباً ما نجد فقهاء التشيع في العراق يبتعدون على ان يلزموا أنفسهم بشيء للحكام فضلا من ان تكون لهؤلاء بيعة في أعناقهم .

ولذلك فان هناك من عاب على الشيخ الخالصي بيعته لفيصل بحجة ان البيعة لا تكون إلا للإمام وبالتالي لا يجوز لزعيم شيعي ان يبايع لرجل عادي مثل فيصل (٥٨)،كما ان البيعة كمسألة فقهية- سياسية- هي من متبنيات الفكر السياسي السني فعلماء السنة ذهبوا إلى أن البيعة هي طريق لتعين الحاكم السياسي وطريق تثبيت ولايته لأمور المسلمين (٥٩).

وهكذا فإن لكل مجتهد وفقيه استنتاجاته الخاصة ورأيه وتقديره للأمور وهذا ما تميز به الفكر الشيعي عن غيره فهو فكر متجدد يؤمن بنظرية الاجتهاد وفق قراءات متعددة للنص الديني ، وفي نص ذكره نجل الشيخ الخالصي وتلميذه محمد مهدي الخالصي ان للفقيه الولاية في إدارة شؤون الأمة وفي كيفية تسيير الدولة فإذا لم يتمكن فعلى الغير ان يتصدى في إدارة شؤون الدولة من باب الولاية الحسبية بما يخدم المجتمع وينظم أموره وهنا يجب طاعته ولكن بشرط ان لا يكون خاضع لقوى ومصالح أجنبية بما يسلب سيادة الدولة ويجعلها خاضعة للغير (٦٠).

وكذلك حاول السيد محمد الصدر ان يقوم بنفس الدور الذي قام به الشيخ الخالصي من إعداد مضابط خاصة بالبيعة وتتضمن رفض الانتداب كشرط في تولي فيصل الحكم ، إلا ان هذه المحاولة فشلت حينما منعت الحكومة ذلك بحجة التأثير على الرأي العام (٦١)،ومن اجل سد الطريق أمام هكذا محاولات تشترط الاستقلال في بيعة فيصل ، سارعت الحكومة بإجراء عملية استفتاء والتي جاءت بنتيجة ٩٦ ٪ لصالح فيصل(٦٢) وهي بالطبع ليست النسبة الحقيقية والدقيقة التي تمثل رغبة جميع العراقيين ، لان العديد من المناطق قد صوت عنها وجهاؤها وشيوخ عشائرها فضلا عن عدم وجود قانون انتخابي يضبط عملية الاستفتاء (٦٣).

وبعد نجاح وفوز فيصل في الاستفتاء اقترح ان يتم تتويجه في يوم ٢٣ آب ١٩٢١ الذي يوافق ١٨ ذي الحجة ١٣٣٩ وهو يوم عيد الغدير الذي توج فيه الإمام علي (عليه السلام) أميرا للمؤمنين ليكون وليا ً وخليفة للرسول محمد (صلى الله عليه واله) ، وتوقيت بيعة فيصل في هذا اليوم لم تكن مصادفة (٦٤)وإنما مقصودة من قبل فيصل أراد بها ان تقترن بيوم تاريخي وعيد مقدس عند الشيعة (٦٥). مع العلم ان فيصل لم يكن من المؤمنين عقائديا ً بهذا اليوم ويبدو انه أراد ان يستميل قلوب الشيعة إلى بيعته.

توج فيصل في ذلك اليوم ليكون ملكا ً على العراق في حفل شكر فيه الحكومة البريطانية وأكد على أهمية الاعتماد عليها في بناء الدولة ،وأشار إلى انه سيعمل على مباشرة الانتخابات لتكوين المجلس التأسيسي الذي يضع دستورا للبلاد ويصادق على المعاهدة التي ستنظم العلاقة بين الحكومة الوطنية والحكومة البريطانية (٦٦).

وبهذا البيان ظهر واضحا ان فيصل لا يمكن ان يحكم البلاد بشكل مستقل دون الاعتماد على بريطانيا وهذا الاعتقاد وان كان منتزعا من الواقع وما يحيط به من ظروف في ذلك الوقت لا يمكن إغفالها إلا انه أيضا مثل توجها فكريا عند الكثيرين من السياسيين العراقيين ومن بينهم فيصل،هذا التوجه ستصاغ على أساسه السياسة العراقية وعلى طول المدة الملكية .

كان هذا التوجه خلاف ما يؤمن به علماء الدين الشيعة فهم يرون ان البلاد لا يمكن ان تبني دولة قوية بمعزل عن الاستقلال فبدونه تصبح مسلوبة الإرادة مستغلة من قبل الغير وقد جلبت لهم هذه الرؤية العداء مع بريطانيين أبعدتهم عن السلطة التي قدموا الاستقلال عليها فلا يبالون أين يكونون منها (٦٧).

- المعارضة السياسية لعلماء الدين من اجل الاستقلال ١٩٢٢ ـ ١٩٢٣

إن تحقيق الاستقلال لم يكن سهلا في ظل عدة تناقضات عاشتها البلاد ،فعند مجيء فيصل كان العراق في وضع هجين يقف في منتصف الطريق بين ((مستعمرة ودولة مستقلة)) فمع وجود دولة ملكية إلا أن العراق ما زال مرهونا للأطماع الاستعمارية في ظل الانتداب البريطاني (٦٨)،أما فيصل فكان اضعف من الموقف فالإدارة البريطانية تريد منه أن لا يتخلف عن سياستها في العراق التي ستنظم في معاهدة لا تختلف كثيراً عن بنود الانتداب وان لا يخالف مشورة المندوب السامي في إدارة البلاد ، في وقت كان عليه أن يظهر أمام شعبه ملكاً حقيقياً يتمتع بكافة الصلاحيات التي تجعله مستقلا عن الغير ويعمل من اجل مصلحة بلاده (٦٩).

كانت موازنة المعادلة عملية صعبة بالنسبة لفيصل لذلك خضع للإرادة البريطانية فهي الأقوى وكان المشهد الأول في خضوعه هو الاستجابة لمشيئة كوكس في

إسناد الوزارة الجديدة إلى عبد الرحمن النقيب والتي تشكلت يوم ١٢ أيلول ١٩٢١ وضمت وزيرا واحدا من الشيعة وهو السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني كوزير للمعارف (٧٠)

كان إبعاد الشيعة عن الحكم قد افقدهم خيار ممارسة دور العمل السياسي المعارض داخل السلطة لتحقيق الاستقلال أما خيار العمل السياسي خارج نطاق السلطة فكانت فعاليته تستلزم تماسك الفقهاء فيما بينهم من جهة و ارتباط القوى الشعبية بهم من جهة ثانية ، إلا ان اختلاف المواقف تجاه تنصيب فيصل قد كشفت ضعف هذا التماسك .

جاءت الفرصة سانحة لتوحيد الجهود ورص الصفوف وإظهار قوة المؤسسة الدينية بعد الضعف الذي أصابها نتيجة فشل ثورة العشرين ، وتمثلت هذه الفرصة بعقد مؤتمر كربلاء اثر هجوم الإخوان الوهابية على بعض القبائل العراقية داخل الأراضي العراقية مسببة خسائر كبيرة في الأرواح والثروات لهذه القبائل ، وقد كشفت هذه الحادثة عن قصور الحكومة العراقية ومن ورائها بريطانيا في حماية الشيعة من الخطر الوهابي ،لذلك قرر فقهاء الشيعة وعلى رأسهم السيد أبو الحسن الأصفهاني والميرزا محمد حسين النائيني والشيخ محمد مهدي الخالصي عقد المؤتمر في كربلاء للمدة من ٨ إلى ١٣ نيسان ١٩٢٢ ،وتم بعث عدة برقيات إلى مختلف الشخصيات الدينية والعشائرية والسياسية ،كما وجهت دعوى للملك فيصل لحضور المؤتمر فوافق،وفي اليوم المحدد تم عقد المؤتمر إلا ان الملك فيصل لم يحضر المؤتمر واعتذر عن المجيء بعد ان أرسل وزير الداخلية توفيق الخالدي يمثله في المؤتمر (٧١).

كان سبب الامتناع هو الضغط الذي مارسه كوكس على الملك لأنه يرى حسب ما وصلته من معلومات استخبارية أفادت ان الدفاع ضد هجمات الإخوان ليس سوى حجة

ظاهرية وانه ليس هو السبب الحقيقي للاجتماع ، والمضنون ان هذا الحراك في الواقع ما هو إلا اعتراض على مفاوضات المعاهدة حول موضوع الانتداب وان ترغيب الملك للحضور إلى المؤتمر في كربلاء هو من اجل إجباره ان يطلب باسم المؤتمرين الاستقلال التام والفوري من الحكومة البريطانية (٧٢)، وقد أكد صحة هذه المعلومات الشيخ محمد محمد مهدي الخالصي في مذكراته (٧٣).

لا شك ان المؤتمر مثل حراكا سياسيا كبيرا كان بمثابة انتفاضة سياسية أقلقت المندوب السامي ودفعته إلى التحرك لاحتواء ردود الفعل هذه ، فابرق إلى عبد العزيز آل سعود (٧٤)يطلب منه ان يوقف هجمات قبائله على العراق في حين أبدى الملك والحكومة قلقهم مما حدث ،فتم تشكيل لجنة وزارية للتحقيق في الموضوع و لاستمالة الشيعة ،صدرت الإرادة الملكية في ١٥ نيسان ١٩٢٢ أمرا بتعيين جعفر ابو التمن وزيراً للتجارة (٧٥).

ومع ان المؤتمر مثل حركة إسلامية معارضة في تصور الرأي العام إلا ان قرارات المؤتمر لم تكن بحجم إمكانياته من حيث الحضور والمساهمة فهو لم يقرر أكثر من الوقوف بوجه الإخوان الوهابيين بمعاضدة جيش المملكة والمطالبة باسترداد الأموال المنهوبة ودفع ديات القتلى (٧٦).

لم يستثمر المؤتمر في وضع مشروع سياسي يتناسب مع حجم السياسة الاستعمارية التي تمارسها بريطانيا في العراق ومن هنا يمكن القول ان المعارضة السياسية الشيعية بقيت فاقدة للاستراتيجية المخطط لها مسبقاً وفق الآليات والبدائل التي تتعاط مع نوع الحدث ، بالمقابل كانت السياسة البريطانية تعمل وفق مشروع مخطط له مسبقاً ذو ادوار سياسية مدروسة ومتعددة فهو ينتقل من الاحتلال الى الانتداب ومن ثم الى الانتداب المقنع بوجه حكومة وطنية وأخيرا إلى دولة وطنية

أريد من خلالها تكريس الانتداب بمعاهدة قانونية تصطف خلفها المصالح البريطانية.

و لما وجدت بريطانيا ان كلمة (الانتداب) غير مرغوب فيها لدى العراقيين ارتأت ان تستعيض عنها بمعاهدة ولذلك قدم كوكس مسودة المعاهدة (٧٧)كصيغة أولية تدور حولها المناقشات وكان المفاوض البريطاني يسعى إلى تقليل النفقات المالية البريطانية مع بقاء السيطرة على العراق واحتفاظ بريطانيا بكل الامتيازات التي حصلت عليها في الانتداب ،أما المفاوض العراقي فكان عليه ان يضع نصب عينيه مطالب القوى الوطنية والدينية في إلغاء الانتداب في وقت لا يستطيع ان يتمرد على الإدارة البريطانية مما جعل المهمة صعبة (٧٨).

كان موقف المعارضة السياسية الشيعية من المعاهدة البريطانية هو الرفض وكان للشيخ محمد مهدي الخالصي والسيد محمد الصدر دور في هذه المعارضة إلا إنه لم يكن بمستوى التحدي والضغوطات التي مارستها بريطانيا على الحكومة ليتم إقرارها من قبل مجلس الوزراء يوم ٢٥ حزيران ١٩٢٢، إلا ان المجلس أدرج في صلب المعاهدة عبارة تقضي بوجوب تصديقها من قبل المجلس التأسيسي ، ورداً على قرار المعاهدة قدم جعفر أبو التمن استقالته يوم ٢٦ حزيران وفي اليوم نفسه أعلن الشيخ الخالصي من الكاظمية ان بيعة الملك فيصل أصبحت لاغيه لأنه اخل بالشروط التي تعهد بها أثناء البيعة والتي تنص على المحافظة على استقلال البلاد (٧٩).

واستجابة لهذه التطورات وما تضمنته من رفض شعبي للمعاهدة العراقية - البريطانية وجد بعض الوطنين أهمية إمتهان العمل الحزبي وتأسيس حزب يعبر عن إرادة الشعب لاسيما وان الحكومة أصدرت قانون في يوم ٢٥ حزيران ١٩٢٢ أجازت فيه تأسيس الأحزاب فأجيز من السنة نفسها كل من الحزب الوطني العراقي برئاسة

محمد جعفر ابو التمن في ٢ آب وحزب النهضة العراقية برئاسة أمين الجرجفجي (٨٠)في ١٩ اب ،وكان هدف الحزبين هو الحصول على الاستقلال التام ، كما اتفق الحزبان على خطوط عمل مشتركة وتحرك موحد في معارضة الوزارة وسلطات الانتداب (٨١).

كان الحزب الوطني العراقي مدعوما من قبل الشيخ مهدي الخالصي أما حزب النهضة فكان مدعوماً من قبل السيد محمد الصدر وقد عمل الحزبان على عقد اجتماعات موحدة برئاسة السيد محمد الصدر ليمثلا بذلك عمل إسلامي وطني خلق تجربة موحدة (٨٢)وصفت بـ ((التجربة الأولى الناجحة على صعيد العمل الحزبي الجبهوي في تاريخ العراق السياسي الحديث)) (٨٣).

إلا أن هذه التجربة لم تبقَ طويلاً فبعد نشاط الحزبين السياسي في يوم تتويج الملك حينما طالبا باستقلال البلاد عمل كوكس مستغلاً مرض الملك على إقصاء الحزبين من المشهد السياسي عن طريق نفي قادتهما إلى جزيرة هنجام ،وقد عد هذا الإجراء ضربة موجهة للحركة الإسلامية المعارضة أريد من خلالها أضعاف النشاط السياسي الشيعي المعارض (٨٤).

من جانب آخر عملت السلطات البريطانية على تسفير كل من الشيخ محمد محمد مهدي الخالصي والسيد محمد الصدر إلى إيران (٨٥)،وفي ١٩ تشرين الأول ١٩٢٢ اصدر الملك إرادة ملكية إلى المجلس الوزاري ليقرر دستور المملكة العراقية وقانون انتخاب مجلس النواب والمعاهدة العراقية- البريطانية وحدد موعد الانتخابات في ٢٤ تشرين الأول ١٩٢٢ ، و أنيطت مسؤولية تنفيذ الإرادة إلى وزير الداخلية عبد المحسن السعدون ،وقد أثار هذا الأجراء علماء النجف والكاظمية فهم يعتقدون ان إجراء الانتخابات لا يتم بشكل حر وصحيح وان المجلس الذي ستفرزه الانتخابات المزورة

سيصادق على المعاهدة التي سترسم سياسة العراق ومستقبله بشكل نهائي ،ومن هنا كان تصديهم قويا لمنع هذه الانتخابات التي تعد خطوة مصيرية في تاريخ العراق السياسي (٨٦).

صدرت فتوى تحريم الانتخابات من الكبار الثلاثة السيد أبو الحسن الأصفهاني والمبرزا النائيني والشيخ محمد مهدي الخالصي و بعبارات تضمنت أحكاما شرعية تخرج المخالف للفتوى من الدائرة الاجتماعية والإيمانية للمسلمين ،إذ نصت فتوى السيد أبو الحسن الأصفهاني ((إلى أخواننا المسلمين .. ان هذا الانتخاب يُميت الأمة الإسلامية فمن انتخب بعد علمه بحرمة الانتخاب ، حرمت عليه زوجته وزيارته ولا يجوز رد السلام عليه ولا يدخل حمام المسلمين..))(٨٧) ،كذلك صدرت فتوى للميرزا النائيني والشيخ الخالصي بنفس المضمون وثم ختمت هذه الفتوى ووقع عليها ما يقارب أربعة عشر مجتهدا وكلهم يقولون بما تقدم من القول (٨٨).

يمكن تحليل مضامين فتوى التحريم على ضوء مفاهيم العمل السياسي المعارض في الفكر السياسي الشيعي من خلال عدة أمور :

١- ان التحريم الصادر ليس المقصود منه تحريم الانتخابات بما هي عمل ديمقراطي وإنما المقصود بالتحريم هو عدم إقرار المعاهدة وتفعيلها ، وبما ان الانتخابات كمقدمة فاسدة ستعمل على إنشاء المجلس التأسيسي الذي سيصادق بدوره على المعاهدة حرمت الانتخابات ، كما ان الانتخابات نفسها لا يمكن القول بديمقراطيتها او ضمان نزاهتها في أجواء مشحونة برغبة الحكومة العراقية وإصرار الحكومة البريطانية على تصديق المعاهدة .

٢- أن فتوى التحريم وان كانت فتوى شرعية صيغت بلغة فقهية معهودة عند الفقهاء كمتشرعة إلا إنها أيضا فتوى وطنية تحمل في مضامينها أبعادا سياسية

تعمل على استنهاض الجماهير وتحشيدهم كقوة معارضة يمكن الضغط من خلالها على عمل الحكومة .

٣- ان فتوى التحريم قبل ان تكون قوة ضاغطة على الحكومة هي سلطة حاكمة على الجماهير تعتمد في حاكميتها على الجانب العقائدي فعدم تطبيقها تصبح عقيدة الفرد مهددة ،وبذلك يظهر ان استجابة الجماهير للفتوى في مقاطعة الانتخابات تعتمد بشكل أساسي على مدى تدين الفرد والتزامه بالأمور الشرعية وليس فقط على وطنيته، ومن هنا تكون أيديولوجية العمل السياسي في الفكر الشيعي مرتبطة بشكل وثيق بالمنظومة القيمة والدينية للفرد .

أثرت فتوى التحريم على الحركة الوطنية وعلى جميع الأوساط الشعبية سواء الشيعية منها أو السنية إذ توقفت الانتخابات واستقالت اللجان الانتخابية في النجف وكربلاء والحلة والكوفة والكاظمية ومناطق الفرات الأوسط وأصبحت الحكومة عاجزة أمام قوة المعارضة ،مما أدى إلى استقالة وزير الداخلية عبد المحسن السعدون في ١٦ تشرين الثاني ١٩٢٢ ليشكل بعد يومين وزارة جديدة فهو الرجل المناسب في نظر بريطانيا على إجراء الانتخابات ، واتجهت الحكومة في بداية الأمر التقرب من بعض التنظيمات السياسية من اجل كسبهم وإبعادهم عن رجال الدين إذ عمل السعدون على إرجاع المنفيين والسياسيين من هنجام بشرط عدم القيام بما يخالف سياسة الحكومة ، كما عمل الملك على كسب شيوخ الفرات الأوسط وإبعادهم عن رجال الدين ومن بينهم عبد الواحد الحاج سكر ومحسن ابو طبيخ وعلوان الياسري وكاطع العوادي وشعلان أبو الجون وأقنعهم ان صدور البروتكول(٨٩) الذي جاء به كوكس من لندن في ٢٣ آذار ١٩٢٣ قد خفض مدة المعاهدة من عشرين سنة إلى أربع سنوات وهذا انجاز سياسي يستلزم الشروع في

الانتخابات وعدم مقاطعتها ، عند ذلك أعلن رؤساء العشائر تضامنهم مع الحكومة والملك وهناك من وعد منهم بإقناع رجال الدين على تغيير موقفهم (٩٠).

إلا ان رجال الدين لم يقتنعوا بذلك بل أصدروا فتوى جديدة تؤكد ثبات موقفهم وعدم تبدل فتواهم في حرمة الانتخابات (٩١)، وأمام هذا الإصرار تيقنت الحكومة من عدم إجراء الانتخابات بوجود علماء الدين الشيعة لذلك قرر السعدون العمل على إبعادهم خارج العراق ، وقد وجد ثغرة قانونية تشرعن هذا الإبعاد وهي ان أكثر العلماء كانوا يحملون الجنسية الإيرانية أما لكونهم إيرانيين أصلا أو حملوها تهربا من التجنيد الإجباري في العهد العثماني كالشيخ محمد مهدي الخالصي مع كونه عراقياً ، وهؤلاء يمكن تسفيرهم بعد تعديل قانون العقوبات البغدادي إلى بلدانهم بسبب أي جنحة يرتكبونها ،وفي ١٧ حزيران ١٩٢٣ قرر مجلس الوزراء الشروع بالانتخابات واستخدام الشدة مع معارضيهم ونفي الأجانب منهم خارج البلاد، وفي ليلة ٢٥ – ٢٦ حزيران اعتقل الشيخ الخالصي ليتم تسفيره إلى خارج العراق (٩٢).

وما ان وصل خبر الاعتقال الى النجف حتى خرج فقهاء الشيعة محتجين على رأسهم السيد أبو الحسن الأصفهاني والميرزا النائيني واتجهوا إلى كربلاء وعند وصلوهم أصروا على مغادرة العراق احتجاجاً على سياسة الحكومة تجاه العلماء ولم تولِ الحكومة أهمية لذلك وإنما طلبت من متصرف كربلاء تسفير العلماء الذين يحملون الجنسية الإيرانية، وفي الأول من تموز تم تسفير تسعة من العلماء(٩٣) يتقدمهم العالمان الكبيران السيد ابو الحسن الأصفهاني والميرزا النائيني وبذلك تكون الحركة ماتت في مهدها بعد ان ابعد عنها قادتها (٩٤).

والى هنا تكون المعارضة السياسية الشيعية قد انتهت بعد مسيرة جهادية طويلة نظر لها الفقهاء وخاضوا غمارها من اجل تخليص البلاد والعباد من الهيمنة الاستعمارية البريطانية .

الخاتمة

١- شكل موقف علماء الدين الشيعة عبر مسيرتهم الجهادية والسياسية المتميزة محورا للممانعة والمقاومة الوطنية الرافضة لكل أشكال الوجود البريطاني في العراق، ومع ان هذه المواقف لها مبادئها الفكرية وأصولها العقدية إلا إنها خاضعة في إطارها الزمني إلى اجتهاد المفكرين وتحديد ما هو ثابت منها لا يقبل المساومة وما هو متغير ،وعلى طول مدة الاحتلال والانتداب البريطاني على العراق نجد ان الموقف السياسي لعلماء الدين ثابت بالرفض والمقاطعة بالمقابل كان هناك من يمتهن العمل السياسي وفق ما يؤمن به من مصالح سلطوية يجد أنها لا يمكن ان تتفق إلا بمعية الوجود البريطاني وقد وصل هذا الاختلاف وعدم الانسجام في الرؤية والعمل السياسي إلى طريق مسدود يستلزم في نظر الطرف الأخر إقصاء الخصم وإبعاده .

٢- كان اختيار الموقف الشرعي والوطني هو الخيار الذي تمسك به علماء الدين عبر مسيرة من الجهاد والعمل السياسي المعارض للوجود البريطاني في العراق بدأ منذ دخول الاحتلال وانتهاء بإبعاد قيادات الفكر الدينية خارج العراق .

٣- ان ما تعرض له موقف الفقهاء الى انتكاسة انتهت بتسفيرهم خارج العراق راجع الى أمور أهمها : عدم وجود ترابط وثيق بين القيادات الدينية والقوى السياسية والعشائرية رغم التواصل الذي كان بينهما ، فلكل منهما نهجه الخاص به وفي بعض المواقف تكون هذه القوى اقرب للتأثر بخصوصياتها منها من العمل الجماعي ، فعلى مستوى النخب السياسية والحزبية لم يكن هناك حزب سياسي شيعي قوي

قادر على بناء معارضة جماهيرية ضد الحكومة يكون بينه وبين المرجعية الدينية رؤية موحدة وتنسيق عالي في العمل السياسي على الرغم من وجود الحزب الوطني وحزب النهضة والذان حظيا بدعم من بعض رجال الدين إلا إنهما كانا ضعيفين ولم يمثلا الحركة الإسلامية بإطارها الواسع،فحزب النهضة لم يجتذب إلا أعداد صغيرة من الشيعة واخفق في الظهور كقوة معارضة كبيرة كما ان الحزب الوطني برئاسة جعفر ابو التمن كان لديه اختلاف مع المجتهدين وعد الحظر الذي فرض على قبول الوظائف الحكومية عملا عرقل تقدم الشيعة في الدولة.

٤- لم تكن القوى العشائرية فلم تكن بعد ثورة العشرين قوة يمكن الاعتماد عليها من قبل رجال الدين لاسيما وان النظام اخذ يسعى لكسب شيوخ العشائر مقللاً بذلك من احتمالية التعاون بين العشائر والقيادات الدينية ضد الحكومة ، وقد نجح فيصل في كسب شيوخ العشائر وإبعادهم عن تأثير المجتهدين،ووفق ما تقدم من تقييم اجتماعي وسياسي فان ضعف الروابط الدينية في المجتمع يجعل الاستجابة لفتوى الفقيه ضعيفة لا يمكن الاعتماد عليها سياسيا وهذا ما حصل فعلاً، فإبعاد الفقهاء خارج العراق كان يستلزم قيام ثورة احتجاجية على هذا العمل وهذا ما كانت تتخوف منه بريطانيا إلا إن شيئاً من هذا لم يحدث .

٥- لم تكن المرجعية الدينية مؤسسة ذات خطاب سياسي موحد وخطط استراتيجية موحدة،نتيجة اختلاف مواقف رجال الدين وبذلك أصبحت المرجعية الدينية ليست واحدة وإنما متعدد وذات رؤى مختلفة وظهر ذلك واضحاً في تنصيب فيصل فقسم من الفقهاء قد وافق عليه كملك إلى حد البيعة المشروطة وهناك من خالف، وهذا الاختلاف كان ناتجاً عن عدم وجود رؤية شيعية موحدة تجاه هكذا قضايا.

٦- كانت عملية تحريم الانتخابات خطوة وطنية من أجل حفظ أستقلال العراق وابعاده عن الاطماع البريطانية،الا ان عملية التحريم لم تخضع لسياسات تكميلية ضاغطة على السلطة لان أمر معارضتهم أساساً كان يدار دون استراتيجيات مسبقة ودون تنسيق متواصل بل يخضع في كثير من الأحيان إلى حالات من التضامن أكثر من ان يكون قائماً على معارضة منظمة.

٧- لم تكن هناك نظرية واضحة المعالم لفقهاء الشيعة في بناء الدولة يمكن طرحها من قبلهم كمشروع سياسي يعتمد عليه ولعل ذلك راجع الى اعرض الفقهاء في أبحاثهم الفكرية ومصنفاتهم الفقهية عن الكتابة في مواضيع الفقه السياسي وهذا الأمر في عدم الكتابة أيضا له أسبابه الا انه ليس هنا موضع مناقشتها،ما نريد ان نتوصل اليه ان المرجعية الدينية كانت مرجعية مواقف ومعالجات بقدر ما تسمح به الظروف التي لم تكن ظروف عادية وانما استثنائية لان بريطانية كانت دولة قوية وتمتلك من الامكانيات السياسية الشيء الذي مكنها ان تتغلغل في العراق في وقت كان هناك من السياسيين العراقيين من يؤيد السياسة البريطانية لانها تحقق مصالحه الشخصية في الحكم.

ملخص:

تناول موضوع البحث الإستراتيجية البريطانية في تشكيل الحكومة العراقية وموقف المرجعية الدينية منها(١٩١٨-١٩٢١)،وهو موقف وطني رافض للاحتلال بكافة أشكاله وعناوينه،ومطالب بان يكون العراق دولة وطنية مستقلة يرأسها حاكم عربي مسلم، كذلك تطرق البحث الى المعارضة السياسية لعلماء الدين من اجل الاستقلال(١٩٢٢- ١٩٢٣)والتي تمثلت بإصدار فتاوى تحرم الانتخابات التي كان من المقرر إقامتها من اجل انتخاب المجلس التأسيسي الذي سيأخذ عل عاتقه

تصديق المعاهدة العراقية البريطانية،وقد أدركت المرجعية الدينية أنه لا يمكن ضمان نزاهة الانتخابات في أجواء كانت مشحونة برغبة الحكومة العراقية بتصديق المعاهدة، كانت نتيجة هذه المعارضة ان قامت الحكومة العراقية وفي الأول من تموز ١٩٢٣ بتسفير العلماء.

Abstract:

(١٩١٨-١٩٢١)، a national position rejecting the occupation in all its forms and addresses, and demands that Iraq be an independent national state headed by an Arab Muslim ruler. The study also discussed the political opposition of religious scholars (١٩٢٢-١٩٢٣), which was the issuance of fatwa's banning the elections that were to be held for the election of the Constituent Assembly, which will take over the ratification of the Iraqi-British Treaty. The religious authority realized that the integrity of the elections can not be guaranteed in an atmosphere charged with the desire of the government Proof the ratification of the Treaty, this was the result of opposition to the Iraqi government and the first of July ١٩٢٣ deported scientists.

الهوامش:

(١)محمد جواد مالك ، شيعة العراق وبناء الوطن ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ،٢٠١٢، ص ٥٢٩ .

(٢)كان ولسون يعمل على ان تكون السيطرة البريطانية على العراق بشكل مباشر ، إلا ان الإدارة البريطانية اكتشفت ان سياسة ولسن هذه أثبتت فشلها بعد قيام ثورة العشرين و يجب إبدالها بسياسة كوكس الجديدة . لورنس ، مختارات من رسائل ولسن ، ترجمة عبد المنعم نصار ، دار الحرية، بغداد ،١٩٨٨ ، ص١٢٩ .

(٣)حسن شبر ، التحرك الإسلامي١٩٠٠ – ١٩٥٧ ، باقيات ، قم ، ٢٠١٠ ، ص٢٧٧ – ص٢٧٨ .

(٤)نقلا ً عن : وميض جمال عمر نظمي، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية (الاستقلالية) في العراق، ط٢ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بغداد ، ١٩٨٥، ص٤٠٨.

(٥)طالب النقيب (١٨٦٢ ـ ١٩٢٩) : طالب بن رجب الرفاعي ، ولد في البصرة ، زعيم سياسي من أعيان البصرة ، عين حاكم للإحساء من قبل الدول العثمانية (١٩٠٢ ـ ١٩٠٣)، انتخب عضو في مجلس النواب العثماني عام ١٩٠٩ ، في ظل الحكومة العراقية ترأس وزارة الداخلية ١٩٢٠ ، نافس فيصل الأول على عرش العراق ، قام البريطانيون بنفيه إلى الهند ثم سمحوا له بالسفر إلى أوربا ليموت في ميونخ ، ثم حمل جثمانه إلى البصرة ، خير الدين الزركلي ، الأعلام قاموس تراجم ، ج٣، ط١٥، دار العلم للملايين ، بيروت ، ٢٠٠٢ .، ص٢١٨ .

(٦)ياسين الهاشمي (١٨٨٢ ـ ١٩٣٧) : زعيم سياسي ولد في بغداد ،وتخرج عام ١٩٠٥ ضابط أركان من الأستانة، عضو في جمعية العهد ، عند قيام الدولة العراقية تولى عدة وزارات ، ألف حزب الشعب عام ١٩٢٥ ، تقلد رئاسة الوزراء مرتين ، حصل انقلاب (بكر صدقي) في عهد وزارته الثانية ١٩٣٦ ،هاجر إلى بيروت ليتوفى هناك ويدفن في دمشق . المصدر نفسه ، ج٨ ، ص١٢٩ .

(٧)ناجي السويدي (١٨٨٢ ـ ١٩٤٢) : محامي وسياسي ولد في بغداد ، عضو في جمعية العهد منذ عام ١٩١٩ ، وفي عام (١٩٢١، ١٩٢٥) عين وزير للعدلية ، وفي عام (١٩٢٢ـ١٩٢٩) عين وزير للداخلية ، وفي عام ١٩٢٩ أصبح رئيس للوزراء ، عضو في حزب التقدم ومن مؤسسي حزب الشعب عام ١٩٤١ ، بعد فشل حركة مايس ١٩٤١ القي القبض عليه وسفر إلى جنوب أفريقيا . خالد احمد الجوال موسوعة أعلام كبار ساسة العراق الملكي ، ج٢ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠١٢ ، ص١٨٣ – ص١٨٤ .

(٨) أليزابيث بيرغوين ، مذكرات المس بيل ، ترجمة نمير عباس مظفر ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ، ٢٠٠٢
،ص٣٤٥ – ص٣٤٦ .

(٩)علي ناصر حسين ، الإدارة البريطانية في العراق ١٩١٤ – ١٩٢١ ، مطبعة الكتاب ، بغداد ، ٢٠٠٩ ، ص ٢٨٢ .

(١٠)جريدة العراق ، العدد ١٢٥ ، ٢٧ تشرين الأول ١٩٢٠ ؛ علي ناصر حسين ، المصدر السابق ، ص ٢٨٥ ـ ص٢٨٧ .

(١١)عبد الرزاق الحسني ، تاريخ العراق السياسي ، ج١ ،ط٢ ،الرافدين للطباعة والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٨ ،
ص١٩٤ .

١٢() فتح الله الأصفهاني (١٨٥٠ – ١٩٢٠): فقيه ومرجع ديني، ولد في أصفهان، درس العلوم الدينية في حوزة أصفهان ومشهد عند كبار المجتهدين حتى نال درجة الاجتهاد، سافر إلى العراق ١٨٧٩ ، أصبح من مراجع النجف تسلم قيادة ثورة العشرين بعد وفاة الميرزا محمد تقي الشيرازي، من مؤلفاته، رسالة في قاعدة الطهارة، ولا ضرر ولا ضرار. إخلاص لفته حريز، شيخ الشريعة الأصفهاني ومواقفه السياسية، مجلة الآداب – المستنصرية، العدد ٥٣، لسنة ٢٠١٠، ص١ـ ص٣.

١٣() محمد تقي الشيرازي (١٨٤٠ – ١٩٢٠): فقيه ومرجع دين، ولد في شيراز، من أسرة علمية، درس العلوم الدينية وحضر درس السيد محمد حسن الشيرازي في سامراء، آلت اليه رئاسة المرجعية بعد وفاة السيد اليزدي إذ انتقل إلى كربلاء ليقود ثورة العشرين بعد ان أفتى بالجهاد، من أهم كتبه تعليقة على المكاسب، رسالة في صلاة الجمعة، ينظر: علاء عباس نعمة، محمد تقي الشيرازي ودور السياسي (١٩١٨ – ١٩٢٠)،رسالة ماجستير، غير منشورة ، كلية التربية – جامعة بابل، ٢٠٠٥.

١٤() جريدة العراق ، عدد ١٤٩ ، ٢٦ تشرين الثاني ١٩٢٠ ؛ عبد الرزاق الحسني ، الثورة العراقية الكبرى، ص٣٣٧

(١٥)إخلاص لفته حريز ، شيخ الشريعة الأصفهاني ومواقفه السياسية ، مجلة الآداب ـ المستنصرية ، العدد ٥٣ ، لسنة ٢٠١٠ ،ص١٧.

(١٦)نقلاً عن: وميض جمال عمر نظمي ، المصدر السابق، ص٣٩٨ .

(١٧)مذكرات المس بيل ، ص٢٩٢ .

١٨() CO.٦٩٦/٣,Administration Report of the Muntafiq Division , ١٩٢٠نقلا عن ؛ إسحاق نقاش ، شيعة العراق ، انتشارات المكتبة الحيدرية ، قم ، ١٩٩٨ ، ص٩٧

(١٩)حسن العلوي ، الشيعة والدولة القومية في العراق ١٩١٤ – ١٩٩٠ ، روح الأمين،(د – ط)،٢٠٠٥ ،ص١٣١ .

(٢٠)عبد الله النفيسي ، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث ، مكتبة آفاق ، الكويت ، ٢٠١٢ ، ص٢١٧ .

(٢١)نقلاً عن : عبد الإله توفيق الفكيكي ، البدايات الخاطئة ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، ٢٠١١ ، ص١٩٧ .

(٢٢)نقلا عن: المصدر نفسه، ص ١٩٦ .

(٢٣)فليب ويلارد آيرلاند ، العراق دراسة في تطوره السياسي ، ترجمة جعفر الخياط ، دار الكشاف ، بيروت ، ١٩٤٩ ، ص٢١٤ .

(٢٤)عبد الرزاق الدراجي ، جعفر ابو التمن ودوره في الحركة الوطنية ١٩٠٨ ـ ١٩٤٥، ط٢ ،دار الرشيد للنشر، بغداد ، ١٩٨٠، ص٤٨٦ – ص٤٨٧ .

(٢٥)عبد الرزاق الحسني ، تاريخ العراق السياسي ، ج ١ ، ص٢٠٧ – ص٢٠٨ .

(٢٦)المرشحون هم : عبد الرحمن النقيب و طالب النقيب وعبد الهادي العمري رئيس الأسرة العمرية في الموصل وبرهان الدين نجل اخر سلاطين ال عثمان وآنماخان زعيم الاسماعيلية في الهند والشيخ خزعل أمير المحمرة وابن سعود . احمد رفيق البرقاوي ، العلاقات السياسية بين العراق وبريطانيا ١٩٢٢ ـ ١٩٣٢، دار الرشيد ، بغداد، ١٩٨٠ ، ص ٢٣ ـ ٢٤.

(٢٧)F.o.٣٧١\١٤١\٤٤٤\١٢٢١٥,Telegram from Goveral the Royal sir Wilson to foreign office ,No. ٩٢٤٩ ,Baghdad, July ٣١ ١٩٢٠يعقوب يوسف كوريه،انكليز في حياة فيصل الأول ،الأهلية؛ ،عمان،١٩٩٨،ص١٥.

(٢٨) العراق في سجلات الوثائق البريطانية ١٩١٤ـ١٩٦٦، تقرير الأركان العامة وزارة الحربية عن مملكة العراق المقترحة ،بتاريخ ١٧ شباط ١٩٢١،المجلد الثاني ١٩١٨ـ١٩٢١،المحرر الاستشاري ألف دي ل. رش ،محرر البحوث جين بريشود ، ترجمة كاظم سعد الدين ، بيت الحكمة ،بغداد ، ٢٠١٣،ص٤٤٨.

(٢٩)العراق في سجلات الوثائق البريطانية ١٩١٤ـ١٩٦٦،تقرير مؤتمر الشرق الأوسط المنعقد في القاهرة والقدس ١٢ـ٣٠ آذار ١٩٢١ ، ص٤٧٢.

(٣٠)العراق في سجلات الوثائق البريطانية ١٩١٤ـ١٩٦٦، تقرير الأركان العامة وزارة الحربية عن مملكة العراق المقترحة ،بتاريخ ١٧ شباط ١٩٢١، ص٤٤٩

(٣١)علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ج٦ قسم الأول، إيران ،(د. ت) ، ص٨٨ ـ ص٩٩ .

(٣٢)نقلا عن:نديم عيسى الجابري ، فكرة الجمهورية في العراق ، مؤسسة الفضيلة للدراسات والنشر، بغداد ، ٢٠١٣ ، ص٤٠ ـ ص٤١ .

(٣٣)معروف الرصافي (١٨٧٧ – ١٩٤٥) : شاعر وطني ولد في بغداد درس العربية واشتغل في التعليم ونظم القصائد في الاجتماعات والمواقف السياسية ، خريج دار المعلمين في القدس ، انتخب في مجلس النواب العراقي عدة مرات ، له ديوان شعر . عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسية ، ج ٦ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، (د. ت)، ص٢٤٤ .

(٣٤)نديم الجابري ، فكرة الجمهورية ، ص٣٦ ـ ص٥٠ .

(٣٥)علي التلعفري،تأسيس عرش العراق في خضم التفاعلات السياسية،مجلة الثقافة (بغداد)، العدد ٢،شباط ١٩٧٦،ص٧٤.

(٣٦)ابو الحسن الأصفهاني(١٨٦٨ – ١٩٤٦) : فقيه ومرجع ديني ولد في مدينة اصفهان الايرانية ، درس العلوم الدينية الحوزوية عند كبار علماء اصفهان ، هاجر إلى العراق عام ١٨٩١ ، لإكمال دراسته في حوزة النجف ، درس الفقه عند الميرزا حبيب الله الرشتي ، كما حضر درس الفقه والأصول عند الاخوند الخراساني وكذلك اليزدي فضلا عن الميرزا الشيرازي وشيخ الشريعة الأصفهاني، وعند وفاة الأخير عام ١٩٢٠ تصدى السيد ابو الحسن لأمور المرجعية ، من مؤلفاته كتاب وسيلة النجاة وشرح كفاية الأصول . محسن الامين ، أعيان الشيعة ،ج٢ ،تحقيق حسن الأمين ،دار التعارف للمطبوعات، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص٣٣٢ ـ ص٣٣٥ .

٣٧() محمد حسين النائيني (١٨٦٠ ـ ١٩٣٦): وهو محمد بن حسين بن عبد الرحيم الملقب بالنائيني نسبة لمكان ولادته في نائين بإيران ' من أسرة علمية، درس العلوم الدينية في نائين فأكمل المقدمات و سافر إلى العراق لإكمال دراسته في حوزة النجف عام ١٨٨٥ ، من ابرز أساتذته المجدد الشيرازي، عاصر مرجعية السيد أبو الحسن الأصفهاني، كان من أنصار المشروطة، من ابرز كتبه (تنبيه الأمة وتنزيه الملة). جعفر الدجيلي، موسوعة النجف الاشرف، ج١١ ، دار الأضواء، بيروت، ١٩٩٧ ، ص٢٤٠.

(٣٨)جريدة (الاستقلال) البغدادية ، العدد ٤ ، تشرين الاول ١٩٢٠ نقلا عن : نديم عيسى ، الفكر السياسي ، ص١٣١ .

(٣٩)سعد كاظم شبيب ، الدستور في الفكر السياسي الإسلامي الحديث والمعاصر ، كلية العلوم السياسية ـ جامعة بغداد ، رسالة ماجستير ، ٢٠٠٩ ، ص١٣٠ ـ ص١٣١ .

٤٠() محمد مهدي الخالصي (١٨٦١ـ ١٩٢٥): هو محمد مهدي بن محمد الحسين الخالصي، فقيه ومرجع ولد في الكاظمية المقدسة،في أسرة تسمى الخالصي وهي أسرة علمية، تلقى علومه الدينية في الكاظمية والنجف وسامراء، من ابرز أساتذته الشيخ عباس الجصاني والشيخ محمد حسين الكاظمي، أهم انتاجاته العلمية تلخيص الرسائل للشيخ مرتضى الأنصاري، وحاشية على كتاب الكفاية، العناوين في الأصول، الشريعة السمحاء، القواعد الفقهية، تميز الخالصي بنشاطه السياسي والجهادي، تصدى إلى الاحتلال البريطاني عام ١٩١٥ ، وأفتى بحرمة انتخابات ١٩٢٢ الأمر الذي أدى إلى تسفيره إلى إيران. عبد الرزاق أمين، ذكرى الخالصي، مطبعة الاستقلال، بغداد، ١٩٢٥ ،ص٦ـ ص١٢.

٤١() محمد الصدر (١٨٨٢ – ١٩٥٦): هو محمد بن السيد حسن الصدر، عالم دين وأديب ورجل سياسية، ولد في الكاظمية من أسرة علمية فأبوه السيد حسن الصدر مرجع من مراجع الشيعة، دخل معترك السياسة بعد الاحتلال البريطاني على العراق، انظم إلى جمعية حرس الاستقلال عام

١٩١٩، شارك في ثورة العشرين، نفي إلى جزيرة هنجام عام ١٩٢٢، رجع إلى العراق عام ١٩٢٤، ترأس مجلس الأعيان لدورتين الأولى والرابعة والثانية عشرة والخامسة عشرة، شكل وزارته في ٢٩ كانون الثاني ١٩٤٨. خالد احمد الجوال، موسوعة أعلام كبار ساسة العراق الملكي. ج٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠١٢،ص١٠٦-١١٠.

(٤٢)عبد الحليم الرهيمي، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق الجذور الفكرية والواقع التاريخي ١٩٠٠ – ١٩٢٤ ، الدار العالمية للطباعة النشر، بيروت، ١٩٨٥ ، ص٢٤١ - ص٢٤٢ .

(٤٣)علي الوردي ، المصدر السابق ، ج٦ قسم الاول ، ص٦٤ .

(٤٤) المصدر نفسه ، ص٧٤ .

(٤٥) عبد الله النفيسي ، المصدر السابق ، ص٢٣١.

(٤٦)وثائق الثورة العراقية الكبرى ، ج٥، المبايعة المشروطة والفتوى الدينية التي أصدرها الشيخ محمد مهدي الخالصي ، وثيقة ٧٤٩ ، ص٧٣ ؛ جريدة العراق ، العدد ٣٤٥ ، ١٦ تموز ١٩٢١ .للاطلاع ينظر: ملحق رقم ٦ وملحق رقم ٧

(٤٧)محمد محمد مهدي الخالصي (١٨٩٠ – ١٩٦٣) : فقيه ومرجع ديني من أهالي الكاظمية ، تميز بنشاطه السياسي والوطني ، له عدة مؤلفات تصل إلى السبعين كتاب منها : إحياء الشريعة في مذهب الشيعة ، الإسلام فوق كل شيء ، الرأسمالية والشيوعية في الإسلام ، خطب ومقالات أربع أجزاء . خير الدين الزركلي ، المصدر السابق ، ج٧، ص٨٦ .

(٤٨)محمد محمد مهدي الخالصي ، بطل الإسلام الشهيد محمد مهدي الخالصي ، مركز وثائق الإمام الخالصي ، إيران ، ٢٠٠٧ ، ص١٨٨ - ١٨٩ .

(٤٩)حسن شبر ، التحرك الإسلامي ، ص٢٩٩ – ص٣٠٠ .

(٥٠)ذكر علي الوردي ان السبب لم يعرف في جعل الموظف المسؤول يمتنع في ابراق البرقيات إلا أن هذا الامتناع أدى إلى حماس الناس وإصرارهم على إبراق البرقية لأنهم عدوا ذلك تحديا لرغباتهم الوطنية. علي الوردي ، المصدر السابق ، ج٦ قسم الاول ،ص٧٣ ؛ ولعل بريطانيا هي من أوعزت بالمنع حتى يظن الناس ان فيصل غير مرغوب فيه عندها مما يؤدي إلى إصرار الناس على التمسك به و هو المطلوب .

(٥١)وثائق الثورة العراقية الكبرى ،ج٥، كتاب الشيخ الخالصي لنوري السعيد ، و ٧٢٣ ، ١٥ شعبان ١٣٣٩ /١٨ نيسان ١٩٢١ ، ص٢٦ .

(٥٢)وثائق الثورة العراقية الكبرى ،ج٥، كتاب نوري السعيد للشيخ الخالصي ، و٧٢٤ ، ١١ شعبان ١٣٣٩ /١٩ نيسان ١٩٢١ ، ص٢٧ .

(٥٣)علي الوردي ، المصدر السابق ، ج٦قسم الاول ، ص٧٥ .

(٥٤)علي الوردي ، المصدر السابق ، ج٦قسم الاول، ص١١٣ - ص١١٤ .

(٥٥)عبد الرزاق الحسني ، تاريخ العراق السياسي ، ج١ ،ص٤٣١ .

(٥٦)جعفر عبد الرزاق ، الدستور والبرلمان في الفكر السياسي الشيعي ، دار الهادي ، ٢٠٠١ ، ص١٧٨ .

(٥٧)ينظر : محمد محمد مهدي الخالصي ، المصدر السابق ، ص ١٨٩ .

(٥٨)المصدر نفسه ، ص ١٩٠ .

(٥٩) ينظر: ابو الحسن علي بن محمد الماوردي ، الأحكام السلطانية ، مكتبة دار بن قتيبة ،الكويت ، ١٩٨٩ ، ص٢١ .

(٦٠)محمد محمد مهدي الخالصي ، الإسلام سبيل السعادة والسلام ، ط٤ ، مركز وثائق الإمام الخالصي ، بغداد ، ٢٠٠٢ ، ص٢٤٧ .

(٦١)العراق في سجلات الوثائق البريطانية ١٩١٤-١٩٦٦،برقية من المندوب السامي في العراق إلى وزير الخارجية لشؤون المستعمرات ،بتاريخ ٣١ تموز ١٩٢١ ، و٣٥١ ، ص٦٤٣.

(٦٢)العراق في سجلات الوثائق البريطانية ١٩١٤-١٩٦٦، برقية من المندوب السامي في العراق إلى وزير الخارجية لشؤون المستعمرات ،بتاريخ ٢٠ آب ١٩٢١ ، و٤١٢ ، ص٦٥٣.

(٦٣)Michael Eisentadt and evic Mathewson , lessons from the British Experience , the Washington institute for near east policy , U- S- A, ٢٠٠٣ ,p . ٤٨

(٦٤)كان المقرر ان يتم تتويج فيصل يوم ١٥ آب ١٩٢١ من قبل الحكومة البريطانية ، إلا إن فيصل أراد أن يكون يوم التتويج هو ٢٣ آب ١٩٢١ . ينظر : العراق في سجلات الوثائق البريطانية ١٩١٤-١٩٦٦، برقية من المندوب السامي في العراق إلى وزير الخارجية لشؤون المستعمرات ،بتاريخ ٣١ تموز ١٩٢١ ، و٣٥١ ، ص٦٤٣.

(٦٥)عبد الرزاق الحسني ، تاريخ العراق السياسي ، ج١ ، ص٢٣٣ .

(٦٦)المصدر نفسه.

(٦٧)اريك دافيس ، مذكرات دولة ، ترجمة هاشم عبد الهادي ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ، ٢٠٠٨ ، ص٩٣.

(٦٨)عبد الرزاق الحسني ، تاريخ العراق السياسي ، ج١ ، ص٢٤٢ .

(٦٩)العراق في سجلات الوثائق البريطانية ١٩١٤-١٩٦٦، برقية من وزير الخارجية لشؤون المستعمرات إلى المندوب السامي في العراق ،بتاريخ ٢٤ آب ١٩٢١ ، ص٦٥٢.

(٧٠)علي الوردي ، المصدر السابق ، ج٦ قسم الأول ، ص١٢٣ .

(٧١)حسن شبر ، التحرك الإسلامي ، ص٣٠٢-ص٣٠٨ .

(٧٢)علي الوردي ، المصدر السابق ، ج٦ قسم الأول ، ص١٥٣ .

(٧٣) ينظر: محمد محمد مهدي الخالصي ، بطل الإسلام ، ص٢٠١ – ص٢٠٢ .

(٧٤) عبد العزيز آل سعود (١٨٧٦-١٩٥٣): ملك المملكة العربية السعودية الأولى ومؤسسها ، ولد في الرياض ، استطاع ان يقضي على خصومه من آل رشيد ، ليحتل الرياض والمناطق المجاورة لها كذلك احتل الإحساء والقطيف ،كما قضى على دولة الهاشميين في الحجاز عام ١٩٢٥ ، ثم جعل من الرياض عاصمة له لينادى به ملكا على نجد والحجاز عام ١٩٢٦، وفي عام ١٩٣٢ أعلن وحدة المقاطعات التابعة له وسماها المملكة العربية السعودية .عبد الوهاب الكيالي ، الموسوعة السياسية ، ج٣ ، ص٨٣٦.

(٧٥)عبد الحليم الرهيمي ، المصدر السابق ، ص٢٤٩ .

(٧٦)علي الوردي، المصدر السابق ، ج٦ قسم الأول ، ص١٤٨ .

(٧٧)تضمنت المعاهدة خمسة عشر مادة أهمها :الاعتراف بالملك فيصل ، تقديم بريطانيا مشورتها ، وتعيين الضباط والموظفين البريطانيين ، وان يمثل بريطانيا في العراق مندوب سامي وهيئة استشارية مع بقاء القوات البريطانية في العراق وان يتقيد العراق بالمشورة البريطانية، وإعطاء الحرية التامة للتبشير . عبد الرزاق الحسني ، العراق في ظل المعاهدات ، الرافدين ، لبنان ، ٢٠١٣ ، ص١٢ – ص١٣ .

(٧٨) M.k.Abdullah saeed and Christopher O،Sullivan , Iraq Between tow occupations , federal lnstute of technology ,Switzerland , ٢٠٠٣, p٤.

(٧٩)علي الوردي ، المصدر السابق ، ج٦قسم الاول ، ص١٦٤ ، ص١٧٦ .

(٨٠)امين الجرجفجي (١٨٨٢ – ١٩٣٣): ولد في بغداد من عائلة تتاجر في بيع الاقمشة ، درس العلوم الأولية عند الكتاتيب ، عضو في المدرسة الجعفرية عام ١٩٠٨ التي أسهم في بناءها ، أسس حزب النهضة عام ١٩٢٢ ، تم نفيه إلى جزيرة هنجام ، بقي يمارس عمله السياسي المعارض حتى وفاته . فلاح حسن كزار ، حزب النهضة العراقية ١٩٢٢ - ١٩٣٠ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية (ابن رشد) - جامعة بغداد ، ٢٠١٠ ، ص ١٩ – ص٢٢ .

(٨١)عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الأحزاب السياسية ، ج١ ،ص٣٣ ، ص٤٨ ؛ حسن شبر، العمل الحزبي في العراق ١٩٠٨ – ١٩٥٨ ، باقيات ، إيران ، ٢٠١٠، ص١١٨ - ص١٢٠ .

(٨٢)محمد محمد مهدي الخالصي ، المصدر السابق ، ص٢٠٥ – ص٢٠٦ .

(٨٣)حسن شبر ، العمل الحزبي ، ص١٢٢ .

(٨٤)V.O.lockwood – Drummond , The Role of Religion in Iraq Nationalism

(٨٥)محمد محمد مهدي الخالصي ، بطل الإسلام ، ص٢١٢

(٨٦) حسن شبر ، التحرك الإسلامي ، ص٣٢٩- ص٣٣٠

(٨٧) ينظر : د.ك.و ، ٢٦١٩ / ٣٢٠٥٠ ، وزارة الداخلية ، فتوى العلماء بتحريم الانتخابات ، ٩ تشرين الثاني ١٩٢٢ ، و٦ ، ٧، ٨ ، ص١١- ص١٨ .

(٨٨)المصدر نفسه.

(٨٩)ساعد في صدور البروتكول الاستنكار الشعبي لمعاهدة ١٩٢٢ فهو محاولة لامتصاص غضب الجماهير العراقية كذلك ثقل الالتزامات المالية البريطانية التي يعاني منها دافع الضريبة البريطانية فضلاً عن استقالة حكومة لويد جورج في ٢٣ تشرين الاول ١٩٢٢ وإعلان المرشحين الجدد على أنهم سيعملون على تقليص الالتزامات البريطانية في العراق وعلى اثر ذلك استدعي المندوب السامي كوكس إلى لندن لاستشارته ليتم إصدار البروتكول.

Thapel Hill , Mandatory Iraq , university Carolina , u.s.A, ٢٠٠٨, p.٣٥

(٩٠)علي الوردي ، المصدر السابق ، ج٦ قسم الاول ،ص٢٢٩ .

(٩١)للاطلاع على نص الفتوى ينظر : د. ك .و ، ٢٦١٩ / ٣٢٠٥٠ ، وزارة الداخلية ، فتوى العلماء بتحريم الانتخابات ١١ حزيران ١٩٢٣ ، و ٢٢ ، ص٣٢ – ص٣٥ .

(٩٢)لطفي جعفر فرج عبد الله ، عبد المحسن السعدون دوره في تاريخ العراق السياسي المعاصر ، مكتبة اليقظة العربية ، بغداد (د. ت) ، ص٨٧ – ص٩٠ .

(٩٣)هؤلاء هم كل من : السيد ابو الحسن الأصفهاني والميرزا النائيني وجواد الجواهري وعلي الشهرستاني وعبد الحسين الشيرازي واحمد الخراساني وحسن الطباطبائي وعبد الحسين الطباطبائي ، كان يصحبهم خمسة وعشرون رجل من أصحابهم . علي الوردي ، المصدر السابق ، ج٦ قسم الأول ، ص٢٢٩ .

(٩٤)المصدر نفسه .

المصادر:

أولا:الوثائق

١- الوثائق غير المنشورة:

أ- الوثائق باللغة العربية :

- وثائق البلاط الملكي ووزارة الداخلية المحفوظة في أرشيف دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد (د. ك. و) .

١- د. ك .و، ٢٦١٩ / ٣٢٠٥٠ ، وزارة الداخلية ، فتوى العلماء بتحريم الانتخابات ١١ حزيران ١٩٢٣ ، و ٢٢.

٢- د.ك .و، ٢٦١٩ / ٣٢٠٥٠ ، وزارة الداخلية ، فتوى العلماء بتحريم الانتخابات ، ٩ تشرين الثاني ١٩٢٢ ، و ٦ ، ٧، ٨ .

ب- الوثائق باللغة الانكليزية :

الوثائق البريطانية (وثائق وزارة الخارجية البريطانية)(Foreign office (F . O.

- CO.٦٩٦/٣,Administration Report of the Muntafiq Division , سلطان ١٩٢٠

- F.o.٣٧١\١٤١\٤٤٤\١٢٢١٥,Telegram from Goveral the Royal sir Wilson to foreign office ,No. ٩٢٤٩ ,Baghdad, July ٣١ ١٩٢٠

٢- الوثائق المنشورة :

أ- الوثائق بالغة العربية :

- كامل سلمان الجبوري ، وثائق الثورة العراقية الكبرى ١٩١٤- ١٩٢٣، ج٥ ،دار المؤرخ العربي ، بيروت ، ٢٠٠٩ .

ب- الوثائق باللغة الانكليزية :

- العراق في سجلات الوثائق البريطانية ١٩١٤-١٩٦٦،المجلد الثاني ،المحرر الاستشاري ألف دي ل. رش ،محرر البحوث جين بريشود ، ترجمة كاظم سعد الدين ، بيت الحكمة ،بغداد ، ٢٠١٣ .

ثانيا:الرسائل والاطاريح

١- إخلاص لفته حريز ، شيخ الشريعة الأصفهاني ومواقفه السياسية ، مجلة الآداب- المستنصرية ، العدد ٥٣ ، لسنة ٢٠١٠ .

٢- سعد كاظم شبيب ، الدستور في الفكر السياسي الإسلامي الحديث والمعاصر ، كلية العلوم السياسية- جامعة بغداد ، رسالة ماجستير ، ٢٠٠٩ .

٣- فلاح حسن كزار ، حزب النهضة العراقية ١٩٢٢ - ١٩٣٠ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية (ابن رشد) - جامعة بغداد ، ٢٠١٠ .

علاء عباس نعمة، محمد تقي الشيرازي ودور السياسي (١٩١٨ – ١٩٢٠)،رسالة ماجستير، غير منشورة ، كلية التربية – جامعة بابل، ٢٠٠٥.

ثالثا : الكتب العربية :

١- ابو الحسن علي بن محمد الماوردي ، الأحكام السلطانية ، مكتبة دار بن قتيبة ،الكويت ، ١٩٨٩.

٢- احمد رفيق البرقاوي ، العلاقات السياسية بين العراق وبريطانيا ١٩٢٢ - ١٩٣٢، دار الرشيد ، بغداد، ١٩٨٠.

٣- اريك دافيس ، مذكرات دولة ، ترجمة هاشم عبد الهادي ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ، ٢٠٠٨ .

٤- إسحاق نقاش ، شيعة العراق ، انتشارات المكتبة الحيدرية ، قم ، ١٩٩٨

٥- أليزابيث بيرغوين ، مذكرات المس بيل ، ترجمة نمير عباس مظفر ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ، ٢٠٠٢.

٦- جعفر الدجيلي، موسوعة النجف الاشرف، ج١١ ، دار الأضواء، بيروت، ١٩٩٧.

٧- جعفر عبد الرزاق ، الدستور والبرلمان في الفكر السياسي الشيعي ، دار الهادي ، ٢٠٠١ .

٨- حسن العلوي ، الشيعة والدولة القومية في العراق ١٩١٤ – ١٩٩٠ ، روح الأمين،(د – ط)، ٢٠٠٥ .

٩- حسن شبر ، التحرك الإسلامي ١٩٠٠ – ١٩٥٧ ، باقيات ، قم ، ٢٠١٠ .

١٠- حسن شبر، العمل الحزبي في العراق ١٩٠٨ – ١٩٥٨ ، باقيات ، إيران ، ٢٠١٠.

١١- خالد احمد الجوال موسوعة أعلام كبار ساسة العراق الملكي ، ج٢ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠١٢ .

١٢- خير الدين الزركلي ، الأعلام قاموس تراجم ، ج٣، ط١٥، دار العلم للملايين ، بيروت ، ٢٠٠٢ .

١٣- عبد الإله توفيق الفكيكي ، البدايات الخاطئة ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، ٢٠١١ .

١٤- عبد الحليم الرهيمي ، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق الجذور الفكرية والواقع التاريخي ١٩٠٠ – ١٩٢٤ ، الدار العالمية للطباعة النشر ، بيروت ، ١٩٨٥.

١٥- عبد الرزاق الحسني ، الثورة العراقية الكبرى ، مؤسسة المحبين ، إيران ، (د- ت).

١٦- عبد الرزاق الحسني ، العراق في ظل المعاهدات ، الرافدين ، لبنان ، ٢٠١٣.

١٧- عبد الرزاق الحسني ، تاريخ العراق السياسي ، ج١ ،ط٢ ،الرافدين للطباعة والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٨.

١٨- عبد الرزاق الدراجي ، جعفر ابو التمن ودوره في الحركة الوطنية ١٩٠٨ - ١٩٤٥ ، ط٢ ،دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٠.

١٩- عبد الرزاق أمين، ذكرى الخالصي، مطبعة الاستقلال، بغداد، ١٩٢٥.

٢٠- عبد الله النفيسي ، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث ، مكتبة آفاق ، الكويت ، ٢٠١٢.

٢١- عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسية ، ج ٦، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، (د- ت).

٢٢- علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ج٦ قسم الأول، إيران ،(د- ت) .

٢٣- علي ناصر حسين ، الإدارة البريطانية في العراق ١٩١٤ – ١٩٢١ ، مطبعة الكتاب ، بغداد ، ٢٠٠٩.

٢٤- فليب ويلارد آيرلاند ، العراق دراسة في تطوره السياسي ، ترجمة جعفر الخياط ، دار الكشاف ، بيروت ، ١٩٤٩.

٢٥- لطفي جعفر فرج عبد الله ، عبد المحسن السعدون دوره في تاريخ العراق السياسي المعاصر ، مكتبة اليقضة العربية ، بغداد (د- ت) .

٢٦- لورنس ، مختارات من رسائل ولسن ، ترجمة عبد المنعم نصار ، دار الحرية، بغداد ،١٩٨٨.

٢٧- محسن الامين ، أعيان الشيعة ،ج٢،تحقيق حسن الأمين ،دار التعارف للمطبوعات، بيروت ، ١٩٨٣.

٢٨- محمد جواد مالك ، شيعة العراق وبناء الوطن ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ،٢٠١٢.

٢٩- محمد محمد مهدي الخالصي ، الإسلام سبيل السعادة والسلام ، ط٤ ، مركز وثائق الإمام الخالصي ، بغداد ، ٢٠٠٢ .

٣٠- محمد محمد مهدي الخالصي ، بطل الإسلام الشهيد محمد مهدي الخالصي ، مركز وثائق الإمام الخالصي ، إيران ، ٢٠٠٧.

٣١- نديم عيسى الجابري ، فكرة الجمهورية في العراق ، مؤسسة الفضيلة للدراسات والنشر ، بغداد ، ٢٠١٣ .

٣٢- وميض جمال عمر نظمي، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية (الاستقلالية) في العراق، ط٢ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بغداد ، ١٩٨٥.

٣٣- يعقوب يوسف كوريه،انكليز في حياة فيصل الأول ،الأهلية،عمان،١٩٩٨.

رابعا:الكتب الانكليزية :

١- V.O.lockwood – Drummond , The Role of Religion in Iraq Nationalism ١٩١٨- ١٨٣٢ .mcgill university ,canda , ١٩٩٧ , p١٠٧ .

٢- Thapel Hill , Mandatory Iraq , university Carolina , u.s.A, ٢٠٠٨, p.٣٥

٣- M.k.Abdullah saeed and Christopher O'Sullivan , Iraq Between tow occupations , federal lnstute of technology ,Switzerland , ٢٠٠٣, p٤

خامسا: البحوث والمقالات المنشورة :

١- علي التلعفري،تأسيس عرش العراق في خضم التفاعلات السياسية،مجلة الثقافة (بغداد)، العدد ٢،شباط ١٩٧٦.

سادسا:الصحف:

- جريدة العراق ، عدد ١٤٩ ، ٢٦ تشرين الثاني ١٩٢٠ .
- جريدة العراق ، العدد ١٢٥ ، ٢٧ تشرين الأول ١٩٢٠.
- جريدة العراق ، العدد ٣٤٥ ، ١٦ تموز ١٩٢١ .
- جريدة (الاستقلال) البغدادية ، العدد ٤ ، تشرين الاول ١٩٢٠ .

دور المرجعية الدينية في الحفاظ على اللحمة الوطنية العراقية

د. عهود سامي هاشم

جامعة بغداد / كلية للعلوم الانسانية / ابن رشد

ملخص البحث:

يهدف البحث الحالي لتعرف دور المرجعية الرشيدة في الحفاظ على اللحمة الوطنية العراقية وبخاصة بعد احداث ٢٠٠٣/٤/٩ ، اذ راهن الكثير على اشعال الفتنة الطائفية بين ابناء الشعب العراقي ، ولتحقيق مرمى البحث اتبعت الباحثة المنهج الوصفي وقد جاء البحث بثلاث مباحث رئيسة كرس الاول منها لبيان مفهوم التعايش السلمي بين النظرية والمضمون كونه اللبنة الاساس في الحفاظ على اللحمة الوطنية العراقية وقد تضمن هذا المبحث مفهوم التعايش السلمي وادلة التعايش السلمي في القران الكريم والسنة النبوية المطهرة وسيرة ال البيت عليهم السلام فضلا عن اسس التعايش السلمي في الشريعة الاسلامية ، واسس التعايش السلمي مع غير المسلمين كدليل على التعايش السلمي في الدين الاسلامي ، وعرجنا في هذا المبحث الى ادراج مبادئ التعايش السلمي في القران الكريم والسنة النبوية المطهرة كونهما مصدر التشريع في الدين الاسلامي ، وجاء المبحث الثاني ليبين دور المرجعية الرشيدة في تعزيز التعايش السلمي وقد ركزت الباحثة على مرحلة ما بعد سقوط النظام في ٢٠٠٣/٤/٩ واوردت الباحثة بعض من فتاوى السيد السيستاني كونه يمثل المرجعية العليا في العراق ، وقد افرد المبحث الثالث للنتائج والتوصيات . اذ توصل البحث الى نتائج عدة كان من اهمها :

١. ان الدين الاسلامي دين وسطية واعتدال وهو بعيد كل البعد عما تقوم به بعض الجماعات المتطرفة التكفيرية من تشويه لصورته الحقيقة بانه دين ارهاب او انه دين قائم على اساس نشر الدين بالسيف .

٢. اكدت الشريعة الاسلامية السمحاء على ضرورة التعايش السلمي بين ابناء المجتمع كافة بغض النظر عن اديانهم او قومياتهم، وايد ذلك بايات القران الكريم واحاديث الهادي الامين محمد (صلى اللّه عليه واله) وسيرة ال بيته من بعده (عليهم السلام).

٣. سارت المرجعية الدينية الرشيدة على خطى الرسول الاكرم محمد (صلى اللّه عليه واله) فاكدت على ضرورة التعايش السلمي بين ابناء المجتمع العراقي خاصة بعد سقوط النظام في ٢٠٠٣/٤/٩.

٤. اكدت المرجعية مرارا وتكرارا على تحريم قتل النفس التي حرم اللّه قتلها وذلك بفتاوي عدة اصدرتها المرجعية في حينها .

٥. جسدت المرجعية الرشيدة مقت الطائفية والعنف والارهاب واخماد الفتنة الطائفية بقول السيد السيستاني لا تقولوا اخواننا السنة بل قولوا انفسنا السنة وهي اكبر شاهد على ضرورة التعايش السلمي على اختلاف المذاهب.

٦. قامت المرجعية الرشيدة برعاية النازحين ابان احتلال العصابات التكفيرية داعش لعدد من مناطق العراق بعد ١٠/ حزيران/٢٠١٣ فقدمت كل ما يمكن تقديمه للنازحين من مساعدات انسانية مادية ومعنوية على اختلاف مذاهبهم، خاصة وان اغلب النازحين هم من مناطق الغربية كالانبار وتكريت والمناطق الشمالية كالموصل .

التوصيات :

في ختام البحث توصي الباحثة بعدد من التوصيات من اهمها :

١. ادخال موضوعات التعايش السلمي وتقبل الاخر واحترام الاديان ضمن المناهج الدراسية للمراحل الدراسية المختلفة كونها اولى اوليات مبادئ الحفاظ على اللحمة الوطنية العراقية.

٢. تركيز وسائل الاعلام على بث روح المواطنة وبخاصة بفتاوى المرجعية الرشيدة لتوعية ابناء المجتمع على ضرورة واهمية التعايش السلمي .

٣. ابراز دور المرجعية الرشيدة توطيد اللحمة الوطنية التي كشف زيف كل الادعاءات التي تروج للطائفية المقيتة والعنصرية بكل اشكالها وتهدف الى تمزيق وحدة العراق .

المبحث الاول / التعايش السلمي النظرية والمضمون

مقدمة

لا يخفى على أي منا ما للتعايش السلمي من اهمية كبيرة في استقرار وتقدم المجتمعات، اذ كلما نعم افراد المجتمع بهذا المفهوم زادت الالفة فيما بينهم من جهة وسادت بينهم اواصر المحبة والتلاحم في مواجهة الازمات وهو ما تسعى اليه المجتمعات على اختلاف اجناسهم وقومياتهم ودياناتهم وتمكن افراده من الابداع وخلق مجتمع متكامل تسوده قيم المحبة والاخاء.

ولذا لابد من ايجاد تعريف لمفهوم التعايش السلمي.

مفهوم التعايش السلمي:

التعايش لغة :جاء في معجم المعاني الجامع ان تعايش النّاسُ : وُجدوا في نفس الزّمان والمكان. ومنه اشتق مصدر تعَايَشَ : مُجتمَعٌ طائفيٌّ يَعيشُ أهلهُ فِي تعَايُشٍ ووِئامٍ

: يَعِيشُونَ فِي تَسَاكُنٍ وَتَوافُقٍ داخِلَ المُجتمَع عَلى الرَّغْم مِن اخْتِلافِهِمُ الدِّينِيِّ والمَذْهَبِيِّ

التعَايُشُ السِّلْمِيُّ : تعْبِيرٌ يُرادُ بِهِ خَلْقُ جَوٍّ مِنَ التفَاهُمِ بَيْنَ الشُّعُوبِ بَعِيدًا عَنِ الحَرْبِ والعُنْفِ.[١]

التعايش السلمي اصطلاحا:

يمكن للباحثين تعريف التعايش السلمي بانه : جو من التفاهم والالفة تسود بين ابناء المجتمع الواحد على اختلاف قومياتهم ودياناتهم وثقافاتهم واجناسهم مع شعورهم العالي بالانتماء الى الوطن الذي يعيشون فيه، فيتقبل كل منهم الاخر ويؤمنون ان ما يجمعهم هو وطنهم وسبل المحافظة عليه.

التعايش السلمي في الشريعة الاسلامية

أدلة التعايش السلمي في القرآن والسنة المطهرة وال البيت عليهم السلام:

١ – أدلة التعايش السلمي من القرآن:

– قال تعالى: (ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلى أَلا تَعْدِلوا اعْدِلوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتقْوى) (المائدة: ٨).

– قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يأْمُرُ بالعَدْلِ والإِحْسَانِ وإِيتاءِ ذي القُرْبَى) (النحل: ٩٠).

– وقال تعالى: (لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الذينَ لمْ يُقَاتِلوكُمْ فِي الدِّينِ ولَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ) (الممتحنة:

فاوجب الباري تبارك في علاه العدل في كل شيء ومع كل أحد، وبين كل خصمين، وأنه تعالى لم ينه المسلمين عن العدل مع غير المسلمين، بل أمرهم ببرهم أي الإحسان إليهم والقسط معهم أي العدل.

- قال تعالى: (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) (الشورى: ٤٠).

- وقال سبحانه: (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)(المائدة: ١٣).

وهو تبارك في علاه من حث العفو والصفح عن جميع الناس دون تمييز بين مسلم وغيره.

٢ـ أدلة التعايش السلمي من السنة النبوية المطهرة:

- نهى رسول اللّه (صلى اللّه عليه واله) عن ظلم أهل الكتاب والمعاهدين: روى البخاري عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه واله) قال: (من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة)[٢].

- روى عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه واله) انه قال: (ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجة يوم القيامة)[٣].

- دعاء الهادي الامين (صلى اللّه عليه واله) لغير المسلمين: فعن أبى موسى الأشعري قال: كانت اليهود يتعاطسون عند النبي (صلى اللّه عليه واله) رجاء أن يقول لهم: يرحمكم اللّه، فكان يقول لهم: (يهديكم اللّه ويصلح بالكم)[٤]. وروى البخاري عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال جاء الطفيل بن عمرو الدوسي إلى النبي (صلى اللّه عليه واله) فقال إن دوسا هلكت أي عصت وأبت فادع اللّه عليهم فقال النبي (صلى اللّه عليه واله): (اللهم اهد دوسا وأت بهم). ودعا لأم أبي هريرة فقال: (اللهم اهد أم أبي هريرة) فهداها اللّه تعالى وأسلمت. وقال لأسماء بت أبي بكر (صلي أمك)[٥]. هذا مع عدله صلى اللّه عليه واله مع غير المسلمين وكيف لا والقرآن الكريم أنصف

يهوديا وفضح مسلما ونزل قول اللّه تعالى (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا)(النساء:١٠٥).

٣ـ ادلة التعايش السلمي في عهد امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام):

- التعامل مع اهل الكتاب : روي عنه عليه السلام انه قال: «أما واللّه لو ثنيت لي الوسادة» أي وصلت إلى الحكومة «فجلست عليها لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم، وأهل الإنجيل بإنجيلهم، وأهل الزبور بزبورهم، وأهل القرآن بقرآنهم، حتى ينطق كل كتاب من كتب اللّه يقول: صدق عليّ، لقد أفتاكم بما أنزل اللّه فيّ»[٦]

- التعامل مع العدو: يقول امير المؤمنين(عليه السلام): «ابذل لعدوك عدلك وإنصافك» كما قال تعالى: «ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا»[٧]. فضلا عن انه عليه السلام أجرى العطاء للخوارج رغم علمه بأنهم سوف يثورون ضده وسيشهرون السلاح ويقودون معركة مسلحة ضد حكومته المنتخبة .. كما عاملهم في شتى الأمور معاملة عامة الناس .. فلا سجن .. ولا احتجاز .. ولا نفي .. ولا مضايقات .

- التعامل مع الرعية :

ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن جده أمير المؤمنين (عليه السلام) : اذ صاحب ذميا في الطريق فقال له الذمّي: أين تريد يا عبداللّه؟ قال (عليه السلام): أريد الكوفة، فلما عدل عن الطريق، الذمّي، عدل معه أمير المؤمنين(عليه السلام).... فقال له الذمّي: لم عدلت معي؟ فقال أمير المؤمنين(عليه السلام): هذا من تمام الصحبة أن يشيّع الرجل صاحبه هنيئة إذا فارقه وكذلك أمر نبينا، وفيه أن الذمّي أسلم بذلك[٨].

وتزخر سيرته عليه السلام بامثلة عدة لامجال لحصرها تجسد تعامله بالرفة والرحمة والحلم مع الرعية ومخاطبته للناس على قدر عقولهم ، وخير ما يجسد ذلك عهده لواليه على مصر مالك الاشتر.

مبادئ التعايش السلمي في الاسلام :

١. العدل :

من أعظم مبادئ التعايش العدل مع المخالف وجعل ذلك دليلا على التقوى التي رتب عليها أعظم الجزاء قال تعالى : { يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى }[٩] . إن من يتأمل أحكام الإسلام وتاريخ المسلمين يجد أنه لا يمكن أن يقوم مجتمع تحترم فيه الحقوق والواجبات كما في دولة الإسلام ، وفي أوج عزة دولة الإسلام وقوتها كان يوجد من غير المسلمين العلماء والأدباء والأطباء والنابغون في مختلف الفنون والأعمال، وهل يمكن أن يكون لهؤلاء ظهور ونبوغ في أعمالهم لولا سماحة الإسلام ونبذه للتعصب الديني.

ومن الملاحظ إن المعاملة الإسلامية لغير المسلمين في ظل دولة الإسلام تشير إلى تميز الحكم الإسلامي بصيانة الحقوق والأخلاق ودفع الظلم وإنجاز كل ما فيه خير للفرد والأمة في الحاضر والمستقبل . وبطبيعة الحال يشمل ذلك غير المسلمين، فجعل النظام السياسي الإسلامي الحكم أمانة[١٠]. ان الدين الاسلامي اوجب على المسلمين تحقيق العدالة فيها تطبيقا وتنفيذا اذ قال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ }[١١]

وهو ما يتطلب وجود سلطة قضائية مستقلة عادلة ونزيهة [١٢] اذ يمثل أكبر الضمانات لمحاكمة تتوافر لها عوامل الحيدة والنزاهة والاستقلال[١٣] . ومن صور

المساواة والعدالة في الحكومة التسوية في مجلس القضاء والاستماع إلى الخصم غير المسلم وعدم الضيق بهم والحنق عليهم[١٤] كما جاء ذلك في توجيهات النظم القضائية الإسلامية.

٢. صيانة الحقوق والحريات:

أن الشريعة الإسلامية أقرت مبدأ أصول العلاقات الإنسانية بين المسلمين والأمم الأخرى وترسيخ احترام الحريات وذلك منذ أربعة عشر قرنا وعدم التضييق على المخالفين وإرهابهم وترويعهم وبذلك تندحر المقولة المزعومة والتي يتشدق بها الأعداء الحاقدون على نظم الإسلامي مرددين مقولة : إن الإسلام انتشر بالسيف ذلك أن الإسلامي انتشر عن طريق الدعوة بالتي هي أحسن والمجادلة المقنعة والحوار الهادف البناء والتسامح في المعاملة ، ولم يعرف السيف إلا دفاعا عن حرماته ومقدساته من أن تنتهك أو تمتهن من قبل أعداء الإسلام لأن الجهاد في الإسلام على ضربين :

الأول : جهاد الدفع ، حماية لمقدسات المسلمين وأوطانهم أن تسلب أو أن تهان أو أن تغتصب.

الثاني : جهاد الطلب كما حصل في الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين.

وكل هذا ليؤكد أن القواعد التشريعية الإسلامية في فقه العلاقات الدولية والتساكن والتعايش مع غير المسلمين قد سبقت كل قواعد القانون الدولي بأربعة عشر قرنا فيما يتعلق بالعلاقات الإسلامية[١٥] . ومن مظاهر التميز في صيانة الحقوق والأخلاق ما منحته الشريعة الإسلامية من مزايا وأمان للأجانب في ظل الدولة الإسلامية.

وقد أبان الفقهاء أن الأمان للأجنبي يتمثل في تحقيق الدولة الإسلامية الأمن والحماية لمن لجأ إليها[١٦]. وقد عرّفه فقهاء المالكية بأنه " رفع استباحة دم الحربي ، واسترقاقه وماله حين قتاله . مع استقراره تحت حكم الإسلام مدة ما "[١٧].

ان المتتبع للنصوص الشرعية يلمس كفالة الإسلام في تمتع المستأمن في المحافظة على نفسه وماله لكونه إنسانا ما دام محافظا على الآداب والسلوك الإسلامي وفقه العلاقات الدولية وفهمه له ولم ينحرف عنه ، وخير ما يجسد ذلك قول سيد الانام (عليه وعلى اله افضل الصلاة والسلام): إن المستأمن بمنزلة أهل الذمة في دارنا[١٨] .

ولا شك أن هذا التمتع إنما هو مصدر للرعاية الحقيقية التي منحتهم إياها الشريعة الإسلامية أكثر من القانون الدولي . وقد رتب الفقهاء على هذه الامتيازات أنه لا يجوز لدار الإسلام تسليم المستأمن إلى دولته دون الرجوع إليه ورضاه بذلك ولو على سبيل المبادلة بأسير مسلم[١٩] .

اسس التعايش السلمي في الاسلام مع غير المسلمين:

تعتقد الباحثة اننا يمكن ان نحدد اسس التعايش السلمي في الاسلام بما ياتي:

١ – وحدة البشر فالأدمية اصل الوجود : يقول الباري تبارك في علاه :(يا أيُها النّاسُ إنّا خلقْنَاكُمْ منْ ذكَرٍ وأنْثى وجَعلْنَاكُمْ شُعُوبًا وقَبَائِلَ لِتعَارفُوا) (الحجرات :١٣) . وقال النبي الاكرم (صلى الله عليه واله) (كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربى على اعجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى)[٢٠] وهو بحديثه هذا يشير الى أصل الخلقة، وما يسمى بالأخوة الإنسانية.

٢– العدالة بين المسلمين وغير المسلمين.

٣ – السماحة وحسن الخلق.

٤ـ الكرامة الإنسانية: لان البار خلق الانسان حرا كريما واوصت جميع الشرائع السماوية بحفظ كرامة الانسان.

٥ـ المعاملة بالمثل: والحكم فيه باختلاف الحال في السلم والحرب والعهد والأمان في ضوء قاعدة (لهم ما لنا وعليهم ما علينا).

٦ـ حرية العقيدة والعبادة والقضاء اي أن الناس جميعا لا يحاسبون على عقائدهم الغيبية ولا يكرهون عليها وإنما يحاسبون على أعمال الجوارح (لسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ) (الغاشية:٢٢). وأن مهمة الأمة الدعوة لا الأسلمة. إلا إذا تحولا الاعتقاد الغيبي إلى واقع عملي.

مبادئ التعايش السلمي في الدين الاسلامي والسنة النبوية المطهرة :

اولا : لا إكراه في الدين:

على الرغم من أن المسلمين يعتقدون حقا ان اتباع الهادي الامين محمدًا (صلى اللّه عليه واله) والدين الاسلامي هو الحق ؛ فهو المتمم لرسالات الرسل من قبل، إلا انهم لم يحاولوا قط إجبار أحد على الدخول في الإسلام رغمًا عنه، وقد أبان القرآن جليًا عن ذلك المعنى بقوله: { لا إِكْرَاه فِي الدِّينِ قدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ } (البقرة: ٢٥٦). اذ لا إرغام لأحد على الدخول في الإسلام حتى لو كان المرغِم أبًا يريد الخير لأبنائه، ولو كان المرغَم ابنًا لا يشك في شفقة أبيه عليه. وحتى رسول اللّه (صلى اللّه عليه واله) نفسه نهي عن إكراه الناس للدخول في هذا الدين، فقال عز وجل: { ولوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ } (يونس: ٩٩) .

لقد منح الإسلام الحرية لغير المسلمين في الابقاء على دينهم، وأباح لهم ممارسة شعائرهم، وحافظ على أماكن عباداتهم، فقد كان ينهى النبي (صلى اللّه عليه

واله) عن التعرض لأصحاب الصوامع ولم يتعرض يومًا لدار عبادة لغير المسلمين، وقد فقه هذا المعنى جيدًا المسلمون جميعا؛ لذلك كانوا يوصون قادتهم العسكريين بعدم التعرض لدور العبادة، لا بالهدم ولا بالاستيلاء، كما سمح لهم بإقامة حياتهم الاجتماعية وفق مفاهيمهم الخاصة، كالزواج والطلاق و نحوه.

ثانيا: العدل مع الآخر:

أمرنا رسول اللّه (صلى اللّه عليه واله) بالعدل بين الناس جميعًا مسلمهم وغير المسلم منهم، جاء في القرآن { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ } (النساء: ٥٨).

وكان امره ذاك مستندا الى ايات الران الكريم فقام بها أتم قيام، فالأمر كان بالعدل بين الناس جميعًا دون النظر إلى ذواتهم أو أجناسهم أو دينهم أو حسبهم؛ فالكل سواسية حتى لو كان صاحب الحق ظالما للمسلمين، فلابد من إعطائه حقه. وأمر القرآن النبي(صلى اللّه عليه واله) أن يحكم بالعدل إن جاءه أهل الكتاب يُحَكِّمونه بينهم { وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } (المائدة: ٤٢).

وفي أكثر من ثلاثين حديثا يشدّد عليه الصلاة واتم التسليم على حق المعاهد، وهو من ارتبط مع المسلمين بمعاهدة، فمنها قوله: «من قتل نفسًا معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا».[٢١] ، ومنها قوله: «ألا من ظلم معاهدًا أو انتقصه حقه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ له شيئًا بغير حقه، فأنا حجيجه يوم القيامة»[٢٢] ، وقوله (صلى اللّه عليه واله) : «من قتل معاهدًا في غير كنهه، حرم اللّه عليه الجنة».[٢٣]

فضلاً عن نهيه عن تعذيب أي نفس ولم يشترط فيها الإسلام؛ فقال: «إن اللّه عز وجل يُعذِّب الذين يعذبون الناس في الدنيا».[٢٤]

وهو بكل ذلك يضمن لغير المسلمين في المجتمع الإسلامي أمنهم على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، فلا يُتعرض لها بسوء لا من المسلمين ولا من غيرهم، ما داموا في أرض الإسلام.

ثالثاً/ المعاملة الحسنة مع الآخر:

غرس (صلى اللّه عليه واله) بسيرته وتعامله مع الناس كافة مبدأ في غاية الاهمية هو أن الأصل في المسلم المعاملة الحسنة مع كل الخلق؛ اذ قال صلى اللّه عليه واله : «إنما بُعثت لأتمم مكارم وفي رواية (صالح) الأخلاق»[٢٥]، ومكارم الأخلاق مع الجميع سواء، المسلم وغير المسلم.

إن التعايش والتفاهم والتعاون بين الأمم والخلق أمر تحتاجه الإنسانية حاجة ماسة، وقد أمر بها خاتم الانبياء والمرسلين (صلى اللّه عليه واله) في رسالته بالرحمة في كل جوانبها، وحسن التعامل بشتى وجوهه، تقول آيات القرآن: { لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الذِينَ لمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ ولَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أنْ تَبَرُّوهُمْ وتُقْسِطُوا إلَيْهِمْ إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ } (الممتحنة: ٨) ، وفسر علماء الإسلام البرّهنا في الآية بقولهم: «هو الرفق بضعيفهم، وسد خلة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وكساء عاريهم، ولين القول لهم ـ على سبيل التلطف لهم والرحمة ـلا على سبيل الخوف والذلة ـ، واحتمال أذيتهم في الجوار ـ مع القدرة على إزالته ـ لطفًا بهم لا خوفا ولا طمعًا، والدعاء لهم بالهداية، وأن يُجعلوا من أهل السعادة، ونصيحتهم في جميع أمورهم، في دينهم ودنياهم، وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحد لأذيتهم...».[٢٦]

ومما اثره عنه (عليه الصلاة واتم التسليم) انه لما قدم وفد نجران -وهم من النصارى- على محمد (صلى اللّه عليه وسلم) بالمدينة، دخلوا عليه مسجده بعد العصر، فكانت صلاتهم، فقاموا يصلون في مسجده، فأراد الناس منعهم فقال محمد صلى اللّه عليه وسلم : «دعوهم»، فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم.

وقد امر الهادي الامين (صلى اللّه عليه واله) المسلمين بحسن رعاية أهل الذمة الذين يعيشون في أكنافهم، فمن احتاج منهم للنفقة تكفلوا به، فالدولة مسؤولة عن الفقراء من المسلمين وأهل الذمة، فتتكفل بالمعيشة الملائمة لهم ولمن يعولونه؛ لأنهم رعية للدولة المسلمة، وهي مسئولة عن كل رعاياها، وقد قال (صلى اللّه عليه واله) : «كلكم راع وكلكم راع مسئول عن رعيته».[٢٧]

المبحث الثاني / دور المرجعية في تحقيق التعايش السلمي

المرجعية بعد سقوط النظام البعثي

بعد سقوط النظام البائد في ٢٠٠٣/٤/٩ سادت العراق فوضى عارمة وانتشار مظاهر القتل والنهب والانتقام أصدر سماحته السيد علي السيستاني (دام ظله الوارف) فتاواه لتضبط الشارع العراقي عما يمكن أن تؤول إليه الأوضاع الأمنية من تدهور خطير. ففي ٢٠٠٣/٤/٢٧ أصدر سماحته فتوى تحَرم نهب ممتلكات الدولة والوزارات والدوائر الحكومية، ودعا إلى المحافظة عليها بهدف إعادتها في الوقت المناسب. كما رفض قيام العوائل الفقيرة بالاستيلاء على البنايات الحكومية الفارغة وجعلها مساكن لهم. كما رفض قيام الناس باستخدام الأشياء المسروقة من الدوائر الحكومية كمولدات الكهرباء والسيارات في إطار الخدمة العامة.[٢٨]

ولمنع حالات الانتقام والثأر الشعبي والحرب الداخلية وسفك الدماء دون مجوز شرعي وإجراءات قضائية، أصدر في ٢٠٠٣/٥/١٣ فتوى تمنع قتل أزلام النظام السابق من قبل

أولياء المقتول، بل أوجب رفع الأمر إلى المحكمة الشرعية وصدور حكم القاضي الشرعي. كما رفض اتخاذ أي إجراء عقابي ضد عناصر الأمن والبعثيين ، وأرجأ الأمر إلى حين تشكيل محكمة شرعية للنظر في تلك القضايا. كما منع سماحته فضح أسماء عملاء النظام البائد بعد وقوع ملفات الأجهزة الأمنية في أيدي الناس، ورفض التشهير بهم.[٢٩]

ومن الظواهر السلبية التي سادت المجتمع العراقي ابان بعد النظام البعثي الصدامي ونتيجة لانهيار الدولة وسلطة الحكومة، أخذ بعض طلاب الحوزة من بعض التيارات الإسلامية يتخذون منهج الإجبار والإكراه في تطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مثل إحراق دور السينما ومحلات الفيديو وغيرها. وباتوا يجبرون طالبات المدارس والجامعات والموظفات والسيدات العراقيات على ارتداء الحجاب. وتلقت بعض النساء العاملات في منظمات الأمم المتحدة تهديدات بالقتل إذا لم يرتدين الحجاب. وقد أحدثت تلك التصريحات والممارسات استياءا في الأوساط المثقفة والصحفية والسياسية، حتى ساد الذعر من احتمال إقامة دولة طالبان في العراق، اليت عمدت الى قمع المرأة واضطهادها. إزاء ذلك ولتصحيح الصورة، أصدرت المرجعية الدينية بيانا صحفيا ترفض فيه هذه الممارسات، جاء فيه:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

تتداول بعض وسائل الإعلام هذه الأيام أخبارا مفادها أن بعضا ممن ينسبون أنفسهم للحوزة العلمية في بعض مناطق العراق يجبرون النساء على ارتداء الحجاب.

والحوزة العلمية في النجف الأشرف إذ تنفي صدور أي فتوى أو تصريح من مراجعها العظام كالسيد علي السيستاني أو السيد محمد سعيد الحكيم أو الشيخ إسحاق الفياض أو الشيخ بشير النجفي بذلك تعود فتذكّر ببيانيها السابقين بأن لا أحد

ينطق باسمها إلا مراجعها أو مكاتبهم فقط دون سواهم من المدعين. مشيرة لتصريح سماحة آية الله السيد محمد باقر الحكيم لمجلة (ديرشبيغل) الألمانية والمنشور في جريدة الحياة اللندنية يوم ٢٠٠٣/٦/١٠ ، حين أجاب عن سؤال مراسلها له: "عما إذا كان سيؤيد فرض ارتداء الحجاب على المرأة، قال إنه: "مع دعوة المرأة إلى الالتزام بقواعد الإسلام، إلا أن القرار الأخير يبقى ملكها هي، وهي التي تتخذه باختيارها".

وفي هذا القول من الجلاء ما فيه بحيث لا يحتاج إلى مزيد بيان. والحمد لله رب العالمين.

الحوزة العلمية في النجف الأشرف

٩ ربيع الثاني ١٤٢٤ هـ (١١ حزيران ٢٠٠٣)

ومما تقدم تجد الباحثة ان المرجعية الدينية كانت تعمد دوما الى درء الفتن والحرص على احقاق الحق والحرص على اشاعة روح التسامح فالفتوى التي اصدرها سماحة السيد علي السيستاني تمثل الخط الحقيقي الذي يجب ان يسير عليه عموم المسلمين لقطع دابر الفتن واشاعة روح التسامح بين ابناء الشعب الواحد ، فكان لفتوى المرجعية الرشيدة الاثر الاكبر في التصدي لأعمال العنف والطائفية التي طحنت بالعراق .

المرجعية صمام أمان العراق

مع كل ما شهده العراق من تحولات وعلى المستويات كافة فقد برز دور السيد السيستاني كلاعب حقيقي في ضبط إيقاع الأحداث السياسية الهامة والتي تقع تحت تأثير نفوذه لما يتمتع به من احترام واسع في صفوف الجماهير العراقية، وكذلك الأحزاب والشخصيات السياسية المؤثرة في الساحة العراقية. إذ بقي منزله قبلة للزائرين من مختلف الطوائف والمذاهب والقوميات العراقية. إذ كان يستقبل

مسؤولين من رؤساء جمهورية ووزراء ونواب برلمان وشخصيات ذات مناصب عليا في الدولة. كما كان يستقبل السفراء ومبعوثي الأمم المتحدة وأمينها العام أمثال أشرف قاضي والأخضر الإبراهيمي وسيرجيو دي ميللو. وكان يرفض استقبال مبعوثين ينتمون للدول المشاركة في القوات متعددة الجنسية.

لقد اسهم السيد السيستاني في نزع فتيل أول صراع مسلح داخل الصف الشيعي. ففي منتصف تشرين الأول ٢٠٠٣ حدث نزاع مسلح بين أطراف شيعية في كربلاء المقدسة تنافست حول السيطرة على المراقد المقدسة هناك. وبعد حدوث اشتباكات تدخلت بعض القوى الإسلامية كحزب الدعوة الإسلامية للوساطة. وشاركه مكتب السيد السيستاني في إيجاد صيغة لإخراج المسلحين من العتبات المقدسة، ثم أصدر مكتبه البيان التالي:[٣٠]

بسمه تعالى

١ـ النزاع المسلح الذي وقع في كربلاء المقدسة نجم عن غياب السلطة الوطنية العراقية عن الساحة بصورة فاعلة، ووجود أعداد كبيرة من الأسلحة غير المرخصة بأيدي الجماعات غير المنضبطة. وقد تم التوصل إلى حل النزاع بمساعي ممثل مكتب سماحة السيد دام ظله، والمحاكم العراقية الصالحة هي وحدها التي يحق لها محاسبة المقصرين أيا كانوا.

٢ـ يلزم تعزيز القوات الوطنية العراقية المكلفة بتوفير الأمن والاستقرار ودعمها بالعناصر الكفوءة والمعدات الضرورية، ولسنا مع تشكيل أية ميليشيات.

٣ـ يتحدد ذلك كله من قبل أعضاء المؤتمر الدستوري المنتخبين من قبل الشعب العراقي.

مكتب السيد السيستاني في النجف الأشرف

٢٧شعبان ١٤٢٤ هـ(٢٠٠٣/١٠/٢٤)

لقد ترجمت هذه الفتوى المعنى لحقيقي لإطفاء الفتنة التي كادت تعصف بالعراق في آب ٢٠٠٤، إذ كانت عناصر جيش المهدي (ع) قد دخلت الحرم العلوي في النجف الأشرف في بداية نيسان ٢٠٠٤، عندما استولت على مفاتيح المرقد، وطردت الحراس الموجودين. واتخذ السيد مقتدى الصدر من إحدى قاعات المرقد مكتبا له، يستقبل فيه أتباعه والزوار والمبعوثين والمراسلين والصحفيين. وعندما أرادت الحكومة العراقية برئاسة أياد علاوي اقتحام المرقد، تساندها قوات أمريكية وعراقية، اتضح أن دخول القوات العسكرية المرقد يعني حدوث مذبحة كبيرة، يذهب ضحيتها الآلاف من الطرفين، إضافة إلى تدنيس المرقد الطاهر، وانتهاك حرمة العتبة المقدسة. وكان السيد السيستاني قد سافر إلى لندن للعلاج قبل نشوب الأزمة وتوتر الأوضاع. وفي اليوم التالي لعودته اتصل بالطرفين (الحكومة العراقية والسيد مقتدى الصدر)، وأجرى مفاوضات مكثفة حتى تمكن بحكمته وسعة صدره من نزع فتيل الحرب، وإقناع الطرفين من الانسحاب من المدينة ومن الحرم العلوي المطهر. وتكللت المحادثات بتوقيع اتفاق بينه وبين السيد مقتدى الصدر هذا نصه:

بسمه تعالى

إن سماحة السيد السيستاني دام ظله يدعو إلى ما يلي:

أولا: إعلان مدينتي النجف الأشرف والكوفة خاليتين من السلاح، وخروج جميع العناصر المسلحة منهما، وعدم عودتهم إليها.

ثانيا: تولي الشرطة مسؤولية حفظ الأمن والنظام في أرجاء المدينتين.

ثالثا: خروج القوات الأجنبية منهما.

رابعا: تعويض الحكومة العراقية جميع المتضررين في الاشتباكات الأخيرة.

خامسا: مساهمة جميع القوى والتيارات الفكرية والاجتماعية والسياسية في خلق الأجواء المناسبة لإجراء التعداد السكاني، ومن ثم الانتخابات التي من خلالها يمكن استعادة السيادة الكاملة.

هذا وقام السيد مقتدى الصدر بالتوقيع على الاتفاق كما يلي:

بسمه تعالى

هذه طلبات بل أوامر المرجعية ، وأنا مستعد لتنفيذ كل أوامرها الكريمة مع فائق الشكر.

مقتدى الصدر

٩ رجب ١٤٢٥ (٢٠٠٤/٩/٢٦)[٣١]

وفي ظل تصاعد الأعمال الارهابية التي ترتكبها الجماعات التكفيرية والبعثية، حيث أخذت طابعا طائفيا حين يجري القتل على الهوية، تعرّض الشيعة إلى مجازر وحشية. وأصبح طريق اللطيفية بؤرة للإرهابيين والقتلة الذين ينفذون جرائمهم ضد المواطنين المسافرين بين بغداد والحلة أو النجف أو الجنوب العراقي. الأمر الذي أخذ ينذر بحدوث فتنة طائفية في حالة قيام الشيعة بالرد بالمثل، مما يجر العراق إلى حرب طائفية شرسة لا تبقي ولا تذر. وازدادت العمليات سعة وحدة بعد تصريحات أبو مصعب الزرقاوي الذي دعا إلى الحرب على الشيعة في أيلول ٢٠٠٥ ، قامت مجموعة من العراقيين من أهالي الكوفة بتوجيه استفتاء إلى السيد السيستاني تطلب رأيه في كيفية الرد على الزرقاوي وأتباعه، بعد أن أصبحت حربا مكشوفة، وعن الموقف الشرعي، فأجابهم بضرورة ضبط النفس وعدم الرد ، محذرا من الفتنة ، كما أوصاهم بالتعاون مع الأجهزة الأمنية في مكافحة الزمر الإرهابية، جاء فيه:

سماحة آية الله العظمى السيد علي السيستاني (دام ظله)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لا يخفى على سماحتكم التهديدات التي أطلقها عملاء الثالوث المشؤوم ضد أتباع أهل البيت سلام الله عليهم، حيث أعلنها من يسمى بالزرقاوي حربا على الشيعة في العراق.

فما هو رأيكم حول هذه المسألة الخطيرة، وما هي السبل لدفع الضرر عن أتباع أهل البيت عليهم السلام؟ وما هي توصياتكم للشيعة خصوصا وللعراقيين عموما؟ جزاكم الله خير جزاء المحسنين.

أبناء الشهيد الصدر الثاني (قدس سره)

الكوفة العلوية المقدسة

أجاب مكتب السيد السيستاني كما يأتي:

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الهدف الأساس من إطلاق هذه التهديدات ومما سبقها وأعقبها من أعمال إجرامية استهدفت عشرات الآلاف من الأبرياء في مختلف أنحاء العراق هو إيقاع الفتنة بين أبناء هذا الشعب الكريم ، وإيقاد نار الحرب الأهلية في هذا البلد العزيز للحيلولة دون استعادته لسيادته وأمنه، ومنع شعبه المثخن بجراح الاحتلال وما سبقه من القهر والاستبداد من العمل على استرداد عافيته والسير في مدارج الرقي والتقدم.

ولكن معظم العراقيين – ولله الحمد- على وعي تام بهذه الأهداف الخبيثة، وسوف لن يسمحوا للعدو الطامع بتحقيق مخططاته الإجرامية، مما نالهم من ظلم وأذى وأريق على ثرى بلدهم الطاهر من دماء زكية لأهليهم وأحبتهم.

وإننا في الوقت الذي نعبّر فيه عن بالغ الأسى لكل قطرة دم عراقية تسفك ظلما وعدوانا ، ونتألم لآهات الثكالى وبكاء الأيتام وأنين الجرحى، ندعو المؤمنين من

أتباع أئمة أهل البيت عليهم السلام إلى الاستمرار في ضبط النفس مع مزيد من الحيطة والحذر ، ونحثهم على التعاون مع الأجهزة العراقية المختصة لاتخاذ ما يلزم من إجراءات الحماية والمراقبة منعا لتسلل المجرمين وأعوانهم إلى مدنهم ومناطق سكناهم، كما ندعو سائر العراقيين إلى العمل على ما يعزّز وحدة هذا الشعب ويشدّ من أواصر الألفة والمحبة بين أبنائه. ويكون ذلك بالمنع –قولا وعملا- من الانتماء إلى هذه الفئة المنحرفة ومن تقديم العون لها بأيّ ذريعة كانت، وتحت أيّ عنوان كان. كما يلزم توعية المغفّلين الذين يظنون بهؤلاء خيرا، وتنبيههم على انحراف أفكارهم وسوء أهدافهم وتبعات أفعالهم ومخاطرها.

وندعو الحكومة العراقية إلى العمل الجادّ والدؤوب لتوفير الأمن والاستقرار لجميع العراقيين ورعاية كامل حقوقهم ومنع الأذى عنهم بغضّ النظر عن انتماءاتهم العرقية والمذهبية والفكرية.

كما ندعو القضاء العراقي إلى أن يمارس دوره بالإسراع في محاكمة المتهمين في قضايا القتل والإجرام وإقرار العقوبات المناسبة في حق من تثبت إدانتهم، ولا تأخذه في ذلك لومة لائم.

نسأل اللّه العلي القدير أن يأخذ بأيدي الجميع إلى ما فيه خير العراق وعزّته واستقراره واستقلاله، ويجنّب العراقيين جميعا كل سوء ومكروه، إنه سميع مجيب، والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته.

مكتب السيد السيستاني في النجف الأشرف (ختم)

٢١ شعبان ١٤٢٦ هـ (٢٧ أيلول ٢٠٠٥)[٣٢]

من أسئلة صحافية مقدمة لسماحة السيد السيستاني، بتاريخ ٢٠٠٦/٩/١٤.

س:هل هناك حل للصراع الطائفي الشيعي السني في العراق، وما هو دور الزعامات الدينية في ذلك؟

كان جوابه اعزه الله :(لا يوجد صراع ديني بين الشيعة والسنة في العراق، بل هناك أزمة سياسية، ومن الفرقاء من يمارس العنف الطائفي للحصول على مكاسب سياسية وخلق واقع جديد، بتوازنات مختلفة عما هي عليها الآن، وقد تسبب هذا في زج بعض الأطراف الأخرى ايضا في العنف الطائفي، ويضاف إلى ذلك ممارسات التكفيريين الذين يسعون في تأجيج الصراع بين الطرفين ولهم مشروعهم المعروف. ونتيجة ذلك كله هو ما نشهده اليوم من عنف أعمى يضرب البلد في كل مكان و يحصد أرواح آلاف الاشخاص وقد تسبب في تهجير وتشريد أعداد كبيرة أخرى من المواطنين).

لقد اكد آية الله السيد علي السيستاني مرارا وتكرارا، انه لا خلافات حقيقية بين السنة والشيعة، وأضاف السيد السيستاني: (انا أحب الجميع، والدين هو المحبة، أعجب كيف استطاع الأعداء ان يفرقوا بين المذاهب الاسلامية). ومضى قائلا: (هذه المجالس واللقاءات مهمة ومفيدة ومن خلالها يعرف الجميع انه لا توجد خلافات حقيقية بينهم، ان نقاط الخلاف بين الشيعة والسنة في قضايا فقهية موجودة بين أبناء المذهب الواحد أيضا).

وقال السيد السيستاني: (لابد للشيعة ان يدافعوا عن الحقوق الاجتماعية والسياسية للسنة قبل أبناء السنة انفسهم). وأضاف: ان (خطابنا هو الدعوة الى الوحدة، وكنت ولا أزال أقول لا تقولوا اخواننا السنة، بل قولوا (أنفسنا أهل السنة). انا استمع الى خطب أئمة الجمعة من أهل السنة أكثر مما استمع لخطب الجمعة من أهل الشيعة. نحن لا نفرق بين عربي وكردي، والاسلام هو الذي يجمعنا معا).

وأوضح انه يشير في أبحاثه الفقهية (الى فتاوى أئمة السنة، نحن متحدون في كعبة واحدة وصلاة واحدة وصوم واحد، حينما يقول لي بعض أبناء السنة أيام النظام السابق انه أصبح شيعيا، اسأله لماذا ؟ فيقول لولاية أهل البيت، فأقول له ان أئمة السنة دافعوا عن ولاية أهل البيت). وأضاف قائلا: (المقابر الجماعية طالت السنة كما طالت الشيعة. اني مع الجميع حينما يطالبون بحقوقهم)[٣٣].

ويرى الباحثة ان كل ما تقدم يصب في خدمة العراقيين ودفع شر الطائفية المقيتة عنهم ولعل اهم ما جاء في كلمته اعزه اللّه قوله (ان خطابنا منذ اليوم الأول هو دعوة للوحدة وكنت وما أزال أقول لا تقولوا إخواننا السنة بل قولوا أنفسنا أهل السنة)[٣٤].

ففي هذه العبارة ما يؤكد على اهمية محاربة الارهاب من قبل جميع العراقيين بغض النظر عن مذاهبهم فكلمته اعزه اللّه يؤكد ان الاخ قد يختلف مع اخيه ولكن النفس تبقى واحدة ، ومما يلحظه الباحثة دقة التعبير في كلامه اعزه اللّه فاختار الكلمات التي تلامس القلوب وتدخل النفوس دون استئذان وتؤكد في الوقت نفسه اهمية الحب لجميع العراقيين.

المبحث الثالث/ النتائج والتوصيات

لقد توصل البحث الى نتائج عدة كان من اهمها :

١. ان الدين الاسلامي دين وسطية واعتدال وهو بعيد كل البعد عما تقوم به بعض الجماعات المتطرفة التكفيرية من تشويه لصورته الحقيقة بانه دين ارهاب او انه دين قائم على اساس نشر الدين بالسيف .

٢. اكدت الشريعة الاسلامية السمحاء على ضرورة التعايش السلمي بين ابناء المجتمع كافة بغض النظر عن اديانهم او قومياتهم، وايد ذلك بايات القران الكريم

واحاديث الهادي الامين محمد (صلى الله عليه واله) وسيرة ال بيته من بعده (عليهم السلام).

٣. سارت المرجعية الدينية الرشيدة على خطى نهج الرسول الاكرم محمد (صلى الله عليه واله) فاكدت على ضرورة التعايش السلمي بين ابناء المجتمع العراقي خاصة بعد سقوط النظام في ٢٠٠٣/٤/٩.

٤. اكدت المرجعية مرارا وتكرارا على تحريم قتل النفس التي حرم الله قتلها وذلك بفتاوي عدة اصدرتها المرجعية في حينها.

٥. جسدت المرجعية الرشيدة مقت الطائفية والعنف والارهاب واخماد الفتنة الطائفية بقول السيد السيستاني لا تقولوا اخواننا السنة بل قولوا انفسنا السنة وهي اكبر شاهد على ضرورة التعايش السلمي على اختلاف المذاهب.

٦. قامت المرجعية الرشيدة برعاية النازحين ابان احتلال العصابات التكفيرية داعش لعدد من مناطق العراق بعد ١٠/ حزيران/٢٠١٣ فقدمت كل ما يمكن تقديمه للنازحين من مساعدات انسانية مادية ومعنوية على اختلاف مذاهبهم، خاصة وان اغلب النازحين هم من مناطق الغربية كالانبار وتكريت والمناطق الشمالية كالموصل.

التوصيات:

في ختام البحث يوصي الباحثة بعدد من التوصيات من اهمها:

١- ادخال موضوعات التعايش السلمي وتقبل الاخر واحترام الاديان ضمن المناهج الدراسية للمراحل الدراسية المختلفة.

٢- تركيز وسائل الاعلام على بث روح المواطنة وبخاصة بفتاوى المرجعية الرشيدة لتوعية ابناء المجتمع على ضرورة واهمية التعايش السلمي .

٣- ابراز دور المرجعية الرشيدة توطيد اللحمة الوطنية التي كشف زيف كل الادعاءات التي تروج للطائفية المقيتة والعنصرية بكل اشكالها وتهدف الى تمزيق وحدة العراق .

الهوامش:

[١] المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية ، ٢٠٠٤م.

[٢] فتح الباري شرح صحيح البخاري، سنة النشر: ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.

[٣] رواه ابي داوود ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، علي بن سلطان محمد القاري ، دار الفكر ، سنة النشر: ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

[٤] فتح الباري شرح صحيح البخاري، سنة النشر: ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.

[٥] المصدر نفسه.

[٦] فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين ، إبراهيم بن محمّد بن المؤيد بن عبد اللّه بن علي بن محمّد الجويني الخراساني.، تحقيق : العلامة الشيخ محمد باقر المحمودي. ، مؤسّسة المحمودي للطباعة والنشر. بيروت ـ لبنان، ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨م.، شواهد التنزيل ، الحافظ عبيد اللّه بن أحمد المعروف بـ (الحاكم الحسكاني) ، تحقيق محمد باقر المحمدوي ، مؤسسة الأعلمي

[٧] البصائر والذخائر ، أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (المتوفى: نحو ٤٠٠هـ) تحقيق، د. وداد القاضي ، دار صادر ـ بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م .

[٨] علاقات اجتماعية ، اعداد: مركز نون للتأليف والترجمة ، جمعية المعارف الاسلامية الثقافية، ٢٠٠٢

[٩] سورة المائدة / ٨.

[١٠] الإسلام والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين : عبد المنعم أحمد بركة ، ص٨٥ ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٤١٠هـ ؛ أركان وضمانات الحكم الإسلامي : محمد مفتي ، ص١١٠ ، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ، الكويت ، العدد ١٢ ، ١٤٠٩هـ؛ التقسيم الإسلامي للمعمورة : محيي الدين محمد قاسم ، ص٩٩ ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٤١٧هـ.

[١١] سورة النساء / ٥٨ .

[١٢] السلطة القضائية وشخصية القاضي في النظام الإسلامي : محمد البكر ، ص٦٥٢ ، الزهراء للإعلام العربي ، ١٤٠٨هـ

[١٣] انظر : تبصرة الحكام : ابن فرحون ، ج١ ، ص١٥ ؛ معين الحكام : الطرابلسي ، ص٩ .

[١٤] انظر : القضاء في الإسلام وآداب القاضي : جبر محمود الفضيلات ، ص١١٩ ، عمان ، دار عمار ، ١٤١٢هـ .

[١٥] انظر : قواعد العلاقات الدولية في القانون الدولي وفي الشريعة الإسلامية : جعفر عبد السلام ، ص٣١٥ ، مكتبة السلام العالمية ، القاهرة ، ١٤٠١هـ .

[١٦] انظر : الإسلام والعلاقات الدولية : محمد الصادق عفيفي ، ص٣١٧ ، دار الرائد العربي ، بيروت ١٤٠٦هـ .

[١٧] انظر : الحطاب ، ج٣ ، ص٣٦٠ ؛ حاشية العدوي على الخرشي ، ج٣ ، ص١٤١ .

[١٨] انظر : شرح السير الكبير ، ج٢ ، ص٢٢٦ .

[١٩] انظر : شرح السير الكبير ، ج٣ ، ص٣٠٠ ، العلاقات الدولية في الحروب الإسلامية : الشيخ علي قراعة ، ص٨٦ ، دار مصر للطباعة .

[٢٠] شرح النووي على مسلم ، يحيي بن شرف أبو زكريا النووي ، دار الخير ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م

[٢١] رواه البخاري (٦٩١٤).

[٢٢] رواه أبو داود (٣٠٥٢) وصححه الألباني.

[٢٣] رواه أحمد (١٩٨٦٤) وأبو داود (٢٧٦٠)، وصححه الألباني.

[٢٤] رواه مسلم (٢٦١٣).

[٢٥] رواه أحمد (٨٧٢٩).

[٢٦] الفروق للقرافي (١٥/٣).

[٢٧] متفق عليه

[٢٨] محمد حسين علي الصغير (أساطين المرجعية العليا المعاصرون) / ص٧١-٧٢

[٢٩] المصدر السابق / ص٧٣-٧٥

[٣٠] محمد الغروي / المرجعية ومواقفها السياسية / ص ١١١

[٣١] نسخة مصورة من الاتفاق

[٣٢] نسخة مصورة من الاستفتاء، وبختم مكتب السيد السيستاني

[٣٣] كلمة ألقيت نيابة عن سماحته في افتتاح الملتقى الأول لعلماء السنة والشيعة في العراق في مدينة النجف الاشرف ، الموقع الرسمي للسيد السيستاني ٢٠٠٧/١١/٢٨ .

[٣٤] المصدر نفسه

المصادر

القران الكريم

- إبراهيم شمس الدين محمد بن فرحون اليعمري المالكي برهان الدين أبو الوفاء، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام ، جمال مرعشلي ، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٣م. ،

- أبو الحسن، علاء الدين، علي بن خليل الطرابلسي الحنفي ، معين الحكام فيما يتردد بين الخصمين من الأحكام ، دار الفكر.

- أركان وضمانات الحكم الإسلامي : محمد مفتي ، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ، الكويت ، العدد ١٢ ، ١٤٠٩هـ

- الإسلام والعلاقات الدولية : محمد الصادق عفيفي ، دار الرائد العربي ، بيروت ١٤٠٦هـ.

- الإسلام والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين : عبد المنعم أحمد بركة ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٤١٠هـ.

- البصائر والذخائر ، أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (المتوفى: نحو ٤٠٠هـ) تحقيق، د. وداد القاضي ، دار صادر ـ بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م.

- التقسيم الإسلامي للمعمورة : محيي الدين محمد قاسم ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٤١٧هـ.

- رواه ابي داوود ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، علي بن سلطان محمد القاري ، دار الفكر ، سنة النشر: ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

- السلطة القضائية وشخصية القاضي في النظام الإسلامي : محمد البكر ،الزهراء للإعلام العربي ، ١٤٠٨هـ

- شرح النووي على مسلم ، يحيي بن شرف أبو زكريا النووي ، دار الخير ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

- شواهد التنزيل ، الحافظ عبيد الله بن أحمد المعروف بـ (الحاكم الحسكاني) ، تحقيق محمد باقر المحمدوي ، مؤسسة الأعلمي

- علاقات اجتماعية ، اعداد: مركز نون للتأليف والترجمة ، جمعية المعارف الاسلامية الثقافية، ٢٠٠٢

- علي بن أحمد بن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، تحقيق محب الدين الخطيب ، دار الكتب السلفية: ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.

- علي بن أحمد بن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، تحقيق محب الدين الخطيب ، دار الكتب السلفية: ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.

- فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين ، إبراهيم بن محمّد بن المؤيد بن عبد الله بن علي بن محمّد الجويني الخراساني.، تحقيق : العلامة الشيخ محمد باقر المحمودي. ، مؤسّسة المحمودي للطباعة والنشر. بيروت ـ لبنان، ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨م.

- القضاء في الإسلام وآداب القاضي : جبر محمود الفضيلات ، عمان ، دار عمار ، ١٤١٢هـ.

- قواعد العلاقات الدولية في القانون الدولي وفي الشريعة الإسلامية : جعفر عبد السلام ، مكتبة السلام العالمية ، القاهرة ، ١٤٠١هـ.

- كلمة ألقيت نيابة عن سماحته في افتتاح الملتقى الأول لعلماء السنة والشيعة في العراق في مدينة النجف الاشرف ، الموقع الرسمي للسيد السيستاني ٢٠٠٧/١١/٢٨ .

- محمد الغروي (المرجعية ومواقفها السياسية) ، دار المحجة البيضاء، بيروت: ٢٠٠٤

- محمد بن الحسن الشيباني ـ محمد بن أحمد السرخسي ، شرح كتاب السير الكبير (ط. العلمية) ، تحقيق محمد حسن محمد حسن الشافعي ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٧ – ١٩٩٧.

- محمد حسين علي الصغير، اساطين المرجعية العليا في النجف الاشرف، موسوعة البلاغ،بيروت،٢٠٠٣.

- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية ، ٢٠٠٤م.

أثر المرجعيّة في بناء المجتمع (الوحدة الإسلاميّة أنموذجاً)

د.هيام طعمه مطلك/ جامعة طهران، كلية الإلهيات

د. عمار الزويني الحسيني/ جامعة طهران، كلية الإلهيات

الملخص:

لاشكّ أنّ الأمة الإسلاميّة بحاجة إلى الوحدة؛ وذلك لأنها قد قاست آلام الخلافات، وانهكتها التفرقة التي كانت سببا لضعفها وضياع حقوقها، لذلك ارتفع صوت الدعوة للوحدة كما أمرهم اللّه (ﷻ)بقوله: ﴿واعتصِمُوا بحَبْلِ اللّهِ جَميعا ولا تفَرَّقوا﴾ (الأنفال/٤٦).

إنّ المقالة تضمّنت ذكر الوحدة الإسلاميّة لدى المرجعيّة وأثرها في إرساء المبادئ الإسلاميّة، وأهمّيتها في العصر الحديث، كونها شعارا للرسول الأعظم (صلى اللّه عليه وآله وسلم)، كذلك تضمّنت الأسس الحقيقيّة التي تؤول لنجاح الأمّة التي تتبع القائد الناجح، كذلك تطرّقنا لذكر بعض الوسائل الناجحة للوحدة، وأهمّها القيادة الحكيمة المتمثلة بالمرجع الأعلى السيّد السيستاني، وقد اتخذنا منهجا تحليليّا بدراسة موضوعيّة.

ومن النتائج التي توصّل إليها المقال:

نجاح الأمّة الإسلاميّة بالتمسّك بالوحدة، والابتعاد عن الفرقة، كذلك احتياج الأمّة الإسلاميّة في الوقت الراهن لوسائل الوحدة الإسلاميّة من خلال القيادة الرشيدة الممتدّة من القيادة الإلهيّة المحمّديّة، والإعلام النّاجح.

كلماتٌ مفتاحيّة: الوحدة الإسلاميّة، المرجعيّة، المبادئ.

المقدّمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة على المبعوث رحمة للعالمين محمّد، وعلى آله الأطيبين الأطهرين. قال تعالى:﴿واعتصموا بحبل الله ولا تفرّقوا﴾(آل عمران/١٠٣).

لقد جعل الله تعالى للأمّة الإسلاميّة من الصفات والميزات ما يجعلها خير أمّة أخرجت للناس، فجعل الاعتصام بكتابه وسنة نبيّه، والتوحّد والالتزام بالجماعة، والبُعد عن التفرقة من أعظم ميزاتها، وهذا شعار المصطفى(صلى الله عليه وآله وسلم)، وما ظهر أمر المسلمين وقويت شوكتهم، وانتصروا على أعدائهم، وفتحوا البلاد وقادوا العباد، وصاروا أئمة هدى ومصابيح دجى، ودعاة خير وتقى؛ إلا بتمسّكهم بقيادتهم ووحدتهم، وبقراءة التاريخ الإسلامي، يتجلى ذلك حيث آخى النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) بين المهاجرين والأنصار، وقضى على ما كان بين الأوس والخزرج من نزاع تحقيقا للوحدة الجامعة التي اشترك الجميع فيها تحت ظلّ الإسلام العظيم، وكذلك في عصرنا الحديث، فما دام المسلمون متوحدين لن تصل إليهم أيدي البغي والاستكبار، وقد صوّر لنا النبيّ حال المسلمين المترابطين أدقّ تصوير، حينما قال: « ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادّهم وتعاطفهم، كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوا، تداعى له سائر جسده بالسّهر والحمى»[1].

ولعلّ من الواضح في هذا العصر ما يعاني منه المجتمع الإسلامي من تفكّك وتفرقة، فقد رأينا كيف استبيحت قصعة المسلمين، وانتهكت حرماتهم وما للضعاف المتفرقين الذين استحكمت فيهم الأثرة والبغضاء، وسرت فيهم الخلافات والتفكّك إلا أن يدفعوا عن أنفسهم غوائل الأعداء، ومكر الألداء.

لاشكّ أنّ العصر الحديث زاخر بالمشاهد الواضحة، والحقائق الصريحة على نفوذ المستكبرين إلى قلوب ضعاف الأمّة، والمسلم تأبى نفسه الخنوع للذلّ والفرقة، بل

يرى ضرورة التمسّك بالوحدة والتحذير من الفرقة؛ لذا ارتأينا أن نكتب في هذا الموضوع، نبيّن المراد بالوحدة ومقوماتها، وأسسها ووسائلها، ونحذّر من الفرقة وأسبابها تحت عنوان: « أثر المرجعيّة في بناء المجتمع (الوحدة الإسلاميّة أنموذجا) »، وقد بذلنا جهدنا، لنضع هذا البحث بالمستوى المطلوب، بيْدَ أنّنا لا ندّعي له الكمال، فالكمال للّه وحده﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾(هود/ ٨٨)، سائلين المولى التوفيق.

الوحدة لغة:

الوحدة من وحد يدلّ على الانفراد، ومن ذلك الوحدة، وهو واحد القبيلة إذا لم يكن فيهم مثله[٢].

والواحد بُني على انقطاع النظير وعوزِ المثل، والوحيد بُني على الوحدة، والانفراد عن الأصحاب، من طريق بيتونته عنهم، والعرب تقول أنتم حيّ واحد، وحيّ واحِدون، وقيل الواحد: المتقدّم في عِلم أو بأسٍ أو غَيرِ ذلك؛ كأنّه لا مِثلَ له فهو وحده، ووحدهم توحيدا، جعله واحدا.

وقيل الواحد: هو الذي لا يتجزأ ولا يثنّى ولا يقبل الانقسام ولا نظير له ولا مثل، ولا يجمع هذين الوصفين إلا اللّه عزّ وجلّ[٣].

وقيل: الوحدة هي الانفراد، والواحد في الحقيقة هو الشيء الذي لا جزء له البتة، ثمّ يُطلق على كلّ موجود حتى إنّه ما مِن عدد إلا ويصح أن يوصف به فيقال: عشرة واحدة، ومائة واحدة، وألف واحدة[٤].

إنّ الوَحدة بفتح الواو، وأمّا بكسرها فلم نقف عليه في كتب اللغة، ووردت بمعانٍ عدة، وهي:

١ ـ الوحدة: بمعنى الانفراد، وانقطاع النّظير.

٢ ـالوحدة: بمعنى الكلّ الذي لا يتجزأ ولا يقبل الانقسام.

٣ ـالوحدة: بمعنى نفي التبدل والاختلاف.

خلفيّة البحث:

تعدّ الدراسة عن الوحدة الإسلاميّة دراسة مهمّة يتطلع لها الأدباء والمثقفون، بل عامّة الناس، ولاسيما الشعب المسلم، ففيها عُرفت الوحدة، ونبذت الفرقة، لذا يمكن القول: إنّ دراسة الوحدة الإسلاميّة دراسة أدبيّة موضوعيّة تمثل مرحلة من مراحل اللون الفنّي النقدي في الأدب العربي، ولهذا السبب ازداد اهتمام الباحثين من البلدان العربيّة والإسلاميّة بدراسة الوحدة الإسلاميّة.

وأمّا الدراسة الأدبيّة الموضوعيّة للوحدة الإسلاميّة يبدو أنّها لم تدرس بشكلٍ مكثفٍ، لذا وجدنا بعض الدراسات التي تطرّقت لدراسة لغويّة، وبعضها تحليليّة، ولكن لم نجد دراسة أدبيّة موضوعيّة للوحدة الإسلاميّة حسب اطلاعنا المتواضع، ولذلك شرعنا بالبحث عن كنوز الوحدة الإسلاميّة التي اتخذها الرسول الأعظم شعارا له.

أسئلة البحث:

١ـ أين تكمن الوحدة الإسلاميّة لأمّة الرسول الأعظم (صلّى اللّه عليه وآله وسلم)؟

أـما دور الأمّة الإسلاميّة في الدفاع عن الوحدة الإسلاميّة؟

بـ ما أثر الوحدة الإسلاميّة في المجتمع الإسلامي والمجتمعات الأخرى؟

تـ هل يمكن تحقيق الوحدة الإسلاميّة؟

فرضيّات البحث:

١ـ تكمن الوحدة الإسلاميّة في الموارد الآتية:

المنهج التعليمي، الإعلام الصادق، الاقتصاد المستقل، المراكز العلميّة.

أ-إنّ دور الأمّة الإسلاميّة هو الوصول للتلاحم، ونبذ الفرقة.

بدلها أثرٌ كبيرٌ في المجتمع الإسلامي، بل وغير المجتمع الإسلامي.

تـ يمكن أن تتحقق الوحدة الإسلاميّة، كونها شعارا للرسول الأعظم.

منهج البحث:

إنّ المنهج الذي اتبعناه في هذه الدراسة هو المنهج الفئي الموضوعي الذي يعتمد استقراء الوضع الذي عليه الأمّة الإسلاميّة، وتحليله من أجل الخروج بالنتائج التي تظهر من خلال الدراسة والتحليل، فهو منهج أدبيّ تحليليّ موضوعيّ.

أهميّة الموضوع:

ثمّ أمرّمهم لفت نظر الباحث وهو ذو فائدة عظيمة على الحياة الأدبيّة ، لاشتماله على أفكار كلاسيكيّة وحداثويّة، وذلك من خلال الدراسة الموضوعيّة للوصول إلى سبل معالجة ما يبتغيه الباحث في دراسته، وهي الوحدة الإسلاميّة، ولكن لم تنلها الدراسة الكافية عند الباحثين، لذا حاولت الدراسة إثراء الأمّة الإسلاميّة بفكر الوحدة، ونبذ الفرقة لما يحتوي الموضوع من مضامين عدة، وكذلك تتيح هذه الدراسة الفرصة للاطلاع على معالجات بعض الأمور لمعرفة أغلب جوانبها والوقوف على أثرها ، كي نضع الحلول، وهذا ممّا دفع الباحث إلى الغوص في هذه الدراسة، وأيضا إظهار ما كان مغمورا في طيّات الوحدة الإسلاميّة.

الوحدة اصطلاحا:

الوحدة: هي اتحاد الدول أو البلاد والأفراد والجماعات في سائر أمور حياتهم ومعاشهم وسيرتهم وغايتهم، وبموجب هذه الوحدة، يصبح الجميع شيئا واحدا، أو أمّة واحدة، يقال: اتحد البلدان، أي: صارا بلدا واحدا، واتحدت الأشياء، صارت شيئا

واحـدا، ويقـال: وحّد المتعدّد: أي صيّره واحدا، واتحد به: أي صار معه شيئا واحدا، والاتّحاد: امتزاج الشيئين واختلاطهما حتى يصيرا شيئا واحدا[٥].

الوحدة الإسلاميّة:

لاشكّ أنّ الوحدة الإسلاميّة، أساس يعتمد عليه الإسلام، وكان الرسول الأعظم يدعو بها، حتى أضحت شعارا له، فهو يربط عقديًا بين البشر المؤمنين برسالته، وبقرآنه، فيلغي بذلك بينهم جميع أشكال الروابط الأخرى، من أصول عرقيّة ولغويّة وغيرها، بحيث يصبح القاسم المشترك بين أفراد هذه الجماعة البشريّة، هو الدخول في دين الإسلام بوصفه عقيدة ونظام حياة.

إنّ الوحدة الإسلاميّة تقوم أساسا على بناء شخصيّة المواطن المسلم، وتعميق انتمائه للأمّة الإسلاميّة، فالجميع مسئول عن الوحدة الإسلاميّة، يقول الإمام السيستاني (حفظه اللّه): «كنت ولا أزال أقول لا تقولوا إخواننا السنّة، بل قولوا: أنفسنا أهل السنّة...»[٦]. وكثيرا ما كان الإمام السيستاني يؤكّد على الضرورة العقليّة والشرعيّة للوحدة والتضامن بين المسلمين والمجتمعات الإسلاميّة بالدفاع عن أهل البيت (عليهم السّلام)، حتى أنّه كان يعتبر أهل السنّة من المدافعين الأوائل عن أهل بيت الرسول الأعظم، حيث يقول: «حينما يقول لي بعض أبناء السنّة أيّام النّظام السّابق إنّ أصبح شيعيًا، أسأله لماذا؟ فيقول: لولاية أهل البيت، فأقول له: إنّ أئمّة السنّة دافعوا عن ولاية أهل البيت»[٧]، وفي عصرنا الحاضر شهد العالم الإسلامي العديد من الاختلافات المدمّرة نتيجة لمؤامرات الأجانب وعوامل عديدة أخرى، ممّا مهّد الأرضيّة لهجوم الغرب وأعداء الأمّة الإسلاميّة، حيث شكّلت الاختلافات والتفرقة تهديدا حقيقيًا للعالم الإسلامي ولكلّ مجتمع من مجتمعاته.

إنّ السيّد السيستاني (دامت بركاته) أولى قضيّة الوحدة وأبعادها المختلفة اهتماما خاصًا، واستطاع أن يخطو خطوات عمليّة أساسيّة على طريق تحقيقها بين المجتمعات الإسلاميّة، فقد جمع بين المذاهب، ودعاهم للوحدة، كونها شعار الرسول الأعظم، فهو يعجب للتفرقة بين المسلمين، حيث يقول: «أنا أحبّ الجميع، والدين هو المحبّة، أعجب كيف استطاع الأعداء أن يفرّقوا بين المذاهب الإسلاميّة».

الوحدة الإسلاميّة والأدب العربي:

لاريبَ أنّ الوحدة الإسلاميّة تعدّ من أهمّ مطالب الشعوب العربيّة والإسلاميّة في وقتنا هذا؛ لما عانت من الأثر السيّئ للتفرق والتمزّق والتشرذم؛ حتى تمكّن الأعداء من الوصول لمبتغاهم في هدم الوحدة التي أرادها اللّه ورسوله للمسلمين، فبسبب الفرقة وقع معظم البلاد العربيّة والإسلاميّة تحت سيطرة الأعداء، أو أنّهم يهادنونهم، فاستغل الأعداء ذلك، بل أنّهم رسّخوا شعور الاختلاف بين المسلمين، وأقاموا حواجز تمنع الوحدة الإسلاميّة بأيّ شكل من الأشكال ما استطاعت إلى ذلك سبيلا.

لو رجعنا مليًا إلى القرآن الكريم لوجدنا دعوته إلى الوحدة أساسا مهما في الإسلام، حيث يقول في الآية الكريمة:﴿واعتصِمُوا بحَبْلِ اللهِ جَميعًا ولا تفَرّقوا﴾(آل عمران ١٠٣)،بل ويحذّر من الخلاف والفرقة، ويعدّه أساسا مهمًا أيضا بنص الآية الكريمة:﴿ولا تنازعُوا فتفشَلوا وتذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾(الأنفال٤٦)، فالفرقة والخلاف تؤدّي إلى الفشل، والفشل يؤدّي إلى ذهاب ريح المسلمين، أي عزّتهم وقوّتهم وغلبتهم، وتسير الأمور على غير ما يريد المسلمون، وفي التعبير عن القوّة بالريح رمزيّة وكناية دقيقة عن هذا المعنى؛ لأنّ الريح هي التي ترفع الأشرعة، وتعطي القدرة لاندفاع السفن في البحار، فإذا توقفت الريح، فإنّ السفن تعجز عن الحركة ولم يتحقّق الوصول إلى الهدف المطلوب، كذلك فإنّ الريح تجعل الأعلام والألويّة ترفرف

مرتفعة في ساحة الحرب، فتشعر بالقوّة، فإذا ذهبت الريح انتكست الأعلام، وخارت القوى.

إنّ الأدب العربي ليس ببعيد عن الوحدة الإسلاميّة، فقد غرّد الشعراء لاسيما في وقتنا الحاضر بالدعوة إلى الوحدة الإسلاميّة في كلّ مناسبة، وحذّروا من الفرقة، وبيّنوا إيجابيّات الوحدة، وحذّروا من عواقب الفرقة، حتى صارت من أبرز موضوعات الشعر العربي الإسلامي الحديث، بل وكُتبت فيه رسائل جامعيّة، وكذلك كُتبت فيه مؤلفات، ومن فضل اللّه علينا أنّنا كتبنا مؤلفا أسميناه:(الوحدة الإسلاميّة ومقارعة الاستكبار)، وقد نال استحسان أغلب الأدباء والمتلقين.

نحتاج إلى تغيير الواقع العربي والإسلامي، فهو لم يتغير تغيرًا جذريًا، ولم يتحقّق للأمّة الإسلاميّة وحدتها المنشودة كما يريد كلّ مسلم، ويتصوّرها كلّ شاعر؛ لذلك بقي الشّعراء يتناولون هذا الموضوع في محافلهم الشعريّة، فمثلاً نذكر الشّاعر العراقي وليد العراقي، حيث يقول:

وكيف يقوم مجتمعٌ سليمٌ ترف عليه بالعزّ البنودُ
إذا لم يتخذ نهجا سديدا ينصّ عليه قرآن مجيدُ
فصونوا وحدة الآمال فيكم ولا تتفرقوا شيئا تسودوا[8]

فهنا يدعو الشاعر العراقي للوحدة، ونبذ الفرقة، ويستمرّ في دعوته للوحدة، فيقول في قصيدة أخرى:

يامَن جعلتم رسول اللّه قدوتكم هذا هو المجد فامتازوا عن الأمم
سووا الصفوف وصونوا سر نهضتكم واستجمعوا الأمر قبل اللوم والندم[9]

وهنا الشاعر يريد الآية الكريمة من سورة الصف آية٤: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾(الصف/٤).

وقد تناول الشعراء فكرة الوحدة الإسلاميّة وعدم التفرق؛ عندما يتحدّثون عن فريضة الحج، لأنها الفريضة التي تجمع المسلمين في الزمان والمكان والمشاعر والشعائر بشكل ليس له مثيل، فتراهم يبتهلون إلى اللّه أن يجمع صفوف المسلمين ويوجد كلمتهم عامة، وهنا نستذكر الشاعر المصري محمّد التهامي حينما يشكو إلى اللّه ما أصاب المسلمين من بأس الأعداء، حيث يقول:

وصفّنا يا إله الكون مفترق لا يستجيب إلى الداعي ويأتلفُ

وأنت يا ربنا غوث لنكبتنا تعيننا لنلاقي من بنا عصفوا[١٠]

وفي قصيدة أخرى يشكو من الذين يعملون دائمًا لتخريب الصف الواحد من الداخل، وهو الخطر الذي هو أشدّ من العدو الخارجي، حيث يقول:

وفي صفّنا من مبعث الشرّ دافق لكلّ الذي يضري العداوات زاخرُ

ونبلى بشرّ الناس بين صفوفنا وفي عرفهم أن تستحلّ الكبائرُ[١١]

ولا يفوتنا ذكر الشاعر السوري دكتور وليد قصاب الذي يلفت نظرنا إلى الاقتتال الداخلي بين المسلمين، متخذا من الرمز التاريخي مدخلاً غير مباشر لإيصال فكرته إلينا، فيعنون قصيدته بحرب البسوس، موضحا استغلال العدو الخارجي التناحر الداخلي لدى المسلمين، حيث يقول:

كرّوا على بكر وتغلب عندما اشتجر القتال وتلاحم الإخوان يصطرعان من أجل السرابِ

وبسوس تضحك كلما زحف الخراب ورأت جحيم الموت من باب لباب

أبناء وائل أمرهم عجب عجاباً عدى على بعض من الأسد الضواري والسّباع[١٢]

مميزات الوحدة الإسلاميّة:

يتميّز مفهوم وحدة الأمّة الإسلاميّة عن مفاهيم الوحدة الأخرى السائدة في النظم غير الإسلاميّة، التي تقوم فقط على أساس الأصل العرقي، بأنها تجمع بين الروحانيّة والماديّة، في حين المفهوم الغربي يقتصر ويركز على الجانب المادي فقط.

والأمّة الإسلاميّة حقّقت الوحدة بمعانيها:

فهي منفردة ومنقطعة النظير في تحقيق وحدتها، وهي نسيج وحدها في وحدتها، وهي المجتمعة على الإسلام اجتماعا لا يقبل التجزؤ والانقسام، منفي عنها الاختلاف في أمور دينها، وعقيدتها.

إنّ الوحدة تتحقق في ثلاثة أمور جامعة وهي:

الأمر الأوّل: أن تتحد مشاعرنا جميعا في الإحساس بأننا إخوة بحكم الإسلام، وكونها شعارا للرسول الأعظم الذي ضحّى من أجلها.

الأمر الثاني: وحدة ثقافيّة ولغويّة واجتماعيّة، تجمع بين المشاعر والأحاسيس، يتفق فيه على ما فيه رفعة للإسلام وعزّة للمسلمين.

الأمر الثالث: ألا يكون من إقليم إسلامي حرب على إقليم آخر، أيّا كانت هذه الحرب سواء أكانت بالاقتصاد أم بالسّيف، فهي في كلا شكليها توهن قوى الإسلام وتضعف شأنه.

السُبل الناجحة للوحدة الإسلاميّة:

إنّ السُبل الناجحة للوحدة الإسلاميّة تحتاج إلى وسائل متعدّدة وجهود مكثفة للقيام بذلك الدور ورعايته في المجتمعات الإسلاميّة.

ومن تلك الوسائل ما يلي:

أوّلا: المنهج التعليمي في جميع المراحل.

ثانيا: الإعلام الصادق الموجّه للأمة الإسلاميّة.

ثالثا: الاقتصاد المستقل، والاكتفاء الذاتي للأمّة الإسلاميّة.

رابعا: المراكز العلميّة لنشر وعي الوحدة.

أولا: المنهج التعليمي:

لاشكّ أنّ المناهج التعليميّة من أخطر الوسائل وأكثرها تأثيرا في المجتمع إذ إنّها طريق للغالبيّة من المجتمع أو لجميع أفراده بحسب مستوى المجتمع وحرصه على التعليم، فالمدارس تحتوي على مناهج تعليميّة إجباريّة وكلّ منتسب إليها لابدّ له من هضمها واستيعابها ومن ثمّ فلابدّ من حصول التأثر بها لاسيما وهى ترافق الفرد في كلّ مراحل حياته.

لقد عرف أعداء الإسلام أهميّة "المناهج التعليميّة" فأنشأوا المدارس المختلفة لإفساد أبناء المسلمين عن طريقها، لذلك يقول أعداء الإسلام: «إنّ المبشّر الأوّل هو المدرسة»[١٣].ويقول أيضا: «إنّ مدارس البنات في بلاد الإسلام هي بؤبؤ عيني لقد شعرت دائما أنّ مستقبل الأمر ... إنّما هو بمنهج تعليم بناتها ونسائها»[١٤].

إنّ التعليم له شأنه وخطره وعدم تصحيح مناهجه وتوجيه أبنائه إلى الغاية الصحيحة في جميع بلاد المسلمين يبقى عائقا دون توحيد المفاهيم والتصوّرات والموازين التي لا تكاد تلتقي على أمر واحد في بلاد المسلمين اليوم ولازالت تسير وفق المخططات التي رسمها لها أعداء الإسلام، « فإذا أراد العالم الإسلامي أن يستأنف حياته ويتحرّر من رقّ غيره، وإذا كان يطمح إلى القيادة فلابدّ إذن من الاستقلال التعليمي بل لابدّ من الزعامة العلميّة وما هي بالأمر الهيّن إنّها تحتاج إلى تفكير عميق وحركة التدوين والتأليف الواسعة وخبرة إلى درجة التحقيق والنقد بعلوم العصر مع التشبّع بروح الإسلام والإيمان الراسخ بأصوله وتعاليمه إنّها لمهمّة تنوء بالعصبة أولي القوّة، إنّه شأن الحكومات الإسلاميّة فتنظم لذلك جمعيّات وتختار لها أساتذة

بارعين في كلّ فنٍّ فيضعون منهاجا تعليميا يجمع بين محكمات الكتاب والسنّة وحقائق الدين التي لا تتبدّل وبين العلوم العصريّة النافعة والتجربة والاختبار ويدونون العلوم العصريّة للشباب الإسلامي على أساس الإسلام وبروح الإسلام ...»[١٥].

وبذلك يمكن أن تصحّح المفاهيم وتقوّم الموازين في الأمّة فتتحد في أفكارها وعقائدها وتلتقي على أسس مشتركة من العلم المعرفة، فنحتاج إلى تصحيح الأفكار في المناهج التعليميّة.

ثانيا: الإعلام الصّادق:

لابدّ أن يكون الإعلام في بلاد المسلمين بكلّ أنواعه المسموعة والمرئيّة والمقروءة إعلاما هادفا له رسالة يسعى لتحقيقها من خلال ما يبثه أو يكتبه، وتلك الرسالة هي: "تحقيق العبوديّة للّه في أرضه" وهي الغاية التي من أجلها خلق الإنسان ويعمل لها المسلمون بكلّ طبقاتهم.

فيكون للإعلام في بلاد المسلمين رسالة يتمثلها عند كلّ خطوة يخطوها وكلّ كلمة يبثها أو يكتبها، وقد فطن أعداء الإسلام إلى قوّة تأثير الصحافة والإعلام عندما برزت وخططوا لاستغلالها، فقد ورد في كتاب (بروتوكلات حكماء صهيون): «إنّ الأدب والصحافة هما أعظم قوتين خطيرتين»[١٦].

وفي مكان آخر تحدّث أعداء الإسلام عن الصحافة والإعلام بقولهم: «إنّ الصحافة لا توجّه الرأي العام فقط أو تهيّئه لقبول ما تنشر عليه، بل هي تخلق الرأي العام»[١٧]، فتوجيه الإعلام الصّادق الملتزم بآداب الوحدة أمرٌ ضروريٌّ ولا يمكن أن تتحد الأمة وإعلامها إعلام ضائع لا هويّة له ولا هدف.. بل في كثير من بلدان المسلمين قد وجّه الإعلام لإفساد الأمّة وخلخلة عقائدها، فإصلاح الإعلام وتصحيح مساره ضرورة بل

واجب شرعي تأثم الأمة بإهماله وتضييعه.. ثم تخسر عقيدتها وعزتها...ولا تتحقق لها وحدة واجتماع وهذه الوسائل تسير مسارا عشوائيا أو تخريبيا.

إنّ وسائل الإعلام في كثير من البلدان الإسلاميّة غير ملتزمة بالمنهج الإسلامي الذي ارتضاه لهم اللّه ورسوله الذي يبث الخير وينشر الفضيلة ويحذر من الشرّ والأخلاق الرذيلة، بل إنّ بعض تلك الوسائل تحارب الإسلام وتسيء إلى أهله بما تنشره من البرامج السيّئة والحلقات المنحرفة.. وهذا كله مضاد لدين الأمّة ومفرّق لجمعها وهادم لأسس الوحدة التي تقوم عليها، ولن يكون هناك لقاء أو اتحاد وإعلام المسلمين أو بعضه بهذه الصورة، فلابدّ أذن من إعادة بناء الإعلام بناء صحيحا بحيث يكون قادرا على توجيه الأمّة وتعميق العقيدة في نفوسها وتذكيرها بغايتها في هذه الحياة، وتبرز المنهج الذي اختاره اللّه عزّ وجلّ ورسوله لها كما تبيّن إلى جانب ذلك وحدة القيادة للأمّة الإسلاميّة، وأنه لم يعد هناك مجال لظهور قيادات أخرى تنازع هذه القيادة المحمديّة أو تزاحمها، وأنّ القيادات الموجودة تستمد شرعيّتها في حقّ الطاعة على الأمّة بمتابعتها لتلك القيادة، فإذا استطاع الإعلام في البلدان الإسلاميّة أن يثبت هذه القضايا الأساسيّة في نفوس الأمّة، فإنه عندئذٍ يكون قد أدّى دوره الصحيح في المجتمع وأسهم في وحدة الأمّة.. وإلا فلا وحدة ولا اجتماع، ولاشكّ أنّ العراق العظيم بقيادة الإمام السيستاني منذ البداية أعلن سياسته المرتكزة على الوحدة الإسلاميّة ونبذ العنف ما بين المسلمين، ولاسيما في الصحافة والإعلام، حيث يعلن الإمام السيستاني أنّ« الأمّة الإسلاميّة تمرّ بظروف عصيبة وتواجه أزمات كبرى وتحدّيات هائلة تمسّ حاضرها، وتهدّد مستقبلها، ويدرك الجميع مدى الحاجة إلى رصّ الصفوف، ونبذ الفرقة، والابتعاد عن النعرات الطائفيّة

وتجنّب عن إثارة الخلافات المذهبيّة، تلك الخلافات التي مضى عليها قرون متطاولة، فلا ينبغي إثارة الجدل حولها»[١٨].

ثالثا: الاقتصاد المستقل، والاكتفاء الذاتي للأمّة الإسلاميّة:

إنّ التشابك المعقّد في العلاقات الدوليّة اليوم واختلاف الأنظمة الاقتصاديّة في العالم قد انعكس أثره على أكثر المجتمعات الإسلاميّة فتعدّدت فيها الأنظمة الاقتصاديّة تبعا للاتجاه الذي يغلب على كلّ بلد فكان له آثاره السلبيّة على وحدة الأمّة الإسلاميّة. والاقتصاد العالمي اليوم في قبضة "اليهود" فهم يتحكّمون فيه كما يشاءون، وقد جاء في كتاب: "بروتوكولات حكماء صهيون" موضوع خاص لبيان كيفيّة التحكم في اقتصاد العالم والوسائل التي يجب أن تتخذ لتنفيذ هذا المخطط، فقد وضعوا في حسبانهم إيجاد الأزمات الاقتصاديّة المفتعلة لزيادة ثرواتهم ويبين ذلك قولهم: «إن الأزمات الاقتصاديّة التي دبّرناها بنجاح باهر في البلاد الإسلاميّة قد أنجزت عن طريق سحب العملة من التداول فتراكمت ثروات ضخمة»[١٩].

وعن سحب الذهب من العالم ورد فيه: «وأظنّكم تعرفون أنّ العملة الذهبيّة كانت الدمار للدول التي سارت عليها لأنّها لم تستطع أن تفي بمطالب السكّان، ولأنّنا فوق ذلك قد بذلنا أقصى جهدنا لتكديسها وسحبها من التداول»[٢٠]، فالاقتصاد جانب مهم في حياة المجتمع ولهذا فقد عنى به القرآن الكريم والرسول الأعظم بتنظيمه وبيان جوانبه المباحة والمحرمة فضلاً عن خطورة ارتباطه بأنظمة غير مسلمة لا تفرّق بين الحلال والحرام ولا تألُ جهدا في إضعاف الأمّة المسلمة وتمزيق وحدتها، لذا فإنّ العناية به أمر مطلوب شرعا ولابدّ للأمّة وهي تحاول العودة إلى دينها ووحدتها من التحرّر من

تلك الأنظمة الدخيلة على المجتمعات الإسلاميّة والعودة إلى النّظام الاقتصادي الإسلامي الذي هو جزء من الشّريعة الإسلاميّة الواجب أتباعها.

لابدّ من إيجاد اقتصاد إسلامي ليس مرتبطا بأيّ نظام آخر لئلا يبقى بين الأمّة فجوات تحول دون وحدتها، ويتمّ ذلك بإيجاد أسواق مشتركة وعملة موحدة وهيئة اقتصاديّة تشرف على ذلكم الاقتصاد الإسلامي المستقل، وبهذا تستقل عن التبعيّة الاقتصاديّة الضّارة وتقيم لها وحدة اقتصاديّة قويّة على أسس إسلاميّة.

إنّ الاقتصاد في الحقيقة هو جزء من الشريعة الإسلاميّة المتكاملة التي تعدّ أساسا ثابتا لوحدة الأمّة، لذا يعدّ السيّد الرسول الأعظم(صلى اللّه عليه وآله وسلم) الاقتصاد من أولويات الأمّة الإسلاميّة لما له من أهميّة كبيرة في توحيد المسلمين، فلا يمكن للأمة الإسلاميّة الاعتماد في كلّ المجالات الاقتصاديّة على غيرها، أو على الأعداء، بل لابدّ من الاستغناء والاكتفاء في هذه الجوانب بالإنتاج الإسلامي في بلاد المسلمين وبأيد مسلمة، فالعمل على اكتفاء الأمّة بإنتاجها من أقوى الوسائل لاستقلالها وقوّتها ، ومن ثمّ لوحدتها واجتماعها، إذ انقسام الأمّة إلى أجزاء تابعة للبلدان المصنّعة لن يمكّنها من توحيد صفوفها ولا استقلالها، فلا بدّ من هذا الاكتفاء ولو على المدى الطويل.

رابعا: توفير المراكز العلميّة لنشر وعي الوحدة:

لابدّ من توفير مراكز علميّة متخصّصة في كلّ جوانب الحياة تكون مهمّتها التخطيط الدقيق والدراسة المتأنية لتحديد الوسائل والضوابط لتحقيق المطلوب، وهذه المراكز متعدّدة الأغراض تمثل هيئات استشاريّة وتخطيطيّة تشترك فيها جميع البلدان الإسلاميّة تضم في داخلها كفاءات علميّة من أبناء الأمّة الذين يؤمنون بعقيدتها ويسعون إلى تحقيق أهدافها، وبهذا كله يمكن للأمّة أن تجمع

شملها وتتحد كلمتها وتتحقق لها مكانتها التي أرادها اللّه لها عزّ وجلّ ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر اللّه وما ذلك على اللّه بعزيز.

أسس الوحدة الإسلاميّة:

لاشكّ أنّ الأمّة الإسلاميّة تملك أسسا مشتركة تستطيع بها أن تجمع شتاتها وتوحّد كلمتها، فهي أمّة واحدة ذات دين واحد، وكتاب واحد، ورسول واحد، وهذه هي الأصول والأسس التي تشترك فيها الأمّة الإسلاميّة، فإذا ما أدركت جيّدا والتزمت بمقتضياتها، فإنّ ذلك يجعل منها أمّة واحدة تلتقي على وحدة التشريع، ووحدة العقيدة، ووحدة القيادة، ووحدة الغاية، وبهذا تصبح الشعوب الإسلاميّة "أمّة واحدة" تذوب فيها جميع الأجناس والتجمّعات شعارها: ﴿وإنّ هذِهِ أمّتكُمْ أمّة واحِدة﴾ فتحقق للأمّة الإسلاميّة عزّتها وقوّتها المنشودة.

وحدة التشريع:

إنّ من الأسباب الرئيسة لتمزّق الأمة الإسلاميّة تعدّد التشريعات وتنوعها، تلك التشريعات التي لا صلة لها بها ولا علاقة لها بدينها، بل هي مضادة لدينها محاربة لعقيدتها، فوقعت الفجوة باسم التشريعات والواقع، وبين القيادات والشعوب، بل بين القيادات أنفسها، فانعكست تلك الخلافات على الأمّة الإسلاميّة، وما لم يوحّد التشريع الذي يحكم الأمّة فيكون تشريعا مستمدا من دينها القويم فإنّ كلّ محاولة لوحدة الأمّة أو لجمع شتاتها فإنها محاولة فاشلة، فإنه ليس هناك مكان لتشريعات أخرى في المجتمع الإسلامي وليس لأحد من البشر حق وضع تشريع يحكم الحياة في المجتمع الإسلامي، فالحقّ للّه عز وجل وحده وليس لأحد من خلقه أن يتلقى تشريعاته من غيره سبحانه.

قال اللّه (ﷻ): ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (الأحزاب/ ٣٦)، فالنفس البشرية ذات طبيعة معقدة ومعرفة ضوابط إصلاحها أو أسباب فسادها أمر لا يعلمه إلا اللّه عز وجل وقد اعترف علماء الغرب بذلك وأكدوا أن العلوم البشرية لم تستطع أن تبين حقيقة الإنسان.

وأشهر من أعلن هذه الحقيقة هو الطبيب الفرنسي: (ألكسيس كاريل) حيث يقول: «فمن الواضح أن جميع ما حققه العلماء من تقدم فيما يتعلق بدراسة الإنسان مازال غير كاف وأن معرفتنا بأنفسنا مازالت بدائية في الغالب»[٢١]، فإذا كانت معلومات الإنسان عن نفسه رغم ما يملكه من وسائل المعارف المذهلة التي لم يكن يحلم بوجودها الإنسان في الزمن الماضي. إذا كانت رغم كل ذلك بدائية، فهل يمكن أن يضع تشريعا يحكم حياته ويقوده إلى تحقيق إنسانيته؟!ولهذا فإن العودة إلى شريعة اللّه عزّ وجلّ أمر ضروري.. ضروري لأنه أمر أوجبه اللّه عزّ وجلّ، فلابدّ من وحدة التشريع لتتحد مفاهيمه وتصوراته وموازينه، ومن ثمّ تتحقق له وحدته المنشودة.

وحدة الغاية:

إنّ لهذا الإنسان الذي يعيش على ظهر هذه الأرض: "غاية" يؤدّيها في أثناء وجوده إذا عرفها وتمثلها في حياته سعد في دنياه وآخرته وإذا جهلها أو أعرض عنها فإنه يشقى في الدنيا والآخرة، هذه الغاية حدّدها اللّه عزّ وجلّ بنفسه وبينها في كتبه، فمن أجلها خلق الإنسان، ألا وهي: "عبادة اللّه عز وجل" كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾(الذاريات/ ٥٦)، والمسلمون وللّه الحمد يدركون هذه الغاية ويعرفونها ولكنهم فرطوا في القيام بها والعمل بمقتضاها ممّا كان له

أسوأ الأثر في حياتهم، فلابدّ من العودة الصادقة إلى تحقيق هذه الغاية والالتزام بمقتضياتها ليحقق المسلمون لأنفسهم السّعادة في الدنيا والآخرة.

السّعادة في الدنيا باجتماع الكلمة ووحدة الأمة وطمأنينة النفس واستقامة الحياة، وهي آمال يحلم بها جميع شعوب العالم ولكنهم لم يهتدوا إلى أسبابها ووسائلها.

ولكن تعدّد الغايات وتنوّعها يفتت الأمّة ويشتت كلمتها ويجعل كلّ فئة من الأمّة لها غاية تخالف غاية الفئة الأخرى تسعى لتحقيقها والوصول إليها.

فغاية اقتصاديّة، وغاية سياسيّة، وغاية شهوانيّة، وهكذا غايات متعدّدة تنتهي بهم إلى فئات متصارعة وسبل متفرّقة.

قال عزّ وجلّ: ﴿وأنّ هذا صِراطي مُستقيما فاتّبعوه ولا تتبعوا السُّبُلَ فتفرّقَ بكُمْ عن سَبيلِهِ ذلِكُمْ وَصّاكُمْ بِهِ لعلّكُمْ تتقون﴾ (الأنعام/ ١٥٣).

وحدة القيادة:

لاشكّ أنّ للمسلمين قيادة واحدة على مدار الزمن واختلاف المكان وتعدّد المذاهب، وكلّ قيادة سواها إنما تستمد شرعيّتها من متابعتها لهذه القيادة والالتزام بمنهجها والسير على طريقها، هذه حقيقة يقوى وضوحها في أذهان المسلمين كلما صفت العقيدة وقوي الإيمان.

وهي حقيقة قرّرها الله عزّ وجلّ في كتابه وأكّدها في مواطن كثيرة لئلا تغفل عنها الأمّة الإسلاميّة، قال الله عزّ وجلّ: ﴿يا أيُها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرّسُولَ وأولي الأمْرِ منكُمْ فإنْ تنازعتمْ فِي شَيْءٍ فرُدُوهُ إلى اللهِ والرّسُولِ إنْ كُنتمْ تؤمِنون باللهِ واليوْمِ الآخِرِ ذلِكَ خيْرٌ وأحسَنُ تأويلا﴾ (النساء/٥٩).

وقال عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء/ ١١٥)، وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر/٧)

وهكذا تكرّر التأكيد على هذه الحقيقة في عشرات المواضع من القرآن الكريم، فإذا ما اتضحت هذه الحقيقة وتقرّرت في أذهان المسلمين فإنه يمكن أن يتحد كلمتهم وتجتمع صفوفهم.

لا يختلف اثنان بأنّ الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) هو القائد الناجح، والجميع اتباع له وأنصار به يتأسّون، ولحكمه يخضعون وإلى سنّته يتحاكمون، هذا أصل لا يمكن أن تتوحّد الأمّة بدون إدراكه والالتزام به، وهذا ما يقتضيه الإيمان بالله عزّ وجلّ، وإلاّ فإن الإيمان يبقى دعوى بدون دليل.

وكلّ قيادة أخرى تحاول أن تلغي هذه القيادة، أو تقلل من شأنها فإنها قيادة خارجة عن الإسلام محاربة له، بل كلّ قيادة تنحرف عن متابعتها فهي قيادة منحرفة.

ولقد تجلّت وتحقّقت القيادة الإلهية والدينيّة في العراق بكلّ معاييرها وخصائصها وذلك من خلال قيادة الإمام السيستاني للشعب العراقي التي تعتبر (مثالا) و(صورة عمليّة) لهذه القيادة، وذلك من خلال دعوته للوحدة.

إنّ الإمام السيستاني شخصيّة جامعة ذات أبعاد مختلفة علميّة وعمليّة حملت شعار الرسول الأعظم في توحيد الأمّة، وقد أوجد حدثا مهما ونادرا في التاريخ الإسلامي، ومن أبرز تجليات القيادة والدور المعنوي للإمام السيستاني وتأثيره العميق على معنويات الأمّة ومجاهدي الإسلام هي قيادته للأمور وهدايته لها، فبكلمة واحدة بفتواه العظيمة في الجهاد الكفائي وحّد الأمّة، وجمع شمل المسلمين، وكانت النتيجة هي الوقوف صفّا واحدا في حرب أعداء الإسلام، وهذا الرجل العظيم مزج القيادة بأعلى

مراتب عرفانه وتجلّى فقهه في الفلسفة العمليّة للقيادة في العراق، وحكمته التي شكّلت أساس النّظام الإسلامي، ونحن من بعد عهد النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) لم نرَ قائدا... إنسانا عارفا وحكيما زاهدا ومحبّا لله ... ولم يكن هناك في أيّ مكان في العالم حتى اليوم ولا في الماضي قوى عسكريّة تكون تحت إمرة إنسان معنوي وإلهي وعارف، ولديه أرقّ الأحاسيس البشريّة في نفس الوقت وحزم وقوّة لا يملكها أيّ قائد في العالم ويقوم بالدفاع عن الشرف والحياة الشريفة لهذه الأمّة في مواجهة المعتدين، فهو قائد عظيم.

إنّ للقيادة دورا رياديا، ولكنّ القيادة وحدها لا تستطيع أن تفعل شيئا، ولنأخذ قيادة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقيادة أمير المؤمنين (عليه السلام) على ذلك مثلا: لماذا انهزم المسلمون في أحد، وقد كان رسول الله قائدهم؟ ذلك لأنهم لم يطيعوا القيادة في بعض مواقع المعركة، وعندما وجدت الثغرة بين القيادة والأمّة، وتركت الأمّة طاعتها للقيادة، تغلب الأعداء عليها، ثمّ أيّة قمّة شامخة بعد رسول الله أعظم من عليّ؟ لقد كان القمّة في الفكر والبطولة والتضحية والتخطيط، فلماذا لم يستطع أن يصل إلى ما يريد؟ ليس لدينا قيادة بمستوى قيادة عليّ(عليه السلام)، ولكنّ القيادة والأمّة هما سرّ الانتصار، وهما كذلك عندما يكون هناك رابط أساس يربط الأمّة بالقيادة، لا أن يكون الرّابط مجرّد علاقة شخصيّة مع القائد، بأن تحبّه الأمّة أو تخلص له أو تنتفع من ماله، بل أن تكون هناك علاقة أساسيّة تربط الأمّة بالقيادة، بحيث لا تنفصل عنها مهما كانت الظروف، وعندما تشعر الأمّة بأنّ كلام القيادة ينطلق من كلام الله ورسوله، وبأنّ تعليماتها تنطلق من خلال تعاليم الله ورسوله، وأن تطبيقاتها تنطلق من الوعي لكلام الله ورسوله، فإنّها تدرك حينئذٍ أنّها تسير في خطّ النّجاة وخطّ الوصول إلى الله سبحانه وتعالى، وهذا هو

الشيء الذي استطاعت القيادة الإسلاميّة أن تربّي الأمّة عليه، حيث ربتها على أن تلتزم بحكم الله، على أساس أن ترتبط بشريعة رسول الله، وأن تحبّ الله ورسوله.

وحدة العقيدة:

إنّ التفرّق الذي ابتليت به الأمة في عقيدتها لا يمكن أن يكون معه اجتماع للأمّة ولا تعاون، ولذلك فإنه لابدّ أولاً من علاج لذلك التفرّق بتصحيح عقائد المنحرفين لتتوحّد القلوب وتتآلف النفوس.

بدأ المسلمون يدركون حقيقة الحضارة الغربيّة وما تحمله من سلبيّات وثمرات فاسدة، فقد بدأ الوعي يدبّ في صفوفهم ويدركون قيمة هذا الدين وأنه لا سعادة للإنسان في هذه الحياة بدون أن يلتزم بعقيدته وتوجيهاته.

لاشكّ أنّ الزمن الذي كان يسمّى فيه الإسلام "رجعية" و "تزمّتا" قد مضى وانقضى حيث تعرى خصوم الإسلام وانكشفوا وظهر زيف دعواتهم الباطلة من قوميّة واشتراكيّة وحزبيّة قاتلة وغيرها من فتن هذا العصر المضللة ورأى النّاس خيبتها وخسرانها وتضييعها للأوطان وتدميرها وعبثها بحقوق الإنسان، ورأوا عن كثب ويلاتها على العرب الذين ابتلوا بها، بل ويلاتها على الجنس البَشرى في جميع أنحاء الأرض ومن دعاتها من رأى ذلك بأمّ عينه ولكنه معاند مكابر لا يعترف بإخفاقه ولا يريد الخضوع أمام غيره، ولم يعد الإسلام "رجعية" كما كانوا يسمّونه وتسميه إذاعاتهم بأصواتها المنكرة المبحوحة، بل عاد الإسلام والنّاس يتلمسونه في الميدان ويسألون عنه في كلّ مكان ونادى به اليوم من لم يكن يعرفه بالأمس ولم يعرف عنه النّداء باسمه من قبل، وامتلأت المساجد بالوافدين الجدد وآب الكثيرون إلى الله سبحانه يسألونه العز والنصر والفرج القريب لهذه الأمة المنكوبة برجالها وشبابها وقادتها في هذا الجيل المخفق الخاسر الذي هو جيل الهزيمة المنكرة، فإذا كثر سواد

الصالحين وزاد عدد المؤمنين فبشر الأمة بالنصر المبين، فالوعي الديني استيقظ في الأمة وهو في حاجة إلى من يوجهه وجهة صحيحة ليكون أساسا واحدا لجمع كلمة الأمة ويقضى على المذاهب المنحرفة والعقائد الضالة المتسللة إلى مجتمعات المسلمين.

وأما الانحرافات الأخرى التي طرأت على عقائد المسلمين سواء في التوحيد العملي أو في التوحيد العلمي فإنّ ذلك يستدعى جهودا مخلصة وأقلاما صادقة تعالج تلك الانحرافات بحكمة وموعظة حسنة إذ إن أصحابها أو كثيرا منهم لم يتعمّد الانحراف ولا يرضى به لو كشف له، لذلك فإنّ مخاطبتهم يجب أن تكون بأسلوب ليّن وبجدال حسن، فإذا قدّر للأمّة أن تجتمع في عقيدتها فإنّ ذلك سيفسح المجال للاجتماع والوحدة الإسلاميّة.

دور الوحدة في مقارعة الأعداء:

شعار الأعداء: فرّق تسُدْ، وهي سياسة قديمة، ومع معرفتنا جميعا بهذه القضية، فإننا في غفلة عن ذلك جرّاء الأهواء النفسيّة والتحليلات الخاطئة وانعدام النظرة الثاقبة، وترجيح المصالح الشخصيّة أو المصالح قصيرة الأمد على المصالح بعيدة المدى، فسياسة الأعداء اليوم تتركز في إيقاع الصِدام والتناحر بين المسلمين، وهي سياسة معروفة، والواجب على الجميع أن يتخلصوا من هذا الداء أولا (داء الفرقة) وقبل كل شيء فالوحدة بين الأمّة الإسلاميّة ضرورة أساسيّة لابدّ من الانسجام بين الجميع.

ثمة أمور ربما تعوق مشروع الوحدة، وفي مقدمتها الرؤية غير الواضحة، وعدم وقوف البعض على حقائق الأمور، وانعدام الصلة بين الأشقاء، وشكّ هذا الطرف في ذاك، والجهل بآراء وأفكار الجانب الآخر، كما هو شأن هذا الشعب المسلم مع الشعب المسلم الآخر، والجار مع الجار، وسوء التفاهم الذي يستغله الأعداء بشدة ودهاء،

وللأسف فإنّ البعض يقع في حبائل الأعداء ويصبح لعبة في أيديهم؛ بسبب سوء الفهم وسوء التحليل والجهل بحقيقة الخطة العدائيّة.

إنّ الوحدة هي الدواء الناجع لكلّ أدواء العالم الإسلامي اليوم، فعلى الجميع أن يتحدوا، وعلى علماء ومفكّري المسلمين أن يتكاتفوا على وضع دستور للوحدة الإسلاميّة، وأن يُصدروا بيانا بهذا الشأن؛ حتى لا يتجرأ أولئك الجهلاء المتعصّبون المنتمون إلى تلك الفرقة الإسلامية أو ذلك التيار على تكفير غالبية المسلمين واتهامهم بالخروج عن الإسلام بكل يُسر وحرية، فالأعداء لا يفرّقون في عدائهم للمسلمين بين قوم، أو شعب، بل المهم عندهم هو الإسلام فهم يرومون ضرب الإسلام، لأنهم يشعرون بالخطر إزاء كلّ مَن يتمسك بشدّة بالإسلام؛ شخصا كان أو جماعة. نسأل اللّه تعالى أن يجمع شمل الأمّة الإسلاميّة.

النتائج:

بعد أن أكملنا وللّه الحمد هذا البحث الموسوم بـ (أثر المرجعيّة في بناء المجتمع الوحدة الإسلاميّة أنموذجا)، وبعد هذ الجولة العطرة في هذا المضمار نصل الى ختام بحثنا وقد تبين لنا من البحث:

١ـ أنّ الوحدة أساس نجاح الأمّة الإسلاميّة.

٢ـ الوحدة الإسلاميّة تعتمد على أسس لابدّ من تحقيقها.

٣ـ تحتاج الوحدة الإسلاميّة إلى وسائل، كي تكون ناجحة.

٤ـ دور القيادة الحكيمة في الوحدة الإسلاميّة.

٥ـ السيّد السيستاني أنموذجا للقيادة الحكيمة، حيث استطاع لمّ شمل المسلمين.

٦ـ خطر الأعداء في التفرقة.

٧- الدّعوة إلى اتخاذ الوحدة دستورا يسيرون عليه في جهادهم لأعداء الإسلام.

٨- إنّ أعداء الإسلام الجُدد يعملون على توظيف كافة الوسائل لزعزعة وتخريب المعالم الإسلاميّة من خلال العديد من الأساليب لعلّ على رأسها وسيلة القوّة الناعمة أي وسائل وأدوات العولمة لاسيما عن طريق الإعلام الذي يعمل على تخريب العقول خاصّة لدى الأطفال الصغار بزرع التفرقة لتخترق الهويّة الإسلاميّة وتعمل على نسفها والعبث بمقوماتها الحضاريّة.

الهوامش:

---

[١]- البخاري،الصحيح: ٢٢٣٨/٥، ح٥٦٦٥.
[٢]- ابن فارس،معجم مقاييس اللغة: ٩٠/٢.
[٣]-ابن منظور،لسان العرب: ٧٤٠/١.
[٤]-الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن: مادّة وحد.
[٥]-الجرجاني ،التعريفات: ٢٢/١.
[٦]-موقع السيّد السيستاني.
[٧]- المصدر نفسه.
[٨]- وليد العراقي،ديوان الزوابع: ٧٠.
[٩]- المصدر نفسه: ٧٦.
[١٠]-محمّد التهامي، ديوان يا إلهي: ٥٥.
[١١]-المصدر نفسه: ٣٣.
[١٢]- القصّاب، وليد، ديوان فارس الأحلام القديمة: ٧٨.
[١٣]-الخالدي، فروخ، التبشير والاستعمار: ٧١.
[١٤]-الصوّاف، المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام: ٢١٣.
[١٥]-الندوي، ماذا خسر العالم با نحطاط المسلمين: ٢٧٦.
[١٦]-عبد الحكيم، بروتوكولات حكماء صهيون: ١٤٢.
[١٧]-الخالدي،التبشير والاستعمار، مصدر سابق: ٢١٣.
[١٨]-موقع السيّد السيستاني.
[١٩]- عبد الحكيم، بروتوكولات حكماء صهيون : ١٧٤

[٢٠]ـالمصدر نفسه:١٧٥.

[٢١]ـكاريل، الكسيس، الإنسان ذلك المجهول: ١٩.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١ـ الأصفهاني، حسين، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ط٢، دار القلم، دمشق،١٤١٦هـ.

٢ـ الأعظمي، وليد، ديوان الزوابع، ط١، الدار الشامية، دمشق،٢٠٠٤ م.

٣ـ البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، ط١، دار طوق النجاة، إسطنبول، ١٤٢٢هـ.

٤ـ التهامي، محمّد، الأعمال الشعريّة الكاملة، ط١، الهيأة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١م.

٥ـ الجرجاني، علي، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت ،١٤٠٥ هـ.

٦ـ الصواف، محمد محمود، المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، ط١، دار الاعتصام، د.ت.

٧ـ عبد الحكيم، منصور، بروتوكولات حكماء صهيون، ط٣، دار القاهرة، القاهرة،١٩٩٥م.

٨ـ ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٩ـ القصاب،وليد،ديوان فارس الأحلام القديمة، ط١، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠٧م.

١٠-كاريل، ألكسيس، الإنسان ذلك المجهول، ط٣، دار القاهرة، القاهرة،١٩٩٨م.

١١-كنوف، محمد، ديوان يا إلهي، ط١، الدار الشامية، دمشق، ٢٠١٦م.

١٢-مصطفى خالدي، عمر فروخ، التبشير والاستعمار، ط٥، المكتبة العصرية، لبنان،١٩٨٦ م.

١٣-ابن منظور، محمّد، لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت،١٤١٥هـ.

١٤-موقع السيّد السيستاني.

١٥-الندوي، علي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ط١، مكتبة الإيمان، القاهرة، ١٩٩٨م.

Islamic unity between the guidance of the Prophet and Islamic legislation:

Summary:

There is no doubt that the Islamic Ummah needs unity, because it has measured the pain of differences and has been divided by the division that was the cause of its weakness and the loss of its rights. Therefore, the voice of the call for unity rose as God commanded them. :

The article included the mention of the Islamic unity and its impact, and its importance in the modern era, as the motto of the great prophet (peace and blessings of Allah be upon him), and also included the real foundations for the success of the nation that follows the successful leader, and also mentioned some successful

means of unity, Mr. Sistani, and we have taken an analytical approach to an objective study.

Among the findings of the article:

The success of the Islamic Ummah by adhering to unity and keeping away from the division. The Muslim Ummah also needs the means of Islamic unity through the wise leadership extended by the Muhammadiyah divine leadership and the successful media.

Keywords: Islamic unity, objective study, guidance of the Prophet, Arabic literature.

دور المرجعية الدينية العليا في ترسيخ مباديء النظام الدستوري في العراق

د.مالك عباس جيثوم

م.م.علي حمزة جبر

الجامعة الاسلامية فرع الديوانية

الملخص

المرجعية الدينية العليا هي مؤسسة من المؤسسات الاسلامية وهي خير من يمثل الامة في حمل همومها وايصال تطلعاتها ومن ثم العمل على تحقيقها، وفي ظل التحولات السياسية للدول فان للمرجعية الدينية رأيا فيها ، وبعد تغيير النظام السياسي الذي حصل في عام ٢٠٠٣ فقد اخذ دور المرجعية في المساهمة والتوجيه في بناء الدولة عن طريق الاهتمام في بعض المسائل المهمة التي يعتد عليها النظام السياسي، وقد تهيئت العوامل للاخذ بالرأي السديد للمرجعية، وتبعا لذلك ابتدأ دور المرجعية عن طريق وسائل متعددة منها الخطب الدينية لوكلاء المرجعية الدينية العليا وعبر الاستفتاءات الرسمية والوسائل الاخرى ليأخذ محلا متعددا من بداية تشكيل مجلس الحكم و الجمعية الوطنية وكذلك بناء المؤسسات الدستورية الاخرى ، أما على مستوى الوثائق الدستورية في كان للمرجعية الدينية اراء مختلفة حول قانون ادارة الدولة للمرحلة الانتقالية لسنة ٢٠٠٤ الملغي ، وكان الدور الابرز للمرجعية في دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥ إذ سعت المرجعية الى تضمين الدستور اهم المباديء الاساسية منها جعل الاسلام الدين الرسمي للدولة وتضمين المباديء الراعية لحقوق الشعب العراقي بين نصوص الدستور .

المقدمة

تعد المرجعية الدينية العليا من المؤسسات المهمة والفاعلة في العالم الاسلامي والتي لم تقتصر وظيفتها على مسائل الدين والشريعة والاسلامية بل كان لها دورا مميزا ومحوريا في الشؤون العامة الهامة في الدولة، ولعل السبب الذي يدفع المرجعية الدينية الى ممارسة هذا الدور المحوري هو شمولية نظرتها للمسائل المختلفة ودقة التعامل معها حتى انتجت بذلك مخرجات مهمة، تمثلت في بناء القواعد الاساسية التي تقوم عليها الدولة.

وفي العراق وبعد تغيير النظام السياسي الذي حصل في عام ٢٠٠٣ اخذ دور المرجعية في المساهمة او المشاركة في بناء الدولة عن طريق الاهتمام في بعض المسائل المهمة ، وقد تهيئت العوامل للاخذ بالرأي السديد للمرجعية ، وتبعا لذلك ابتدأ دور المرجعية عن طريق وسائل متعددة منها الخطب الدينية لوكلاء المرجعية الدينية العليا وعبر الاستفتاءات الرسمية والوسائل الاخرى ليأخذ محلا متعددا من بداية تشكيل مجلس الحكم و الجمعية الوطنية وكذلك بناء المؤسسات الدستورية الاخرى ، أما على مستوى الوثائق الدستورية في كان للمرجعية الدينية اراءً مختلفة حول قانون ادارة الدولة للمرحلة الانتقالية لسنة ٢٠٠٤ الملغي ، وكان الدور الابرز للمرجعية في دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥ إذ سعت المرجعية الى تضمين الدستور اهم المباديء الاساسية منها جعل الاسلام الدين الرسمي للدولة مع احترام بقية الديانات الاخرى والتأكيد على أهمية الشعائر الحسينية وتضمينها في الوثيقة الدستورية ، ثم انتقل ذلك الدور الى التاكيد على تكامل المؤسسات الدستورية الاساسية في الدولة ، سبقها في ذلك التأكيد على عدد من المباديء الدستورية الحديثة التي تم

تبنيها في وقت لاحق منها تبني نظام الاتحادي في الدولة وكذلك العمل على اشراك مختلف افراد الشعب بالشؤون العامة .

ولعل من من الامور المهمة التي دعى المرجعية الدينية العليا الى التدخل او المساهمة في ارساء مباديء النظام الدستوري في العراق ان هناك أكثر من سبب يدعو إلى تبني مباديء مهمة تضمنها الدستور النافذ من بينها تنوع وتعدد العوامل الجغرافية ، والتاريخية ، والاقتصادية، والبيئية ، والأمنية ، كذلك فان العراق قد تميز بالتنوع قوميا أو عرقيا أو لغويا أو ديانة أو ثقافة وقد ساهمت المرجعية الدينية العليا في الاحتفاظ لهذه الشخصيات بخصوصياتها وهويتها .

ومن هنا تظهر اهمية البحث في انها تبحث موضوعا مفصليا مهما في بناء الدولة العراقية ونظامه الدستوري والسياسي من الناحية النظرية اما الناحية العملية فيبحث المواضع التي ساهمت بها المرجعية الدينية العليا عبر الرجوع للبيانات الرسمية التي صدرت عنها .

ولبحث هذا الموضوع وضعت خطة تتماشى مع طبيعته وذلك عن طريق تقسيمه لمبحثين يخصص المبحث دور المرجعية الدينية في تشريع الدستور العراقي أما المبحث الثاني فيبحث فيه دور المرجعية الدينية في العملية الانتخابية وينتهي البحث بخاتمة تتضمن اهم النتائج والمقترحات .

المبحث الأول: دور المرجعية الدينية في تشريع الدستور العراقي

إن نجاح النظام النيابي في العراق، كنظام سياسي، قد افرز العديد من التغيرات والتطورات الراهنة، لاسيما في مسألة العلاقة بين الدين والدولة؛ فمن الناحية النظرية مثلت الديمقراطية النيابية تصورا إيجابيا لهذه العلاقة، تقوم على اساس الحرية السياسية، الذي يتيح للجميع المساهمة الفعالة في بناء السلطة، ذلك كله في مقابل التصور السلبي التقليدي للنظرية العلمانية القائمة على فكرة الفصل التام

بين الدين والدولة، إن طبيعة التكوين الاجتماعي الذي يتميز به الشعب العراقي، جعلته يخرج عن أغلب المعادلات السياسية التي عمد منظرو السياسة المعاصرة إلى وضعها، فعجز المنظومات الغربية من وضع أطر فلسفية تنظم العلاقة بين الدين والدولة، دفع هذه المنظومات إلى إصدار قرار (حتمي) يقر بهذا الفصل، اما في العراق فقد اختلف الوضع بسبب نجاح المرجعية الدينية من الـ(التدخل- واللا تدخل) في العملية السياسية، بطريقة ذكية وذات بعد إداري جديد، بعيدا عن المفهوم الوظيفي تم من خلاله طرح مفهوم العلاقة، بين الدين والدولة بثوبها وحلتها الجديدة(١).

وهنالك عدة أسباب حدت بالمرجعية الدينية الى الاهتمام بالأمور السياسية والعامة للبلاد، فالأحداث والتطورات التي ظهرت في العراق بعد الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣، جعلت المرجعية الدينية تنهض بالثقل السياسي في ضل اوضاع غامضة ومربكة على المجتمع العراقي من خلال التدخل المباشر وبطرق مختلفة منها التوجيه والإرشاد، وإصدار البيانات حول العمل السياسي وكذلك دعوة الجماهير ومساندتها في مطالبها السياسية والاجتماعية ومنها الدعوة إلى التهدئة وعدم الانجرار وراء الفتن الطائفية، وسنحاول بيان محاور هذا المبحث من خلال المطالب الاتية:

المطلب الأول: مبررات اهتمام المرجعية الدينية العليا بالأمور السياسية الضرورية

في الحقيقة توجد مبررات عديدة لاهتمام المرجعية الدينة العليا بالأوضاع السياسية، سنحاول ذكر البعض منها:

١- ان دور المرجعية لا يقتصر على شؤون المؤمنين الروحية والعبادية بل يشمل الشؤون الاجتماعية ايضا، فلها مقام ديني اجتماعي وليس مركز سياسي، لذلك فإن رسم السياسة العامة للبلد في نظر المرجعية الدينية ليس شأنا سياسيا فقط، بل هي

شأن اجتماعي ايضا والشأن الاجتماعي يدخل في دائرة اهتمامات المرجعية من خلال الاهتمام في الامن الاجتماعي العادل، والتي يعتقد أنها الهدف الأساس الذي يتحتم على العملية السياسية تحقيقه في أي مجتمع أو دولة ما.

٢ـ إن تصدي المرجعية الدينية للأوضاع السياسية المتدهورة في العراق، ناتج من حرصها الشديد على تحقيق العدل الاجتماعي وضرورة أن ينال كل العراقيين حقوقهم بالتساوي وفقا للقانون، وان لا يكون هنالك تمييز لشريحة معينة على حساب بقية شرائح المجتمع، لذلك ادركت المرجعية الدينية أهمية الدستور في هذا المجال لإحلال السلم والعدالة الاجتماعية لكافة مكونات الشعب العراقي وان لا يكون لفئة ما امتياز على بقية الفئات وهذا هو موقف ابوي تجاه شرائح المجتمع العراقي وليس موقفا سياسيا الزاميا.

٣ـ سعت المرجعية الدينية من خلال الشؤون السياسية الى ضرورة الاحتفاظ بالطابع الإسلامي للعراق، خاصة في الوقوف بوجه الإحلال والمد التكفيري، وخصوصا بعد تشكيل التنظيمات الارهابية وقيامها التنظيمات الإرهابية إلى المناطق المقدسة والأهلة بالسكان، وقتلها للمواطنين على أساس طائفي، وبسبب عدم وجود قوات عسكرية نظامية من الجيش والشرطة قادرة على وقف تقدم الإرهاب، أدركت المرجعية الدينية خطورة الوضع الأمني الحالي، ولابد من تشكيل الحومة العراقية وفق نظام سياسي ديمقراطي وفقا لدستور دائم.

٤ـ ومع أن السيد السيستاني يمثل الرمز الديني والروحي والفقهي والأخلاقي للمسلمين في العالم، إلا أن اهتمامه بالقضية العراقية وخصوصيتها، كان نابعا أساسا من حاجة هذا الشعب الماسة إليه تقف معه في هذا المنزلق الخطر، اي المنزلق الديمقراطي، وما يحتويه الكثير من أدوات استغلال وإيهام وتضليل الشعوب،

وتسييرها عبر خداع اعلامي وسياسي واقتصادي، يبعد عنها تضامنها الاجتماعي، ويفرغ محتواها كإطار مشكل ومكون لشكل الدولة، فكان دور السيد السيستاني هنا دور يمثل الرعاية الصحيحة للحفاظ على الخيار الديمقراطي الحقيقي للشعب العراقي، من خلال قطعه الطريق أمام الكثير من المساومات والخداع الذي أريد له أن يحكم العملية السياسية في العراق، بغلاف ديمقراطي مدني كذاب خادع(٢).

المطلب الثاني:آلية وضع الدستور العراقي

اهتمت المرجعية الدينية العليا بضرورة تأسيس نظام سياسي واجتماعي واقتصادي وثقافي في الدولة بعيدا عن حاكمية الفرد المطلقة، هذه الحاكمية التي كلفت العراق أكثر من ثلاثة عقود من الحروب والأزمات، وقتل وتعذيب واعتقال المواطنين فمرجعية السيد السيستاني(دام ضله) لا تريد عودة هذه الدكتاتورية تحت غطاء الديمقراطية، لذلك أكّدت المرجعية على أهمية كتابة الدستور بأيدي أبناء العراق، وليس عن طرق آليات توضع من قِبل المحتل وبعض رجالات السياسة من العراقيين، الذين لا تهمهم هموم ومطالب أبناء الشعب العراقي، إذ أكّدت المرجعية على هذا الأمر من خلال العديد من البيانات التي تؤكّد عدم وجود أيّ جهة مخولة لكتابة الدستور ما لم يتم انتخابها من أبناء الشعب، عن طريق آلية الانتخابات الديمقراطية(٣)، ونبين هذا المطلب على النحو الاتي:

الفرع الأول:الجمعية التأسيسية المنتخبة

ادركت المرجعية الدينية العليا منذ الايام الاولى للاحتلال، خطورة ان يكتب دستور للعراق لا يحقق المصالح العليا للشعب العراقي، ولا يعبر عن هويته التي ترتكز الى الدين الاسلامي والقيم الاجتماعية النبيلة، وكانت المرجعية تخشى أن تعمد سلطات الاحتلال الى كتابة دستور يراعي رؤاها ومصالحها، ولذلك قررت

المرجعية أن تدعو الى إجراء انتخابات عامة لاختيار ممثلي الشعب العراقي في مجلس تأسيسي لكتابة الدستور لتطمئن بذلك الى انه لن يتكرر في العراق ما حصل لبعض الدول المحتلة الاخرى التي كتب المحتلون دساتيرها(٤).

ففي جواب له على سؤال لوكالة الاسوشييتدبرس عن شكل حكومة ما بعد الاحتلال يقول السيد السيستاني "شكل نظام الحكم في العراق يحدده الشعب العراقي، والية ذلك ان تجري انتخابات عامة لكي يختار كل عراقي من يمثله في مجلس تأسيسي لكتابة الدستور، ثم يطرح الدستور الذي يقره هذا المجلس على الشعب للتصويت عليه(٥).

وكان مشروع سلطة الائتلاف المؤقتة المبدئية تتمثل في تشكيل مجلس مختار من ١٣٠ – ١٥٠ عراقيا يكتبون مسودة للدستور خلال مدة ثلاثة اشهر الإضفاء الشرعية على هذا الدستور يصار الى طرحه في استفتاء شكلي للمصادقة يطبق عادة على الشعوب التي تفتقر بحسب ظروفها الى تراث او وعي دستوري، وهو اسلوب غير شرعي وشكل من اشكال الاستعمار الحديث(٦)، ورفضت المرجعية الدينية الدستور الذي يكتب من قبل سلطات الاحتلال او من تعينها، ورأت ان هؤلاء لا يتمتعون بأية صلاحية في تعيين اعضاء المجلس التأسيسي لوضع الدستور(٧) وعلى الرغم من الضغوط التي مورست على المرجعية الدينية داخليا وخارجيا لتغيير رأيها لكنها أصرت على انها "لا ترى بديلا عن اجراء انتخابات عامة لاختيار اعضاء المجلس التأسيسي" ولم يستجب الجانب الامريكي لهذا الطلب في البداية وقرر طرح الدستور المؤقت من اجل تجاوز فتوى المرجعية العليا(٨).

الفرع الثاني: الاستفتاء الشعبي على مسودة الدستور

مثلما طالبت المرجعية بانتخابات عامة فورية، وأكدت أن على كل عراقي من رجال ونساء ان يصوت لممثليه الرسميين لتكوين الجمعية التأسيسية المختصة بكتابة الدستور، اكد كذلك على ضرورة إجراء استفتاء وطنيّ عام على مسودة الدستور الذي وضع من لدن هيأة عراقية مختصة، ويعد الكثيرون ان هذه الدعوة أسهمت في وضع الاساس الاول للنظام الديمقراطي (النيابي) الجديد القائم على اساس بناء دولة المؤسسات المستندة الى دستور دائم مقر من قبل الشعب، وكان واضحا ان السيد علي السيستاني يتحرك بإتقان وكفاءة علية ودقيقة، وهو امر حتمي، بسبب الظروف الصعبة التي واكبت الواقع العراقي ما بعد الاحتلال، وكانت المرجعية تؤمن بضرورة تمكين الشعب العراقي من ممارسة حقه في اختيار دستوره في استفتاء عام وبأشراف دولي، وضمان مشاركة اوسع فئات الشعب العراقي في هذا الاستفتاء(٩).

المبحث الثاني:دور المرجعية الدينية في العملية الانتخابية

مر العراق بتحول في النظام السياسي السائد في الدولة وتغيرت فلسفة الحكم وطريقة الوصول إليها مما استتبع ذلك التفكير في طريقة تنظيم نظام انتخابي عادل يساهم في بناء النظام الديمقراطي في الدولة عن طريق تناسبه مع الأوضاع السائدة مع الاستفادة من التجارب الانتخابية في العالم، وقد تدخلت المرجعية في النظام الانتخابي الذي تأسست بموجبه الانتخابات الأولى والتي تلتها، وسنبين هذا الدور في مطلبين يخصص المطلب الأول لدور المرجعية الدينية في التأكيد على ضمان شفافية الانتخابات .

المطلب الأول:دور المرجعية في الحث على المشاركة في الانتخابات

تمتلك المرجعية الدينية العليا في النجف الاشرف موضعا مهما في نفوس الشعب العراقي لما تحوزه من مقام سامٍ ورمزية دينية مهمة ولما تدخلت به في المواقف، وقد

سعى المشرع العراقي لتثبيت دور الافراد في المشاركة الفاعلة في الانتخابات إذ ذهب إلى أن (...يهدف هذا القانون إلى ما يأتي:

أولا- مشاركة الناخبين في اختيار ممثليهم في مجالس المحافظات والأقضية والنواحي. ثانيا- المساواة في المشاركة الانتخابية. ثالثا- ضمان حقوق الناخب والمرشح في المشاركة الانتخابية...)[١٠]، وعاد قانون مجلس النواب ليكرر النص ذاته إذ ذهب إلى أن (...يهدف هذا القانون إلى ما يأتي:

أولا – مشاركة الناخبين في اختيار ممثليهم في مجلس النواب العراقي.

ثانيا – المساواة في المشاركة الانتخابية.

ثالثا – ضمان حقوق الناخب والمرشح في المشاركة الانتخابية...)[١١].

وهذه المشاركة التي أشار لها المشرع العراقي لا تجد طريقا لتطبيقها منها دور المفوضية العليا للانتخابات عن طريق الجانب العلمي وافهام الناخب بأن بناء الدولة يعتمد على تلك المشاركة، وقد تعجز المفوضية وبجنبها الاعلام عن تحقيق هذه المهمة فيأتي دور المرجعية الدينية العليا لممارسة هذا الدور الهام عن طريق البيانات الرسمية الصادرة عن مكتب المرجعية أو عن طريق خطبة الجمعة الرسمية، وقد عبرت المرجعية الدينية عن ضرورة المشاركة الفاعلة في الانتخابات ، فقد عت في أحد البيانات إلى (...٢- ان المشاركة في هذه الانتخابات حق لكل مواطن تتوفر فيه الشروط القانونية، وليس هناك ما يُلزمه بممارسة هذا الحق الا ما يقتنع هو به من مقتضيات المصلحة العليا لشعبه وبلده، نعم ينبغي ان يلتفت الى ان تخليه عن ممارسة حقه الانتخابي يمنح فرصة اضافية للآخرين في فوز منتخبيهم بالمقاعد

البرلمانية وقد يكونون بعيدين جدا عن تطلعاته لأهله ووطنه، ولكن في النهاية يبقى قرار المشاركة او عدمها متروكا له وحده وهو مسؤول عنه على كل تقدير، فينبغي أن يتخذه عن وعي تام وحرصٍ بالغ على مصالح البلد ومستقبل ابنائه...)(١٢).

كما أكدت في موضع آخر إلى أن (...إنّ هذه الانتخابات لا تقلّ أهمية عن سابقتها، وعلى المواطنين _ رجالا ونساءا _ أن يشاركوا فيها مشاركة واسعة، ليضمنوا حضورا كبيرا وقويا للذين يؤتمنون على ثوابتهم و يحرصون على مصالحهم العليا في مجلس النواب القادم، ولهذا الغرض لا بدّ أيضا من التجنّب عن تشتيت الأصوات و تعريضها للضياع....)(١٣)، كما دعت المرجعية الدينية إلى انه تدعو (...جميع العراقيين الى المشاركة الفاعلة في الانتخابات فان التهاون في ذلك قد يجر البلاد الى الدكتاتورية والطغيان اللذين عانت منهما البلاد الويلات ...)(١٤) .

نستنتج من البيانين السابقين ما يأتي :

١ـ الحث على المشاركة الفاعلة في الانتخابات والتأكيد على أن التهاون في هذه المسألة سيرجع العراق الى عهودا من الاستبداد والديكتاتورية وهذا ما لايمكن اللارتضاء به او الركون اليه لذا توجب على على كافة الافراد القادرين على ممارسة الانتخاب الادلاء باصواتهم .

٢ـ تحول خطاب المرجعية للنظرة الى المشاركة في الانتخابات اذا ابتدأت بعد تغيير النظام السياسي من التأكيد على أن المشاركة في الانتخابات هي الزامية على العراقيين وتأكد هذا المعنى في إحدى بياناتها عندما نصت على أن (...وعلى المواطنين _ رجالا ونساءا _ أن يشاركوا فيها مشاركة واسعة...)، ولا شك بأن هذا النص يفيد الالزام ، لكن المرجعية الدينية عادت وأكدت بان (...المشاركة في هذه

الانتخابات حق لكل مواطن تتوفر فيه الشروط القانونية، وليس هناك ما يلزمه بممارسة هذا الحق الا ما يقتنع هو به من مقتضيات المصلحة العليا لشعبه وبلده..)، وباعتقادنا أن هذا تحول اقتضته الضرورة ففي بداية التغيير السياسي بعد عام ٢٠٠٣ اقتضت الحالة الزام الناس على الانتخابات حتى يؤمن الافراد بالنظام السياسي وبمبادئه الجديدة ومن ثم فان تحشيد طبقات المجتمع سينشيء نظاما مكتسبا لمشروعية شعبية حقيقية تفرزها قناعة الافراد عن طريق الاصوات الانتخابية .

٣- ايمان المرجعية الدينية بأن السيادة للشعب وهذا التوجه يمثل أعلى درجات الديمقراطية من بين متطلبات وشروط النظام السياسي الذي يلبي تطلعات وطموحاتهم .

المطلب الثاني:دور المرجعية الدينية في التأكيد على ضمان شفافية الانتخابات

أكدت المرجعية الدينية العليا على المباديء الانتخابية التي تضمن حق الناخب في اختيار ممثليه كما أكدت أنها تقف على مسافة واحدة من جميع المرشحين ،فقد أكدت في احد بياناتها أنه و (مع اقتراب موعد الانتخابات النيابية يسأل الكثير من المواطنين الكرام عن موقف المرجعية الدينية العليا من هذا الحدث السياسي المهم، وبهذا الصدد ينبغي بيان أمور ثلاثة :

١ -لقد سعت المرجعية الدينية منذ سقوط النظام الاستبدادي السابق في ان يحل مكانه نظام يعتمد التعددية السياسية والتداول السلمي للسلطة عبر الرجوع الى صناديق الاقتراع، في انتخابات دورية حرة ونزيهة، وذلك ايمانا منها بانه لا بديل عن سلوك هذا المسار في حكم البلد إن اريد له مستقبل ينعم فيه الشعب بالحرية

والكرامة ويحظى بالتقدم والازدهار، ويحافظ فيه على قيمه الاصيلة ومصالحه العليا .

ومن هنا أصرّت المرجعية الدينية على سلطة الاحتلال ومنظمة الامم المتحدة بالإسراع في اجراء الانتخابات العامة لإتاحة الفرصة امام العراقيين لتقرير مستقبلهم بأنفسهم، من خلال اختيار ممثليهم المخوّلين بكتابة الدستور الدائم وتعيين اعضاء الحكومة العراقية .

واليوم وبعد مرور خمسة عشر عاما على ذلك التاريخ لا تزال المرجعية الدينية عند رأيها من ان سلوك هذا المسار يُشكّل ـ من حيث المبدأ ـ الخيار الصحيح والمناسب لحاضر البلد ومستقبله، وانه لا بد من تفادي الوقوع في مهالك الحكم الفردي والنظام الاستبدادي تحت أي ذريعة او عنوان .

ولكن من الواضح ان المسار الانتخابي لا يؤدي الى نتائج مرضية الا مع توفر عدة شروط، منها: أن يكون القانون الانتخابي عادلا يرعى حرمة اصوات الناخبين ولا يسمح بالالتفاف عليها. ومنها: أن تتنافس القوائم الانتخابية على برامج اقتصادية وتعليمية وخدمية قابلة للتنفيذ بعيدا عن الشخصنة والشحن القومي او الطائفي والمزايدات الاعلامية. ومنها: أن يُمنع التدخل الخارجي في أمر الانتخابات سواء بالدعم المالي أو غيره، وتشدّد العقوبة على ذلك. ومنها: وعي الناخبين لقيمة اصواتهم ودورها المهم في رسم مستقبل البلد فلا يمنحونها لأناس غير مؤهلين ازاء ثمن بخس ولا اتباعا للأهواء والعواطف او رعاية للمصالح الشخصية او النزعات القبلية او نحوها .

ومن المؤكد ان الاخفاقات التي رافقت التجارب الانتخابية الماضية- من سوء استغلال السلطة من قبل كثيرٍ ممن انتخبوا او تسنموا المناصب العليا في الحكومة، ومساهمتهم في نشر الفساد وتضييع المال العام بصورة غير مسبوقة، وتمييز أنفسهم برواتب ومخصصات كبيرة، وفشلهم في اداء واجباتهم في خدمة الشعب وتوفير الحياة الكريمة لأبنائه – لم تكن الا نتيجة طبيعية لعدم تطبيق العديد من الشروط اللازمة- ولو بدرجات متفاوتة- عند اجراء تلك الانتخابات، وهو ما يلاحظ- بصورة او بأخرى- في الانتخابات الحالية أيضا، ولكن يبقى الامل قائما بإمكانية تصحيح مسار الحكم وإصلاح مؤسسات الدولة من خلال تضافر جهود الغيارى من ابناء هذا البلد واستخدام سائر الاساليب القانونية المتاحة لذلك .

٣ –ان المرجعية الدينية العليا تؤكد وقوفها على مسافة واحدة من جميع المرشحين ومن كافة القوائم الانتخابية، بمعنى أنها لا تساند أيّ شخص أو جهة أو قائمة على الاطلاق، فالأمر كله متروك لقناعة الناخبين وما تستقر عليه آراؤهم بعد الفحص والتمحيص، ومن الضروري عدم السماح لأي شخص او جهة باستغلال عنوان المرجعية الدينية أو أيّ عنوان آخر يحظى بمكانة خاصة في نفوس العراقيين للحصول على مكاسب انتخابية، فالعبرة كل العبرة بالكفاءة والنزاهة، والالتزام بالقيم والمبادئ، والابتعاد عن الاجندات الاجنبية، واحترام سلطة القانون، والاستعداد للتضحية في سبيل انقاذ الوطن وخدمة المواطنين، والقدرة على تنفيذ برنامج واقعي لحلّ الأزمات والمشاكل المتفاقمة منذ سنوات طوال .

والطريق الى التأكد من ذلك هو الاطلاع على المسيرة العملية للمرشحين ورؤساء قوائمهم- ولا سيما من كان منهم في مواقع المسؤولية في الدورات السابقة- لتفادي الوقوع في شِباك المخادعين من الفاشلين والفاسدين، من المجرّبين أو غيرهم ....)[١٥] .

كما أكدت في بيان آخر بأن (... ١- الانتخابات النيابية تحظى بأهمية كبرى ولا سيما في هذه الظروف العصيبة التي يمر بها العراق العزيز، وهي المدخل الوحيد لتحقيق ما يطمح اليه الجميع من تحسين أداء السلطتين التشريعية (مجلس النواب) والتنفيذية (الحكومة) . ... ٢- ان المرجعية الدينية العليا في الوقت الذي تؤكد على عدم تبنيها لأية جهة مشاركة في الانتخابات فانها تشدد على ضرورة ان يختار الناخب من القوائم المشاركة ما هي أفضلها وأحرصها على مصالح العراق في حاضره ومستقبله واقدرها على تحقيق ما يطمح اليه شعبه الكريم من الاستقرار والتقدم ، ويختار أيضا من المرشحين في القائمة من يتصف بالكفاءة والأمانة والالتزام بثوابت الشعب العراقي وقيمه الاصيلة...)[١٦]، نستنتج مما سبق الاتي :

١- مساهمة المرجعية الى جانب النص التشريعي المنظم للانتخابات من التاكيد على المعايير الواجب اتباعها في الانتخابات وهذا ماساهم بدوره في وجود مشاركة واسعة في الانتخابات النيابية والمحلية بعد عام ٢٠٠٣ .

٢- ان بيانات المرجعية السالفة الذكر يمكن عدها وثائق تاريخية توثق حقبة مهمة من حقب التاريخ السياسي للعراق المعاصر توضح وبدون شك الدور الكبير الذي قامت به المرجعية بعد حدوث فراغ في النظام السياسي بعد العام ٢٠٠٣ ولان الارضية كانت مهيئة لاحداث الفوضى فقد كانت المرجعية فاعلة في مسألة توجيه نظر المشرع والماسك بزمام القرار السياسي وذلك من تبني المباديء الانتخابية اللازم اتباعها قبل القيام بمهمة الانتخابات .

الخاتمة

انتهينا من هذا البحث وذلك بالتعرف على ابرز مالمحطات التي ساهمت المرجعية الدينية العليا في النجف الاشرف في بناء النظام الدستوري في العراق، وعند حدوث الفراغ الذي شهدته الدولة فقد أدت على وجوب الذين يمتلكون الكفاءة والمؤهلات العلمية والقيادية التي تؤهلهم لادارة الدولة والقيام بؤونها من أن يتصدّوا لإدارة البلاد، إذ تم التأكيد على مسألة استقلال القرار العراقي وعدم خضوعه لغير الدول إذ بدأ العمل فعليا من أجل إعادة بناء الدولة والعمل على ايجاد وضع أمني مستقر.

وقد ساهمت المرجعية الدينية العليا بارساء معالم النظام الديمقراطي والعمل على عودة الدكتاتورية وقد إبتدأ الاهتمام بذلك عن طريق كتابة الدستور عن طريق العراقيين أنفسهم لا إذ يساهم بتحقيق تطلعات ومطالب أبناء الشعب العراقي، وذلك من خلال البيانات والخطب الرسمية لمنابر الجمعة التي تمثل المرجعية.

ولم يقف الامر عند حد كتابة الدستور بل استمر للمساهمة في ارساء معالم نظام انتخابي حر وشفاف والذي يعد أهم قواعد النظام الديمقراطي إذ تمخض عن انبثاق المفوضية العليا المستقلة للانتخابات واصدار قانون منصف ينظم العملية الانتخابية ، وبالمحصلة فان دور المرجعية الدينية العليا في ارساء النظام الديمقراطي هو عامل ايجابي ويسجل تاريخيا للمؤسسة الدينية انها ساهمت في بناء الدولة.

الهوامش:

(١) حمد جاسم محمد، تنامي دور المرجعية الدينية في الشؤون السياسية في العراق... الأسباب والنتائج، مركز الفرات للتنمية والدراسات الاستراتيجية، مقال متاح على الموقع الالكتروني الاتي: https://annabaa.org/arabic/authorsarticles/٣٣١٨

(٢) مهدي أبو النواعير، دور السيد السيستاني في ترسيخ أسس التعايش السلمي في العراق، متاح على الموقع الالكتروني الاتي: www.iraq.shafaqna.com

(٣) حامد الخفاف، النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، الطبعة الاولى، دار المؤرخ العربي، بيروت-لبنان، ٢٠٠٩، ص٣٢٥.

٤() راجي نصير، المرجعية الدينية في النجف الاشرف واثرها في الرأي العام العراقي بعد عام ٢٠٠٣، العتبه العباسية المقدسة، ٢٠١٨، ص٥٥

(٥) حامد الخفاف، مصدر سابق، ص٢٢.

٦() حصل هذا الامر في استفتاء ولسن في العراق عام ١٩١٨.

(٧) حسين علي الفاضلي، الامام السيستاني امه في رجل، ط١، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨، ص١٩٨.

(٨) راجي نصير، مصدر سابق، ص١٥٨

(٩) راجي نصير، مصدر سابق، ص١٥٦.

١٠) المادة (٣) من قانون انتخاب مجالس المحافظات والاقضية والنواحي رقم (٣٦) لسنة ٢٠٠٨ .

١١) ينظر المادة (٢) من قانون انتخابات مجلس النواب العراقي رقم (٤٥) لسنة ٢٠١٣ .

١٢) بيان مكتب السيد السيستاني الرسمي الصادر بتاريخ ١٧ شعبان ١٤٣٩ هـ

٢٠١٨/٥/٤ م https://www.sistani.org/arabic/statement/٢٦٠٢٥/ .

١٣) https://www.sistani.org/arabic/archive/٢٨٨/ ذق ١٤٢٦هـ

مكتب السيد السيستاني (دام ظله)

النجف الأشرف .

١٤) بيان مكتب سماحة السيد محمد سعيد الحكيم والصادر بتاريخ ٢٧/محرم الحرام/١٤٣٠ .

[١٥] https://www.sistani.org/arabic/statement/٢٦٠٢٥/ موقع مكتب السيد السيستاني الرسمي.

[١٦] بيان مكتب سماحة السيد السيستاني الصادر بتاريخ ٢٠ ربيع الأول ١٤٣١ https://www.sistani.org/arabic/statement/١٥١١/.

المصادر

أولا:الكتب

١-حامد الخفاف، النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، الطبعة الاولى، دار المؤرخ العربي، بيروت-لبنان، ٢٠٠٩ .

٢-حسين علي الفاضلي، الامام السيستاني امه في رجل، ط١، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨

٣-راجي نصير، المرجعية الدينية في النجف الاشرف واثرها في الرأي العام العراقي بعد عام ٢٠٠٣، العتبه العباسية المقدسة، ٢٠١٨ .

ثانيا:البحوث والمقالات

١-حمد جاسم محمد، تنامي دور المرجعية الدينية في الشؤون السياسية في العراق... الأسباب والنتائج، مركز الفرات للتنمية والدراسات الاستراتيجية، مقال متاح على الموقع الالكتروني الاتي:

https://annabaa.org/arabic/authorsarticles/٣٣١٨

٢-مهدي أبو النواعير، دور السيد السيستاني في ترسيخ أسس التعايش السلمي في العراق، متاح على الموقع الالكتروني الاتي: www.iraq.shafaqna.com .

ثالثا:التشريعات

أ-الدساتير

١ـدستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥

بـالتشريعات العادية

١ـقانون انتخاب مجالس المحافظات والاقضية والنواحي رقم (٣٦) لسنة ٢٠٠٨ .

٢ـ قانون انتخابات مجلس النواب العراقي رقم (٤٥) لسنة ٢٠١٣ .

ثالثا:البيانات المنشورة على المواقع الرسمية

١ـبيان مكتب السيد السيستاني الرسمي الصادر بتاريخ ١٧ شعبان ١٤٣٩ هـ

٢٠١٨/٥/٤ م ٢٦٠٢٥/https://www.sistani.org/arabic/statement/ .

٢ـ ٢٨٨/https://www.sistani.org/arabic/archive/ ذق ١٤٢٦هـ

مكتب السيد السيستاني (دام ظله) النجف الأشرف .

٣ـبيان مكتب سماحة السيد محمد سعيد الحكيم والصادر بتاريخ ٢٧/محرم الحرام/١٤٣٠ .

٤ـ مكتب سماحة السيد السيستاني الصادر بتاريخ ٢. ربيع الأول ١٤٣١

https://www.sistani.org/arabic/statement/١٥١١/ .

Summary

The supreme religious authority is one of the most important institutions in the Muslim world. Its role is not limited to matters of religion, law, and Islam. It has a distinctive and pivotal role in important public affairs in the country. To deal with them even produced important outputs, which was to build the basic rules on which the state.

In Iraq, after the change in the political system that took place in ٢٠٠٣, the role of reference in contributing or participating in building the state has been taken care of in some important issues. The factors have been prepared to take the opinion of the reference authority. Accordingly, the role of reference has begun through various means, The Supreme Religious Authority and through official referenda and other means to take multiple premises from the beginning of the formation of the Governing Council and the National Assembly as well as the construction of other constitutional institutions. On the level of constitutional documents in the religious reference has different views on the law of State Administration of the deportee And the most prominent role of the reference in the Constitution of the Republic of Iraq for ٢٠٠٥ as the reference sought to include in the Constitution the most important principles, including making Islam the official religion of the state while respecting the rest of other religions and emphasize the importance of the rituals of Husseinism and included in the constitutional document, Emphasizing the integration of the basic constitutional institutions in the state, preceded by the emphasis on a number of modern constitutional principles, which were adopted at a later date, including the adoption of the federal system in the state as well as work to involve various people in public affairs.

(خطاب الوحدة الوطنية بين الشيخ الشيرازي والسيد السيستاني)

د. هادي حسن شويخ

أمين عام مؤسسة أشور للتنمية وحقوق الإنسان

عضو المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان في العراق

(المقدمة)

والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا محمّد وعلى أهل بيته الطيّبين الطاهرين سيّما بقيّة الله في الأرضين أرواحنا لتراب مقدمه الفداء

قال عز من قال – وهو اصدق القائلين

بسم الله الرحمن الرحيم

إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا * الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون

وقال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾]

وقال رسول ا لله محمد صلى الله عليه وآله (إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا)

الحمد الله على فضائل نعمه علينا أن انعم علينا بالإسلام دينا وبمحبة أهل البيت والسير على هداهم وخطاهم مذهبا أناروا لنا الطريق طريقا للحق من قبل ومن بعد . لقد كان ومازالـــ علماء الآمة هبة الله لنا لنسير على هداهم ونمتثل لأمرهم في

كل حياتنا حبا واحتراما لقوة منطقهم وقولهم الحق وهكذا لمدينة صغيرة(النجف الاشرف)أن تصبح عنوانا لحضارة شاملة ومنارة للعلماء في اسقاع العالم ليقترفوا من علمها وأدبها ومراجعها تواضعا لم تعرف الأرض ولا رجالها من مثلهم ابدآ لا في تاريخها القديم ولا الحديث إنهم الرجال الرجال صدقوا ماعاهدوا اللّه عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا لقد اضطلعت مدينة النجف الأشراف بدور بارز سياسيا في بداية هذا القرن، بقيادة علمائها ومراجعها الشيعية العليا، سواءً في مقاومة السياسة الطائفية التي كانت تطبقها الدولة العثمانية بحق سكان ولايات العراق(بغداد ،البصرة ، الموصل) وخاصة من المذهب الشيعي، أو في الدفاع عن بيضة الإسلام ضد القوات البريطانية الغازية التي غزت عام ١٩١٤م لاحتلال الولايات الثلاثة، ملبية في قتالها للبريطانيين، نداء الجهاد ثم مقاومة الاحتلال البريطاني ونشاطها الفعّال في التهيئة والتوعية لثورة العشرين التي عرفت بالثورة العراقية الكبرى ومشاركتها في أحداثها، تلك الثورة التي رغم فشلها في طرد البريطانيين من العراق، إلا أنها جعلتهم يغيرون خططهم حول طريقة حكمهم للعراق وتأسيسهم لدولة العراق الحديثة بعد جلبهم فيصل الأول ليتبوأ عرشها وينتدبونه على مقدّراتها.

وتعزى أهمية النجف السياسية إلى دورها الريادي الذي قدر لها أن تلعبه بعد سقوط بغداد بيد التتار عام ٦٥٦هـ، لكي تصبح العاصمة الروحية والثقافية للعراق، ومناطق كثيرة في العالمين العربي والإسلامي.ومنارة للعلم والوسطية والاعتدال في الدين ليس للشيعة فقط بل لكل المسلمين.

(الفصل الأول):

(المبحث الأول)

(الشيخ محمد تقي الشيرازي المرجع وقائد الثورة)

(أن مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين و يجب عليهم في ضمن مطالبتهم رعاية السلم والأمن و يجوز التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الإنكليز من قبول مطالبهم .)بهذا الكلمات الصاعقة من الميرزا الشيرازي أعلنت الثورة على الاستعمار الانكليزي الذي أوغل في الشعب العراقي قتلا وتنكيلا . ولتشتعل الثورة يوم ٣٠ حزيران ١٩٢٠ في جميع أنحاء العراق .لقد كانت المرجعية على قدرا كبيرا من المسؤولية التاريخية التي حددت وكشفت طبيعية الاحتلال البريطاني للعراق ومحاولاته للنيل من الأمة وتاريخها فبعد إن حاول الاحتلال تلميع صورته لدى العراقيين لم تنطلي هذه الأساليب والخدع للمرجعية في محاولة الاحتلال البريطاني فرض القادة وإدارة الحكم الإداري من قبل الانكليز ، كانت أولى مواقف الميرزا الشيرازي السياسية البارزة فتواه الشهيرة ضد تولي السيركوكس السلطة في العراق ("ليس لأحدٍ من المسلمين أن ينتخب و يختار غير المسلم للإمارة والسلطنة على المسلمين") هذه الفتوى يبدو إنها كانت متزامنة مع الاستفتاء الذي أراد منه ويلسن ومن خلفه بريطانيا أن يكون صكُ موافقة على حكم العراق من قِبَل حاكم بريطاني بشكلٍ مباشر ، فكانت النتيجة عكس ما أرادوا فاضطر الانكليز إلى استخدام الترغيب والترهيب والتزوير للوصول إلى النتيجة التي يرومها كانت هذه الفتوى الرصاصة الروحية الأولى التي انطلقت إيذانا بالجهاد ،وبها أعلنت بقوة وبصراحة انه لا مكان للانكليز في العراق وتندلع الثورة العراقية الكبرى (ثورة العشرين)، هذه الثورة التي انطلقت من ظروف اجتماعية واقتصادية مغايرة لواقعنا الراهن، فهي تعد أول ثورة في تاريخ العراق الحديث، وشكلت منعطفا تاريخيا

وسياسيا واجتماعيا للشعب العراقي، وكانت البداية لتأسيس الدولة العراقية الحديثة، هذه الأهمية للثورة تنبع من الظروف المحيطة بها والتي رافقت انطلاقها، والنتائج التي تمخـــــــــــضت عنها والتي كان لها أثر كبير على مستقبل العراق وبصل صداها إلى جميع العراق .

ولعل من أهم ميزات ثورة العشرين والتي كانت المرجعية الشريفة أول من دعا إليها":

١ـ أنها أول ثورة وطنية ضد المحتل خاضها الشعب العراقي بكل طوائفه، وهي تعد مفتاح وحدة العراق من الريف إلى المدينة ولعلها الثورة الأولى التي وحدت العراقيين جميها في العصر الحديث

٢ـإنها أول ثورة في الشرق الأوسط، اصطدم بها الاحتلال البريطاني، وقد وصفها الإمام السيد (الشيرازي)، "بأنها الثورة التي هزت العرش البريطاني"، وهذه الثورة كانت مفتاح إعلان العراق كدولة تحت حكم النظام الملكي، بعد سنوات من السيطرة الأجنبية عليه.

٣ ـجعلت بريطانيا تعيد سياستها التي كانت تعتمد على القوة في السيطرة على الشعوب، هذه السياسة التي كانت احد أسباب قيام ثورة العشرين في العراق، فقد رأت الحكومة البريطانية أن سياسة القمع والشـــــــــدة، التي سار عليها (السير إي. تي. ولسن)، (نائب الحاكم الملكي العام في العراق) لا يمكن أن تؤدي إلى نتيجة حاسمة في ارض كالعراق، والثورة برهـــــنت على أن شعب مثل الشعب العراقي لن يرضخ للاحـتلال أو السيطرة الأجنبية، مما قاد إلى قيام بريطانيا بتغيير مندوبها السامي في العراق تحت وطأة الثورة.

٤ـ الثورة أفشلت كل خطط الاحتلال التي كانت ترمي إلى جلب إعداد كبيرة من شعوب جنوب شرق أسيا(الهنود) وإسكانهم العراق، كما حصل في دول مثل

ماليزيا وجنوب إفريقيا، من اجل استمرار السيطرة عليه لأطول مدة وربطه في فلك بريطانيا، لهذا أصبحت الثورة الأداة الفاعلة لإسقاط هذه المخططات الاستعمارية، ودور هام في تأسيس الدولة العراقية، إذ تقول (المس ببل) في أوراقها بهذا الخصوص: "لم يكن يدور بخلد أحد ولا حكومة صاحبة الجلالة، أن يمنح العرب مثل الحرية التي سنمنحهم إياها الآن كنتيجة

٥-إنها الثورة التي وحدت الشعب العراقي تحت قيادة شعبية موحدة من كافة فئات الشعب العراقي جميعا من الجنوب إلى الشمال ومن الشرق إلى الغرب وكل أطيافه تحت إشراف المرجعية الدينية بقيادة المرجع الأعلى (محمد تقي الشيرازي) الذي أعطى فتواه بالإذن الشرعي بالجهاد وإعلان الثورة، (بسم اللّه الرحمن الرحيم، مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين. و يجب عليهم، في ضمن مطالبهم، رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذ امتنع الإنكليز عن قبول مطالبهم)

وبهذت سجلت المرجعية تاريخا جديدا وراسخا وشاهدا على أنها المتصدي الأول للاحتلال في جميع إشكاله وليس فقط تقديم النصح والمشورة إلى آلامه بل هي التي حملت راية الحق ضد الباطل مهما كانت قوته وجبروته ولم تقدم نفسها وتدافع عن منطقة دون أخر أو طائفة أو دين آو قومية بل كان العراق عنوانها الكبير. وفي نفس الوقت كان ينبه إلى امتلاك الخبرة السياسي وإنها لا تأتي بالأمنيات ولا بالنوايا الطيبة فقط بل يجب أن تكون هناك مؤسسات لصنع هذه الخبرات وإنتاجها، وقد أشار الإمام الشيرازي إلى بعضها في كتابه الخبرة وتطوير الحياة وبعضها مبثوث في فلسفته المؤسساتية والإدارية.

٦- رسخت وبكل قوة الدور الكبير الذي بمكن ان تلعبته المرجيعه الدينية في النجف في تاريخ العراق قديما وحاضرا وإنها صمام الأمان للشعب العراقي من دون تميز.

٧-إن العراق لم يعد خانعا لسلطة الاحتلال بل أصبح بالقوة مفاوضا لها

٨- انصهار التنوع المذهبي والإثني والديني والقومي في بدوقة الوحدة الوطنية وهو لم يحصل أبدا في تاريخ الدولة العراقية ألا على يد المرجعية

وعلى الرغم من أن الثورة في العراق أخمدت بالقوة، إلا أنها جعلت العراق وبريطانيا يتفاوضان على صيغة لينهوا فيها خلافاتهم،وأصبح العراق ندا قويا لها ودعا الرأي العام في بريطانيا، في ذلك الوقت، إلى الانسحاب من العراق والتخلص من التعهدات البريطانية للعراق، وفي سنة ١٩٢١ عرضت بريطانيا التاج على "فيصل" مع إنشاء حكومة عراقية تحت الانتداب البريطاني .

(ا الفصل الأول)

(المبحث الثاني)

(السيد علي السيستاني مرجعية وطن والمنقذ)

اجعلوا قصدكم هو الدفاع عن حرامات العراق ووحدته وحفظ الأمن للمواطنين وصيانة المقدسات من الهتك ودفع الشر عن هذا البلد المظلوم وشعبه الجريح .(وقال الكربلائي ممثل المرجعية الشريفة) في الوقت الذي تؤكد المرجعية الدينية العليا دعمها وإسنادها لكم فإنها تحثكم على التحلي بالشجاعة والبسالة والثبات والصبر وتؤكد على أن من يضحي بنفسه منكم في سبيل الدفاع عن بلده وأهله وإعراضهم فانه يكون شهيدا أن شاء اللّه تعالى وأضاف أن المطلوب أن يحث الأب ابنه وإلام ابنها والزوجة زوجها على الصمود والثبات دفاعا عن الحرمات هذا البلد

ومواطنيه وتابع قائلا أن طبيعة المخاطر المحدقة بالعراق وشعبه في الوقت الحاضر تقتضي الدفاع عن هذا الوطن وأهله وإعراض مواطنيه وهذا الدفاع واجبا على المواطنين بالوجوب الكفائي .بمعنى انه إذا تصدى له من بهم الكفاية بحيث يتحقق الغرض وهو حفظ العراق وشعبه ومقدساته يسقط عن الباقين.

بهذا الكلمات المعبرة عن الروح الابويه والراعية لوحدة العراق والقوة الحاسمة والمحافظة على شعبة خاطب ممثل المرجعية العليا في النجف الاشرف الشيخ الكر بلائي في يوم الجمعة المصادف ١٤ رمضان ١٤٣٥ه الموافق ١٣-٦-٢٠١٤م ومن الصحن الحسيني الشريف خاطب أبناء القوات المسلحة وأبناء الشعب العراقي جميعا للوقوف بوجه اعتى قوة غاشمة وقاتلة ومحرضة ومهلكة للحرث والضرع في الأرض بعد أن وصل بها الأمر إلى إسقاط المدن (الانبار، الموصل ، صلاح الدين) وحتى وصلت إلى تخوم بغداد وكان الجميع قد وصل إلى حد الانهيار انبرت لتوقف هذا الانهيار ولتبدأ صفحه جديدة بهمة شباب العراق الملتزمين بخط ونهج المرجعية الشريفة .ولم تكن الأرض التي سيطر عليها داعش الإرهابي مناطق شيعيه بل هي لإخوتنا في الدين ولكن المرجعية رأت أن خطر داعش هو على العراق جميعا وان تدافع عن العراق وليس عن منطقة دون أخرى . لقد تعايشت المرجعية مع الواقع المفروض عليه سوى بفعل سياسات النظام ألبعثي القمعي بكل تفهم لتلك الحقيقة أو خلال الاحتلال الاميريكي أو بعد سيطرة داعش على عدد من المحافظات العراقية .وكانت فتواها في الدفاع عن الأمة والخطر المحيط به هي من حسمت الموقف ليس على صعيد العراق وحسب بل على المستوى الإقليمي والعالمي .وأصبح العالم يكن كل الاحترام والتقدير للسيد السستاني وأصبح محط أنظار العالم اجمع لتلك الحكمة والقوة والبصيرة في الفهم الواضح للأمور.وأصبح الاب الروحي لجميع العراقيين من دون أي

تميز. وأصبح العالم ينظر ويقصد إلى النجف باعتبارها رمز للعراق وللتوحد والمنقذة للعراق والعالم من كل خطر بالعراق والعالم اجمع من تلك العصابات الإرهابية التي لولا الفتوى لأصبح العراق والعالم في خطر حقيقي يهدده في جميع المستويات.

لقد عبرالسيدالسستاني كل الحواجز الطائفية والقومية، فالمرجع كرّس مفهوم المواطنة العراقية أكثر كل السياسيين العراقيين أنفسهم، آذ عبرّت مواقفه المتكررة بوضوح عن ذلك، فالمتابع لتوجيهاته لممثليه في (خطب الجمعة بكربلاء) لا يستشعر هذه المواقف فحسب وإنما يتلمسها بكل حواسه خصوصا ما يتعلق برفع صوره من الساحات العامة التي امتلأت بصور وعبارات لغيره لا حصر لها اليوم، كما تتجلى الدعوة إلى المواطنة من قبل المرجع السيستاني في كل توجيهاته وخاصة في الفترة الأخيرة برفع راية الوطن واستبدال الرايات المرفرفة في جبهات القتال بالعلم العراقي الذي خبت ألوانه هناك وسط غبار المعركة وزحمة الرايات الفرعية المتنوعة بتنوع الدوافع لارتفاعها. إن طوال مرجعية السيستاني كان يؤكد على المواطنة فهو يؤصل ويؤسس لمفاهيم اقرب إلى الديمقراطية منها إلى التعاليم الدينية والفتاوى الجاهزة لأنه يسعى لبناء الوطن وترسيخ مؤسساته الدستورية ووضع اللبنات الأساسية للمدنية والتعايش السلمي بين نسيج المجتمع العراقي الذي بدأ يتشكل بطريقة خاطئة نتيجة الإرادات السيئة لمحاور الشر التي تعتاش وتنسج بناءها في ظل أزماتنا، فالسيستاني مرجعية وطن لا مرجع طائفة.

(الفصل الثاني):(المبحث الأول)

(اختلفت في ألازمان والمكان و تشابهت في المعالم والأدوار)

لعل من الأمور الملفتة للنظر أن نجد تشابهن كبيرا في المعالم والأدوار في العديد من الأمور في مرجعية الشيخ الشيرازي والسيد السيستاني يمكن إجمالها في التالي :-

١- أن مرجعية الشيخ الشيرازي تزامنت مع الاحتلال البريطاني للعراق ١٩١٤-١٩١٧. في مامرجعية السيد السيستاني تزامنت مع الاحتلال الأمريكي للعراق ٢٠٠٣.

٢- أن مرجعية الشيخ الشيرازي تزامنت مع تشكيل أول حكومة عراقية في تاريخه الحديث١٩١٩- ١٩٢١ .وفي مرجعية السيد السيستاني تم تشكيل أول حكومة عراقيه ديمقراطية قي تاريخه الحديث ٢٠٠٣.

٣- كانت لمرجعية الشيخ الشيرازي الدور الكبير في مواجهة الاستعمار البريطاني حيث حمل السلاح في مواجهة الاحتلال البريطاني (ثورة العشرين١٩٢٠) في حين في زمن مرجعية السيد السيستاني أفتى بمقاتلة إرهاب داعش بعد احتلالها للعديد من المحافظات وحتى وصولها إلى أعتاب بغدلد ٢٠١٤.

٤- تعايشت مرجعية الشيخ الشيرازي مع الحكم العثماني بكل سيئاته وتعاليه على أبناء المذهب .في ما تعايشت السيد السيستاني مع النظام ألبعثي الديكتاتوري بكل وحشيته وقمعه للأبناء المذهب بكل قسوة ومازالت المقابر التي تم العثور عليه في العديد من مناطق العراق خير شاهد على تلك الفترة المظلمة في تاريخ العراق .

٥- كان النصح والمشورة وتقديم كل ما يمكن تقديمه لأبناء ألامه جميعا دون تفريق على إي أساس ديني أو مذهبي أو قومي وحاملة لهموم الوطن لجميع أبناءه نجده واضحا في مرجعية الشيخ الشيرازي و مرجعية السيد السيستاني.

٦- وبقدرا كبيرا من المسؤولية تعايشت مع الاحتلال البريطاني للعراق مرجعية الشيخ الشيرازي فنجدها تحمل السلاح ضد المحتل البريطاني مرة وتقاتل ضده ومرة نجدها تتفاوض من اجل حقن الدماء العراقيين واخذ حقوقهم التي سلبت منهم بالقوة من قبل الانكليز.وكذلك في مرجعية السيد السيستاني حيث الموقف الذي قل

نظيره في التاريخ حيث تعامل مع الاحتلال الأمريكي وفق مصالح الأمة العليا وما تقتضيه الضرورة في ذلك وهو الموقف الذي لايعبر إلا عن فهم كامل لكل الأمور المحيطة بالعراق والدول المحيطة به والعالم اجمع.وهو يعبر عن روح إنسانية كبيرة وعالية للفهم المبني على القيم الإنسانية .

٧- كانت مرجعية الشيخ الشيرازي تتصف بالحكمة والتروي في إطلاق الإحكام والاهتمام بااحوال العراقيين جمعيا من دون تميز على إي أساس (قومي – ديني – مذهبي – اثني) وكذلك في مرجعية السيد السستاني ففي الوقت الذي كان أبناء الوسط والجنوب يقاتلون العصابات الإرهابية(في الموصل – صلاح الدين – ديالى – الانبار) كانت قوافل الإمداد من المواد الغذائية والمواد العينية تصل إلى مناطق القتال للتخفيف عن السكان هناك .وقدمو العشرات من الشهداء من اجل ذلك .

٨- لم تكن المرجعية للشيخ الشيرازي والسيد السستاني تقف مدافعه في كل الخطب والتوجيهات عن الأمة وقضاياها المصيرية بالكلام والفتاوى فقط بل كان أبناء المرجعية (الوكلاء) كان أول المضحين والشهداء في الدفاع عن الوطن . فكان الوكلاء أول من بحمل السلاح وقدمت العشرات من الشهداء في زمن مرجعية الشيخ الشيرازي والسيد السستاني .

٩- كلا المرجعيتين كانت على قدركبيرمن المسؤولية في الفهم الواضح لاحتياجات الأمة في كل الأمور العامة وفي الأزمات والتأكيد على التعايش السلمي وحفظ كرامة العراقيين جمعيا من دون استثناء .

(الخلاصة)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين الأبرار المنتجبين، ولا حول ولا قوه إلا بالله العلي العظيم.

لقد كانت ومازالت المرجعية الرشيدة في النجف الاشرف تمثل الامتداد الإيماني والرسالي للعترة الطاهرة والسيرة المعطاء لرسول ألامه ونبيها محمد صلى الله عليه و آله والتي أصبحت صمام الأمان في العراق لجميع أطيافه ومكوناته تدافع عن الجميع دون استثناء من اجل الحقوق والمكتسبات ولم تفرق أو تقدم أحدا على احد لدين أو مذهب أو قوميه أو عرقيه مع تقديم النصح والمشورة للجميع من اجل إنصاف الحق والعمل بالمعروف والنهي عن المنكر وكانت تنادي دائما في أن يكون السلم والمحبة الأساس بين جميع أبناء الشعب العراقي .ولعلنا نجد تشابه كبير بين مرجعيه الشيخ محمد تقي الشيرازي والسيدالسيستاني من حيث المعالم والأدوار من حيث كل الظروف المحيطة بآلامه في الزمنين .ففي زمن الشيخ الشيرازي كان العراق يعيش في أحلك الظروف صعوبة من زوال الاحتلال العثماني واحتلال العراق من قبل بريطانيا إلى تأسيس ألدوله العراقية وكذلك الظروف الاقتصادية الصعبة للغاية مع التخلف والجهل الذي كان سائدا حينها وكان على المرجعية لعب الدور المنوط بها رغم كل ذلك. فبعدان أمعن الاستعمار البريطاني الظالم في الممارسات الغير إنسانية بحق أبناء الشعب العراقي اصدر فتواه الشهيرة في عام ١٩٢٠ بالثورة ضد الاستعمار البريطاني وطالب أبناء الشعب يحمل السلاح ضده. ولعل الكثير من تشابه للمعالم الأدوار في الظروف مع مرجعية الإمام السيستاني حيث جثم على صدر الشعب العراقي تلك العصابة الحاكمة(نظام البعث) التي أوغلت في قتل وإذلال الشعب بكل مكوناته من دون تميز في الظلم إلى الحصار الاقتصادي بفعل المغامرات للنظام بحق جيران العراق في حروب لم نجني منها سوى الأرامل والأيتام والشهداء وذووالاعاقه لتنتهي بالاحتلال الأمريكي .ولتبدأ بعدها العصابات الإرهابية القتل والتدمير لكل مقدرات الشعب العراقي بحجه مقاتلة الاحتلال والتي

وصلت اعلي مراحلها في إسقاط المدن بيد العصابات الإرهابية(داعش) حتى وصلت إلى حدود بغداد وهنا انبرت المرجعية بدورها التاريخي وأصدرت فتوى الجهاد الكفائي في عام ٢٠١٤ لتحرير العديد من المناطق التي سقطت بيد (داعش) ودفع الخطر عن الكثير من المناطق.ولولا الفتوى لكانت الأمور في العراق من الصعب جدا تخيلها في ظل سيطرة تلك العصابات التي أوغلت قتلا وتدميرا واغتصابا للنساء.وبعد كل مآتم ذكره أن المعالم والأدوار قد تبدو متشابه في العديد من الأمور في مرجعيه الشيخ الشيرازي والسيد السيستاني والتي كانت ومازالت صمام الأمان لكل أبناء الشعب العراقي في أحلك الظروف التي مر ويمر بها العراق .

التوصيات

لقد كان لابد من معرفة الإنسانية والأجيال القادمة للدور الكبير للمرجعية في حياة الأمة والأدوار التي كانت لها دورا كبيرا فيها:-

١- العمل على أعداد كتيبات صغيرة توثيق دور المراجع في العراق وتوزيعها أثناء الزيارات المليونية وكل الزيارات الدينية

٢- استثمار المنابر ألحسينيه أفضل استثمار للحديث عن صفات وأخلاق ومواقف المراجع على مر التاريخ

٣- عمل أفلام الدمى والكارتون لتعريف الأطفال بتلك الصفات الإنسانية ومن القصص الخالدة للمراجع وتعاملهم مع ألرعيه ومع جميع أفراد المجتمع من دون تفريق على إي أساس

٤- عمل البرنامج الفضائية التي تتناول سيرة المراجع وبشكل قصير ومؤثر

٥- استثمار مدن الزائرين للتعريف بالسيرة العطرة والخالدة للمراجع من خلال المحاضرات للزائرين لتلك المدن

٦ـ توزيع فولدرات تعريفيه للسير لمراجعنا توزع على الزائرين في كل الزيارات آو في ألاماكن العامة

٧ـ عقد المؤتمرات والمنتديات ألفصليه التي تتناول تفاصيل حياة مراجع ألامه بالتعاون مع الجامعات والمؤسسات ألبحثيه في داخل وخارج العراق

٨ـ عمل نصب ضوئية كبيره لأحاديث المراجع الخالدة ووضعها في أكثر من مكان(خطب الجهاد الكفائي)

٩ـ اصدارمجلة شهريه وصحيفة أسبوعيه آو حسب الإمكانيات وتوزع مجانا لنشر الدراسات والبحوث والأحاديث والأقوال والكرامات لمراجعنا

١٠ـتكليف دائرة المزارات الشيعية بعمل محاضرات شهريه تتناول سيرة المراجع ودورهم في حياة الأمة

١١ـاستثمار المناسبات الدينية في المدارس للحديث عن السير العطرة للمراجع ودورهم في حفظ آلامه

(المصادر):

١ـ المكتبة الشيعية الكاملة الموسوعة الالكترونية لأهل البيت

وكالة إنباء براثا ـ مجلة الفقاهة ـ العدد ١٧ » ـ ٦ / ٢ / ٢٠١١م

٢ـ الموسوعة العالمية للشبكة العنكبوتية(الموسوعة الحرة) ويكيبيديا

٣ـ الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية الكبرى"، مذكرات علي البزركان، تكملة نجله الدكتور إحسان البزركان، تحقيق الأستاذ الدكتور المؤرخ عماد عبد السلام رءوف.

٤ـ عبد الجبار ناجي، الأستاذ الدكتور، "بحث"، عن مذكرات ورسائل المس بيل،

٥ـ المجلة الدولية لدراسات الشرق الأوسط، أمل فينوغرادوف، ترجمة وتعليق أ.د. عبد الجبار

٧ـ دور رجال الدين الشيعة ـ في الأحداث السياسية العراقية ـ ١٩٠٠ الحلقة باسم احمد هاشم

٦ـ عبد الرزاق الحسني ـ تاريخ الوزارات العراقية ج١ (الثورة العراقية الكبرى) ، ص٢٩٦

٧ـ المرجعية الدينية في نظر الغرب – عبد المجيد السالم ـ المثقف

١٠ـعبد الوهاب بيك ألنعيمي ـــــ مراسلات تأسيس العراق، ١٩٢٠ – ١٩٢٢

١١ـالفتوى في العراق والإنقاذ ـ صالح المهدي ٩ـ٨ – ٢٠١٤

١٢ـفاروق صالح العمر ، المعاهدات العراقية – البريطانية

١٣ـشيخ الشريعة، حياته جهاده ومرجعيته، مذكرات، تحقيق وتعليق كامل سلمان

١٤ـ مراسلات تأسيس العراق، ١٩٢٠ – ١٩٢٢ـعبد الوهاب ألنعيمي

١٥ـ فاروق صالح العمر ، المعاهدات العراقية – البريطانية

١٦ـ د. چارلس تريب ، صفحات من تاريخ العراق المعاصر ، ٢٠٠٢ ـ د. ماري باترك ، سلاطين بني عثمان ، ١٩٨٠.

١٧ـ فاروق صالح العمر ، المعاهدات العراقية – البريطانية

١٨ـ فتوى المراجع بين الأمس واليوم – جريده الصباح العراقية ـ ٢٥٦٨٦

١٩ـ فتوى السيد السيستاني – المواقع العالمية

٢٠ـ الفتوى التي اتقدت العراق – عبد المهدي السلمان – موقع كتابات

٢١ـ مراجع الدين ودورهم في الحياة العامة – عبد المجيد الكاتب – موقع العراق – ٣٠٤٧

٢٢ـ شفقنا – ٢٠١٥ـ٣ـ٣١

٢٣ـالموقع العالمي الموسوعة العالمية مراجع النجف في العراق

الملخص:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين الأبرار المنتجبين، ولا حول ولا قوه إلا بالله العلي العظيم.

لقد كانت ومازالت المرجعية الرشيدة في النجف الاشرف تمثل الامتداد الإيماني والرسالي للعترة الطاهرة والسيرة المعطاء لرسول ألامه ونبيها محمد صلى الله عليه و آله والتي أصبحت صمام الأمان في العراق لجميع أطيافه ومكوناته تدافع عن الجميع دون استثناء من اجل الحقوق والمكتسبات ولم تفرق أو تقدم أحدا على احد لدين أو مذهب أو قوميه أو عرقيه مع تقديم النصح والمشورة للجميع من اجل إنصاف الحق والعمل بالمعروف والنهي عن المنكر وكانت تنادي دائما في أن يكون السلم والمحبة الأساس بين جميع أبناء الشعب العراقي .ولعلنا نجد تشابه كبير بين مرجعيه الشيخ محمد تقي الشيرازي والسيدالسيستاني من حيث المعالم والأدوار من حيث كل الظروف المحيطة بآلامه في الزمنين .ففي زمن الشيخ الشيرازي كان العراق يعيش في أحلك الظروف صعوبة من زوال الاحتلال العثماني واحتلال العراق من قبل بريطانيا إلى تأسيس الدواله العراقية وكذلك الظروف الاقتصادية الصعبة للغاية مع التخلف والجهل الذي كان سائدا حينها وكان على المرجعية لعب الدور المنوط بها رغم كل ذلك. فبعد ان أمعن الاستعمار البريطاني الظالم في الممارسات

الغير إنسانية بحق أبناء الشعب العراقي اصدر فتواه الشهيرة في عام ١٩٢٠ بالثورة ضد الاستعمار البريطاني وطالب أبناء الشعب يحمل السلاح ضده. ولعل الكثير من تشابه للمعالم الأدوار في الظروف مع مرجعية الإمام السيستاني حيث جثم على صدر الشعب العراقي تلك العصابة الحاكمة(نظام البعث) التي أوغلت في قتل وإذلال الشعب بكل مكوناته من دون تميز في الظلم إلى الحصار الاقتصادي بفعل المغامرات للنظام بحق جيران العراق في حروب لم نجني منها سوى الأرامل والأيتام والشهداء وذووالاعاقه لتنتهي بالاحتلال الأمريكي .ولتبدأ بعدها العصابات الإرهابية القتل والتدمير لكل مقدرات الشعب العراقي بحجه مقاتلة الاحتلال والتي وصلت اعلي مراحلها في إسقاط المدن بيد العصابات الإرهابية(داعش) حتى وصلت إلى حدود بغداد وهنا انبرت المرجعية بدورها التاريخي وأصدرت فتوى الجهاد الكفائي في عام ٢٠١٤ لتحرير العديد من المناطق التي سقطت بيد (داعش) ودفع الخطر عن الكثير من المناطق.ولولا الفتوى لكانت الأمور في العراق من الصعب جدا تخيلها في ظل سيطرة تلك العصابات التي أوغلت قتلا وتدميرا واغتصابا للنساء.وبعد كل مآتم ذكره أن المعالم والأدوار قد تبدو متشابه في العديد من الأمور في مرجعيه الشيخ الشيرازي والسيد السيستاني والتي كانت ومازالت صمام الأمان لكل أبناء الشعب العراقي في أحلك الظروف التي مر ويمر بها العراق .

الجراحة المعرفية لمعتنقي الأفكار المتطرفة (المرجعية الدينية الرشيدة أنموذجا)

د. حليم صخيل العنكوشي

وزارة التربية – مديرية تربية الديوانية

ملخص البحث

تناول هذا البحث مفهوم الجراحة المعرفية والذي يُعد مفهوما معرفيا حديثا يحوي الكثير من الآليات والوسائل والأفكار والقدرات التي إن توافرت في شخصية ما دل ذلك على مدى قدرة هذه الشخصية على إجراء تعديل في السلوك المتطرف وقدرات عالية في التأثير والتغيير لذوي التفكير المتطرف.

إن السيطرة على الأفكار المتطرفة وترويضها، يشابه الى حد ما السيطرة على الأورام الخبيثة واستئصالها لذا فإنها تحتاج الى مهارات عالية في العلاج المعرفي يرتقى الى مستوى الجراحة المعرفية والتي يستعمل فيها أدوات دقيقة جدا كي تمكن الجراح من الخروج بنتائج ايجابية وخالية من المضاعفات وإعادة البناء النفسي والمعرفي للمتطرف.

وتكمن أهمية البحث الحالي في الموضوع الذي يتصدى له في ظل الأحداث التي يمر بها مجتمعنا بكل فئاته، لذلك تقدم هذه الدراسة معلومات عن آلية الجراحة المعرفية التي استعملتها المرجعية الدينية الرشيدة في استئصال وتشذيب الفكر المتطرف، ودورها في التصدي للهجمات الفكرية والإعلامية والتعصب الفكري والمذهبي، مما استدعي عملية جراحية فائقة الدقة قامت بها المرجعية الدينية التي امتازت بنفاذ الذهن، وضخامة الفكر والقدرة على إدارة الأحداث وتكامل الشخصية، وهذا هو دافعي في عرض هذا البحث.

وانسجاما ومنهج البحث الوصفي فقد اشتمل بحثي هذا على المقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، فقد شمل المبحث الأول تعريفا بالبحث ومشكلته وأهميته والتعريف بمصطلحاته، فيما جاء المبحث الثاني ليقف عند مفهوم الجراحة النفسية وآلياته، أما المبحث الثالث فهو لدراسة الآليات والاستراتيجيات والأدوات التي استعملت في الجراحة النفسية من قبل المرجعية الدينية (الاحاديث والخطب والمواقف)، وخصص المبحث الرابع لمناقشة مدى الإفادة من المقومات الفكرية والشخصية التي تمتلكها المرجعية الدينية في تربية الجيل الجديد على مفاهيم ثقافة الحوار وقبول الآخر والابتعاد عن الفكر المتشنج والمتعصب.

وخلص البحث الى أن الأساليب التي اتبعتها (المرجعية الدينة) كانت تمثل بحق مستوى راقٍ من الجراحة المعرفية وقدرات عالية في التحكم البيئي وضبط الظروف وامكانية معالجة الأزمات النفسية والحلول المبتكرة والذي يعني وجود تكاملية في استعمال السلوكيات والإمكانات الخاصة بالعلاج المعرفي السلوكي، وعلينا أن نتخذ من مقام المرجعية الدينية أنموذجا يحتذي به للوصل الى درجة عالية من المرونة الفكرية والرقي النفسي.

واستكمالا لمتطلبات البحث أضاف الباحث مجموعة من التوصيات والمقترحات.

تعريف بالبحث

المقدمة:

أصبح في الآونة الأخيرة هناك تزايد في ظهور بعض المشكلات السلوكية والانفعالية لأفراد الجنس البشري بشكل عام وللمجتمع العراقي بشكل خاص كالجمود الذهني والتعصب الفكري، وضعف في العلاقات الاجتماعية وافتقار

إلى السمات الاجتماعية الإيجابية ، مما يؤثر في سلوك الأفراد العام ويخلق لديهم مشكلات ضمن مؤسساتهم المجتمعية مما يعيق تكيفهم الاجتماعي .

ويُعد التطرف الفكري من السمات التي تقاوم التطور الذي يتطلبه هذا العصر، فهو أسلوب جامد في التفكير ونظرة تسلطية الى الحياة تظهر في الأفراد والجماعات الانسانية تحت تأثير عوامل مختلفة ترجع لأسباب التنشئة بما في ذلك اسلوب التنشئة الدينية أو حتى الاسرية المعززة للذهن المتصلب، ويمكن أن يظهر ذلك في التعصب الديني، التعصب العرقي، أو الأفكار التقليدية حول العلاقة بالآخر، مما يؤثر في شخصية الفرد ، فنجد أن الشخص الذي لديه جمود ذهني متشدد مع أصحاب المعتقدات المناهضة ومتسامح مع أصحاب المعتقدات المتشابهة، وهو لا يتقبل الجديد من الأفكار ويتعصب ضد من يخالف معتقداته لاعتقاده بانه الأصوب وأنه دائما على حق، فحين تواجهه مشكلة تتعلق بالصواب والخطأ وتتصل بالضمير الذي يتدخل فيه تفكيره واحساسه فنجده يتعصب لرأيه ويتمسك به وإن كان على خطأ.

والجمود الذهني أو التعصب الفكري عائق للشخصية والتفكير، وهو يشير الى نوع من الفكر المتصلب المتعصب لما بداخله من معتقدات بالية يأبى مناقشتها ويعدّها افكار نهائية غير قابلة للتعديل، مما يؤثر في شخصية الفرد وفي تصرفاته وتعاملاته مع المحيطين به، وقد يقوم ببعض السلوكيات التي تعد عرفا وقانونا أنها جريمة بحق المخالفين والمعارضين لأفكاره أو الذين يقفون عائق دون نشر تلك الأفكار التي يعتقد بها.

وعليه فإن السيطرة على الأفكار المتطرفة وترويضها، يشابه الى حد ما السيطرة على الأورام الخبيثة واستئصالها لذا فإنها تحتاج الى مهارات عالية في العلاج المعرفي يرتقى الى مستوى الجراحة المعرفية والتي يستعمل فيها أدوات دقيقة جدا كي

تمكن الجراح من الخروج بنتائج ايجابية وخالية من المضاعفات وإعادة البناء النفسي والمعرفي للمتطرف.

كما يُعد العلاج المعرفي والتعامل مع الأفكار المتطرفة من النظم الحديثة في العلاج النفسي الذي يقوم على آليات معرفية غاية في الدقة، كما أن من يتصدى لهذا النمط من التصلب والشذوذ في الأفكار لابد وأن يحمل سمات شخصية وقدرات عقلية ومعرفية عالية تمكنه من التعامل مع الفكر والتفكير، ولديه قابليات غير اعتيادية لترويض تلك الأفكار والتعامل معها سواء بشكل مباشر أو غير مباشر

وإن التعامل المرن والتسامح وتقبل الآخر وعدم التزمت بالرأي سمات اجتماعية مستمدة من منطلقات حددها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وتراث الأئمة عليهم السلام، ففي قوله تبارك وتعالى ﴿فبِما رَحمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لهُمْ ۖ ولوْ كُنتَ فظًا غَلِيظَ القَلبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فاعْفُ عَنْهُمْ واسْتَغْفِرْ لهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ۖ فإِذَا عَزَمْتَ فتوَكَّلْ عَلَى اللهِ ۚ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتوَكِّلِينَ﴾ (سوره آل عمران آية١٥٩) يبين اللّه تعالى مدى قدرة الرسول (ﷺ) على تحمل الأذى والعفو عن الجرم والتعامل باللين والمرونة الفكرية والنزول الى مستوى القوم حتى يصل الى أفكارهم ومعتقداتهم ومداركهم وبالتالي يحقق الغاية في هدايتهم.

وقد أنكر وذمَ الإمام علي(عليه السلام) في خطبة له الروح العصبية والتعصب الفكري فقد قال سلام اللّه عليه:

"فإن كان لابد من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم الخصال ومحامد الأفعال ومحاسن الأمور، التي تفاضلت فيها المجداء والنجداء من بيوتات العرب ويعاسيب

القبائل... فتعصبوا لخلال الحمد من الحفظ للجوار والوفاء بالذمام والطاعة للبر، والمعصية للكبر، والأخذ بالفضل، والكف عن البغي"(نهج البلاغة، القاصعة)

وخير وريث لهذا التراث العظيم للأئمة الأطهار هي المرجعية الدينية الرشيدة التي أثبتت أنها الدرع الحصين والسد المنيع والمعالج المتمرس لكل الأزمات التي عصفت بالبلاد فقد امتازت بنفاذ الذهن، وضخامة الفكر وتكامل الشخصية والقدرة على مخاطبة العقول، ورسم نظام خلقي متكامل لدى جميع شرائح المجتمع وطوائفه، والشباب أحوج ما يكون لكي ينهلوا من هذا الفكر كي تستقيم حياتهم وتتسق أنساقهم القيمية والخلقية مع ما يتوجب أن يكونوا عليه ضمن المجتمع الاسلامي، وعرفانا بالجميل كان علينا المساهمة في نشر وبيان هذه القدرات والإمكانات التي تمتلكها المرجعية الدينية، وفاءً لها، واعترافا بفضلها، وهذا هو ما دفع الباحث في عرض هذا البحث.

ونظرا لأهمية مفهوم الجراحة المعرفية وحداثته، لذا شرع الباحث بتتبعه والوقوف عند مكوناته ومعرفة الآراء النفسية التي تفسره، فضلا عن معرفة الوصايا والأحاديث والمواقف وخطب الجمعة التي وردت عن المرجعية الدينية والتي ساهمت في مكافحة الفكر المتطرف والعقل المنغلق لدى فئة كبيرة من المتطرفين.

مشكلة البحث:

بعد التحول السياسي وسقوط النظام الدكتاتوري في العراق برزت الكثير من المشاكل الاجتماعية والصراعات الطائفية التي أسس ووضع جذورها هذا النظام الدكتاتوري فبرزت بشكل مخططات بعد انهياره وألقت بضلالها على هذا الشعب المظلوم ومن أبرز تلك المشكلات السلوكية والاجتماعية التطرف والتعصب الفكري سواء أكان لطائفة أو لعرق أو لقومية وحتى العشيرة بل وصل الأمر الى

تعصب الأسر والجماعات الصغيرة، مما وضع المجتمع العراقي في دوامة الصراعات والتناحر الفكري، وطان مخططا واسعا لشل حركة هذا الشعب لكي يضعه الاستكبار العالمي تحت وصايته والتحكم بمقدراته وتدنيس مقدساته، وصنعت آلات كثيرة لتنفيذ هذا المشروع التدميري منها وأبرزها التطرف الديني والمذهبي والعرقي وتجلت صورته في الإعلام المتطرف والإفتاء المتطرف والتعامل المتطرف الذي أسس منظمة متطرفة إرهابية سميت بعد ذلك بـ(داعش) التي حولت المناطق التي اغتصبتها الى مناطق منكوبة تتم فيها تصفية الحسابات وترسيخ مفهوم التطرف الديني وتكفير الآخر بل وصل الأمر الى جواز قتله ونهب ممتلكاته واستباحة أعراضه.

كل تلك الأحداث دعت المرجعية الدينية الرشيدة متمثلة بالسيد علي الحسيني السيستاني أدام اللّه ظله الوارث الى التصدي الى هذه الهجمة الشرسة لعلمها اليقين بأنها إن لم تقف وتتصدى وتعالج الموقف سوف تكون العواقب وخيمة وخطيرة قد تتجاوز حد المعقول، ورغم التصدي والعلاج الناجع للتطرف إلا أن رواسبه لازالت قائمة وخلاياه نائمة تتحين الفرص للانتشار، ومن هنا برزت مشكلة البحث الحالي للوقوف عن الكيفية التي عالجت بها المرجعية الرشيدة تلك المواقف والأفكار المتطرف كي تسهم في تنمية الأفكار والوعي الجماهيري والشعبي في التصدي للمواقف المماثلة، وتوثيق هذا الدور العظيم يجعل منه نبراسا للأجيال القادمة فالتطرف بكل أشكاله لا ينتهي وشرايينه التي تغذيه لا تنضب.

لذا يحاول البحث الحالي الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- ما هو التطرف الفكري وما هي أشكاله؟

- ماهي وسائل الجراحة المعرفية التي استعملتها المرجعية الدينية في التصدي لمعتنقي الأفكار المتطرفة؟

أهمية البحث :

يبرز هذا البحث أهميته من خلال ما يأتي :

أولا: أهمية الدور القيادي والريادي للمرجعية الدينية الرشيدة في مواجهة الأزمات والتحديات ووضع الحلول السريعة والمناسبة لها والذي يروم الباحث دراسته وتحليل محتواه. فهي تعد واحدا من أبرز صمامات الأمان التي أحدثت تغيراً فكريا واجتماعيا وخلقيا لدى المجتمع العراقي وأحد أبرز المرجعيات التي تنظم جوانب المجتمع المختلفة.

ثانيا: حداثة مفهوم الجراحة المعرفية على حد علم الباحث.

ثالثا: الحدود الزمنية التي أجري فيها البحث وما يتعرض له المجتمع العراقي من هجمات فكرية وخلقية تستهدف النيل من ثوابتهم(الاجتماعية والخلقية) تتطلب منا ابراز جوانب مهمة من الآراء والمواقف الشجاعة للمرجعية الدينية في التصدي لها وغرسها في نفوس الشباب.

رابعا: تنبع أهمية البحث من أهمية الموضوع الذى يُبحث فيه، والمتعلق بالتطرف الفكري ومعتنقي تلك الأفكار ودور المرجعية الدينية في التصدي لها ومعالجتها بوسائل الجراحة المعرفية بالغة التعقيد .

خامسا: الاستفادة من السمات العقلية والقدرات المعرفية والطاقات الهائلة التي تمتلكها المرجعية الرشيدة في تطور التفكير المرن وتقبل الآخر ونبذ التطرف لدى الشباب والتي تناسبت مع الظروف المحيطة والعمل على تعميم تلك القدرات للارتقاء بالفرد العراقي.

سادسا: يمكن أن يستفيد من نتائج هذه البحث:

أ- القادة التربويين من مدرسين واساتذة جامعات ومرشدين من خلال التعرف على الوسائل وأساليب التصدي ومعالجة عقم الأفكار لدى المتعلمين قبل أن تستفحل وتصل الى مستوى التطرف الذي يصعب معالجته.

ب- تعريف اصحاب القرار في المؤسسات المجتمعية بالعوامل المرتبطة بالتطرف الفكري يسهم في توفير بيئة اجتماعية وتربوية مناسبة لهم تستبعد هذه العوامل من حياتهم الاجتماعية.

ت- تفيد هذه الدراسة مفيدة مراكز إعداد وتدريب الخطباء المميزين للتصدي للأفكار المنحرفة والمتطرفة بطريقة علمية بعيده عن الغلظة.

ث- قد يفتح هذا البحث أفاقا جديدة للباحثين في أنماط التعامل العقلي والمعرفي الذي انتهجته المرجعية الدينية الرشيدة في معالجة الأزمات ليواصلوا البحث في هذا المجال.

أهداف البحث:

يستهدف البحث الحالي الى ما يأتي:

١. تعرف مفهوم التطرف الفكري وتحديد السمات الشخصية للأفراد المتطرفين فكريا.

٢. تعرف الى مفهوم الجراحة المعرفية وتحديد الوسائل المستعملة في العلاج المعرفي للفكر المتطرف.

٣. الكشف عن وسائل الجراحة المعرفية في الوصايا والخطب والمواقف التي وردت عن المرجعية الدينية الرشيدة

٤. تعرف مدى الإفادة من القدرات المعرفية والفكرية للمرجعية الرشيدة وحث الشباب للتعامل مع وصايا المرجعية والإلتزام بها، والسير على خطاها.

حدود البحث:

اقتصرت حدود البحث الحالي على البعض من خطب الجمعة في كربلاء المقدسة والوصايا والأحاديث والمواقف التي وردت عن المرجعية الدينية الرشيدة، واتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي من خلال تحليل تلك الخطب والنصوص الواردة واستنتاج مدى قدرتها على استئصال الفكر المنحرف والمتطرف لدى بعض الفئات ومنها (داعش).

منهج البحث:

اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي من خلال تحليل النصوص وخطب الجمعة والوصايا الواردة عن المرجعية الدينية واستنتاج تمثيلها للوسائل المستعملة في مفهوم الجراحة المعرفية.

وانسجاما ومنهج البحث التحليلي التاريخي فقد قسمت بحثي هذا على أربعة مباحث وخاتمة. شمل المبحث الأول تعريفا بالبحث، فيما جاء المبحث الثاني ليقف عند مفهوم التطرف الفكري، اما المبحث الثالث فهو لدراسة الجراحة المعرفية ووسائلها المستعملة من قبل المرجعية الدينية والمستنبطة من البعض من الأحاديث والخطب والمواقف التي وردت عن المرجعية الرشيدة وخصص المبحث الرابع لمناقشة مدى الإفادة مما ورد عن المرجعية الدينية لتنمية القدرات الذهنية والمعرفية لدى المجتمع بشكل عام والشباب مما يسهم في تربية الجيل الجديد للسير على خطى الائمة الأطهار وامتلاكهم للتفكير المنفتح والذي يرتقى للمستوى الذي تطمح اليه مرجعتينا الرشيدة وأئمتنا الأطهار عليهم السلام.

التعريف بمصطلحات البحث:

أولا- الجراحة المعرفية: عرّفها الباحث على أنها

(مجموعة فاعلة جدا من الإجراءات وتوظيف التقنيات في الاكتشاف الموجه والتعريض السلوكي الحي أو المتخيل والذي يقوم على تصحيح المفاهيم والاعتقادات الخاطئة المعرفية والسلوكية والانفعالية مما يساهم في مساعدة المتطرفين للتخلي عن الأفكار المشوهة والإعتقادات اللاعقلانية وحملهم على التعامل مع أنماط التفكير اللاتكيفي وإحلال طرق تفكير أكثر عقلانية واتزانا مما يسهل عميلة الدمج والتوافق الاجتماعي وفق مفاهيم ومسلمات وقيم الشريعة الاسلامية الحقة)

ثانيا- التطرف الفكري: عرّفه كل من

- الحربي (٢٠٠٣): التشبث بالأفكار والمعتقدات الخاصة بالفرد ، وعدم الاستعداد لمناقشة الأفكار الأخرى لاقتناعه بخطئها أو انحرافها.(الحربي، ٢٠٠٣، ص١٣)
- غنيمة (٢٠٠٠) : "شخص يتسم بالاستجابة المتطرفة، فهو إما يقبل الشيء قبولا مطلقا أو يرفضه رفضا تاما بغض النظر عن محتوى هذا الشيء، ويرى الشخص المتطرف الامور على أنها بيضاء أو سوداء وظلال بينها وينعكس اسلوب تفكيره وكيفية تناوله للموضوعات على حياته الشخصية، فالإنسان المغلق على نفسه لا يستطيع التعايش مع قيم الآخرين لأنه يرى في افكاره قيما كبرى" . (غنيمة، ٢٠٠٠،ص ٢٢٩)
- روكيش (خوج ، ٢٠٠٨) : نسق معرفي للتفكير مغلق نسبيا ينتظم حول مجموعة مركزية من المعتقدات والأفكار والآراء التي تؤدي الى شكل من أشكال التفكير الجامد أو نموذج للتعصب لوجهة نظر معينة . (خوج، ٢٠٠٨،ص١٣)

إطار نظري

أولا-مفهوم الجراحة المعرفية ومكوناته:

مفهوم الجراحة المعرفية يُعد مفهوما معرفيا حديثا يحوي الكثير من الآليات والوسائل والأفكار والقدرات التي إن توافرت في شخصية ما دلّ ذلك على مدى قدرة هذه الشخصية على إجراء تعديل في السلوك المتطرف وقدرات عالية في التأثير والتغيير لذوي التفكير المتطرف، ويستعمل لذلك تقنيات وطرق مختلفة لكي يغير التفكير والمزاج والسلوك.

إن السيطرة على الأفكار المتطرفة وترويضها، يشابه الى حد ما السيطرة على الأورام الخبيثة واستئصالها لذا فإنها تحتاج الى مهارات عالية في العلاج المعرفي يرتقى الى مستوى الجراحة المعرفية والتي يستعمل فيها أدوات دقيقة جدا كي تمكن الجراح من الخروج بنتائج ايجابية وخالية من المضاعفات وإعادة البناء النفسي والمعرفي للمتطرف.

١. التصور المعرفي: هو الاطار الأساسي لفهم المتصدي للجراحة المعرفية أو القائم بالجراحة المعرفية للأفراد الذين يروم إجراء الجراحة عليهم فهما عميقا مبني على أسس علمية واضحة، كأن يشخص الأفكار المعطلة أو المعتقدات الخاطئة ثم يضع فرضية تبين كيف تكونت وتأصلت تلك المعتقدات أو الأفكار، وما الآليات المعرفية والعاطفية والسلوكية الإيجابية والسلبية التي تكونت لدى الأفراد ذوي التطرف الفكري، وهذا يساعد على وضع خطة علاجية فعالة ومؤثرة.

٢. إعادة البناء المعرفي للمتطرفين فكريا: إن مشاعر الناس وسلوكياتهم تتأثر بإدراكهم للأحداث، وأن استجابتهم تتحدد بإدراكهم للموقف وعليه على المتصدي للجراحة المعرفية أن يهتم بمستوى التفكير الذي في اللحظة نفسها مع المستوى السطحي الظاهر، وبهذا يتمكن المتطرف من التعرف على أفكاره التلقائية ويقوم

بتقييم مصداقية تلك الأفكار ذاتيا، حينها تصبح الأفكار المعطلة قابلة للتعديل المنطقي. ويتم هذا من خلال:

أ- التطبيق العملي

ب- الإثبات بأدلة

٣. الوعي الانتقائي: إن الأفكار التلقائية أي الكلمات الواقعية والأخيلية التي تدور في عقل المتطرف هي دائما متعلقة بالموقف، أما الأفكار غير اللفظية وهي الجوهرية فهي التي تمثل الاتجاهات والقواعد، ويحاول المتصدي للجراحة المعرفية طرح الأفكار التي قد تكون وسطية جانبا وتفنيدها بوسائل أكثر عقلانية مما يمتلك الفرد المتطرف وبالتالي سيقوم المتطرف بمناقشتها بهدف تعديلها للتخلص من الأعراض السلبية المرافقة، وهذا التعديل يجعله اقل عرضة للانتكاسات في المستقبل.

و نجد ذلك متجسدا في اسلوب الخطاب العقلي فإن أغلب الناس لا يؤمنون إلا بالدليل العقلي الواضح ومن خلالها يستطيعون الوعي بما يحدث لهم

٤. إيقاف الأفكار: إن المعتقدات الجوهرية وكذلك الإتجاهات هي غير منطوقة ولكنها قد أثرت في ادراكه للمواقف التابعة، فعلى المتصدي للجراحة أو القائم عليها أن ينظر الى التكوين المفهوماتي ورسم خارطة طريق فعليه ايقاف الأفكار التي تساهم في تفسير الأحداث بطريقة سلبية.

وهذا يكون تصور أولي للمتطرف بأن القائم على العلاج بالجراحة أكثر حنكة وتمرس وقدره وأن أداءه أفضل رغم وبالتالي يتقبل منه ويستمع اليه حتى إن كان لا يرغب بذلك، وهذا يساهم الى حد ما بإيقاف الأفكار السلبية والمتطرفة، ويمكن إيصال ذلك من خلال نبرة الصوت ولغة الجسد وفوة الخطاب ووضوح معالمه وحججه

الظاهرة والقاطعة المستندة الى الدليل العلمي، ويتم ذلك وفق معيار ثابت وصحيح وهنا كان المعيار الديني هو السائد والمستند الى الأدلة القرآنية والسنة النبوية الشريفة وسيرة الأئمة الأطهار وهي أدلة مبنية على أسس رصينة غير قابلة للتأويل المرضي.

ويسهم ذلك في اكسابهم مهارات تفكير منضبطة والتي تعمل على تعود الذهن القيام بطرقة التحليل للعبارات والكلمات والشعارات والمعتقدات سيما اذا كانت سطحية غير عميقة.

٥. التحول الفكري:

إن التحول الفكري كأسلوب معرفي نفسي يسعى للتعامل مع الأساس النظري (الفكري) الذى تقوم عليه الجماعات المتطرفة بمختلف تصنيفاتها (دينية ، اجتماعية ، سياسية ، ...) باعتباره العامل الأكثر حسما في أية تطورات يمكن أن تأطر عليها .. بمعنى أنه يستهدف تغيير مجموعة الأفكار المتشددة التي يعتنقها فرد أو جماعة ما من خلال إتباع آليات متنوعة ترمى بمجملها إلى إزكاء روح المراجعة لدى معتنقي تلك الأفكار وتشجيعهم على إعادة النظر في مشروعيتها عبر الاطلاع والاستماع والحوار.

ويكون ذلك بتوجيه التفكير ليلامس الحقيقة التي يبحث عنها كقوله تعالى ﴿قل إنما أعظكم بواحدةٍ أن تقوموا للّه مثنى وفرادى ثم تتفكرون﴾ (سبأ آية ٤٦) وفيها مخاطبة للمكذبين المعاندين المتصديين لرد الحق وتكذيبه والقدح بمن جاء به، وتؤكد الآية الكريمة على الحث على التدبر وتوجيه الفرد للتفكير ومخاطبة نفسه من أجل التعرف على المعتقدات والسلوكيات السلبية غير السوية.

ويطلق عليها البعض تحولات فكرية، كما يسميها البعض الآخر مراجعات فكرية ، ويطلق عليها طرف ثالث مسمى المناصحة الفكرية ، كما يطلق عليه أيضا تأهيل فكري، وعلى الرغم من اختلاف المسميات إلا أن المضمون واحد ويدور حول تصحيح المفاهيم المغلوطة لدى المتطرفين فكريا.

ثانيا- التطرف الفكري :

وهو التجاوز في الفكر أو المذهب أو العقيدة عن الحدود المتعارف عليها قبل الجماعة، والتعصب لرأي واحد أو استنتاج خاطئ، والمبالغة في السلوك الناتج عن هذا التعصب أو التطرف في الفكر، والتطرف في اللغة معناه الوقوف في الطرف، بعيدا عن الوسط، وأصله في الحسيات كالتطرف في الوقوف أو الجلوس أو السير، ثم أنتقل إلى المعنويات كالتطرف في الدين أو الفكر أو السلوك.

والتطرّف كظاهرة اجتماعية يعادل مفردات كانت رائجة في زمن النصوص الدينية، من قبيل: الغلو الذي هو في أصل اللغة(تجاوز الحدّ)، يقال: غَلا السّعرُ يَغلو غَلاءً، وغَلا الناس في الأمر؛ أي: جاوزوا حدّه، كغلو اليهود في دينها(الفراهيدي، ٢٠٠٣: ص٤٤٦)، فالتطرّف الذي يعني التجاوز الأبعد لحدّي الإفراط أو التفريط، وقريب منه التعصّب، كلها مفردات تعبر عن تلك الظاهرة الاجتماعية التي أشرنا إليها.

- المفاهيم المرتبطة بالتطرف الفكري

قد يختلط مفهوم التطرف الفكري مع بعض المفاهيم الأخرى مثل:

١- الجمود الذهنيMental inertia

٢- الجزمية Dogmatism

٣- المحافظةConservatism.

٤- التصلب Rigidity.

٥- التسلط Authoritarianism.

٦- التعصب Prejudice.

٧- عدم تحمل الغموض Intolerance of Ambiguity.

٨- الأحادية العقلية Single Minded.

- سمات الشخص المتطرف فكريا :

هو شخص متعصب جامد منغلق على ما يؤمن به من أفكار، يتسم بالتسرع ولاندفاع وبتهميش الموضوعية في قراراته وحياته .هو شخص يؤمن بالفكرة الواحدة والرأي الواحد والتوجه الواحد، يدرك الأشياء على أنها منفردة ومعزولة عن بعضها البعض ولا يرها كأجزاء في منظومات كثيرة (الشهري ، ٢٠٠٥، ص٢٨٥).

ويميل هذا الشخص الذي لديه جمود ذهني الى إهمال الاشخاص الآخرين بسبب معتقداتهم المخالفة ويحمل نحوهم مشاعر العداء كرد دفاعي تجاه التهديد، ويكون لديه اعتقاد مطلق في النظرية المؤامرة ممن يخالفونه الرأي. وبالتالي لا يوجد بينه وبين الآخرين نقاط التقاء أو حوار فهو متعصب ضد الثقافات الاخرى من غير علم ويميل الى افراز معتقدات متناقضة في أسسها المنطقية، ولديه نظرة تسلطية للحياة وأيمان عميق بالقوة كأسلوب رد دفاعي جيد للتغير، وأن التطور رهين بوجود شخصيات فذة في مجالات الحياة المختلفة. (القحطاني أ،٢٠٠٧، ص٢١) كما أنه يفترض درجة عالية من التطابق بين وجهات نظره الشخصية ووجهات نظر المجتمع فلا يكلف نفسه عناء التدقيق في الاحكام التي أصدرها، ولديه ميل سريع لرفض أي دليل أو مناقشات تتعارض مع معتقداته. وهو يتسم بالرفض والعداء والنفور من الآخرين الذين يؤمنون بعكس ما يؤمن ويعتقد. كما أن لديه مثابرة

قوية في مقاومة التغيير بحدة بدون برهان. فنجده يقاوم تأجيل الحكم على الامور حتى يتوفر البرهان ولا يكون لديه رغبة في اختيار البرهان الجديد بعد تكون الرأي فعلاً، معتمدا على القلوب الفكرية الجاهزة في الحكم على الأمور، متشبثا بالقديم والمتوارث والمألوف والشائع (كشت، ٢٠٠٦ ، ص٣٤).

إن انغلاق المعتقدات التي يتبناها الفرد- يحول الأفكار المنفتحة الى منظومة مغلقة من الأفكار لا تقبل المناقشة والحوار. فتوحده القوي بالمعتقدات يشوه قدرته على التفكير المنطقي مما يعوق حل المشكلة و التفكير المنتج ويكون أقل قدرة على تنظيم الأفكار الجديدة والتوفيق بينها وبين الأفكار الموجودة لدية فعلاً (في موقف حل المشكلات (الشهري ،٢٠٠٥،ص٢٩٠).

وهذا الشخص لا يحتمل الغموض ويرفض المخاطرة فهو يميل للتعامل مع الثوابت، وتتسم استجاباته بالتطرف، فموقفة مع الآخرين مع أو ضد وينظر الى مجالات الجدلية على أنها أبيض أو أسود فقط (فرج ،٢٠٠٥ ص٥٤).

يميل ذوي الأفكار المتطرفة للمغالاة في مدح ذواتهم والاعتزاز الشديد بآرائهم والمساس بها يُعد مساسا بكرامتهم وكبريائهم، فهم يتمتعون بتقدير ذات مرتفع ربما يكون ميكانزيم دفاع للتعويض عن القصور في الشخصية (المختار ،٢٠٠٤ ، ص٤٣١).

- التفسير النفسي للتطرف الفكري

(نظرية انساق المعتقدات Belief system theory):

قدم هذه النظرية العالم (Milton Rokeach ١٩٦٠) ودعمها هو وزملاؤه بالعديد من الدراسات والبحوث، وتقوم هذه النظرية على أساس مفهوم "الجمود"

Dogmatism وعلاقته بمفهومي "التفتح الذهني" Open-Minded و"الانغلاق الذهني" Closed-Minded وركز روكيش في نظريته على:

الاول: مفهوم الجمود (Dogmatism)، والثاني: التنظيم العقائدي (Organization Belief).

اولا: مفهوم الجمود (Dogmatism) من خلال نظرية روكيش:

تناول روكيش "Rokeach" في إطار نظريته نمطين من التفكير نمط الذهن المتفتح (Open mind) ونمط الذهن المنغلق (Closed mind) هذان النمطان من وجهة نظره يمثلان البناء المعرفي للفرد يقوم على مجموعة من المعتقدات، تنتظم هذه المعتقدات في نسق أو نظام يكون البناء المعرفي الخاص لكل فرد، يترتب على هذا البناء المعرفي أنماط تفكير إما أن تكون مغلقة وجامدة، وإما أن تكون أنماطا وأساليب تفكير متفتحة وصحيحة (Rokeach, ١٩٨٠, p.٥٠).

ويشير "Rokeach" إلى أن الجمود الذهني هو تكوين معرفي للأفكار والمعتقدات المنظمة في نسق مغلق نسبيا ويتمثل في طريقة التفكير والسلوك بحيث تظهر مع أية أيديولوجية بغض النظر عن مضمونها، أي أن الجزمية تتمثل في نظرة متسلطة للحياة وفي عدم التسامح آراء المعتقدات المتعارضة، والتسامح مع المعتقدات المشابهة لما يعتقده الشخص. (تركي، ١٩٨٠، ص٣٣٠)

بمعنى آخر يرى "Rokeach" إن لكل إنسان بناءً معرفيا (Cognitive Structure) ومعتقدات خاصة عن الحياة والسلطة والعلاقات الاجتماعية والثقافية والسياسية، وتنتظم هذه المعتقدات في نسق كلي، وهذا النسق الكلي هو الذي يكون المنظومة المعرفية للفرد وهذه المنظومة هي عبارة عن معتقدات واتجاهات وسلوكيات وأساليب تفكير متنوعة، وهذه المنظومة المعرفية إما توصف على أنها

مغلقة وجامدة أو إنها متفتحة ولها القدرة على التواصل مع أفكار ومعتقدات الآخرين والتعايش معهم (Rokeach, ١٩٧٦, p.٨٦).

إن الفرد المتطرف فكريا يتسم بالجمود ومعارضة الأفكار الجديدة، كما يمكن أن يضم أفكارا متناقضة ويتجه إلى تبني أنماط فكرية محددة يواجه بها مواقف الحياة مهما تنوعت واختلفت (ابراهيم وسليمان، ١٩٩٢، ص٢١).

ويميز روكتش بين نمطين من التفكير هما التفكير المنتج والتفكير المغلق أو الدجماتي:

١- نمط التفكير المتفتح: وفيه يكون أسلوب التفكير ناميا متطورا يهتم الفرد بمعرفة أفكار الافراد ومعتقداتهم، كما أن لديه القدرة على تغيير أفكاره نفسه أذا ثبت أنها خاطئة.

٢- نمط التفكير المغلق : وفيه يكون أسلوب التفكير جامدا ثابتا نسبيا مقاوما للتغيير ، لا يحتمل الغموض أو اللبس، ولا يستطيع أن يتقبل أفكار غيره أو يتفهمها ، وتتميز استجاباته إما بالقبول المطلق أو الرفض المطلق للأفكار أو الاشخاص دون تمحيص أو فحص .

وقد حدد "Rokeach" مواصفات لنمط منغلق التفكير (جمود الذهن) والذي يكون مصداقا للفرد المتطرف آخذا في الاعتبار الانتظام عبر متصل الاعتقاد-عدم الاعتقاد على النحو الآتي:

- الارتفاع النسبي لمقدار رفض الأنساق الفرعية لعدم الاعتقاد عند كل نقطة على المتصل.
- توجد عزلة بين العناصر الجزئية داخل وبين أنساق الاعتقاد وعدم الاعتقاد.
- التفاوت الكبير في درجة التمايز بين أنساق الاعتقاد وعدم الاعتقاد.

- التمايز الضئيل نسبيا داخل أنساق عدم الاعتقاد

وهذا يعني أن الشخص المتطرف فكريا يتميز بدرجة مرتفعة من الاستعداد لرفض المعارضة وانخفاض نسبي للترابط بين أنساق الاعتقاد، وتعدد المعارف الأكثر اعتمادا على رغبات غير ملائمة، وعلى سلطة خارجية (عبد الله، ١٩٨٩، ص٨٣-٨٤).

ولكي نقول أن شخصا معينا يتسم بالتطرف الفكري فإننا نقول شيئا عن الطريقة التي يعتقد بها والاسلوب الذي يفكر به، ليس فقط بالنسبة لموضوعات فردية، ولكن أيضا بالنسبة لشبكة عريضة من الموضوعات، أي أن "Rokeach" يرادف بين مفهومي الجمود الذهني وانغلاق الذهن (عبد الله، ١٩٨٩، ص٨٢). فجمود الذهن تركز على شكل الاعتقاد وليس على مضمونه، أي أنها لا تتعلق بالآراء وطبيعة المعتقدات ذاتها ولكنها تهتم بأسلوب اعتناق هذه الآراء وتلك المعتقدات (Rokeach, ١٩٨٠, p.٤٤٦).

ويرى "Rokeach" أن الناس تمتد أنساق معتقداتهم عبر متصل (Continuum) ثنائي القطب يقع الأشخاص "متفتحو الذهن" (Open mind) في أحد قطبيه والأشخاص "منغلقو الذهن" (Closed) mind في القطب الآخر، وبين الفئتين المتطرفتين يقع مختلف الأشخاص في هذا المتصل الذي يمكن قياسه بدقة (Rokeach, ١٩٧٦, p.٣٣).

الأشخاص متفتحو الذهن يتسمون بالاتساق وعدم التناقض، أما الأشخاص منغلقو الذهن يتسمون بالجمود ومعارضة الأفكار الجديدة، كما يمكن أن يضمون أفكارا متناقضة حول الشعور بالوحدة وقلة الحيلة والعجز والتسلطية وضيق الأفق والنظرة الذاتية إلى الحياة. والجزمية كما يتصف بها الأفراد من كافة المشارب

السياسية والاجتماعية والثقافية فقد يتصف بها الرجعيون كما يتصف بها التقدميون بل وقد يتصف بها العلماء والباحثون. (كفافي، ١٩٨٣، ص٢٢٥).

٢. التنظيم العقائدي (Belief Organization):

يرى "Rokeach" أن المعتقدات تعمل في نظام (System) يسمى نسق المعتقدات(Belief System)، وهو مجموعة من المعتقدات الفردية التي كونها الفرد حول موضوع ما في ضوء ما مر به من خبرات وينتظم من خلالها سلوكه بطريقة صريحة أو دون وعي منه بذلك (خليفة، ٢٠٠٠، ص٢٧٠-٢٧١).

ونسق المعتقدات الكلي يضم المعتقدات واللامعتقدات للشخص والمعتقدات هي توقعات وفروض شعورية ولا شعورية يؤمن بها الشخص ضمن مدة زمنية معينة والتي يعدها الشخص حقائق صادقة وإنها تمثل الواقع الموضوعي واما اللامعتقدات فهي أنظمة فرعية من الأفكار وهي توقعات وفروض شعورية ولا شعورية لا يؤمن بها الشخص ضمن مدة زمنية معينة بدرجات متفاوتة من الرفض والتي يقبلها الشخص كحقائق زائفة وخاطئة ولا تمثل الواقع الموضوعي (Rokeach, ١٩٧٣, p.١٩٥).

أن المكون المعرفي لشخصية ذو التطرف الفكري يتمثل في مفهوم أساسي هو المعتقد Belief، والمعتقد كما يراه "روكيش" أي توقع يتعلق بوجود كائن ما، أو بتقييم معين، أو عادات معينة، أو قضايا أمريتناهية، أو وقائع سببية (Rokeach, ١٩٨٠, p.٢١٠).

وقد تعامل "Rokeach" مع نسق المعتقدات على أنه عبارة عن مجموعة من المعتقدات والاتجاهات المترابطة فيما بينها، وتنتظم في شكل بناء متدرج. وأشار إلى أن نسق الاعتقاد واللااعتقاد disbelief system (Belief) يُعد نسقا شاملا للاتجاهات والقيم وأنساق القيم. (Rokeach, ١٩٨٠, p.٣٣٤).

ويرى "Rokeach" أن موضوع المعتقد قد يصنف بأنه صحيح أو خاطئ، حقيقي أو زائف ومن الممكن إصدار الحكم عليه وتقويمه على أنه حسن أو سيء أو من الممكن تأثير بعض أنواع السلوك على أنها مرغوب أو غير مرغوب فيها. ويقسم "Rokeach" المعتقدات على ثلاثة أنواع هي:

١- المعتقدات الوجودية أو الوصفية (Existential) كالاعتقاد بأن الأرض كروية.

٢- المعتقدات التقويمية كالاعتقاد بنوع من أنواع الطعام.

٣- المعتقدات العرفية (Prescription) كالاعتقاد بأن من الأشياء المرغوب بها إطاعة الأطفال لآبائهم، وهذه المعتقدات تقوم على أساس التقاليد القديمة والعادات والأعراف (Rokeach, ١٩٧٣, p.١٥٥).

ويشير نسق المعتقدات على حد تعبير "Rokeach" إلى تصورات الفرد ومعارفه عن ذاته أو حول موضوع معين سواء كان هذا الموضوع أشخاصا أم مواقف أم أشياء. (خليفة، ١٩٩٢، ص٢٢٨). وبمعنى آخر فإن النسق عند روكيش هو عبارة عن مجموعة من العلاقات المنتظمة المستقرة بين أجزاء أو عناصر كل معين وهذه العناصر تعمل سويا لتؤدي وظيفة محددة (English, ١٩٥٨, p.٥٧٧).

وأوضح "Rokeach" أن الجوانب السلوكية والجوانب المعرفية تنتظم جميعها في إطار نسق عام هو "نسق المعتقدات الشامل" Total Belief System" الذي يتسم بالتفاعل والارتباط الوظيفي بين عناصره أو أجزائه ويشير هذا النسق إلى تصورات الفرد ومعارفه عن ذاته وعن الآخرين ومن وظائف هذا النسق بالنسبة للفرد أنه يساعده في إصدار الأحكام، وإقامة الحجج والبراهين أو تحقيق التوافق وفي مجال تصور الفرد لذاته وللآخرين، وتحقيق الذات (خليفة، ٢٠٠٠، ص١٤٩).

ويرى "Rokeach" أن هناك ثلاثة جوانب مهمة ينبغي وضعها في الحسبان أثناء تناول أنساق المعتقدات هي المعرفية (Cognitive)، والأيديولوجية (Ideological)، والانفعالية (الشخصية) وهذه الجوانب على علاقة بعضها ببعض وتستعمل بالتبادل على أساس افتراض أن أي انفعال له مظهر معرفي متطابق معه وأن أي معرفة لها مظهر انفعالي متطابق معها. ونظرا لأن منحى أنساق المعتقدات منحى معرفيا بشكل أساسي فهو لا يهتم بالجانب الانفعالي للإنسان (عبد الله، ١٩٨٩، ص١١٩-١٢٠). فنلاحظ أن الناحية المعرفية هي السائدة، مثل اعتقاد الشخص عن طبيعة كروية الأرض فهو لا يتعلق بالانفعال نحوها بقدر ما يرتبط إيمانه بحقائق ثابتة (القحطاني، ٢٠٠٧، ص٧٤).

الآليات والاستراتيجيات والأدوات التي استعملت في الجراحة النفسية من قبل المرجعية الدينية (الاحاديث والخطب والمواقف)

إن الحقبة الزمنية التي يمر بها العالم الاسلامي بشكل عام والعراق بشكل خاص امتازت بكثرة المشاكل الاجتماعية والقلاقل والاضطرابات الداخلية والفتن والتناقضات فضلا عن التطرف الفكري والديني والعقائدي الذي صنعته دول الاستكبار العالمي والصهيونية في الجسد الاسلامي، وللأسف الشديد أصبح الكثير من المسلمين أدوات لتنفيذ هذه المشاريع، فظهرت لدينا حركات متطرفة وجهات متعصبة وكثرت المغالطات والانشقاقات بين صفوف المسلمين.

ولأن المرجعية الدينية الرشيدة متمثلة بالإمام السيد علي الحسيني السيستاني الحامي والحافظ لبيضة الإسلام والخط الذي يكمل مسيرة النبي الأكرم محمد(ﷺ) والأئمة الإطار عليهم السلام فكان لزاما أن تتحرك وتفعل هذا الدور فقد أدركت أن الخطر محدق والتشظي بات وشيكا وقد يؤدي التهاون الى مالا يحمد عقباه لأن

الهجمة شرسة وتتم تغذيتها وتمويلها وترسيخ مفاهيمها على مستويات عالية قد تضع المسلمين في موقف حرج، وما زاد من تأثير تلك الظاهرة السرعة والزخم الذى تتناول به وسائل الإعلام مثل هذه النوعية من التناقضات الفكرية بالنظر لما تحتويه أخبارها من عوامل جذب وأثارة لفئات المجتمع المختلفة.

ومن يستطيع الرد على الشبهات أو دحض الأفكار وتغيير الواقع سوى شخصية متزنة تمتلك ضخامة الفكر والقدرة على إدارة الأحداث وتكامل الشخصية كي تكون أنموذجا يحتذى به فضلا عن امتلاكها قدرات ذهنية ومعرفية هائلة وتمتلك الأدوات المناسبة لتنظيم العامة والركون الى لغة الحوار والاستماع الى العقل.

ومن الأهمية بمكان أن نشير في هذا الموضع إلى الارتباط الوثيق بين التطرف الفكري والارهاب، إذ أنهما حلقتان متصلتان، فالانحراف أو التطرف الفكري هو الذى يدفع صاحبه لارتكاب العمل الإرهابي، ولذلك برزت لدينا تنظيمات إرهابية متطرفة كـ(تنظيم القاعدة وتنظيم داعش الإرهابي)، ومن أبرز مظاهر التطرف الفكري التي ظهرت في الآونة الأخيرة (التعصب للرأي، إلزام المسلمين بما لم يفرض عليهم، عدم الإعتراف بالرأي الآخر، التشديد في غير محله، الغلظة والخشونة، سوء الظن بالناس، عدم التسامح، النظرة التآمرية، العدوانية، المثالية، السقوط في هاوية التكفير)، وقد نشطت تحركاته حتى وصل الأمر الى احتلال عدد من المدن العراقية وارتكاب المجازر الدامية فيها بحق المواطنين، جرى كل ذلك وسط تراجع خطير أصاب المؤسسة الأمنية وجعلها عاجزة عن الاضطلاع بدورها في صد هذه الهجمة الارهابية.

أولا-التصور المعرفي (التشخيص الأولي):

لقد استعملت المرجعية الدينة أولى ادوات الجراحة المعرفية في التصدي للتطرف الفكري والذي نجم عنه مستوى متقدم من الإرهاب فقد استوعبت المرجعية الدينية الرشيدة الظروف السياسية واختلاف المواقف الداخلية والإقليمية والدولية والتي ساهمت في تفشي ظاهرة التطرف الفكري وبالتالي فهي قامت بتشخيص الحالة وتحديد روافدها ومدى خطورتها، فمن البديهي أن هنالك عوامل تعد من العوامل التي تساعد على نشوء ظاهرة التطرف الفكري وسنتعرض لها مع بيان دور المرجعية[1] في تشخيصها ولا ندعي أننا أحطنا بكل ما ورد عن المرجعية الرشيدة ولكننا حاولنا جاهدين انتقاء ما يتلاءم ومجريات البحث الحالي، وهي كالتالي:

أ- الفقر والبطالة: إن العوز المادي وعدم حصول الفرد على حقه في العيش لاسيما الشباب الذي لا يتملك الأمل في التعيين سيكون أكثر عرضه للوقوع في حبائل الإرهاب وأقرب الى تبني الأفكار المتطرفة والانصياع لها فقد اكدت المرجعية الدينية من خلال منبر الجمعة أن بعض المحافظات العراقية بحسب الاحصاءات الرسمية تعاني من ارتفاع نسبة الحرمان فيها أكثر من غيرها، إذ لا تتوفر في هذه المحافظات خطة سياسية تنموية يمكن من خلالها توظيف واستثمار ما تمتلكه تلك المحافظات من قدرات زراعية أو جغرافية أو صناعية يمكن من خلالها توفير المشاريع التي تغطي بعض النقص الحاصل وما تعانيه نسبة الحرمان المرتفعة، وقد أشارت المرجعية الدينة أن النتائج التي يمكن أن تترتب على ارتفاع نسبة الحرمان في تلك المحافظات وشعور أبنائها بالغبن والتمييز، وأن ذلك قد يقود الى شعور بالظلم الاجتماعي، وهذا الشعور الاجتماعي

---

(١) : منعاً للتكرار إن كل ما ورد عن المرجعية الدينية الرشيدة من خطب الجمعة مقتبس من كتاب (خطب الجمعة توثيق وتحقيق ، المجلد العاشر الجزء الاول لسنة ٢٠١٤ ، العتبة العباسية المقدسة : مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات ،(٢٠١٦)

والنفسي عند مواطني هذه المحافظات له تأثير وتداعيات سلبية فلابد من وضع معالجات.

ودعت من خلال ممثلها الى إنهاء مشكلة العاطلين عن العمل، "فهناك بطالة حقيقية لأشخاص في قمة العطاء يمتلكون المؤهلات العلمية والبدنية ويجب أن يشتغلوا لصالح البلد"

من الواضح أن المرجعية الدينية قد اشارت الى أن تداعيات شعور الفرد بالغبن والتمييز قد يؤدي الى انتهاج اساليب غير منطقية أو تبني أفكار متطرفة وقد يصل الأمر الى تقبل الانضمام الى الجماعات التكفيرية فيما اذا أدرك أنها المنفذ الوحيد لمعاقبة الجهة المسؤولة عن حرمانه.

بـ الجهل: إن الجهل وانتشار الأمية وقلة الوعي يشكل عامل رئيسي ومهم في انتشار الإرهاب والتطرف الفكري فكلما كان الفرد محصنا فكريا ولديه مستوى من الثقافة كان عصيا على المنظمات الارهابية والجماعات المتطرفة ولهذا شخصت المرجعية الدينية في خطبة الجمعة ليوم ٢١ شباط ٢٠١٤ ظاهرة انتشار الأمية والجهل وحثت على وجوب التصدي لها من الجهات المتنفذة سواء فب الحكومة التنفيذية أو من خلال مجلس النواب.

تـ اليأس والاحباط: إن شعور الفرد باليأس واستسلامه وعزوفه عن احداث التغيير تجعله منطويا على ذاته وغير متفاعل مع الآخرين واليأس بدوره يدفع الفرد الى تبني أفكار تسهم من وجهة نظره في التخلص من حالة الاستسلام والقنوط وقد يبحث عما ينقذه من تلك الحالة مما يسهل وقوعه في شراك التظرف الفكري، كما أن شعوره بالإحباط وتكرار حالة الإحباط لديه تجعله ناقم على تلك الظروف التي أدت به الى حالة الإحباط .

وقد تطرقت المرجعية الدينية في خطبة الجمعة بتاريخ ٢٤ كانون الأول ٢٠١٤ الى الأحداث السياسية في البلاد ووصفتها بأنها مؤلمة وشددت على أن لا تكون سببا ليأس المواطنين واحباطهم وضرورة التصدي واستلهام العبر من الشعوب الأخرى وأن يكون الانسان متمسكا في الأمل فقد جاء في الخطبة" سببا وموجبا لضعف المعنويات لدى المواطنين وحصول حالة من اليأس لدى البعض فان الكثير من الشعوب مرت بمخاضات عسيرة وظروف أصعب من ذلك ومع هذه الظروف الصعبة فقد انقضت تلك السنين العجاف وعاشت تلك الشعوب في ضوء صمودها وصبرها حياة مستقرة ومتطورة ولا بد ان يكون الانسان متمسكا بالأمل في زوال هذه الظروف الصعبة"

ثـ التهميش: إن الشعور بالتهميش على كل الأصعدة الاجتماعية والسياسية والدينية يدفع الفرد الى ردة فعل قد تكون متطرفة وربما تتسم بالعدوانية فقد اشارت المرجعية الدينية في خطبة الجمعة بتاريخ ٧ آذار ٢٠١٤ الى ضرورة اشتراك الجميع في العملية الانتخابية وإدارة شؤون البلاد والحفاظ على مبدأ الانتقال السلمي للسلطة وترسيخ اشتراك مكونات الشعب العراقي جميعها في ادارة شؤون البلاد مما يعزز شعورها بتحقيق ركن اساسي من أركان العدالة الاجتماعية وعدم شعورها بالتهميش والاقصاء وان ذلك يؤدي بالنتيجة الى تحقيق الاستقرار السياسي والاجتماعي.

جـ ضحايا العنف: إن الأفراد الذين يتعرضون للعنف سواء بالتفجير أو القتل أو التهجير غالبا ما يضمرون الكراهية والعداء الى الجهات المسؤولة عن تلك الحوادث وهذا أمر بديهي ولكنه قد يتطور الى أكبر من ذلك بأن يشعر بالكراهية لطائفة أو لقومية معينة، فقد نبهت المرجعية الدينية بتاريخ ٤ نيسان ٢٠١٤ الى ما يحدث في مناطق البلاد من اشتباكات مسلحة وتفجيرات دامية واعمال عنف تذهب

ضحيتها المئات من الابرياء ، فضلا عن الصبغة الطائفية الخطيرة للكثير من أعمال العنف تلك والتي تهدد النسيج الوطني للعراق، وما تعنيه المرجعية الرشيدة بتهديد النسيج العراقي هو تطرف الأفراد كل بحسب الطائفة أو القومية.

ثانيا- إعادة البناء المعرفي للمتطرفين فكريا:

بعد أن شخصت المرجعية الدينية التطرف الفكري ومصادره، كما أنها على دراية بما يحدث في معظم المناطق العراقية من عمليات ارهابية مبنية على أسس متطرفة وتحديدها للجماعات المتطرفة سعت الى إعادة البناء المعرفي للمتطرفين وتم ذلك من خلال:

أ- التطبيق العملي: أثبتت المرجعية الدينة لكل أطياف الشعب العراقي بأنها ترعاهم وتحافظ على حقوقهم وأنها لا تميل الى جهة أو طائفة دون أخرى كما جاء ذلك من خلال دعوتها الى الانتخابات ووقوفها على مسافة واحدة من الجميع في خطبة الجمعة بتاريخ ٧ آذار ٢٠١٤.

فعادة ما يثق الأفراد بالجهات التي لا تميز بينهم فقد عزز ذلك الثقة والموضوعية كما أن دعوة المرجعية لاختيار ممثلين الشعب والقائمين على ادارة الدولة على أساس اعتماد معايير الكفاءة والخبرة والنزاهة والقدرة على الخدمة ويمتلك ملكات خاصة فقد أشارت الى أن المجلس النيابي " يحتاج الى ملكات اخرى اقوى ويحتاج الى وعي سياسي واداري ورقابي كبير، ويحتاج الى فهم لما يدور حتى يكون قبول القرار أو رفضه ناشئا عن راحة ضمير"، وهذا جسد لدى المجتمع العراقي حرص المرجعية على ضرورة تولي المناصب السياسية من قبل اشخاص أكفاء دون الاهتمام بالانتماء المذهبي والطائفي والقومي مما جعل الأشخاص حتى المناهضين

والمتطرفين ينظرون الى مقام المرجعية الدينة بنظرة تقدير واحترام وثقة حتى وإن لم يصرحوا بذلك.

ب- الإثبات بالأدلة: إن تصريح المرجعية الرشيدة بأن كل ضحايا الإرهاب والتفجيرات هم أبرياء وادانتها الصريحة للصبغة الطائفية في خطبتها بتاريخ ٤ نيسان ٢٠١٤، يوكد التطبيق العملي لرؤى المرجعية المعلنة والواضحة وهذا يجعلها في موضع احترام حتى اعدائها، كما أن اهتمام المرجعية الرشيدة بكل شؤون الشعب العراقي أعطى دليلا على رعايتها الأبوية لكافة أطياف الشعب العراقي فقد شكرت كافة المواطنين الذين ساهموا في الانتخابات جاء ذلك في خطبة الجمعة بتاريخ ٢ آيار ٢٠١٤ ، كما أن انتقادها للسياسيين الذين اعتمدوا نهج الاتكاء على المصالح العامة واستغلالها لتحقيق مكاسب سياسية فهذا النهج من وجهة نظر المرجعية نهج خاطئ، ودعوتها في ٣٠ أيار ٢٠١٤ الى اشراك مكونات الشعب العراقي جميعها في ادارة شؤون البلاد من أجل طمأنتها بأنها غير مهمشة ولا يمارس بحقها الاقصاء ومع ذلك لابد من اعتماد مبدأ الكفاءة والنزاهة والقدرة على تقديم الخدمة.

كل ذلك ولد شعور لدى المواطنين بأنها ترعى مصالحة وتهتم لأموره كل ذلك ساهم في تغيير البناء المعرفي للمتطرفين أو للأفراد الذين يمتلكون ميلا غير معلن للتطرف.

ومن أدلة ذلك إهتمام المرجعية الدينية بالنازحين فقد وقفت المرجعية الى جانب المواطنين النازحين والمهجرين من ديارهم بسبب سيطرة الارهابيين على مناطقهم ودعت الحكومة والمنظمات الدولية والمحلية والخيرين من ابناء الشعب العراقي أن

يهبوا لنجدة اخوانهم من النازحين والمهجرين وبذل ما أمكن من ملبس ومأكل ومسكن لتوفير الحد الادنى من احتياجاتهم

والتخفيف من معاناتهم.

ثالثا الوعي الانتقائي: إن الوسائل الأكثر عقلانية لمعالجة الأزمات تدفع بالمتطرفين الى إعادة النظر وتعديل السلوك ومناقشة الأمور من زاوية أكثر اعتدالا و نجد ذلك متجسدا في أسلوب الخطاب العقلي فإن أغلب الناس لا يؤمنون إلا بالدليل العقلي الواضح ومن خلالها يستطيعون الوعي بما يحدث لهم.

فقد أشارت المرجعية الدينة بتاريخ ٣ كانون الثاني ٢٠١٤ الى أن مكافحة القوى الظلامية التي لا تعرف الا القتل والدمار (مهمة وطنية لا تختص بطائفة من دون اخرى ولا تختص بفئة من دون اخرين)، ودعت في الوقت نفسه مكونات الشعب العراقي جميعها الى الوقوف خلف القوات المسلحة وأبناء العشائر في مواجهة المجموعات الإرهابية المنحرفة.

كما أكدت في الخطبة ذاتها على أن تحقيق الاستقرار السياسي في البلد مرهون باحترام المواطنين بعضهم للبعض الآخر في الحقوق المشروعة وعدم التجاوز على القانون تحت اية ذريعة، وأيا كانت طائفة أو قومية الشخص المتطرف فإنه لا يجد من يدافع عنه ويرعى حقوقه ولا يفرق بينه وبين غيره سوى المرجعية الدينة وكل فئات المجتمع بل كل الجنس البشري ميال الى احترام القانون فطريا للحفاظ على حقوقه وتسيير أموره.

وبحسب ما ورد عن المرجعية الدينة سواء في خطب الجمعة أو في ما تدلي به عن طريق مكتبها من نصائح وتوجيها أنها لم تدعو أي دعوة ذات منطلق طائفي، كما أن المرجعية الدينية قد برهنت في السنوات الماضية وفي أشد الظروف قساوة أنها بعيدة

كل البعد عن أي ممارسة طائفية، فالمرجعية الدينية الرشيدة صاحبة المقولة الشهيرة عن أهل السنة" لا تقولوا إخواننا ..بل قولوا أنفسنا" وقد دافعت المرجعية الرشيدة عن كل مكونات الشعب العراقي من مسيحيين أو شبك أو تركمان أو صابئة ولم تستثني أي مكون أو قومية.

وهذه المواقف النبيلة والأبوية للمرجعية الدينة دفعت المتشددين والمتشككين والغير مستقرين الى إعادة النظر بأفكارهم وبدأ لديهم حوار مع الذات ومؤكد ستون هنالك مقارنات بين من يتبعونهم أو من يؤثرون عليهم وبين خطاب المرجعية المعتدل العقلاني.

رابعا- إيقاف الأفكار: إن دعوة المرجعية الدينية في ١٠ كانون الثاني ٢٠١٤ الى ضرورة تكاتف الجميع في سبيل مكافحة هذه الافكار، واعتماد الفكر الوسطي المعتدل، الذي بني عليه الاسلام والديانات السماوية كأساس في التعايش السلمي بين مكونات اي مجتمع،

وهذا يكون تصور أولي للمتطرف بأن القائم على العلاج بالجراحة أكثر حنكة وتمرس وقدره وأن أداءه أفضل رغم وبالتالي يتقبل منه ويستمع اليه حتى إن كان لا يرغب بذلك، وهذا يساهم الى حد ما بإيقاف الأفكار السلبية والمتطرفة، ويمكن إيصال ذلك من خلال نبرة الصوت ولغة الجسد وفوة الخطاب ووضوح معالمه وحججه الظاهرة والقاطعة المستندة الى الدليل العلمي، ويتم ذلك وفق معيار ثابت وصحيح وهنا كان المعيار الديني هو السائد والمستند الى الأدلة القرآنية والسنة النبوية الشريفة وسيرة الأئمة الأطهار وهي أدلة مبنية على أسس رصينة غير قابلة للتأويل المرضي.

ويسهم ذلك في اكسابهم مهارات تفكير منضبطة والتي تعمل على تعود الذهن القيام بطرقة التحليل للعبارات والكلمات والشعارات والمعتقدات سيما اذا كانت سطحية غير عميقة.

خامساً التحول الفكري: إن تعرية الفكر المتطرف والإرهاب الفكري وتفريغه من محتواه ساهم في إعادة النظر من قبل بعض المتشددين أو المتطرفين فقد أشارت المرجعية الدينة ١٧ كانون الثاني ٢٠١٤ الى أن "الركائز الاساسية التي يقوم عليها الفكر الارهابي التي تشكل بمجموعها خطرا يستهدف الانسانية بأجمعها ، فالإنسان الذي يعتنق هذا الفكر الارهابي المتطرف يعتقد أنه هو الصحيح فقط والأخر خطأ، ولا يتورع عن استعمال اي طريقة لإصلاح خطأ الاخر المختلف معه، بما فيها العنف وهنا تكمن المشكلة في الفكر الارهابي الذي يؤسس لمفهوم عنيف ويستعمل الوسائل الممكنة جميعها من اجل اثبات هذه الفكرة أو تلك من طريق القتل والإرهاب ومن طريق الوسائل غير المشروعة"

إن التحول يستهدف تغيير مجموعة الأفكار المتشددة التي يعتنقها فرد أو جماعة ما من خلال إتباع آليات متنوعة ترمى بمجملها إلى إزكاء روح المراجعة لدى معتنقي تلك الأفكار وتشجيعهم على إعادة النظر في مشروعيتها عبر الاطلاع والاستماع والحوار ويكون ذلك بتوجيه التفكير ليلامس الحقيقة التي يبحث عنها، كما أن مضمون التحول الفكري يدور حول تصحيح المفاهيم المغلوطة لدى المتطرفين فكريا

فبعد أن قدمت المرجعية الدينية ما يمكن تقديمه لرد ع المتطرفين سواء بالمثل الأعلى والسلوك الحسن والتطبيق العملي والأدلة العقلية والخطاب المعتدل ورعاية مصالح الجميع والاهتمام بهم دون تمييز تمت بذلك الحجة وغربلة ما يمكن غربلته وعودة

المترددين الى جادة الصواب وبقي من كان متشرب بالأفكار المتطرفة واحكم التطرف على سلوكه بطوق لا يمكن فكة والخلاص منه إلا بإجراء عملية استئصال للعضو الفاسد والمرض الخبيث فلابد من إجراء العمل الجراحي وإقامة الاستئصال لأن استمراره سيكون خطر على الجسم البشري بشكل عام والإسلامي بشكل خاص، فبعد تمدد الإرهاب وسقوط مناطق بيده وأسس الإرهابيون دولتهم المزعومة وما يسمى(الدولة الإسلامية في الشام والعراق) والمعرفة اختصارا بداعش جاءت المرجعية الدينية بتاريخ ١٣ حزيران ٢٠١٤ لتؤكد على "أن مسؤولية التصدي لهم ومقاتلتهم هي مسؤولية الجميع ولا تختص بطائفة دون أخرى أو بطرف دون آخر" كما أشارت في الخطبة ذاتها الى استنهاض الهمم والشجاعة والثبات وهي سمات معروفة لدى الشعب العراقي وقد أشارت الى "أن الدفاع عن الوطن هو دفاع مقدس ويتأكد ذلك حينما يتضح أن منهج هؤلاء الارهابيين المعتدين هو منهج ظلامي بعيد عن روح الاسلام ويرفض التعايش مع الآخر بسلام ويعتمد العنف وسفك الدماء وإثارة الاحتراب الطائفي وسيلة لبسط نفوذه وهيمنته على مناطق العراق المختلفة والدول الاخرى، يا ابناءنا في القوات المسلحة انتم أمام مسؤولية تاريخية ووطنية وشرعية واجعلوا قصدكم ونيتكم ودافعكم هي الدفاع عن حرمات العراق ووحدته وحفظ الامن للمواطنين وصيانة المقدسات من الهتك ودفع الشر عن هذا البلد المظلوم وشعبه الجريح وفي الوقت الذي تؤكد فيه المرجعية الدينية العليا دعمها وإسنادها لكم تحثكم على التحلي بالشجاعة والبسالة والثبات والصبر، وأن من يضحي منكم في سبيل الدفاع عن بلده وأهله وأعراضهم فأنه يكون شهيدا إن شاء اللّه تعالى" ففي هذه الكلمات أجهزت المرجعية الدينة على التطرف والإرهاب بعد أن نفذت كل الخيارات المتاحة وعلمت علم اليقين أن من

تبقى منهم مصرا على تبنيه التطرف والإرهاب لن يستقيم إلا بالعمل الجراحي(العسكري) وهو استئصال الفكر كي لا يكون بؤرة ينتشر منها ومن خلالها الى بقية أفراد المجتمع فضلاً عن الحفاظ على باقي أفراد الشعب من شروره وتخليصه من ويلاته التي لا ترحم، وقد لخصتها المرجعية الدينية في كلماتها المأثورة إذ ذكرت " ان طبيعة المخاطر المحدقة بالعراق وشعبه في الوقت الحاضر تقتضي الدفاع عن هذا الوطن وأهله وأعراض مواطنيه وهذا الدفاع واجب على المواطنين بالوجوب الكفائي، ومن هنا فإن على المواطنين الذين يتمكنون من حمل السلاح ومقاتلة الارهابيين دفاعا عن بلدهم وشعبهم ومقدساتهم عليهم التطوع للا نخراط في القوات الامنية لتحقيق هذا الغرض المقدس"

مدى الإفادة من المقومات الفكرية والشخصية التي تمتلكها المرجعية الدينية في تربية الجيل الجديد على مفاهيم ثقافة الحوار وقبول الآخر والابتعاد عن الفكر المتشنج والمتعصب.

لقد أفرزت التغيرات الهائلة في البيئة المجتمعية نتيجة للثورة المعلوماتية العديد من الضغوط وأفرزت أنواع من الصراعات والتحديات التي باتت تؤثر بشكل كبير على أداء الأفراد وقد تنذر بخطر الابتعاد عن المنظومة القيمية الاسلامية، وبالتالي أصبح للمفكرين دور كبير ووسيلة فعالة في مساعدة الآخرين من أجل تخطي الأزمات النفسية التي قد تحدثها هذه التغيرات، بما يساعد في خلق بيئة خالية من التوتر والأزمات، ومما لاشك فيه أن مقدار النجاح الذي تحققه أي أمة من الأمم يتوقف إلى حد كبير على مدى تمسكها بمرجعياتها الفكرية والعلمية.

إن مجتمعنا اليوم يمتاز بالتغير السريع وما يتبع ذلك من تغير في المنظومة الفكرية وكذلك في المعايير الخلقية مما يؤدي الى تبنى الشباب نظم فكرية مستوردة أو آلية تفكير غير منفتحة ويهيمن عليها الشعور بالتحدي والتقليد

الأعمى واستيراد الثقافات، فقد يثوروا على عدد من القيم والمعايير السائدة في المجتمع، ليس لمجرد عدم ايمانهم بها، ولكن لعدم قدرتهم على التبصر والتفضيل بينها، لذا تعد مسألة تعلم الشباب وتنشئتهم والاهتمام بمشكلاتهم وقضاياهم الفكرية والاخلاقية في المجتمعات الحديثة من أهم المسؤوليات التي تقع على عاتق كل من الأسرة والمجتمع على حد سواء، فبقدر ما ينال هؤلاء الناشئة من اهتمام وحسن تربية وتوجيه ينعكس ذلك على مستقبل الأمة وتطورها.

ولا يستطيع أي مجتمع أن يبقى ويستمر من دون أن تحكمه مجموعة من القوانين المعتمدة في توجيه سلوك أبنائه فإن تعلم التفكير وتطويره أصبح مطلبا علميا واجتماعيا يسهم في توافق وتقوية العلاقات الاجتماعية لديه وتعزز تكوين هويته على وفق آراءه العقلانية والتي تستند الى أسس رصينة، وما يحقق هذا المنظور هو تبني الأنماط والسبل والاستراتيجيات التي تبنتها المرجعية الدينية الرشيدة في معالجة الأزمات وتذليل الصعاب ولغة الحوار المتحضر القائم على الأدلة والبراهين الغير قابلة للتأويل.

ويُعد النتاج الفكري للمرجعية الدينية الرشيدة من أهم المصادر والمراجع التي يفترض العودة لها كلما ضاقت بنا السبل فهو نسق علمي معرفي حضاري لأسلوب الحياة الذي يعكس صورة عملية لسياسة الإسلام الحكيمة ونظامه، ويعتقد الباحث أن ما يتم طرحه ومعالجته من قضايا مجتمعية من قبل المرجعية الدينية يُعد دستور حكم ناضج ومكتمل القواعد والشروط، وبما يوفر العدل والمساواة ويحفظ كرامة الانسان وحقوقه، ويؤكد على الالتزام الخلقي، والابتعاد عن الطمع وحب الشهوات، والالتزام بالذكر الحسن، والعمل الصالح، وتبني لغة الحوار وتفهم الآخر وقبول معتقداته.

فقد استطاعت المرجعية الدينة أن توقف هذا الصراعات الطائفية وتحد من انتشارها الذي غاية لمولي الفكر المتطرف والراعين له، وتعيد اللحمة العراقية الحميمة، وبحكمتها واتزانها استطاعت أن تعيد وضع الانسان العراقي ضمن المناخات الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية أيضا، وأعادت للقيم الانسانية دورها الحقيقي، فأصبح الانسان قادرا على التعبير عن مسؤوليته في عالم مليء بمصادرة الرأي والرؤية والمعتقد، واستطاع صوت المرجعية الدينية أن يعلو ويتسامى وسط صراخ التناقضات وأهوال الصراعات الخطيرة المنضوية على الكثير من الأصوات الزائفة.

ولابد لأفراد المجتمع بكل طبقاته ومراحله العمرية ابتداءً من الأسرة الى المؤسسات التربوية والمهنية والخدمية ودوائر العمل وانتهاءً بالحكومة والدولة أن يستفيدوا من هذا العطاء الفكري لمقام المرجعية الدينية المباركة، فهي تستمد جذورها من الإرث المقدس للأئمة الأطهار عليهم السلام.

وعلينا أن نتخذ من مقام المرجعية الدينية أنموذجا يحتذى به لحث الآخرين وبالأخص الشباب الى تبني مشروعها والسير على خطاها مما يعزز القيم التربوية للفرد، وللمجتمع بالابتعاد عن المنكرات، والآفات، والأوهام الاجتماعية التي لا تسهم في تنظيم حياة الفرد وإسعاده، بل تؤدي الى كثرة الصراعات سواء الصراعات النفسية أو الاجتماعية.

التوصيات:

١. تصدي خطباء المنبر الحسيني لما يتم عرضه في خطب الجمعة وتوضيح أهميته لدى المجتمع بشكل عام والشباب بشكل خاص.

٢. تنفيذ برامج تدريبية لاكتساب مهارات فكرية وقدرات عقلية على وفق ما ورد عن المرجعية الدينية الرشيدة وطرق معالجتها للأزمات الفكرية والاجتماعية.

٣. ضرورة تثقيف وتدريس الأسس الفكرية والمعرفية للمرجعية الدينية من أجل تنشئة جيل يمتلك الحصانة الفكرية لمواجهة الهجمات الإعلامية والتسويقية التي تروم النيل منهم.

٤. إن النظام المعرفي والفكري للمرجعية الدينة بحاجة إلى دراسة وبحث أكثر لأن هناك مواضع كثيرة فيه تحتاج الى دراسة وتأمل، يجب أن يتوقف عندها الباحثون، لأنها تعطي توضيح لبعض الحقائق المعرفية والعقلية.

٥. زيادة الاهتمام بالشباب والنظر اليهم كقادة للمستقبل وحثهم على تنبني الحوار وقبول الآخر لما له من دور في خلق وصياغة الروح الاسلامية الأصيلة.

٦. تضمين المناهج الدراسية بجميع المراحل الدراسية مواقف المرجعية الدينة في حفظ العراق من خطر التشظي والصراعات والانهيار وفاءا لهذا الدور العظيم وردا للجميل.

المقترحات:

١. دراسة صنع القرار وآلياته لمقام المرجعية الدينية.

٢. إجراء دراسة مقارنة لأدوار المرجعيات الدينية الفاعلة على مر العصور في تخطي الأزمات وتحفير الأمة.

٣. إجراء دراسة تحليلية للوعي الديني وعلاقته بحل المشكلات واتخاذ القرار (المرجعية الدينية أنموذجا).

المصـــــادر العربية

القرآن الكريـــم

- ابراهيم، علي، وسليمان، عبد الرحمن سيد (١٩٩٢) "الدوجماتية وعلاقتها باتخاذ القرار لدى عينة من طلاب جامعة قطر"، مجلة كلية التربية، العدد (١٦)، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر.
- تركي، مصطفى أحمد (١٩٨٠)"بحوث في سيكولوجية الشخصية في البلاد العربية"، جامعة الكويت، قسم علم النفس، الكويت.
- الحربي، ناصر بن عبد الله (٢٠٠٣) "علاقة الجمود الفكري (الدوجماتية) بأنماط التعلم والتفكير لدى طلبة المرحلة الثانوية بالمدينة المنورة"،(رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية التربية ، جامعة أم القرى، السعودية .
- خليفة، عبد اللطيف (١٩٩٢)" ارتقاء القيم (دراسة نفسية)"، سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد (١٦٠)، الكويت.
- خليفة، عبد اللطيف (٢٠٠٠)" المفارقة بين النسقي القيم المتصور و الواقعي لدى الاناث الراشدات"، دراسات في علم الاجتماع، ديوان الاميري ،كويت.
- خوج، حنان أسعد محمد (٢٠٠٨): الجمود الفكري والمهارات الاجتماعية وتشكيل الهوية لعينة من طالبات كلية التربية للبنات، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية.
- الشهري، حسن رافع (٢٠٠٥): مستوى الانغلاق الفكري(الدجماتية)لمعلمي ومعلمات التعليم العام-الرسمي في المدينة المنورة، رسالة التربية وعلم النفس، العدد ٢٧، ص ٢٧٩_ ٣٣٤

- عبد اللّه، معتز سيد (١٩٨٩) - الاتجاهات التعصبية" (سلسلة عالم المعرفة)، المجلس الوطني للثقافة والفنون، العدد (١٣٧)، الكويت.
- غنيمة، هناء متولي(٢٠٠٠): الجمود الفكري لدى الآباء وعلاقته بالتربية الوالدية للمراهق من المنظور الإسلامي، المجلة المصرية للدراسات النفسية، المجلد ١٠، العدد ٢٨، ص ٢٢١_٢٥٩ .
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد(٢٠٠٣) :كتاب العين: ج٤، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان
- فرج، صفوت (٢٠٠١): أحادية العقلية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، حولية ٢١، الرسالة ١٥٥.
- القحطاني أ، حسين سعيد(٢٠٠٧): التدين وعلاقته بالجمود الفكري (الدجماتية) لدى طلبة كلية المعلمين بمدينة تبوك، رسالة ماجستير، جامعة مؤته ، الأردن.
- كشت، ابراهيم (٢٠٠٦): تفكيرنا بين النمط المستقيم والمنهج السليم، ط١ ، دار الشروق، الاردن.
- كفافي، علاء الدين (١٩٨٣) "معوقات التفكير النقدي- العلاقة بين التفكير النقدي وبعض المتغيرات السايكولوجية "، حولية كلية التربية، جامعة قطر، العدد الثاني، ١٩٨٣، ص٢١٩ -٢٣٦، قطر.
- المختار، محمد خضر عبد (٢٠٠٤): العلاقة بين الجمود وتقدير الذات لدى عينة مصرية وعمانية ، مجلة دراسات نفسية، المجلد ١٤، العدد ٣، ص٤٢٣- ٤٥٩.

- مركز العميد للبحوث والدراسات (٢٠١٦): خطب الجمعة توثيق وتحقيق ، المجلد العاشر الجزء الاول لسنة ٢٠١٤ ، العتبة العباسية المقدسة ، كربلاء ، العراق.
- المعتزلي، ابن أبي الحديد (٢٠٠٧): شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابراهيم، دار الكتاب العربي- دار الأميرة للنشر والتوزيع، بغداد ، العراق.

المصادر الأجنبية:

- English,H, B& English,A(١٩٥٨):A comprehensive dictionary of psychological and psychology ,new Terms ,new York ,Longmans , Green & co.سلطان
- Rokeach, M, (١٩٨٠) ,Some Unsolved issues in Theories of Beliefs Attitudes and Values ,university of Nebraska press.سلطان
- _____ (١٩٧٦)" The Nature

of Human Values an
value system. In
Hollander" , P.E and hunt , R.G. (eds)
current perspective in social psychic ٤ed . New York Oxford Univ. Press.

- _____ (١٩٧٣). "The nature

of Human values".
New York: McGraw-Hill.
In: Debates, D.L. (١٩٩٦b) Meaning in Life: Psychometric, clinical And phenomenological aspects .

Abstract:

This research deals with the concept of cognitive surgery, which is a modern knowledge concept that contains many of the mechanisms, methods, ideas and abilities that are available in a personality. This indicates the extent to which this personality can modify the extreme behavior and the ability to influence and change of thinking Extremist.

Controlling and manipulating extremist ideas is somewhat like controlling and eradicating malignant tumors, so they need high skills in cognitive therapy that go up to the level of cognitive surgery, using very precise tools to enable the surgeon was able to produce positive results free of complications and psychological and cognitive reconstruction of the extremist.

The importance of the current research in the subject that addresses it in light of the events experienced by our society in all categories, therefore, this study provides information on the mechanism of cognitive surgery used by the religious authority in rationalizing the eradication of Intellectual Intolerance , and its role in dealing with intellectual and media attacks and ideological and sectarian intolerance, which called for a high-precision surgery performed by the supreme religious authority, which was characterized by high mental ability, greatness of thought and the ability to manage

events and integrity of personality, and this is the motivation in the presentation of this research.

And in accordance with the methodology of descriptive research, this research included the introduction and four studies and conclusion, the first section included a definition of research and its problem and importance and the definition of terminology, while the second section came to stand at the concept of psychological surgery and mechanisms, the third topic is to study the mechanisms, strategies and tools used in psychological surgery by the supreme religious authority (talk, speeches and attitudes), the fourth chapter discusses the usefulness of the intellectual and personal components possessed by the supreme religious authority in educating the new generation on the concepts of culture of dialogue, acceptance of the other and moving away from fanatical thought.

The research concluded that the methods adopted by the "reference authority" were truly representative of a high level of cognitive surgery and high capabilities in environmental control, conditions and the possibility of dealing with psychological crises and innovative solutions.

We must take the position of religious authority as a model to follow to reach a high degree of intellectual flexibility and psychological progress.

The researcher added a number of recommendations and suggestions.

سلطان

أثر فتاوى الجهاد لمراجع الشيعة الإمامية في مواجهة القوى الاستعمارية

م.م. صلاح عوده عبد الأمير الدعمي
مديرية تربية كربلاء / قسم الهندية

مقدمة:

إن التاريخ الجهادي لعلماء الشيعة حافل ولا يمكن أقتضاب هذا التاريخ في بحث أو كتاب؛ ولكن هي أشارة لذلك التاريخ المشرف، وفي تاريخ الإمة الإسلامية هنالك حقبة حساسة بالخصوص في العراق وأيران، فكان لعلماء الشيعة الدور المهم والإساسي في تغيير مجرى التاريخ من فتوى الشيخ الميرزا محمد تقى الشيرازي وبعد وفاة الشيرازي تصدى الشيخ فتح الله النمازي المعروف بشيخ الشريعة وكذلك التصدى للغزو الوهابي مرورا بفتوى كاشف الغطاء ضد الهجوم الروسي وكذلك فتوى السيد الطباطبائي صاحب المناهل تشبه سابقتها وماجرى من احداث في القوقاز وفتوى الميرزا القمي وبعد مرور مايقارب مائة سنة وفي التحديد عندما عززت روسيا حشودها على الشمالى الايراني وكذلك الحملة الايطالية على طرابلس الغرب (ليبيا) فاصدر الشيخ عبدالله المازندراني والسيد اسماعيل الصدر وشيخ الشريعة الاصفهاني والاخند كاظم الخراساني، مرورا بفتوى التنباك الشهيرة، وكذلك موقف علماء الشيعة من الحرب العالمية الأولى، وما جرى من الزام الأخند بالنظام الدستوري، وماجرى من نزول الأنكليز البصرة عام ١٩١٤م فاصدر الميرزا محمد تقي الشيرازي والسيد الحبوبي الجهاد ضد من وصفوهم بالكفار، وما حدث من القوات البريطانية عام ١٩١٤م حتى عام ١٩١٨م وما صدر من السيد محمد رضا الشيرازي ابن الميرزا محمد تقي الشيرازي، وما جرى في فتوى ثورة العشرين، وفتوى ضد الأحتلال الفلسطيني عام ١٩٤٨م وعام ١٩٦٧م، وفتوى السيد الخوئي التي دعا فيها يجب

الدفاع عن بيضة الإسلام عام ١٩٩١م، وما صدر من فتاوى خلال الحرب العراقية الإرانية، وفتوى الدفاع عن مرقد السيدة زينب (عليها السلام) وأخرها فتوى الجهاد الكفائي التي كان لها الدور في حفظ المقدسات، وهذا البحث يحاول ان يكشف تلك التحولات وبيان موقف مراجع الشيعة التي تخذوها في المواقف الحاسمة والحساسة، فكانوا بحق هم صناع القرار والحدث السياسي في مقابل من يناهض الإسلام وهذه هي الحقيقة التي يتمتع بها أتباع أهل البيت (عليهم السلام).

المبحث الأول : مفهوم الجهاد وأقسامه

المطلب الأول : مفهوم الجهاد

أولا ـ الجهاد في اللغة: على وزن فعال، مصدر ثاني في المجاهدة (١).

ثانيا ـ الجهاد في الإصطلاح: (بذل الوسع بالنفس والمال في محاربة المشركين أو الباغين على وجه مخصوص)(٢)، ونقل الشهيد الثاني تعريف الشهيد الأول فقال : (بذل النفس والمال في إعلاء كلمة الإسلام، وإقامة شعائر اللّه)(٣) ، وناقش الشهيد الثاني التعريف فقال : (أراد بالأول إدخال جهاد المشركين، والثاني جهاد الباغين، وهو غير مانع فإن إعزاز الدين أعم من كونه بالجهاد المخصوص)(٤) ، ولعل مقصوده إن بذل النفس والمال في إعلاء كلمة الإسلام وإقامة شعائر الإيمان قد يكون على سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا المقاتلة المعهودة الخاصة المعروفة بالجهاد ، وعليه فالتعريف غير مانع مما هو خارج عن المعرّف، بل أعمّ منه(٥) ، إلا إنّ الأمر لا يضر؛ لأن المراد من التعريف هو التميز(٦) ، وأشار هذا صاحب الجواهر إلى من يجب جهاده فقال : (ولكن لا ريب في إن الأصلي منه قتال الكفّار إبتداءً على الإسلام بدليل قوله تعالى : ﴿كُتِبَ عليكُمُ القِتالُ وهُوَ كُرْهٌ لكُمْ﴾(٧) ، ويلحق به قتال من دهم المسلمين منهم ، وإن كان هو مع ذلك دفاعا ، وقتال الباغين ابتداءً فضلا عن

دفاعهم على الرجوع إلى الحق)[٨] ، وفصل صاحب الجواهر فيمن يجب قتاله فقال : (الأول: البغاة على الإمام (عليه السلام) من المسلمين ويلحق بهم مانعوا الزكاة وإن لم يكونوا مستحلين.

الثاني : أهل الذمة ، وهم اليهود والنصارى والمجوس إذا أخلوا بشرائط الذمة.

الثالث : من عدا هؤلاء من أصناف الكفار، وكل من يجب جهاده فالواجب على المسلمين النفور إليهم ، إما لكفهم عن فسادهم كما في البغاة الذين هم من المسلمين ، ومن هجم على بلاد الإسلام من غيرهم على وجه يخشى منه على بيضة الإسلام أو على سائر المسلمين وقتلهم وسبي ذراريهم وإما لنقلهم إلى الإسلام أو الإيمان أو إعطاء الجزية كما في الأقسام الثلاثة أيضا ، فما قيل من كون العبارة لفا ونشرا مرتبا على أن يكون لكفهم للبغاة، ولنقلهم إلى الإسلام للقسمين الأخيرين لا يخلو من نظر ، ولا يشكك ذلك بأن البغاة كفار مرتدون عن فطرة أو أكثرهم أو بعضهم، والمرتد كذلك لا تقبل توبته عندنا كما في حاشية الكركي والمسالك، لامكان القول بقبول توبة هؤلاء خاصة كما وقع من أمير المؤمنين (عليه السلام) معهم، ولعله لكون الشبهة عذرا في حقهم ولذا اختصوا بأحكام لا تكون لغيرهم)[٩] ، ولذا فإن البغاة صاروا من المرتدين بسبب بغيهم على الإمام العادل ، ولا تقبل توبتهم، هذا على قول صاحب حاشية الكركي والمسالك ، أما على قول صاحب الجواهر فإنه على خلاف الأول ، من إمكان لحوقهم بالكفار حكما في وجوب قتالهم فقط لا بالمرتدين؛ لقبول توبتهم كما حصل من الإمام علي (عليه السلام).

إنّ الأساس في قتال تلك الاقسام هو ما قررته الآيات الشريفة، كما في قوله تعالى: ﴿وقاتِلوهمْ حتى لا تكُون فِتنة﴾(١٠) ، وقوله تعالى: ﴿فقاتِلوا التِي تبْغِي حتى تفِيءَ إِلى أمْرِ اللّهِ﴾(١١).

المطلب الثاني : بواعث الجهاد

إن الباعث الفقهي للجهاد والذي إختلفت فيه الأنظار الفقهية ، على أساسين هما:

الأساس الاول: إنّ قتال الكفار لعدوانهم لا لكفرهم وهو مشهور الفقهاء(١٢).

أدلة الأساس الأول:

أولا ـ الآيات المباركة:

١ـ قوله تعالى: ﴿وقاتِلوا فِي سَبيلِ اللّهِ الذِينَ يُقاتِلونكُمْ﴾(١٣).

٢ـ قال تعالى: ﴿وقاتِلوا المُشْرِكِينَ كَآفة كَمَا يُقَاتِلونكُمْ كَآفة﴾(١٤).

٣ـ قال تعالى: ﴿لا يَنهَاكُمُ اللّهُ عَنِ الذِينَ لمْ يُقَاتِلوكُمْ فِي الدّينِ ولمْ يُخْرِجُوكُم مّن دِيَارِكُمْ أن تَبَرُوهُمْ وتُقْسِطوا إِلَيْهِمْ إِنّ اللّه يُحِبُ المُقْسِطِينَ إِنمَا يَنهَاكُمُ اللّهُ عَنِ الذِينَ قَاتَلوكُمْ فِي الدّينِ وأَخْرَجُوكُم مّن دِيَارِكُمْ وظَاهَرُوا عَلى إِخْرَاجِكُمْ أن تَولوْهُمْ ومَن يَتولهُمْ فأُولئِكَ هُمُ الظالِمُون﴾(١٥)، فإن هذه الآيات صريحة في إنّ علة الجهاد هو العدوان، وهي مجموعة من الآيات، قد نزلت في أوقات متباينة من العهد المدني، بل إن قسم منها قد نزل قبيل وفاة النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) بأشهرٍ فقط(١٦).

ثانيا ـ الروايات:

١ـ مارواه جميل بن درّاج ومحمد بن حمران عن أبي عبداللّه (عليه السلام) قال: (كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) إذا أراد أن يبعث سرية دعاهم فأجلسهم بين يديه، ثم يقول: سيروا بسم اللّه، وفي سبيل اللّه، وعلى ملة رسول اللّه (صلى اللّه

عليه وآله وسلم)، لا تغلّوا ولا تمثلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا شيخا فانيا، ولا إمراة، ولا تقطعوا شجرة إلا ان تضطرّوا إليها)(١٧).

٢ـ ماروا أبو داود من حديث أنس بن مالك، عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) أنه قال: (انطلقوا بسم اللّه وباللّه وعلى ملة رسول اللّه ولا تقتلوا شيخا فانيا، ولا طفلا صغيرا، ولا أمرأة، ولا تغلوا، وضمّوا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إنّ اللّه يحب المحسنين)(١٨).

٣ـ عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبداللّه (عليه السلام) إنه قال: (إنّ النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) كان إذا بعث أميرا له على سرية أمره بتقوى اللّه عزوجل في خاصة نفسه ثم في اصحابه عامة ثم يقول: غز بسم اللّه وفي سبيل اللّه، قاتلوا من كفر باللّه، ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا ولا متبتلا في شاهق، ولا تحرقوا النخل، ولا تغرقوا بالماء ...)(١٩)، ومن خلال الروايات المتقدمة يتبين إنّ النهي الوارد كان يخص من لا يقدرون على مواجهة المسلمين بالعدوان والقتال وإن كانوا كافرين(٢٠).

الأساس الثاني ـ إن علة قتال الكفار هو كفرهم:

وهو ما عليه ظاهر قول السيد محسن الحكيم (ت١٣٩٠هـ)، إذ يقول: (وأما الخوف على غير المحترم كالحربي والمرتد الفطري، ومن وجب قتله في الشرع)(٢١)، والسيد محمد حسين الطباطبائي، إذ قال: (وإنما قتل نفسا كافرة غير محترمة)(٢٢)، وكذلك ظاهر قول السيد الخوئي، بأن لا حرمة لهم نفسا ومالا(٢٣)، وقال في كتاب الطهارة: (أما الخوف على غير المحترمة كالحربي والمرتد الفطري ومن وجب قتله في الشرع)(٢٤)، وهذا يعني إن ذواتهم غير محترمة، وليس بكونهم في حالة حرابة.

أدلة الأساس الثاني:

أولا - الآيات المباركة:

١- قوله تعالى: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم﴾(٢٥).

٢- قوله تعالى: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾(٢٦).

فإن ملاك القتال الوارد في الآيات الشريفة هو الكفر، لا الحرابة، والغاية منه هو التوبة وأداء الفرائض، وهذا متوقف على أدائها، إضافة إلى إن الآيات أواخر ما نزل من القرآن(٢٧).

ثانيا - الروايات:

١- ماروي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه نصب منجنيقا في حصن الطائف، وكان فيهم نساء وصبيان(٢٨).

٢- ماورواه ابن عمر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إنه قال: (أمرت أن أقاتل حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله)(٢٩).

٣- ماورد في خبر حفص بن غياث قال: (سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن مدينة من مدائن أهل الحرب، هل يجوز أن يرسل عليهم الماء، أو تحرق بالنار، أو ترمى بالمنجنيق حتى يقتلوا وفيهم النساء والصبيان والشيخ الكبير والأسارى من المسلمين والتجار؟ فقال: يفعل ذلك بهم ولا يمسك عنهم لهؤلاء ولا دية عليهم للمسلمين ولا كفارة)(٣٠).

٤ـ ماروواه الترمذي (ت٢٧٩ هـ) من حديث سمرة بن جندب عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إنه قال: (أقتلوا شيوخ المشركين واستحيوا شرخهم)(٣١).

٥ـ ما رواه أنس بن مالك عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، إن رجلاً جاء فقال لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن دخل مكة يوم الفتح قال: ابن خطل(٣٢) متعلقا بأستار الكعبة، فقال: اقتله(٣٣).

مناقشة أدلة الأساس الثاني:

اولا ـ مناقشة الإستدلال بالآيات:

عند عزل الآية عن الآيات التي بعدها، يتضح إن علة الجهاد هي الكفر لا الحرابة؛ لكن اذا أخذت الآية التي بعدها يتضح بأن علة الجهاد هو الحرابة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾(٣٤)، فإن هذه الآية تناقض رأي جواز قتلهم على هذا الأساس، بدليل إجارة المشرك إذا طلب منه ذلك حتى يسمع كلام الله، وبإبلاغة مامنه، فلو كان الباعث من الجهاد هو الكفر، فكيف أجاز إجارته، فأي معنى يبقى في إبلاغه مأمنه ما دام بقي على كفره متلبسا به، ألا يستوجب بقاؤه على كفره قتله، أما الإستثناء الوارد في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾، فلو كان الكفر موجبا للقتل فكيف يسوغ معاهدة من امرنا الله بقتاله، أما الإستدلال بالآية الثانية فهي أغرب من الآية الأولي؛ لأن نظام الجزية لا يستوجب التنازل عن الديانة السابقة، وهذا

الالتحاق الذي يمثل الشرط الأساسي لوقف القتال، لو كان الباعث هو الكفر في حين إن الآية قيدت القتال بالخضوع لنظام الجزية فقط، وعلى هذا فاذا كان الإسلام ليس شرطا فإن الكفر ليس هو الباعث على القتال، فإن الآية تتحدث عن وضع الكتابيين أوغيرهم إما متلبسين بحالة القتال أو مستعدين له وعدوا عدته، فعندها من الطبيعي ان ينهض المسلمون، وعلى هذا الأساس هو درء العدوان ورد القتال، وإحباط الخطط الخاصة، وصولا إلى إعادة فرض الهدوء والسلام عن طريق نظام خاص هو نظام الجزية(٣٥).

ثانيا ـ مناقشة الإستدلال بالأحاديث:

أما الحديث الأول فقد ناقشه ابن حزم واجاب عليه بقوله: إن هذا الحديث غريب تفرد به شيخ مسلم مالك بن عبد الواحد، فإتفق الشيخان على الحكم بصحته مع غرابته، ولم يروه أحمد في مسنده على سعته وقد استبعد قوم صحته بدليل لو كان عند ابن عمر علم بهذا الحديث لما ترك اباه ينازع أبا بكر في قتال مانعي الزكاة(٣٦)، وكذلك فإنه يعارض أحاديث أخرى تنهى عن قتل الشيخ والنساء والاطفال، كما عن أبي عبدالله قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا بعث سرية دعا باميرها فاجلسه إلى جنبه وأجلس أصحابه بين يديه، ثم قال: سيروا بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقطعوا شجرة إلا ان تضطروا إليها، ولا تقتلوا شيخا فانيا ولا صبيا، ولا امرأة(٣٧)، واما كلمة (أقاتل) فلم ترد بصيغة (أقتلوا)، ولو وردت بهذه الصيغة لكانت معارضة لكثير من الروايات التي تدل على عدم الإكراه والقسر، وكذلك إن كلمة (قاتل) هي على وزن فاعل وهي من الاوزان التي تفيد المشاركة، وهي لا تصدق إلا تعبيرا عن مقاومة لبادىء سبق إلى النصر والقتل، فالمقاوم للمعتدي هو

الذي يسمى مقاتلا، بينما المعتدي يسمى قاتلا[٣٨]، وأما كلمة (الشيخ) الواردة في الحديث ليست منحصرة بمن انقطعت عنه القوة، فإن المعنى اللغوي أعم من ذلك، فقد جاء في لسان العرب إن الشيخ هو الذي استبان فيه السن وظهر عليه الشيب[٣٩]، فإن الشيخ ليس من ذهبت منه القوة فقط، وإنما يراد منها أيضا الإشارة إلى التبجيل والإحترام والتقدير[٤٠]، وأما الفقهاء فقد عرفوا الشيخ الفاني بقولهم: (الذي لا رأي له ولا قتال بلا خلاف أجده فيه)[٤١]، وكان المراد بوصف الفاني هنا هو الإشارة الى زوال القدرات العقلية والجسدية، وهذه من علامات أفول العمر، ولذلك استعير وصف الفناء للإشارة إليه[٤٢]، وكذلك (الشرخ) الواردة في الحديث فهي تدل على أول الشباب مما هو دون سن القتال[٤٣]، واما خبر ابن أخطل فإنه من الأحكام الخاصة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، كما أشار إلى ذلك الراوندي (ت٥٧٣هـ) عند تعرضه لقوله تعالى: ﴿لا أقسِمُ بهذا البَلدِ وأنتَ حِلٌّ بهذا البَلد﴾[٤٤]، (فإن خطاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، أي حل لك قتل من رأيت حين أمر بالقتال، فقتل ابن خطل صبرا وهو آخذ بأستار الكعبة، ولم يحل لاحد غيره)[٤٥].

المطلب الثالث : أقسام الجهاد

إن الجهاد في الإسلام دفاعي و ابتدائي: فقد تعددت الآراء في تحديد طبيعة الجهاد في الإسلام هل هو دفاعي أم ابتدائي دعوي:

الرأي الأول: فمن الفقهاء من يرى أن الجهاد الابتدائي مشروع؛ ولكن اختلفوا في كونه في زمن المعصوم أو في غيره[٤٦]، وعندئذ يكون الجهاد الابتدائي من مختصات المعصوم والدليل على ذلك السيرة العملية للرسول في قتال أعدائه[٤٧]، وممن يذهب إلى ذلك الشيخ الآصفي إذ يقول: (إن مهمة القتال ليس فقط ردّ العدوان وإنما هو صد العدوان أيضا، وهذا التعميم للصد والرد نستفيده من القرآن نفسه (

وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) وقوله تعالى: (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) وقتالهم كافة لا يقصد به القتال الفعلي، وإنما يُقصد القتال حسب الأولويات (قاتلوا الذين يلونكم)ومن الأولويات قتال أئمة الكفر الذين يمارسون العدوان الفعلي على المسلمين، ومواجهة المشركين على هذا المعنى هو صدهم وردعهم إلى جانب ردهم)(٤٨).

الرأي الثاني: أن الجهاد دفاعي وليس هناك تشريع في القرآن ينص على الجهاد الابتدائي وكل ما ذكر في القرآن أو السنة مقيد بآيات وأحاديث أخرى تدعو للسلم والصلح والعفو(٤٩).

ووفق هذه القراءة لنصوص الثقلين يتبين أن تشريع الجهاد في الإسلام لم يكن يهدف إلى دعوة الإسلام بالإكراه، وإنما شُرع من كضرورة للمحافظة على المسلمين وبلادهم من الخطر الخارجي، يقول السيد فضل الله: (أن الرجوع إلى الآيات القرآنية الكريمة ، التي عرضت لأهداف التشريع الإسلامي للحرب وغايته، يعطينا نتيجة حاسمة تبعد الدعوة إلى الدين وإدخال الناس فيه عن تلك الأهداف التي ذكروا ولن نعدم الآيات التي تدلنا دلالة واضحة على أن النبي (ﷺ) لو ترك وشأنه ولم يتعرض له المشركون ويقفوا أمام دعوته ويضطهدوا أتباعه ويصدونهم عن سبيل الله و يخرجونهم من أوطانهم، لما كانت هناك حرب ولما كان هناك قتال)(٥٠).

وقد بحث الشيخ حيدر حب الله مسألة الجهاد الابتدائي والدفاعي في بحث بعنوان "الجهاد الابتدائي (الدعوي) في الفقه الإسلامي" وناقش آيات القتال مناقشة مستفيضة، وخلص إلى نتيجة هي أن القرآن الكريم لم يؤسس للجهاد الابتدائي، وكل ما في الأمر أنه شرع الجهاد من أجل الدفاع عن الإسلام ، إذ يقول: (والذي يبدوا من مجمل ما أسلفنا الإشارة إليه أن القرآن الكريم لم يطرح بوضوح شيئا أسمه

الجهاد الابتدائي الدعوي بالتفسير الذي عرفه الفقه الإسلامي، ولا حتى بتفسيرات بعض الإسلاميين المحدثين الذين تأولوا في هذا الموضوع)[٥١]، ويرى أن الأسباب التي دعت بعضهم إلى فهم الجهاد الابتدائي من النصوص القرآنية؛ لأنهم قرأوا الآيات بمعزل عن سياقها التاريخي، وبسبب الفهم الخاطئ لموضوع النسخ الذي وظف لإقصاء النصوص الداعية للسلم والعفو والصفح[٥٢].

الرأي الثالث: وهو رأي وسط يجمع بين الرأيين المتقدمين فهو يرى أن الجهاد الابتدائي مشرع، ولكن ليس لغاية من إكراه الناس على الإسلام، بل من أجل إزالة العوائق أمام انتشار الإسلام، وإيصال صوت الإسلام إلى الناس بشكل حر، وعلى الناس بعد ذلك أن تختار الإسلام أو عدمه من دون إكراه ولا ألزام[٥٣]، يقول الشهيد مطهري: (إذا كنا نرى أن التوحيد جزء من حقوق الإنسانية، فإذا اقتضت المصلحة الإنسانية ، وإذا اقتضت مصلحة التوحيد عليهم أو فرض الإيمان عليهم؛ لأنهما أمران لا يمكن فرضهما على أحد، كان لنا الشروع بقتال المشركين لأجل قطع جذور الفساد، فقطع جذور عقيدة الشرك بالقوة شيء، وفرض عقيدة التوحيد شيء آخر)[٥٤]، ويقول الشيخ السبحاني: (إذا لم تقم الدولة الكافرة بالمنع من انتشار الإسلام وتبليغ الدين للناس ونشر معارفه وأحكامه، ولم تشكل سدا مانعا من دعوة الأنبياء والأولياء والصالحين ونوابهم، ففي هذا الفرض لا تبادر الدولة الإسلامية إلى فعل شيء تجاه هذه الدول ، بل تنظر رأي الناس في اختيارهم لما يرونه، وما يختارونه من عقيدة)[٥٥].

ويمكن الخروج بنتيجة من جميع الأقوال المتقدمة وهي: أن الملاك في حرب الكفار ليس الكفر بل الحرابة، حتى لو قبلنا برأي من يقول أن الجهاد الابتدائي مشرع في

الإسلام؛ ولكن تشريعه من أجل دفع الفساد وخطر من يتوعد الإسلام ويترصده وينقض العهد معه .

المبحث الثاني : فتاوى الجهاد عند الإمامية

المطلب الأول : موقف علماء الشيعة من الحركة الدستورية الإستقلالية المشروطة

إن الحركة الدستورية التي بانت ملامحها في ايران بداية القرن العشرن ، هو تأثير بالسياسة الاوربية ، بل على العكس من ذلك انطلقت من درور رئيسي وهو تحجيم الدور الغربي في بلاد الإسلام ، ومجابهت النفوذ الغربي ، إن الحاكم الايراني ناصر الدين شاه وخلال فترة حكمه التي إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر فسبب سياسته جعل الشعب الايراني يعيش بتدهور كامل ، وفي ظل هذه الاجواء تحرك علماء الشيعة من أجل أنقاذ الشعب الايراني ، والمحافظة على استقلال البلد المسلم فكان في ضوء هذا التحرك كان تحرك أولي ، ليصبح فيما بعد نظاما للحكم ، وفي نهاية عهد ناصر الدين شاه قجاء من العراق إلى ايران السيد محمد الطباطبائي أحد تلاميذ الميرزا محمد حسن الشيرازي(٥٦) ، وهنالك دعا الى ضرورة تأسيس مجلس شورى شعبي والغرض منه أقامة العدل ، وفي عام ١٣١٣ هـ أغتيل ناصر الدين شاه أثر أطلاق نار من شخص ينتمي الى جمال الدين الافغاني فجاء بعده ابنه مظفر الدين شاه كما ان الاخير كان ضعيفا في ادارة الدولة مما جعل التردي في الحياة العامة يتعاظم شيئا فشيئا ، مما جعل علماء الشيعة في النجف وطهران يقفون بوجه هذا التردي فبعثوا عدة رسائل الى الحاكم عام ١٩٠٢م وطلبوا بمعالجة الوضع المتردي وتاسيس مجلس لممثلي الشعب(٥٧) ، إن الشاه أقتنع في بداية الأمر الا ان رئيس وزراءه كان معارضا لذلك معللا ذلك بحجة الخوف على الحكم القاجاري معتبرا ذلك نهاية الحكم القاجاري(٥٨) وفي ظل هذا الوضع التقى السيد محمد الطباطبائي مع

الشيخ فضل الله النوري والسيد عبد الله البهبهاني وكان سيعهم اقامة مجلس ممثلي الشعب فكان لهؤلاء الفقهاء الدور الرئيسي في بلورة الاحداث نحو الحياة الدستورية المشروطة ، وهنا بدأت التحرك الفعلي عام ١٩٠٥م فقرروا الاحتجاج على السلطة وكان ذلك في مرقد السيد عبد العظيم ونضم الف شخص تقريبا وستمروا لمدة شهر ، وخلال فترة الاعتصام طالبوا بثلاث امور هي:(٥٩)

١- تطبيق قوانين الإسلام

٢- تاسيس ديوان للعدالة في كافة المدن الايرانية

٣- عزل حاكم طهران(٦٠) .

فوافق مظفر الشاه الا ان رئيس الوزراء لم ينفذ أمر الشاه ؛ ولهذا لم يترك العلماء المظاهرات فخرجت عدة مظاهرت سقط على اثرها العديد من القتلى وفي احدى المظاهرات قتل حوال الف شخص.

وفي ضوء هذه الاوضاع قرر علماء الدين اعتصام اكبر فتوجهوا الى مدينة قم عام ١٩٠٦م ومعهم الف شخص يتقدمهم علماء الدين ومن بينهم فضل الله النوري(٦١).

وخلال هذه الفترة دخلت بريطانيا على الخط من اجل كسب ودهم وفتحت سفارتها على اساس حماية الجماهير من السلطة وبلغ عدد المتظاهرين الف متظاهر(٦٢) ، والمتتبع للأحداث يجد بأن البريطانين قد استعدوا لذلك وهيأة كل الأماكن اللازمة لذلك في أحتواى المتظاهرين(٦٣) ، والأدهى من ذلك فقد أخذت زوجة السفير تتحدث عن الحرية والمساواة وغيرها(٦٤) ، وفي ظل هذه الأحداث والضغط الذي مارسه المتظاهرين أستجاب الشاه لنظام الدستوري وتحديدا في عام ١٩١٦م وهنا نتهت المظاهرات وعاد علماء الدين الى الى طهران وجرت الأنتخابات لمجلس الشورى ويعلق الدكتور علي الوردي على ذلك بقوله : (رغم أن أعلان النظام الدستوري كان يمثل

انتصارا لجهاد علماء الدين الشيعة ضد دكتاتورية السلطة ، إلا أنه الانتصار الذي لم يستطع أن يحول نفسه إلى اتجاه ثابت ومستقر فلقط احيط بنشاط مكثف من قبل دوائر الأستعمار بغية احتوائه والتأثير على مساراته الإسلامية الأصلية ، حيث استطاعت تلك الدوائر ولا سيما بريطانيا ان تدفع بالعلمانيين إلى المقاعد النيابية ، من اجل التأثير على صياغة مواد الدستور وحرفه عن الشريعة الإسلامية ، وقد نجح أصحاب الاتجاه العلماني والتغريبي في تحقيق الرغبة الاستعمارية ، حيث جاء الدستور في كثير من نصوصه عبارة عن ترجمة حرفية للدستور البلجيكي الصادر عام ١٨٣٠م فهو يقوم على أساس الأفكار الديمقراطية التي كانت شائعة في أوربا)(٦٥) ، ويضيف السيد حسن شبر إن مساعي الشيخ فضل الله النوري بذل جهودا مضنية حتى تمكن من الحصول على مصادقة المجلس بالاضافة الى اضافة مادة متممة للدستور تقضي بان يقوم خمسة من فقهاء كل عصر بالاشراف على لوائح وقرارات المجلس ، حتى لا يُصادق على تلك التي تخالف الاسلام)(٦٦).

لقد عانى الشيخ النوري معاناة في هذا الأمر واهذا الأمر واضح من خلال الرسالة التي بعثها الى ولده في العراق وأخبره بأن لا يخبر بها أحدا إلا الشيخ محمد كاظم الخراساني فجاء الرسالة على النحو التالي : (إن الأفراد المنحرفين من أصحاب الفرقة الجديدة والدهريين والطبيعيين وغيرهم ، قد انتهزوا الفرصة لهدم الإسلام وجتثاث جذوره ... وما من صحيفة إلا وفيها سهم على الإسلام والعلماء ... لا تكثر نقل القول عني ، الله الله في الإسلام ، أنهم منهمكون في تدوين الدستور وسينتهي الأمر ، فمنذ عدة أيام والمجلس منعقد بصورة طارئة ، سأعمل من أجل الأصلاح ، آمل أن لا يتمكن الخريجيون من تنفيذ مآربهم ، لا تنقل هذا الكلام لأحد سوى حجة الإسلام الآخوند وللأسف لا يمكن الأفصاح بشئ ، فكيف الحال بكتابته...)(٦٧).

وبعد المصادقة على الدستور توفى مظفر الدين شاه عام ١٩٠٧م فخلفه ابنه محمد علي شاه الذي كان يميل كل الميل الى الجانب الروسي ، فأثار مخاوف البريطانيين وشعرت أن مصالحها ستضعف وانه سوف يحل الحياة الدستورية ؛ لأن بريطانيا قد زجوا رجالهم في البرلمان ومراكز الدولة ، هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن الروس كانوا قد عارضوا الحياة الدستورية أو المشروطة ، فدخلت المشروطة التجاذب بين الدولتين ، إن الحاكم الجديد كان معارض للنظام الدستوري مما حذا بالآخوند أن يبعث رسالة من عشرة نقاط عرفة بأسم الوصايا العشر وهي : (

١ـ بذل مساعيكم وصرف همتكم إلى نشر العلوم وترويج الصنائع العصرية التي حلقت بواسطتها الأمم إلى أوج التراقي ، ومن البديهيات المسلمة أن الأيرانيين أكملهم استعدادا وأحسنهم قابلية ، وقد كانوا في طليعة أمم العالم ولهم السبق عليهم ، وليس التأخير الحالي الحاصل في المملكة والذي أوصلها الى هذا الحد من الفقر والبلاء ، عدم اعتناء الأسلاف بتلك الأمور وميلهم إلى مصنوعات الأجانب حتى أوجب ذلك قهرا سريان الداء في جسم كل فرد من أفراد المملكة ، فإحياء ايران فعلا يدور على هذه النقطة المهمة.

٢ـ ينبغي منكم بذل النفس والنفيس في المحافظة على الشريعة المطهرة وتشييد مباني الإسلام ، مع انتخاب معلم ديني أمين تتلقون عنه العلوم الشرعية اللازمة لمقام السلطنة ، كما انه يجب عليكم المواضبة التامة على العبادات العملية فإن أداء الفرائض الإلهية موجبة لدوام سلطتكم وسيادتكم على الرعية.

٣ـ اجتنبوا الأساتذة فاسدي العقائد عبدة الدنيا ؛ لأن مخالطتهم جاذبة لذميم الأخلاق ومرذول العادات كما يجذب المغناطيس الحديد.

٤ـ بذل قصارى الجهد في إعلاء شأن الوطن وتنظيم أمور المملكة وتربية أفراد الأمة تربية صحيحة ، وحث الرعية على ممارسة الحِرف والصنائع وترويج المنتوجات الوطنية ، بأن تختاوا لباسكم منها ، فإنكم إذا فعلتم ذلك اقتدى بكم رجال الدولة قاطبة وأفراد الرعية كافة ، ولا شك بأن المملكة آنئذ تطلق من عقال الاحتياج للمنسوجات الخارجية ، وهكذا فعل (ميكادو اليابان) فإنه لما علم أن مفتاح ترقي دولته يسير بهذا السبيل ، طرق أبوابه فنال مقعده النبيل فإذا نهجتهم في ابتداء سلطنتكم وعنفوان صباكم هذا المنهاج السديد ، تكونون واسطة لرقي البلادد ورفع الفقر ودفع الاحتياج الضارب أطنابه في ساحة الرعايا ، وعما قريب يحلقون بمنطاد المساعي المشكورة إلى أجواء النجاح وينالون حينئذ الاستقلال الحقيقي ، فنكون قد سعينا في تعمير بلادنا لنظل أصحاب الشوكة والاقتدار ان شاء الله.

٥ـ الحذر كل الحذر من تدخل الاجانب ، والعناية كل العناية في قطع دابر فتنتهم ، فإن البلاء مخيم على تلك الأنحاء بسببهم ، فلا ينبغي الاعتماد عليهم إلى ما كان من استجلاب قلوب ملوكهم وعظمائهم مع المحافظة التامة على مودّتهم ، وليست هذه الديون الخطيرة الملقاة على عاتق الدولة إلا نتيجة تدخلهم ، ومن اللازم على رجال ايران المحبين لوطنهم انتخاب الرجال الاكفاء لإدارة السلطنة.

٦ـ بذل الجهد في نشر العدالة الحقة والمساواة ، وذلك بأن يتساوى شخص السلطان نفسه وأضعف فرد من أفراد الرعية في الحقوق ، وأحكام القانون الشرعي حاكمة على الجميع بلا استثناء فإذا ثبَتَ قدَمُ السلطان في هذا الأمر وقام بأعباء هذا التكليف ، يتمكن جزما من رقاب المعاندين ، ويأتون أذلاء صاغرين ، وعندها يكون أساس العدالة محكما وليس لفظا ووهما.

٧- محبة عموم الرعية والرأفة بهم ، جلبا لقلوبهم وتنشيطا لهممهم كي يرسخ حبّك في قلوبهم.

٨- ينبغي مراجعة تاريخ مشاهير ملوك العالم والإحاطة بمعرفة الطرق التي نهجوها في نشر العلوم الدينية والمدنية حتى أحكموا استقلال أممهم وزيّنوا صفحات التاريخ بعظيم أفعالهم ، حتى ضربت الأمثال بهم وأقيمت التماثيل لهم.

٩- ستنكشف لذاتكم الملوكية عن مراجعة تاريخ ايران ، بأن السلاطين الماضين سواء كانوا قبل الإسلام أو بعده ، كانوا ممن انهمكوا في الملذات واتبعوا الشهوات وصرفوا اعمارهم في اللهو اللعب ، اقتفى رحال دولتهم آثارهم وسلكوا طرقهم فكانت نتيجة ذلك ضعف المملكة وذل الرعية وضياع الأموال وتبلبل الأحوال ، أما من كان صارفا نفسه عن الشهوات وكان أكبر همّه المملكة وتربية الرعية ونشر العلوم والصنائع وتنظيم العساكر ، ثقدم في زمن قصير على جميع الملوك ، فالمأمول إن شاء الله تعالى من الذات الملكية الإعراض كليا عن الطريقة الأولى السيئة ، والاحتراس من سلوك مسالكها المتردّية ، ولاشك بأنكم تختارون الطريقة الثانية وتجعلونها نصب أعينكم ، وعما قريب تحصلون على النتائج الحسنة إن شاء الله.

١٠- حفظ مقام العلم وتكريم حملته من العلماء العاملين والفقهاء المصلحين ، فإذا _ لا قدر الله – حصل التقصير بجزء من هذه الكليات ، نكون قد تعرضنا للمهالك وذهبت الدولة من أيدينا ، فنعض بنان الندم ولات حين مندم ، والسلام)(٦٨).

إلا ان الحاكم لم يأخذ بتلك الوصايا القيمة وأدعى أنه سوف يتمسك بها ؛ لكن أفعاله في غير ذلك وحصلت عدة برقيات بين علماء ايران والعراق ويطلبون منهم رأيهم في قوانين المجلس ، إلا ان محمد علي الشاه كان مصمما على انهاء الحياة

الدستورية معتمدا في ذلك على الروس وفي عام ١٩٠٨م حصل تصعيدا ملحوظا فعين الكولونيل الروسي (لياخوف) قائدا للجيش ومن ثم إعلان الأحكام العرفية وبعدها توجهت قوة روسية الى مبنى المجلس وقصفته بالمدفعية(٦٩) ، وبذلك أطمئان الشاه الى الحل العسكري الروسي ضد المشروطة فقام بألغاء الحياة الدستورية بشكل رسمي فأعلن في عام ١٩٠٨م : (إني وإن كنت قد وعدت بأن يفتتح مجلسكم في ١٤ تشرين الثاني ١٩٠٨م إلا أن الأكثرية من أعضاء المجلس يصرون على صرف النظر عن افتتاحه ، لذلك صممت على تحقيق رغبة الناس ؛ لأن افتتاح المجلس وتحقير الإسلام شيئ واحد)(٧٠) ، وتم ألقاء القبض على السيد محمد الطباطبائي والسيد عبدالله البهبهاني وهم من رجال المشروطة وتم تعذيبهم وبعدها نفوا خارج طهران(٧١).

فكان هذا التصرف من الشاه في نظر علماء الشيعة ليس عودة إلى الدكتاتورية بل هو مشروع أستعماري يهدف الى فرض الارادة الاجنبية على بلد أسلامي ، فاعلن علماء الشيعة الجهاد فأصدر الآخند الخراساني والميرزا حسين خليلي والشيخ عبد الله المازندراني الفتوى التالية ضد سلطة الشاه محمد علي : (نعلن لعموم الشعب الايراني حكم الله إن السعي في دفع هذا السفاك الجبار والدفاع عن نفوس المسلمين وأعراضهم ، يعتبر اليوم من أهم لواجبات ، وان دفع الضرائب للمسؤلين من أعظم المحرمات ، وبذل الجهد في تقوية وتدعيم المشروطة يعد بمنزلة الجهاد في سبيل إمام الزمان أرواحنا فداه ، وإن أدنى مخالفة حتى لو كانت بقدر رأس الشعرة ، أو التهاون في ذلك يعتبر بمنزلة خذلانه ومحاربته صلوات الله وسلامه عليه ، أعاذنا الله والمسلمين من ذلك إن شاء الله)(٧٢).

وأعلن علماء النجف الجهاد ضد روسيا ، وكان من بينهم السيد كاظم اليزدي(٧٣)وأنهم سيتوجهون إلى الكاظمية على رأس المجاهدين في طريقهم لأيران، فيما دعا الآخوند الخراساني أهل العشائر العراقية فاستجاب له بالالف(٧٤) ، وفي الكاظمية كانت الاستعدادات واسعة لحركة الجهاد ، فقد نصبت الخيام لمسافات طويلة ، وخرجت العشائر العراقية في عشرة آلاف مقاتل وتوجهوا إلى منطقة المحمودية لاستقبال علماء الدين وكتائب المجاهدين القادمين من النجف(٧٥).

المطلب الثاني: الموقف الشيعي من الاستعمار

في هذا المطلب نتحدث عن القرن التاسع عشر وما حصل من استعمار روسيا على مقاطعات في شرق الاناضول وقفقاسيا وكذلك استولت روسيا على اجزاء من بلغاريا وحتلت النمسا البوسنة والهرسك وبريطانيا على جزيرة قبرص وفرنسا على تونس وأيطاليا ، ان هذا الاستعمار كان يمثل اقتطاع من بلاد المسلمين.

المقصد الاول : الموقف الشيعي الاستعمار الإيطالي : بعد أن أكملت أيطاليا تحركاتها ، وأجرت كل الأجرائات مع المجموعة الاستعمارية ، قررت احتلال ليبيا وقامت بانزال قواتها العسكرية في طرابلس وبنغازي ، إن ليبيا كانت تختلف عن بقية الدول التي أحتلت والسبب يرجع كون ليبيا تابعة مباشرة الى الى الحكومة في اسطنبول ، وهذا ما جعل الايطاليين يتعاملون معها على انها حرب مباشرة .

ومن هنا فقد أصدر علماء الشيعة الفتوى الشهيرة ضد الاحتلال الايطالي ومنهم الشيخ محمد كاظم الخراساني والشيخ عبدالله المازندراني وشيخ الشريعة الاصفهاني والشيخ علي رفيش والسيد محمد سعيد الحبوبي والسيد مصطفى الكاشاني والشيخ الجواهري وهذا نص الفتوى : (من علماء النجف الأشرف إلى كافة المسلمين الموجودين ومن جمعتنا وإياهم جامعة الدين والإقرار لمحمد ﷺ سيد

المرسلين السلام عليكم أيها المحامون عن التوحيد والمدافعون عن الدين والحافظون لبيضة الإسلام، لا يخفى عليكم أن جهاد الكفار عن بلاد الإسلام وثغوره مما قام إجماع المسلمين وضرورة الدين على وجوبه ، قال تعالى : ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾(٧٦) هذه جنود إيطاليا قد هجموا على طرابلس الغرب التي هي من أعظم الممالك الإسلامية وأهمها ، وخربوا عامرها وأبادوا أبنيتها وقتلوا رجالها ونساءها وأطفالها ، مالكم تبلغكم دعوة الإسلام فلا تجيبون ، وتوافيكم صرخة المسلمين فلا تغيثون ؟ أتنتظرون أن يزحف العدو إلى بيت اللّه الحرام وحرم النبي ﷺ والأئمة (عليهم السلام) ويمحوا الديانة الإسلامية والدولة العثمانية عن شرق الأرض وغربها ، وتكونوا معشر المسلمين أذلّ من قوم سبأ ، فلله في التوحيد ، اللّه اللّه في الرسالة ، اللّه اللّه في أحكام الدين وقواعد الشرع المبين ، فبادروا إلى ماافترض اللّه عليكم من الجهاد في سبيله ، وتفقوا ولا تفرقوا ، واجمعوا كلمتكم ، وابذلوا اموالكم ، وخذوا حذركم ، واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو اللّه وعدوكم ، لئلا يفوت وقت الدفاع وأنتم غافلون ، وينقضي زمن الجهاد وأنتم متثاقلون فليحذر الذين يخالفون أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم)(٧٧).

وأصدر السيد كاظم اليزدي فتواه بوجوب الدفاع عن طرابلس الغرب ضد الاحتلال الإيطالي ومواجهة التحدي الاستعماري الذي تتعرض له بلاد المسلمين.

إن الملاحظ في هذا الأمر أن الدولة العثمانية لم تهتم بالشيعة وتبعت سياسة طائفية وابعدت الشيعة عن القرار السياسي آنذلك ، فتعامل علماء الشيعة ضد هذا الاستعمار بأنه يستهدف المسلمين والإسلام ؛ ولذلك أرسل الخراساني والسيد اسماعيل الصدر والشيخ عبد اللّه المازندراني والشيخ محمد حسين المازندراني وشيخ

الشريعة الاصفهاني برقية الى الصحف التركية قائلين فيها : (ظهرت منذ سنوات فكرة استيلاء إيطاليا وروسيا على طرابلس وإيران ، استبعاد المسلمين من أهلها وإذلالهم ، وعملت الدولتان على فتح تلك الأراضي الإسلامية المقدسة نقول : إنه بعد أن أصبحت نوايا الدولتين معلومة للجميع في الوقت الحاضر ، إذا اضمحلت كرامة ايران وقوميتها ، وقضي على استقلالها وأذل شعبها لا سامح الله ، فإن ذلك سيكون ضربة مهلكة للعالم الإسلامي ، ومهما أمعنت الدولتان اللئيمتان في تقطيع الممالك الإسلامية إربا إربا ، فإن تمسك المسلمين بدينهم الحنيف كفيل بارجاعها خائبين خاسرين ، ونحن بصفتنا علماء المسلمين نؤيد ضرورة تخليص إيران ، ونطلب منكم إعلان حكمنا المتضمن وجوب الدفاع ، بصحفكم إلى جميع المسلمين في شتى أنحاء العالم ، ونعلمكم بأننا ملزمون ومستعدون لإراقة آخر قطرة من دمائنا في سبيل حفظ الإسلام والوطن الإسلامي)(٧٨).

وفي كربلاء المقدسة أجتمع الأهالي عند مرقد الإمام الحسين (عليه السلام) ألقيت خلاله الخطب الثورية ، وجمعت التبرعات وفي عام ١٩١١م تظاهر عدد غفير وصل الى الألفين من اهالي كربلاء(٧٩) ، وكذلك في الكاظمية وسامراء ، وألقى علماء الشيعة الشعر والكلمات الثورية وكان من بين العلماء الشيخ محمد باقر الشبيبي والشيخ علي الشرقي والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء وغيرهم(٨٠).

كما أرسل الخراساني والشيخ عبدالله المازندراني والسيد سماعيل الصدر والشيخ محمد حسين المازندراني برقية الى السلطاني محمد رشاد في عام ١٣٢٩هـ جاء فيها : (إلى المقام القدس ملك المسلمين السلطان محمد الخامس خلد الله ملكه بسم الله الرحمن الرحيم رَوّع العالم الإسلامي نتيجة لتعرض بلادهم للغزو من جميع الاطراف ، نحن بصفتنا رؤساء المذهب الجعفري الذي ينتمي اليه ثمانون مليونا من سكان من

ايران والهند وسائر المناطق الاخرى ، وقد تفقنا وحكمنا بوجوب الجهاد لغرض الدفاع والهجوم ، ونرى أن عموم المسلمين مكلفون بإراقة الدماء لصيانة دين محمد ﷺ ، وان ذلك العمل فرض عين ونعرض على أعتاب الملك حامل الأمانات المقدسة ، وخادم الحرمين الشريفين ، وخليفة الإسلام ، ونطلب منه ألا يتضايق من إعطاء لواء النبي ﷺ إلى المسلمين الذين سيقطرون من أنحاء العالم للدفاع عن بلادهم ، وان محافظة السياسة الأوربية قد ولى ، ونسترحم بمقتضى الشريعة وشأن الخلافة إعطاء الأمر)(٨١).

وليس هذا فقط بل أصدر الشيخ حسن علي آل بدر القطيفي كراسا تحت عنوان (دعوة الموحدين إلى حماية الدين) وتحدث فيه عن النشاط الاستعماري للدول الاسلامية(٨٢) ، وكذلك أصدر شيخ الشريعة فتح الله الأصفهاني كراسا باللغة الفارسية وتحدث فيه وحث فيه المسلمين على ترك الخلاف والنفاق والتمسك بالاتحاد والوفاق من اجل الدين(٨٣) ، ولعل البيان الذي أصدره الميرزا محمد تقي الشيرازي وشيخ الشريعة الأصفهاني والسيد اسماعيل الصدر والشيخ عبدالله المازندراني والشيخ محمد حسين المازندراني في عام ١٩١٢م أكثر تفصيلا للأحداث الجارية فجاء فيه : (نلفت أنظار جميع أهل التوحيد وكافة المسلمين بأن الإسلام والمسلمين لم يصلوا في أية فترة من الفترات ، مثلما وصلوا اليه في هذه الفترة من الزمن ، إن المصائب التي يمر بها الإسلام اليوم تعتبر هي من أشد الضربات ... وان اساس الدين المبين في خطر ، وآثار شريعة الرسول ﷺ مهددة بالزوال ، ولم تبق في هذه الفترة سوى دولتين إسلاميتين مستقلتين ، هما الدولتين العليتين العثمانية والإيرانية اللتين تحملان اللواء المحمدي وتحميان حوزة الإسلام والحرمين الشريفين والمشاهد المقدسة إن بقاء حرمة القرآن الكريم وإعلاء كلمتي الشهادة وإقامة دعائم الدين

المبين ، يتوقف على بقاء هاتين الدولتين الإسلاميتين ... وإذا ما اضمحلت هاتان الدولتان – لا سامح الله – فلن يبقى هنالك للإسلام جامعة أو حوزة ، وستلحق بالإسلام والمسلمين وصمة عار أبدية وخذلان دائم ، لا أرانا الله ذلك اليوم أبدا ، واليوم يقوم بعض الأجانب بحملات مسعورة ضد هاتين الدولتين اللتين باتتا تعانيان كافة اشكال المضايقات والابتلاءات ، فمن جهة امتدت يد الظلم الإيطالية نحو مسلمي طرابلس الغرب ، حيث تسلب أموال الأهالي ويتعرض النساء والأطفال الى القتل ، ومن جهة أخرى تقوم القوات الروسية بتصويب نيران مدفعيتها ضد الضعفاء في تبريز وتقوم بإعدام كبار الشخصيات هنالك ، وفي قزوين ورشت تدخل أجنبي ظالم ... واستنادا إلى ذلك وبالنظر إلى هجوم الكفار ، فقد قررنا نحن خدمة الشرع المنير مع جميع العلماء الأعلام من كربلاء والنجف وسامراء وحسب مسؤليتنا الشرعية التجمع في الكاظمية عسى أن نجد حلا لإنقاذ المسلمين من ظلم الأجانب وعدوانهم ، وإذا لم يتمكن المسلمون في أقطار العالم الذين يعيشون في ظل حكم الأجانب بذل النفس لمساعدة إخوتهم فبإمكانهم تقديم المساعدة عن طريق إبداء التضامن معهم ...)[٨٤].

المقصد الثاني : فتواى الجهاد ضد الروس : إن تهديد روسيا لإيران والزحف نحو مناطق ايران الشمالية وكان هذا في عام ١٩١١م فمثل هذا الاحتلال تحديا للعالم الإسلامي فكان هذا بعد عدة أسابيع من أحتلال الطليان ليبيا فقد أصدر السيد كاظم اليزدي هذه الفتوى : (اليوم هجمت الدول الأوربية على الممالك الإسلامية من كل جهة فمن جهة هجمت إيطاليا على طرابلس الغرب ، ومن جهة أخرى روسيا بتوسط عساكرها احتلت شمال ايران ، وبريطانيا تدخلت في جنوبها ، وهذا موجب لاضمحلال الإسلام ، فلهذا يجب على عموم المسلمين من العرب والعجم أن يهيئوا

أنفسهم إلى دفع الكفر عن المالك الإسلامية ، وأن لا يقصروا ولا يبخلوا في بذل أنفسهم وأموالهم في جلب الأسباب التي يكون بها إخراج عساكر إيطاليا عن طرابلس الغرب وإخراج عساكر روسيا والإنجليز من شمال وجنوب ايران ، التي هي من أهم الفرائض الإسلامية حتى تبقى المملكتان العثمانية والإيرانية مصونتين محفوظتين بعون الله من هجوم الصليبيين)(٨٥).

واصدر الخراساني كاظم وشيخ الشريعة الأصفهاني والسيد اسماعيل الصدر والشيخ عبدالله المازندراني فتوى مشتركة جاء فيها : (إلى الإيرانيين ومسلمي الهند عامة إن هجوم روسيا على إيران ، ويطاليا على طرابلس الغرب موجب لذهاب الإسلام ، واضمحلال الشريعة الطاهرة والقرآن ، فيجب على كافة المسلمين أن يجتمعوا ويطالبوا من دولهم المتبوعة رفع هذه التعديلات غير القانونية من روسيا وإيطاليا ، وليحرموا السكون والراحة على أنفسهم مالم تكشف هذه الغمة والغائلة العظمى ، وليعدوا هذه النهضة منهم تجاه المعتدين على البلاد الإسلامية جهادا في سبيل الله ، كالجهاد في بدر وحنين)(٨٦) ، واصد الشيخ الخراساني فتوى بتحريم شراء البضائع الروسية.

وبعد هذا التصعيد من قبل علماء الشيعة أرسلت روسيا قنصلها في محاولة منها الى تهدئة الوضع إلا أن الشيخ الخراساني أجاب بلغة شديدة الفحوى قائلا : (لقد نفذ صبر المسلمين ، ومادامت بينهم ورقة واحدة من القرآن الكريم ، فإنهم لا يمكن أن يهزموا ، أننا نحن المجتهدون مستعدون لبذل آخر قطرة من دمائنا في سبيل حفظ الدولة والشعب الإيراني)(٨٧).

المقصد الثالث : الموقف الشيعي من الاحتلال البريطاني عام ١٩١٤م

أصدرت بريطانيا الى قواتها في بومبي التوجه الى المياه الخليجية واعلان الحرب على العراق عام ١٩١٤م وعلى هذا فقد حتلت الفاو وفي هذا الوقت وصلت رسالة من البصرة الى علماء الدين وبينت الرسالة الخطر الحاصل على المدينة فقد جاء فيها : (تغر البصرة الكفار محيطون به ، الجميع تحت السلاح ، نخشى على باقي بلاد الإسلام ، ساعدونا بأمر العشائر بالدفاع)(٨٨).

وعلى الفور استجاب علماء الدين فقد عقدوا اجتماعا كبيرا في مسجد الهندي واصدروا فيه الفتوى ضد الاحتلال البريطاني وخطب السيد محد سعيد الحبوبي والشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ جواد الجواهري(٨٩) ، وفي الصحن العلوي الشريف خطب السيد كاظم اليزدي في الناس ودعاهم للجهاد وهنالك أوجب على الغني العاجز بدنا أن يجهز من ماله الفقير القوي(٩٠) ، وفي الكاظمية ترأس حركة الجهاد الشيخ مهدي الخالصي وأصدر فتواه بالجهاد عن بلاد الإسلام وكتب في ذلك رسالة أسماها (الحسام البتار في جهاد الكفار) وأصدر فتوى أوجب فيه على المسلمين صرف جميع أموالهم في الجهاد حتى تزول غائلة الكفار ، ومن أمتنع عن بذل ماله وجب أخذه كرها(٩١) ، وكذلك السيد مهدي الحيدري فقد افتى بالجهاد.

وفي سامراء أفتى الميرزا محمد تقي الشيرازي بوجوب الجهاد وارسل ابنه للالتحاق بالسيد الحيدري(٩٢).

ومن أشهر الفتاوي في العصر المتأخر والتي وجدت تجاوبا عاما ومؤثرا فتوى السيد محمد حسين الشيرازي نزيل سامراء في قضية التنباك التي حرم فيها استعماله ليقطع الطريق أمام الامتياز الغير العادل الذي اعطته حكومة ايران حينها الملكية لبريطانيا كواحدة من الخطوات الممهدت للأستعمار الأقتصادي المؤدي لنهب ثروات

البلاد ، وقد ادت الى تراجع شاه ايران حينها عن اعطائه امتياز لشركة التنباك الانكليزية عام ١٨٩١هـ.

وكنتيجة لسياسة الانكليز في العراق الاستعمارية واهمالهم لمطالبات رجاله بإنهاء الاحتلال وتلبية مطالب أهل البلاد تفجرت ثورة العشرين وكان على راسهم الميرزا محمد تقي الشيرازي وليكتمل فيها المشروع الشيعي منهجه السياسي ضد الاحتلال.

وكذلك ماصدر من فتوى ضد الأحتلال الفلسطيني عام ١٩٤٨م ١٩٦٧م ، مرورا بفتوى السيد الخوئي الذي دعا فيها بوجوب الدفاع عن بيضة الإسلام وكان ذلك عام ١٩٩١م ، وما صدر من علماء الطائفة بوجوب الدفاع عن مرقد السيدة زينب بنت علي بن ابي طالب (عليهم السلام) ، ولعل أشهر فتوى جهاد في العصر المتأخر هي فتوى السيد السيستاني التي افتى فيها وكان ثلث العراق تحت سيطرت الجماعات التكفيرة وأطلقوا نداءات من وجوب دخول كربلاء والنجف والعبث بالمقدسات واستحلال الأعراض فأطلق الشيخ عبد المهدي الكربلائي وكيل السيد السيستاني من مرقد الإمام الحسين (عليه السلام) فتوى الجهاد الكفائي ولهذه الفتوى دلالات عدة لست بصدد ذكرها لضيق الوقت أولا وثانيا تناول الكثير من الباحثين هذه الفتوى بتفصيل فإنها تستحق الوقوف عليها والتأمل ، لعلنا نتناولها بموضوع مستقل أن شاء الله.

الخاتمة :

إن موضوع الجهاد تصدر الواقع اليوم وأهتم به أهتماما كبيرا في الفكر الإسلامي ؛ لأنه أصبح الأداة لتغيير الأوضاع لاسيما العالمية فضلا عن المحلية ، إن كثير من الأراء والتحليلات حول موقف علماء الشيعة الإمامية في كلتا الساحتين السياسية

منها والجهادية ، فإن التاريخ الشيعي لعلمائهم كان حافلا وقويا ومؤثرا فيما حوله ، ولذلك شكل قوة لا يستهان بها على الصعيدين السياسي والاجتماعي ؛ لأن الموقف الشيعي أحتفظ بالأصالة الإسلامية والمنهج السليم المستمد من مواقف أهل البيت (عليهم السلام) رغم ما عانوه على مسار تاريخهم من ظلم وضطهاد والبعد عن الجماهير والسلطة وكذلك التصفية الجسيدية ، ولهذا فإن المعادين للإسلام كانوا يخشون تلك المرجعيات ؛ لأنها كانت تقف موقف المدافع عن الإسلام والتصدي لهم حتى وإن كانت تلك الحروب خارج دائرة التشيع فإنهم نظروا الى تلك الأحداث على أنها تمس الدين وبقاءه و يجب الدفاع عن الدين والإسلام مهما كلف الأمر ؛ لأنهم يتحركون ضمن الوظيفة الشرعية التي رسمها لهم الإسلام المحمدي الأصيل وليس العواطف ولا غيرها ؛ ولذلك نجدهم يدافعون ويصدرون الفتاوى لأي أحتلال أو ستعمار على بلاد المسلمين كافة ، مما جعل كل قوى الأستعمار تنظر لهم بنظرة خاصة ؛ لأنهم يمثلون الموقف الصامد والإصرار والتحدي ؛ ولهذا كانوا حجر الأساس لكثير من المواقف على مر التاريخ القديم منه والمعاصر فكانوا بحق هم صناع القرار ومحور الأحداث والمدافعون عن أستقلال كل بلاد الإسلام و المسلمين حتى ولو أدى أن يتقلدوا السلاح ويتقدموا المواجهة وأن أدى الى قتلهم ، فهذا البحث يحاول الوقوف على الفترات الحساسة من ذلك التاريخ المشرف ومعرفة موقف زعماء الشيعة من تلك الأحداث.

الهوامش:

[١] ينظر: مجمع البحرين، الطريحي، ٣ / ٣١، تاج اللغة ، الجواهري، ٢ / ٤٦١.

[٢] الروضة البهية، الشهيد الثاني، ٢ / ٣٧٩، رياض المسائل، السيد علي الطباطبائي، ٧ /٤٤١، جواهر الكلام، الشيخ الجواهري، ٣/٢١.

[٣] مسالك الأفهام، الشهيد الثاني، ٣ / ٧.

[٤]مسالك الأفهام، الشهيد الثاني، ٣ / ٧.

[٥] ينظر: دليل تحرير الوسيلة (ولاية الفقيه)، الشيخ علي اكبر المازندراني، ١١٣.

[٦] جواهر الكلام، الشيخ الجواهري، ٢١ / ٣.

[٧] سورة البقرة، آية: ١١٦.

[٨] جواهر الكلام، الشيخ الجواهري، ٢١ / ٤.

[٩] المصدر نفسه، ٢١ / ٤٦ – ٤٧.

[١٠] سورة الانفال، آية: ٣٩.

[١١] سورة الحجرات، آية: ٩.

[١٢] ينظر: تذكرة الفقهاء، العلامة الحلي، ٩ / ٦٥ – ٦٦.

[١٣] سورة البقرة، آية: ١٩٠.

[١٤] سورة التوبة، آية: ٣٦.

[١٥] سورة الممتحنة، آية: ٨ – ٩.

[١٦] ينظر: الجهاد، السيد محمد حسين فضل، ٢٠٦.

[١٧] وسائل الشيعة، الحر العاملي، ١١ / ٤٣.

[١٨] سنن ابي داود، سليمان بن الاشعث السجستاني٥٨٨ – ٥٨٩.

[١٩] وسائل الشيعة، الحر العاملي، ١١ / ٤٣ – ٤٤.

[٢٠] ينظر: الجهاد، السيد فضل الله، ٢٠٧.

[٢١] مستمسك العروة الوثقى، السيد محسن الحكيم، ٤ / ٣٤٥.

(٢٢) سنن النبي، السيد محمد حسين الطباطبائي٦١، تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ٦ / ٢٧٨.

(٢٣) ينظر: منهاج الصالحين، السيد الخوئي، ١ / ٣٦٩.

(٢٤) كتاب الطهارة، تقرير بحث السيد الخوئي، ٩ / ٤٤٨.

(٢٥) سورة التوبة، آية: ٥.

(٢٦) سورة التوبة، آية: ٢٩.

(٢٧) ينظر: أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص ، ٣ / ٩٠.

(٢٨) ينظر: بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ٢١ / ١٦٨ – ١٦٩.

(٢٩) صحيح البخاري، البخاري، ١ / ١١ – ١٢.

(٣٠) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ١٩ / ١٧٨.

(٣١) سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي ، ٣ / ٧٢.

(٣٢) (كان ابن خطل يكتب قدام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان إذا نزل غفور رحيم كتب رحيم غفور، وإذا نزل سميع عليم، كتب عليم سميع، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوما: أعرض علي ما كنت أملي عليك ، فلما عرضه قال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ما كذا أمليت عليك، غفور رحيم، ورحيم غفور، وسميع عليم، وعليم سميع، واحد، فقال ابن خطل: إن كان محمد نبيا فإني ما كنت أكتب له إلا ما أريد، ثم كفر ولحق بمكة، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): من قتل ابن خطل فله الجنة فقتل يوم فتح مكة وهو متعلق بأستار الكعبة)، تنزيه الشريعة المرفوعة عن الاخبار الشنيعة الموضوعة، علي بن محمد الكناني الشافعي ، ٢ / ٤.

(٣٣) ينظر: صحيح البخاري، البخاري ، ٥ / ٩٢.

(٣٤) سورة التوبة، آية: ٦ – ٧ – ٨.

(٣٥) ينظر: الجهاد، السيد محمد حسين فضل الله، ٢١٢ – ٢١٣.

(٣٦) ينظر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، شهاب الدين بن حجر العسقلاني ، ١ / ٧١.

(٣٧) ينظر: وسائل الشيعة، الحر العاملي، ١١ / ٤٣.

(٣٨) ينظر: الجهاد، السيد فضل الله، ٢١٢.

(٣٩) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٣ / ٣١.

(٤٠) ينظر: المصدر نفسه، ٣ / ٣٢.

(٤١) جواهر الكلام، الشيخ الجواهري، ٢١ / ٧٥.

(٤٢) ينظر: الجهاد، السيد محمد حسين فضل الله، ٢١٦.

(٤٣) ينظر: كتاب العين، الخليل، ٤ / ١٦٩.

(٤٤) سورة البلد، آية: ١ – ٢.

(٤٥) فقه القرآن، قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي ، ١ / ٣٢٥.

(٤٦) ينظر: فقه الحرية ، ١٢٤–١٢٧.

(٤٧) ينظر: الجهاد، الشيخ محمد مهدي الآصفي: ٦٩–٧٠.

(٤٨) المصدر نفسه ، ٧٠–٧١.

(٤٩) ينظر: حرية الأعتقاد في الإسلام ومعترضاتها، عدنان إبراهيم ، ٣٥٨.

(٥٠) كتاب الجهاد، السيد محمد حسين فضل الله ، ٨١–٨٢.

(٥١) ينظر: دراسات في الفقه الإسلامي المعاصر ، حيدر حب الله ، ١١٦–١١٧.

(٥٢) ينظر: المصدر نفسه ، ١١٧–١١٨.

(٥٣) ينظر: فقه الحرية، ١٢٨.

(٥٤) الجهاد، الشيخ مرتضى مطهري ، ٥٠–٥١.

(٥٥) منشور جاويد، سبحاني ، ١٧/٣.

(٥٦) ينظر : هدية الرازي إلى المجدد الشيرازي ، آغا بزرك الطهراني ، ١٥٣.

(٥٧) ينظر : تشيع ومشروطة ، عبد الهادي حائري ، ١٠٣.

(٥٨) ينظر : مقدمات مشروطة ، هاشم محيط يافي ، ٧٢.

(٥٩) تاريخ العراق السياسي المعاصر ، حسن شبر ، ٢ /٦٨.

(٦٠) ينظر : تاريخ العراق السياسي ، حسن شبر ، ٢ / ٦٨.

(٦١) ينظر : التاريخ السياسي لايران ، جلال الدين مدني ، ١ /٥٦.

(٦٢) ينظر : المصدر السابق ، ٥٧.

(٦٣) ينظر : تاريخ العراق السياسي المعاصر ، حسن شبر ، ٢ / ٧١.

[٦٤] ينظر : شعراء الغري ، علي الخاقاني ، ١٠ / ٨٥.

[٦٥] لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ،د علي الوردي ، ٣ / ١١٢.

[٦٦] تاريخ العراق السياسي المعاصر ، حسن شبر ، ٢ / ٧٤.

[٦٧] تاريخ مشروطة ايران ، أحمد كسروي ، ٢٩٣ – ٢٩٤.

[٦٨] زند كاني آخوند خراساني ، عبد الحسين مجيد كفائي ، ١٧٦ – ١٧٨.

[٦٩] ينظر : تاريخ العراق السياسي المعاصر ، حسن شبر ، ٢ / ٨٩.

[٧٠] المصدر السابق ، ٢ / ٩٢.

[٧١] ينظر : نهضة روحانيون ايران ، علي دواني ، ١٧٣.

[٧٢] تاريخ العراق السياسي المعاصر ، حسن شبر ، ٢ / ٩٠ – ٩١.

[٧٣] ينظر : سياحت شرق ، آغا نجفي قوجاني ، ٤٦٨.

[٧٤] ينظر : زند كاني آخوند خراساني ، عبد الحسين مجيد كفائي ، ١٨٤ – ١٨٥.

[٧٥] ينظر : تاريخ العراق السياسي المعاصر ، حسن شبر ، ٢ / ٩٨.

[٧٦] سورة التوبة ، آية ٤١.

[٧٧] المصلح المجاهد الشيخ محمد كاظم الخراساني ، عبد الرحيم محمد علي ، ١٨٤ – ١٨٥.

[٧٨] ينظر : الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠م ، د عبد الله فياض ، ٢٧ – ٢٨ .

[٧٩] ينظر : تاريخ العراق السياسي المعاصر ، حسن شبر ، ٢ /١١١.

[٨٠] شعراء الغري ، علي الخاقاني ، ١ /٤٣٠.

[٨١] الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠م ، د عبدالله فياض ، ٢٨ – ٢٩ .

[٨٢] ينظر : المصدر السابق ، ٢٦ – ٢٧.

[٨٣] ينظر : الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠م ، د عبدالله فياض ، ٢٦ .

[٨٤] هجوم الروس بإيران واقدامات رؤساء دين حفظ ايران ،نظام الدين زاده ، ٢٢١.

[٨٥] الثورة العراقية الكبرى ،د عبدالله فياض ، ١١٧ – ١١٨.

[٨٦] مجلة لغة العرب ، عدد : ٧ ، ١٩١٢م.

[٨٧] زندكاني آخوند خراساني ، عبد الحسين مجيد كفائي ، ٢٥٧.

[٨٨] لمحات اجتماعية من تاريخ العراق ، د علي الوردي ، ٤ /١٢٧.

[٨٩] ينظر: المصدر السابق ، ١٢٨.

[٩٠] ينظر : تاريخ العراق السياسي المعاصر ، حسن شبر ، ٢ /١٤٩.

[٩١] ينظر : أعيان الشيعة ، محسن الأمين ، ١٠ /١٥٧.

[٩٢] ينظر: تاريخ العراق السياسي المعاصر ، حسن شبر ٢ /١٤٩ – ١٥٠.

مصادر البحث:

❖ **أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص ، (ت٣٧٠هـ) ، تح : عبد السلام محمد شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.**

❖ **أعيان الشيعة ، السيد محسن الأمين ، (ت١٣٧١هـ) ، تح : حسن أمين ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ط٥ ، (ب . ت).**

❖ **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، العلامة المجلسي ، (ت١١١١هـ) ، تح : محمد الباقر البهبودي ، مؤسسة الوفاء ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.**

❖ **تاج اللغة وصحاح العربية، الجواهري ، (ت٣٩٣هـ) ، تح : أحمد عبد الغفور العطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط٤ ، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.**

❖ **التاريخ السياسي لايران ، جلال الدين مدني ، نشر : استقلال ، طهران ، ايران ، ط١ ، (ب . ت).**

❖ **تاريخ العراق السياسي المعاصر ، حسن شبر ، نشر المكتبة دار النجف الأشرف ، النجف الأشرف ، العراق ، (ب . ط و ت).**

❖ **تاريخ مشروطة ايران ، أحمد كسروي ، (ب ط و ت).**

❖ تذكرة الفقهاء، العلامة الحلي ، (ت٧٢٦هـ) ، منشورات المكتبة الرضوية لاحياء الأثار الجعفرية ، تح : مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لأحياء التراث ، قم ، ايران ، ط١ ، ١٤١٩هـ.

❖ تشيع ومشروطة ، عبد الهادي حائري ، دار الأستقلال ، قم ، ايران ، ط١ ، (ب ط و ت)

❖ الميزان في تفسير القرآن، العلامة محمد حسين الطباطبائي، (ت١٤٠٢هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، أيران، (ب.ط و ت).

❖ تنزيه الشريعة المرفوعة عن الاخبار الشنيعة الموضوعة، علي بن محمد الكناني الشافعي، (ت٩٦٣هـ)، تح: عبدالله بن الصديق الغماري و عبد الوهاب عبد اللطيف، نشر: مكتبة القاهرة، القاهرة، مصر، ط١، (ب.ت).

❖ الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠م ، د عبد الله فياض ، دار الملاك للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان ، (ب ط و ت).

❖ الجهاد، السيد محمد حسين فضل الله، (ت١٤٣١هـ)، دار الملاك للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

❖ الجهاد، الشيخ محمد مهدي الآصفي، (ت١٤٣٧هـ)، مركز أنتشارات دفتر تبليغات إسلامي، قم، ايران، ط١، ١٤٢١ق- ١٣٧٩ش.

❖ كتاب الجهاد، مرتضى مطهري، انتشارات اسلامي- قم، ايران، ١٣٦٢ش، (د.ط).

❖ جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، الشيخ محمد حسن النجفي، (ت ١٢٦٦هـ)، تح: عباس القوچاني، نشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، ايران، ط٣، ١٣٦٢هـ.

❖ حرية الأعتقاد في الإسلام ومعترضاتها، عدنان إبراهيم ، (ب ط و ت).

❖ دراسات في الفقه الإسلامي المعاصر، حيدر حب الله، دار الفقه الإسلامي المعاصر، ط١، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

❖ دليل تحرير الوسيلة (ولاية الفقيه)، الشيخ علي اكبر المازندراني، مؤسسة تنظيم ونشر أثار الإمام الخميني، ط١، ١٤١٧هـ- ١٣٧٥ش.

❖ الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، الشيخ زين الدين العاملي، (ت٩٦٥هـ)، تح: محمد كلانتر، نشر: جامعة النجف الدينية، قم، ايران، ط١، ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م.

❖ رياض المسائل في بيان أحكام الشرع بالدلائل، السيد علي بن محمد بن علي بن ابي المولى الطباطبائي، (ت١٢٣١هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامية التابعة لجماعة المدرسين، قم، ايران، ط١، ١٤١٥هـ.ق.

❖ زند كاني آخوند خراساني، عبد الحسين مجيد كفائي، نشر أستقلال، طهران، ايران، (ب.ط و ت).

❖ سنن ابي داود، سليمان بن الاشعث السجستاني، (ت٢٧٥هـ)، تح: سيد محمد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

❖ سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، (ت٢٧٩هـ)، تح: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

❖ سنن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، السيد محمد حسين الطباطبائي، (ت١٤٠٢هـ)، مؤسسة النشر الإسلامية التابعة لجماعة المدرسين، قم، ايران، تح: محمد هادي الفقهي، (ب.ط)، ١٤١٦هـ.ق.

❖ سياحت شرق آغا نجفي قوجاني.

❖ شعراء الغري ، علي الخاقاني ، دار النجف الأشرف للطباعة والنشر ، (ب ط و ت).

❖ صحيح البخاري، إسماعيل بن ابراهيم البخاري، (ت٢٥٦هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، (ب.ط)، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

❖ فتح الباري في شرح صحيح البخاري، شهاب الدين بن حجر العسقلاني، (ت٨٥٢هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٢، (ب.ت).

❖ فقه الحرية ، دراسة فقهية في الحرية وحدودها ، محمد حسن قدردان قراملكي ، تعريب: علي الموسوي ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي - بيروت ، ط١، ٢٠٠٨م.

❖ فقه القرآن، الشيخ قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة اللّه الراوندي، (ت٥٧٣هـ)، تح: أحمد الحسيني، نشر: مكتبة النجفي المرعشي، قم، ايران ، ط٢، ١٤٠٥هـ.

❖ كتاب الطهارة، تقرير بحث السيد الخوئي، (ت١٤١٣هـ)، تاليف علي الغروي التبريزي، منشورات مدرسة دار العلم، قم، ايران، ط٣، ١٤١٠هـ.

❖ كتاب العين، أحمد بن خليل الفراهيدي، (ت١٧٥هـ)، تح: مهدي المخزومي و براهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، ط٢، ١٤٠٩هـ.

❖ لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري،(ت٧١١هـ)،

نشر: أدب الحوزة، قم، ايران، (ب.ط)، ١٤٠٥هـ- ١٣٦٣ش.

❖ لمحات اجتماعية من تاريخ العراق ، د علي الوردي ، دار الملاك ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، (ب . ت).

❖ مجلة لغة العرب ، عدد : ٧ ، ١٩١٢م.

❖ مجمع البحرين، الشيخ فخرالدين الطريحي، (ت ١٠٨٥هـ)، تح: أحمد الحسيني، نشر: مرتضوي، طهران، ايران، ط٢، ١٣٦٢ش.

❖ مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام، الشيخ زين الدين بن علي العاملي الشهيد الثاني، (ت٩٦٥هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ايران، ط١، ١٤١٦هـ . ق.

❖ مستمسك العروة الوثقى، السيد محسن الحكيم، (ت١٣٩٠هـ)، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ايران، (ب.ط)، ١٤٠٤هـ.

❖ المصلح المجاهد الشيخ محمد كاظم الخراساني ، عبد الرحيم محمد علي ، نشر : أستقلال ، طهران ، ايران ، (ب . ط و ت).

❖ مقدمات مشروطة ، هاشم محيط يافي ، نشر : استقلال ، طهران ، ايران ، (ب ط و ت).

❖ منشور جاويد، جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق(ع) - قم، (د.ط و.ت).

❖ منهاج الصالحين، السيد الخوئي، (ت١٤١٣هـ)، نشر: مدينة العلم، مطبعة مهر، قم، ايران، ط٢٨، ١٤١٠هـ.

❖ نهضة روحانيون ايران ، علي دواني ، نشر أستقلال ، طهران ، ايران ، (ب ط وت)

❖ هجوم الروس بإيران واقدامات رؤساء دين حفظ ايران ، نظام الدين زاده ، (ب ط و ت).

❖ هدية الرازي إلى المجدد الشيرازي آغا بزرك الطهراني ، مؤسسة الوفاء ، بيروت ، لبنان ، (ب ط و ت).

❖ وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة ، الحر العاملي ، (ت١١٠٤هـ) ، تح : الشيخ عبد الرحيم الرباني الشيرازي ، نشر : دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط٥ ، ١٤٠٣هـ.

دور المرجعية الدينية في مواجهة الخطاب المتطرف

--خطاب ابراهيم الجبهان لشيخ جامع الازهر أنموذجاً--

م.م.محسن عدنان صالح الجشعمي

جامعة الكوفة / مركز دراسات الكوفة

المقدمة:

شكل الخطاب الديني مفصلاً مهما من مفاصل الحياة الاجتماعية في جميع مجتمعات العالم بشكل عام والمجتمعات الإسلامية بشكلٍ خاص لما يتمتع به الخطيب من مكانة مهمة لدى الجمهور وما يتضمنه الخطاب الديني من ركائز روحية من شأنها توجيه المجتمع إلى الأمور الدينية والدنيوية.

إن تأثير الخطاب الديني على المجتمع من خلال استخدام الخطيب الألفاظ والأسلوب اللذين يؤثران في مشاعر الناس من جهة والمكانة الروحية التي يحتلها الخطيب الديني في المجتمعات من جهة ثانية وتوظيف كل هذه الأمور أي الخطيب الديني وخطبته من قبل الاستعمار لخلق حالة من الفوضى في المجتمعات التي سيطرت عليها من خلال طرح خطب من شأنها تمزيق النسيج الاجتماعي إلى طوائف أو قوميات أو مذاهب وإشغال الشعوب في صراعات جانبية في حين يبقى الاستعمار الطرف المستفيد في هذه الأزمات كل ذلك شكل دافعا لاختيار الموضوع.

اختار الباحث خطبة إبراهيم الجبهان لشيخ الأزهر أنموذجا للخطب الدينية المتطرفة التي أثرت في المجتمع العربي والإسلامي واضعا تساؤلات عدة حرص في وضع إجابات لها في متن البحث أهم هذه التساؤلات ما هي الظروف التي أدت إلى إطلاق الجبهان لخطبته؟ وما هي مرتكزاتها؟ وما الجديد الذي أضافه الجبهان في خطابه حتى أخذ

حيزا في العالم الإسلامي؟ كيف كانت ردود أفعال العالم الإسلامي على خطاب الجبهان؟ وما هي مستويات الخطب والمقالات التي ردت على مقالة الجبهان؟ هل اتفقت الشخصيات التي ردت على الخطاب –رغم اختلاف أوساطهم- على خطوط عريضة أو نقاط جوهرية؟ كيف يمكن تقييم هذه الردود.

استند الباحث على مصادر عدة كان منها مصادر تاريخية ومنها موسوعات وأخرى مصادر معربة لكن يبقى الأساس الذي استندت عليه هو مجلة راية الإسلام التي نشرة خطاب إبراهيم الجبهان ووجدت من الضروري عرض الخطاب في الملاحق وأوردت بعض الردود عليها لاستكمال الفائدة العلمية للبحث.

والله ولي التوفيق

أولا: ظروف صدور خطاب الجبهان ومرتكزاته

كان من أهم نتائج التي حققتها مؤسسة (دار التقريب بين المذاهب الإسلامية) (١) إصدار رئيس جامعة الأزهر الشيخ (محمود شلتوت) (٢) في نهاية عقد خمسينيات من القرن الماضي فتوى اعترف فيها بالفقه الجعفري ورجح بعض آرائه وخاصة في المسائل العائلية والأحوال الشخصية على آراء فقهاء أهل السنة (٣)، وتقرر تدريس الفقه الجعفري في الأزهر (٤) وجواز التعبد في هذا المذهب.

أثرت هذه الفكرة في نفوس المسلمين وعلقوا عليها الآمال في سبيل تحقيق الوحدة الإسلامية التي طالما سعى المصلحون لها، وهذا العمل بطبيعة الحال لم يرق للاستعمار لذا برز خطاب (إبراهيم الجبهان) (٥) الذي خاطب فيه شيخ الأزهر في مقال نشره في مجلة (راية الإسلام) (٦) الصادرة في المملكة العربية السعودية في الرياض (٧) إذ ركز الجبهان في خطابه على مرتكزات عدة أهمها:

١. التأكيد على عدم اتفاق بين الطائفتين الشيعة والسنة في أصول الإسلام وفروعه.

٢. القول بتحريف القران الكريم وارتداد صحابة النبي (ص) من وجهة نظر الشيعة.

٣. تطاول الجبهان في خطابه على الإمام (جعفر بن محمد) الصادق وهي سابقة لم يسبقه إليه أحد.

٤. ربط المذهب الشيعي بـ(عبد اللّه بن سبأ) اليهودي والفرس.

٥. تجاوز الجبهان على شيخ الأزهر بقوله:

"فاتق اللّه يا صاحب الفضيلة، في نفسك، وفي العالم الاسلامي الذي يستودعك أثقل الامانات، ويعقد آماله لعد نظرك، باعتبارك المتصدر لمركز الدفاع الاول عن الاسلام فان الدجل لا يحاب بالدجل والنفاق الديني لا يقضى عليه بالنفاق السياسي..." (٨).

ثانيا: رد المرجعية على الخطاب

اختلفت ردود الأفعال في العالم الإسلامي في شجب مثل هذه الخطابات إذ صدرت من أوساط عدة منها من رجال دين، حكومية رسمية وأوساط أكاديمية التي توحدت بمضمونها وهي وأد الفتنة الطائفية، شجب العمل، والاستعمار هو المستفيد الأكبر من صدور مثل هذه الخطابات المتطرفة.

أ. الأوساط الدينية في النجف الاشرف

أبرز الشخصيات الدينية في مدينة النجف الاشرف التي استنكرت خطاب الجبهان العلامة المحقق الشيخ (اغا بزرك الطهراني)(٩)، إذ كتب مقال استنكر فيه خطاب إبراهيم الجبهان نشرته (مجلة المعارف) (١٠)بعنوان (سماحة الامام الطهراني يستنكر جريمة الجبهان) تقدم مقال العلامة المحقق عدد من الآيات الكريمة التي تحث على

الاتحاد والألفة كقوله تعالى (إنما المؤمنون أخوة)[١١] وأكد ابتلاء المسلمون بالفتن منذ أقدم العصور، إذ أثارها الأمراء والسلاطين منذ القديم والآن الدول الأجنبية والاستعمار من اجل تفريق المسلمين وإضعاف العقيدة الدينية عندهم، وجاء ذلك بسبب ما عم في السنين الأخيرة من اتحاد لكلمة المسلمين وحرصهم على تحقيق الوحدة الإسلامية من خلال ضم المذهب الجعفري إلى المذاهب الأربعة [١٢]التي يدرس فقهها في (جامع الأزهر) [١٣]بمصر والاعتراف به مذهبا رسميا خامسا، ونشر (دار التقريب بين المذاهب) كتاب (المختصر النافع) للشيخ (أبو القاسم جعفر بن الحسن الحلي) [١٤]الشهير بـ(المحقق) وقرر تدريسه في الأزهر والمدارس الدينية الأخرى وسعى لتحقيق هذه الخطوة هما العالمان الفاضلان الشيخ (محمد تقي القمي)[١٥] والشيخ (احمد حسن الباقوري) [١٦]وكان لهذه الخطوة الأثر الكبير في تحقيق الوحدة الإسلامية المنشودة، إلا إن ذلك لم يرق للمستعمرين وعملائهم فاخذوا يعملون بالظلام للحيلولة دون قيام الوحدة الإسلامية فجاء الخطاب المسموم للجبهان ليسيء للإمام جعفر الصادق (عليه السلام) مستشهدا بالآية الكريمة (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا) [١٧]مختتما المقال بان هذا الافتراء من صنيعة الغرب الكافر وانه ضمن المخططات الاستعمارية وان المسلمين حريصون على وحدة الصف أكثر من قبل [١٨].

وصف العلامة السيد (محمد حسن الطالقاني) [١٩] إبراهيم الجبهان بـ(اليهودي) في مقالٍ نشره في مجلة المعارف بعنوان (موقف الشيعة الأمامية في البلدان الإسلامية من جريمة اليهودي إبراهيم الجبهان واستفزازات شيوخ الضلال أصحاب (راية النفاق) في الرياض) كما نعت عمله بأنه استعماري محض مستدلا على ذلك من خلال لهجة المقال القاسية وموضوعها الاستفزازي، مشيرا إلى حصول انتقادات بين علماء وأدباء

أو أتباع المذهب الشيعي والمذاهب السنية، ولكن لم تصل إلى درجة تكذيب الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) ونعته بصفات بعيدة عنه كل البعد، لذا فعدّ هذا التطاول مقصود وإنه سيؤدي إلى إشعال نار الفتنة ووصفها بأنها ستحرق (الأخضر واليابس)، وطرح تساؤلا أكد فيه إن محاولة (الجبهان) استعمارية، غذ نقل قول الجبهان في بداية خطابه لشيخ الازهر: "بلغني انكم اذعتم في العام الماضي خطابا...الخ"[٢٠]، متسائلا اين الكاتب عندما اذيع الخطاب؟ ولماذا سكت طوال العام؟ وهذا يعطي دليل على وقوف جهات وراء الجبهان لتفريق المسلمين وبث روح الطائفية بينهم، واشار في الوقت الذي كان من المفترض فيه عدم الاكتراث لمثل هذه المحاولة لتفويت الفرصة على الاستعمار ومن تبعه من تحقيق اهدافه الوضيعة، الا انه وقف عند هذه النقطة قائلا انها (العقيدة) التي وصفها بانها: (تختلط باللحم وتمتزج بالدم) فلا يستطيع المرء ان يرى دينه ومعتقده ينال منه دون تحريك ساكن [٢١].

رد الشيخ (سلمان الخاقاني) اتهام الجبهان للشيعة بانهم متصهينون من خلال ما نص خطابه : "بل ان الاسلام الذي تلبسوا به ليس الا استسلاما للصهيونية الماكرة التي انسابت سمومها من انياب الافعوان الاسود (عبد اللّه بن سبأ) اليهودي" [٢٢]، بمقالٍ منفرد عنونه (الصهيونية والتشيع) اوضح فيه ان شخصيتان يهوديتان دخلتا التاريخ الاسلامي في صدر الاسلام هما: (عبد اللّه بن سبأ) الشخصية الخيالية التي خلقها الخيال لتستر بعض القضايا واستدل على خياليتها انها كلما تأخرت تضخمت وخرج لها فروع وغصون واكتفى برد الشبهات لهذه الشخصية ما اصدره العلامة السيد (مرتضى العسكري) [٢٣] في كتابه المعنون (عبد اللّه بن سبأ) [٢٤].

اما الشخصية الثانية (كعب الاحبار) [٢٥]الذي خلف جملة من الاخبار الكاذبة ادخلها في كتب المسلمين، وهاتان الشخصيتان تلعنهما الشيعة، واليهود بنظر الشيعة مشركون ما زالوا يقولون (عزير ابن الله) [٢٦] كما نص القران الكريم، اما بعد حرب١٩٤٨م بين الجيوش العربية والعصابات الصهيونية فقد استشهد بالسيد (امين الحسيني) [٢٧]الذي كان على دراية كاملة بمساعي العلماء الشيعة وعلى رأسهم العلامة الشيخ (محمد حسين كاشف الغطاء) [٢٨]الذي دعم القضية الفلسطينية من نواحي عدة [٢٩].

بدى أدب الشيعة حيال القضية الفلسطينية طافحا بالنتاج الادبي فقد جمعت بعض الجمعيات النجفية (جمعية الرابطة الادبية) [٣٠] دواوين شعرية بما قاله بعض أدباء النجف الاشرف في فلسطين، كما ان مساهمة الجيش العراقي في حرب ١٩٤٨م[٣١] كانت فعالة، إذ حارب الجيش العراقي بعقيدة وايمان كما التحق عدد من المتطوعين الشيعة الى الجيش امتثالا لأمر علمائهم الاعلام، وأكد على تصريح الجبهان حول قضية اعتراف ايران بإسرائيل بان هذا الامر سياسي وليس ديني، ونقل نص برقية شاه ايران (محمد رضا بهلوي) [٣٢]لشيخ الازهر اشار فيها الى السياسة الثابتة لإيران في تأييد حقوق المسلمين في جميع بقاع العالم بغض النظر عن الاختلاف العنصري والمذهبي، ومساندة ايران لحقوق مصر المشروعة في قناة السويس واستنكارها العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦م واختتم مقاله بتوجيه عدد من الاسئلة الى المملكة السعودية التي تصدر فيها مجلة (راية الاسلام) وموقفها من الصهيونية وهي:

١. هل قام علماؤها وقضاتها بحملة دينية شديدة ضد اليهود؟

٢. هل قام شعراؤها وادباؤها بتحريض المسلمين على المعتدين؟

٣. هل قام تجارها ومتمولوها بإعانات المجاهدين؟

٤. هل اشتركت حكومتها مع الحكومات العربية في حرب فلسطين؟ مجيبا عن جميع هذه التساؤلات النفي واستشهدت بقول العاهل السعودي التي رددتها الصحف العربية حينما دعي الى اعانة فلسطين ما نصه: "هؤلاء قوم غضب الله عليهم وانا لا أعين قوما غضب الله عليهم" (٣٣).

شخص العلامة الشيخ المصلح (عبد الكريم الزنجاني)(٣٤) خطر خطاب الجبهان وذلك لاهتمامه البالغ وسعيه الحثيث في تحقيق الوحدة الاسلامية لذا خاطب كل من: شيخ الازهر، امير الكويت، ملك السعودية، إذ تضمنت الرسالة الاولى التي بعثها الشيخ الزنجاني الى شيخ الازهر تأكيده على ان العلاقات الودية بينه وبين الازهر الشريف ما زالت قوية منذ سنة ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م (٣٥) لأنها قائمة على اعتبار ان الشيخ محمود شلتوت من اهل الصلاح والتجديد وتوحيد الكلمة، الا انه يبدي استغرابه من سكوت شيخ الازهر عن استنكار المقال الذي استنكره جميع المسلمين لان الخطاب -كما وصفه الشيخ الزنجاني- :"من وحي الشيطان ومن كيد خصوم الاسلام والمسلمين" مطالبا منه كونه أعرف بحقيقة مذهب الشيعة وسائر المذاهب الاسلامية، وان الخطاب موجه اليه لذا وجبت عليه المبادرة بإعلان الاستنكار واعلام الشيخ الزنجاني بالنتيجة (٣٦).

على الرغم من كثرة الاستنكارات التي وردت على شيخ الازهر من عدة شخصيات وعلى كافة المستويات الا انه لم يحرك ساكنا حيال خطاب (الجبهان) الموجه اليه ولم يبد استنكارا على الاقل من مزاعم مجلة (راية الاسلام).

وجه العلامة الشيخ الزنجاني رسالته الثانية الى امير الكويت في الخامس عشر من جمادى الاخرة سنة ١٣٨٠هـ الموافق في الرابع من كانون الثاني سنة ١٩٦٠م الشيخ (عبد الله السالم الصباح)(٣٧) مذكرا اياه عند زيارة الامير لمدينة النجف الاشرف واجتماعه مع الشيخ الزنجاني في الروضة الحيدرية المقدسة ومشاهدته القرآن الشريف بخط امير المؤمنين (عليه السلام) انه مطابق حرفيا لنسخ القرآن الشريف المتداولة ثم يلفت نظره الى مقال (الجبهان) متهجما فيه على القرآن الكريم وائمة الشيعة (٣٨)مطالبا ائمة الكويت اعطاء القضية المثيرة للفتن الاهتمام، والتنكيل بـ(الجبهان) واعوانه واعلامه بالنتيجة، رد عليه امير الكويت الشيخ (عبد الله السالم الصباح) باستنكار عمل الجبهان وان عمله جرح شعوره كما جرح مشاعر الشيعة وان (الجبهان) تم ابعاده من الكويت على امل عدم تكرار مثل هذه الحالة (٣٩).

اما الرسالة الثالثة فقد وجهها الشيخ الزنجاني الى ملك الحجاز الشيخ (سعود بن عبد العزيز آل سعود) (٤٠)مذكرا اياه ان من واجبات خادم الحرمين تشييد اركان الالفة بين المسلمين مبينا استغرابه من سكوت حكومة آل سعود عن قضية (الجبهان) المبعد من الكويت والمتنعم في الرياض وسكوتها عن مجلة (راية الاسلام) التي تصدر في الرياض مطالبا منه اتخاذ الاجراءات اللازمة لهذه القضية المثيرة للفتنة(٤١)، فجاء رد ملك السعودية بان المقال لا يعبر عن رأي المملكة ولا عن المجلة وانهم قاموا بفصل

المسؤول واتخاذ الاجراءات بعدم نشر كل ما من شأنه اثارة الفتن والانقسام بين المسلمين.

بعث جماعة من علماء النجف الاشرف وعلى رأسهم العلامة الشيخ (محمد جواد الشيخ راضي)(٤٢) برقية الى امير الكويت (عبد اللّه السالم الصباح) استنكروا فيها عمل الجبهان وطالبت حكومة الكويت بإنزال اشد العقوبة بالمفتري الكويتي ليعتبر غيره من المأجورين ولتطمئن نفوس المسلمين ، رد امير الكويت بأسفه لمثل هذه المحاولة المثيرة للفتن والمفرقة لجمع المسلمين ، مؤكدا بان الطاعن ليس كويتيا وجرى ابعاده منها (٤٣).

وفي السياق ذاته أرسل خطباء كربلاء (السيد مرتضى القزويني، والسيد محمد الشيرازي، والسيد محمد كاظم الموسوي، والشيخ عبد الزهراء الكعبي، والسيد صدر الدين الشهرستاني) برقية الى ملك السعودية الذين عدّوا ما نشرته مجلة (راية الاسلام) خرق للموازين الاسلامية والانسانية، وجاء رد ملك السعودية تأكيده على اخراج الموظف المسؤول عن نشره واتخاذ المجلة الاجراءات الكفيلة لعدم تكرار نشر مثل هذه الخطابات (٤٤).

ب. رجال الدين والمفكرين في لبنان

نشر في لبنان الشيخ (محمد جواد مغنية) (٤٥)مقال في مجلة (العرفان) (٤٦) الصيداوية مقالا رد فيه على افتراء الجبهان جاء عنوانه (الشيعة ومجلة الافك السعودية) طرح فيه تساؤلات عدة منها تأخر البلاد العربية عن ركب الحضارة في هذا العصر؟ وكيف سبقتها اوروبا واميركا في الثقافة والعلوم؟ وسبب تأخر المملكة السعودية عن البلدان العربية مع انها سبقت غيرها في الاستقلال؟ ومصير واردات البترول والملايين من الوافدين الى مكة المكرمة والمدينة المنورة؟ فأشار ان

الاجابة على هذه التساؤلات اضحت واضحة بصدور العدد الخامس من مجلة (راية الاسلام) في ربيع الاخر ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م ، فبدل اهتمام هذه المجلة بأوضاع بلادها ومعرفة مصير واردات النفط التي تتحكم بها (روكفلر اخوان) واستغلال (وول ستريت) [٤٧]للمستضعفين منهم وجهت تهجمها واعتدائها على المسلمين وائمتهم، واستدل على قول الجبهان في خطابه: "ولكن الخلاف بيننا يبدأ من الاصول، بل من اصل الاصول" [٤٨]على كفره باللّه ورسوله واليوم الاخر لان اصول الشيعة وعقيدتهم هي الايمان باللّه ورسوله واليوم الاخر، ثم استشهد بخطاب الجبهان: " بل ان الاسلام الذي تلبسوا به ليس الا استسلاما للصهيونية الماكرة" [٤٩]ورد على ادعاء الجبهان بان الشيعة لم يتحالفوا مع انصار الصهيونية، ولم يسلموا ارضهم الى بريطانيا التي اوجدت اسرائيل وامدتها بالسلاح والمال لتشريد المسلمين من فلسطين، ولم يعطِ الشيعة بلادهم لتقام عليها القواعد الحربية لحماية اسرائيل ولم يسيروا في ركاب من ناصر فرنسا ضد الجزائر، واستعرض جانبا من خطاب الجبهان الذي نصّ على: "واذا كنا في حاجة الى الوحدة السياسية لنقضي بها على الاستعمار السياسي، فهذه الغاية لا تبرر وقوعنا في فخاخ الاستعمار الديني واتخاذ الدين وسيلة للتقرب، وازالة الفوارق والغاء الحدود المصطنعة، لا تصلح الا مع طائفة تقف معنا في امالنا وآلامها" [٥٠].

رد على هذا الافتراء في الوقت الذي كانت شركة (ارامكو) [٥١]تسيطر على السعودية التي كانت تدين لها بالولاء، فان الشيعة قد وقفوا بوجه الاستعمار الانجليزي في العراق سنة ١٩٢٠م، وحاربوا الاستعمار الفرنسي بلبنان، وناصروا

الشعب المصري بمعركة بور سعيد ١٩٥٦م سقطت عشرات القتلى في النجف الاشرف فهذا هو تاريخ الشيعة ومواقفهم من الاستعمار وأدبهم حافل بشعر الثورات ضد الاستبداد والاستعمار، ونشرت (راية الاسلام) على لسان الجبهان مخاطبة شيخ الازهر: "فاتقِ اللّه يا صاحب الفضيلة، في نفسك وفي العالم الاسلامي ، ...فان الدجل يا سيدي لا يحارب بالدجل، والنفاق الديني لا يقضي عليه بالنفاق السياسي" (٥٢)، إذ وصفت شيخ الازهر بالدجال المنافق ليس لشيء سوى لدعوته للوحدة الاسلامية من خلال مناصرته لتدريس فقه الشيعة الامامية بالأزهر وجاءت هذه الخطوة ليس حبا لعلمائها وانما من اجل الازهر نفسه ومن اجل الاسلام بالذات ومن اجل المسلمين لا غير، ثم كشف بالختام تحريض الجبهان على الشيعة بقوله: "ليعلم حضرات العلماء الافاضل اي الوهابيين انهم لم يستطيعوا حمل الرسالة الاسلام ومشعل النور الى العالم ، قبل ان يبدؤا بتطهير الاقرب فالأقرب اليهم" (٥٣).

وهذا تحريض واضح للقضاء على شيعة الحجاز والقطيف وناشد علماء الامامية ومراجعها بعدم السكوت لمثل هذه المحاولات التي تفسح المجال امام الاستعمار للتوغل في البلاد العربية (٥٤).

أرسل الشيخ (حبيب آل ابراهيم) (٥٥)مفتي الديار البعلبكية برقية الى (دار التقريب بين المذاهب الاسلامية) ورد فيه ان الشيعة والسنة اصبحوا بمأمن بعد سعي دار التقريب بإزالة الهوة بين الطائفتين، ولكن بعد خطاب (الجبهان) انعكس الامر واصبح المسلمون تحت خطر الوقيعة (٥٦)،فأجابه دار التقريب في برقية أرسلها (محمد محمد المدني) عميد كلية الشريعة بالجامعة الازهرية بان الشيخ (محمود شلتوت) شيخ جامع الازهر اهتم به رسميا واتخذ اجراء بواسطة السفارة السعودية في القاهرة

(٥٧)، وان ما كتبه (الجبهان) وصفه بأنه: "مملوء بالسقطات ومشحون بالاتهامات" (٥٨).

وفي السياق ذاته أرسل جماعة من علماء الشيعة في لبنان (٥٩)برقية الى الملك سعود احتجوا بشدة على ما نشرته مجلة (راية الاسلام) التي تصدر في الرياض عاصمة المملكة السعودية من التهجم والطعن بعقيدة الشيعة والنيل من كرامة امام المسلمين (جعفر الصادق) وطالبوا بإنزال أشد العقوبات بالكاتب وأرباب المجلة الذين أثاروا الفتنة محاولين تمزيق الصف العربي الاسلامي تلبية لرغبة الاستعمار والصهيونية (٦٠).

الخاتمة:

بعد استعراض لأهم مرتكزات البحث المتعلق بأثار الخطاب الديني المتطرف في الوحدة الاسلامية يمكن الخروج باستنتاجات عدة هي كالاتي:

١. وظف الاستعمار الخطاب الديني المتطرف لتحقيق مأربه اذ طالما لوّح بهذه الورقة كطريقة للضغط على الشعوب الراضخة له فكانت الظروف التي أدت الى ظهور مثل هذا الخطاب ومن شخصية غير معروفة جاءت كرد فعلٍ على تقارب المذاهب الاسلامية فيما بينها وبدت جهود دار التقريب بين المذاهب الاسلامية تعطي ثمارها خاصة بعد افتاء الازهر بجواز التعبد بالمذهب الجعفري واعتماد بعض كتبه وطباعتها لتدخل ضمن منهاج الازهر.

٢. الخطاب جاء بسابقة خطيرة تمثلت بالتعرض الى الامام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) اذ كان من المعروف في حال طرح خطابات متطرفة التعرض للمذهب او لمرتكزاته لكن هذه المرة جاء التعرض لرمز مهم من رموز الائمة الاثني عشرية بكلام غير مقبول استنكره عموم المسلمين لغرض بث روح الطائفية ، لذا لابد من

توحيد الجهود لفضح مثل هذه المحاولات وكشف الجهات التي طالما تقف ورائها مطبقة أجندة الاستعمار وحث جميع المسلمين الى الترابط والتكامل لمواجهة مثل هذه الخطابات .

٣. تباينت اساليب الرد على خطاب الجبهان بحسب الاختصاص والرؤية فكل منهم أدلى بدلوه مستدلين في خطاباتهم على نقطة اتفقوا عليها وهي ظهور مثل هذه الخطابات المتطرفة على الساحة الاسلامية لا يربح فيها الا طرف واحد وهو الاستعمار الغرض منه تمزيق الامة الاسلامية ومنددين في الوقت ذاته بحواضن رجال الدين الذين يطلقون مثل هذه الخطابات بين الحين والاخر ومراكز انطلاقها.

٤. على الرغم من وجود خطابات رسمية من أمير الكويت وملك السعودية التي جاءت على شكل رد على برقيات لشخصيات دينية أعربت عن مخاوفها حيال مثل هذه المبادرات الا إن مثل هذه الردود بدت خجولة وغير عملية اكتفت بالتنديد وتعهدت بعدم تكرار مثل هذه المحاولات اليائسة التي تهدف الى النيل من الوحدة الاسلامية.

٥. الاستناد على تثقيف القواعد الشعبية من خلال تصدي الطبقات الاكاديمية ورجال الدين والمثقفين كلٌ بحسب اختصاصه لفضح مثل هذه المحاولات على شرائح الطلبة بكافة مراحلهم وطلبة العلوم الدينية في تبني الخطاب المعتدل ونشر التسامح الديني بين الطبقات الاخرى وادراك امر مهم هو الاختلاف بين المذاهب الاسلامية مسألة اختلاف في الاجتهاد ولا ينسحب هذا الحال الى الاختلاف في العقيدة الى درجة ان يكفر مذهب مذهب اخر.

الملاحق

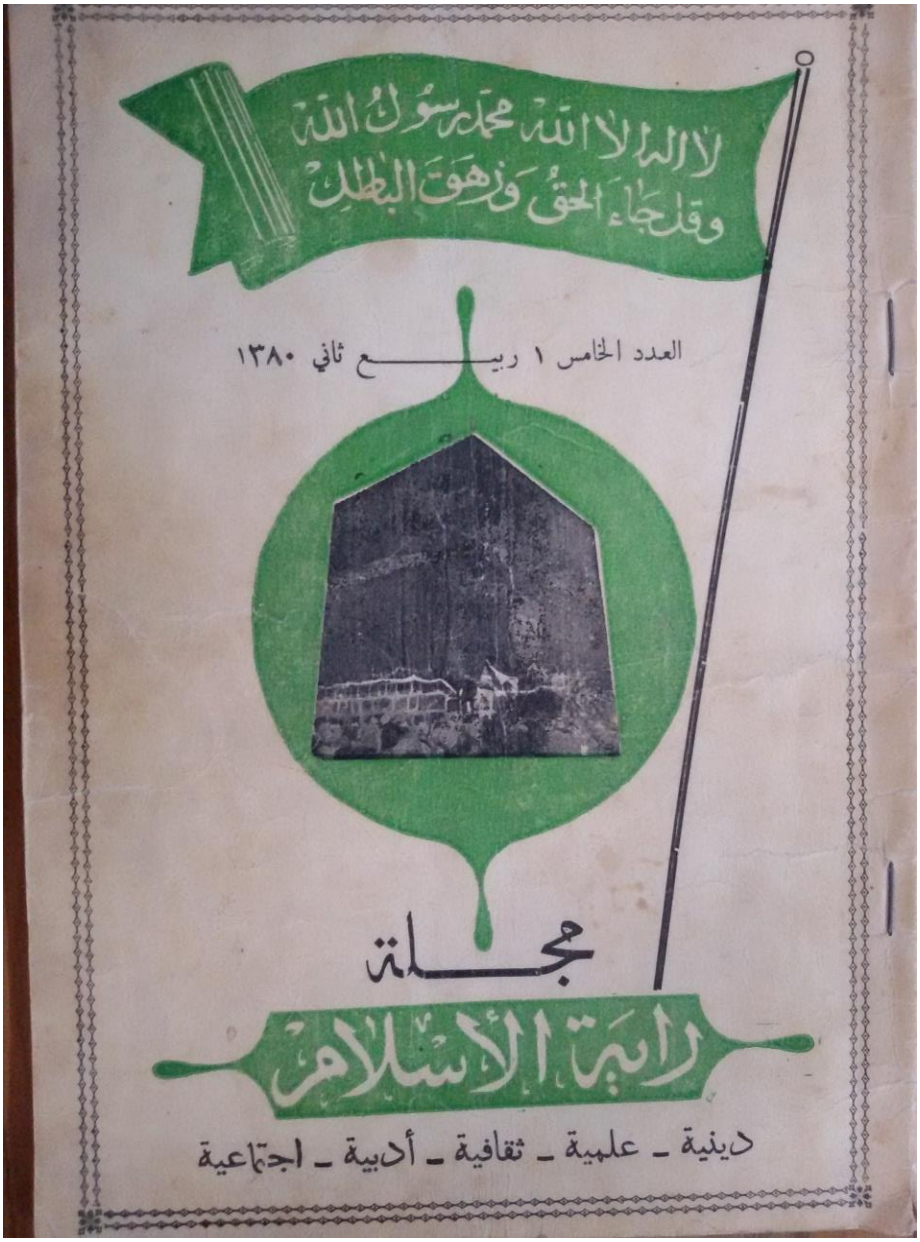
لا اله الا الله محمد رسول الله
وقل جاء الحق وزهق الباطل
العدد الخامس ١ ربيـــــع ثاني ١٣٨٠
مجلة
راية الإسلام
دينية - علمية - ثقافية - أدبية - اجتماعية

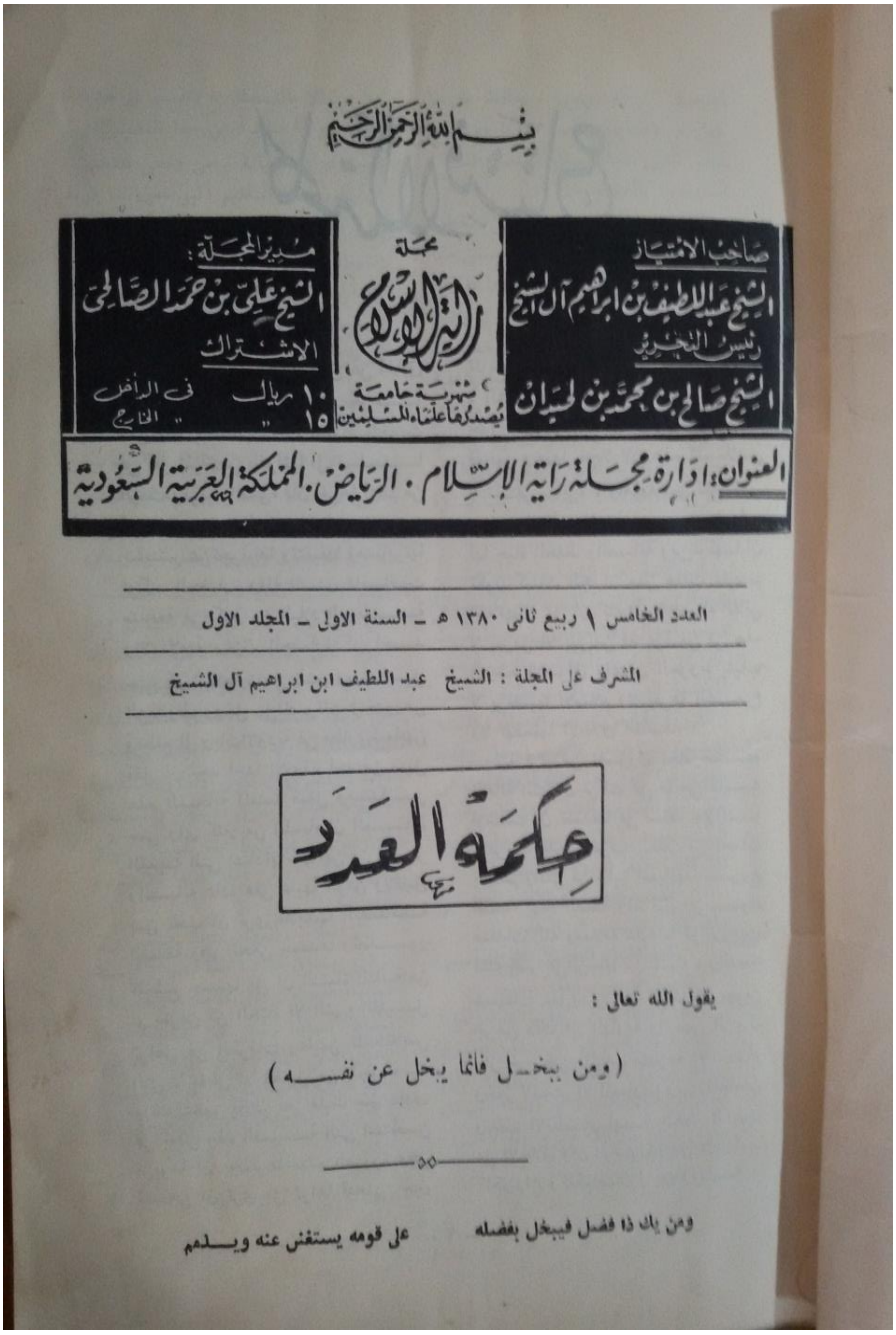

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب الامتياز
الشيخ عبد اللطيف بن ابراهيم آل الشيخ
رئيس التحرير
الشيخ صالح بن محمد بن لحيدان

مجلة
راية الإسلام
شهرية جامعة
يصدرها علماء المسلمين

مدير المجلة:
الشيخ علي بن حمد الصالحي
الاشتراك
١٠ ريال في الرياض
١٥ " الخارج

العنوان: ادارة مجلة راية الإسلام . الرياض . المملكة العربية السعودية

العدد الخامس ١ ربيع ثاني ١٣٨٠ هـ - السنة الاول - المجلد الاول

المشرف على المجلة : الشيخ عبد اللطيف ابن ابراهيم آل الشيخ

كلمة العدد

يقول الله تعالى :

(ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه)

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم

خطاب موجه لشيخ الجامع الازهر

حضرة صاحب الفضيلة شيخ الجامع الازهر الشيخ محمود شلتوت المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته –

وبعد ٠

فقد بلغنى أنكم اذعتم فى العام الماضى خطابا ، فى راديو صوت العرب، تعرضون فيه الوحدة ، بين المذاهب الاسلامية ، وانكم عنيتم بهذه المذاهب مذهب السنة والشيعة وانكم تلقيتم على هذا الاقتراح، برقيات شكر وتهنئة ، من بعض اساطين التشيع فى لبنان وغيرها ، والذى اعرفه عنك يا صاحب الفضيلة أنك رجل بعيد النظر واسع الاطلاع ، عميق التفكير ، ولا أعتقد ان عملاكهذا يصدر منفضيلتكم على ما تعرفونه من بعد الشقة بين هاتين الطائفتين اللتين لم تتفقا ولن تتفقا على شىء من أصول الاسلام او فروعه أن الاختلاف يا سيدى ، بين هاتين الطائفتين يبدأ من كلمة التوحيد ، وينتهى عند الحدود التى ينطوى عليها مفهوم هذه الكلمة ٠ يحده من اليمين كتاب الله ، ويحده من اليسار سنة رسول الله – أما الباطل فلا تحده حدود، بل أنه متاهات واسعة ٠ لا تنتهى بصاحبها الا الى شفا جرف هاو ينهار به الى قاع جهنم ٠

على أى شىء نتفق أو نتحد يا سيدى – على كتاب الله الذى يدعى الشيعة انه حرف وبدل وان القران الذى نسير على هديه غير القرآن الذى نزل على محمد (ص) أم على سنة رسول الله وهى لم تصل الينا الا عن طريق اصحابه الذين يعتبرون فى نظر الشيعة مرتدين لانهم اغتصبوا الخلافة، من على، واعطوها لابى بكر ، أم على اساطير معصوميهم ، وائمتهم الظاهرين والغائبين والمستورين وحجج الله على العالمين ، أم على الاحاديث الملفقة التى نسبوها الى رسول الله ظلما وعدوانا ، وتفريقا بين المسلمين ، أم على تأليههم عليا وذريته من دون الله، واعتقادهم بتصرفهم فى الارزاق، والآجال بل وفى الجنة والنار ، أم على علومهم الظاهرة التى يخدعون بها السذج والبسطاء ، وجهلة العوام ، وعلومهم الباطنة التى لا يوحون بها الا لمن امتحن الله قلبه للايمان ، كقولهم عن صادقهم الكاذب (أن علمنا ثقيل مستثقل لا يحمله الا نبى مرسل أو ملك مقرب أو رجل امتحن الله قلبه للايمان) أم على الطين اللازب الذى خلقنا منه أم على نور الائمة الذين خلقوا منه ، أم على دعاء الندبة ، أم على لطم الخدود ، وضرب الصدور ، فى يوم عاشوراء – أم على علوم الاولين والآخرين ، وعلوم المغيبات التى يدعونها لمعصوميهم ، واصنامهم ، أم على تأوليهم لكتاب الله بما يتفق واغراضهم الدنيئة ٠ أم على قولهم (حب على حسنة لا تضر معها سيئة) و (النظر الى وجه على عبادة) و (ان التمسح على أعتاب قبور معصوميهم براءة من النار) و (ان من بكى أو أبكى أو تباكى فى يوم عاشوراء وجبت له الجنة) و (أن من زار الحسين فى قبره فكأنما زار الله فى عرشه) و (ان للجنة أبوابا من النجف وكربلاء وقم) و (أن زيارة العتبات المقدسة تعدل سبعين حجة مبرورة) و (ان الملائكة

تبسط اجنحتها تحت أقدام زائريها) و (أن شيعة على هم الفائزون يوم القيامة) و (أنه لا يقبل الولاء لاهل البيت الا بالبراءة من اعدائهم) والمقصود باعدائهم بقية الصحابة الكرام ·

على أى شىء يا سيدى نتفق أو نتحد مع اصحاب عقيدة تزيد فى كل يوم وتنقص ، ويضاف اليها فى كل حين ويؤخذ منها ، لو كان الاختلاف بيننا فى جميع الفروع لهان الخطب ، بل انه لا يوجد خطب · ولكن الاختلاف بيننا يبدأ من الاصول · بل هو فى أصل الاصول· وهو التوحيد ، وكتاب الله الكريم ·

أن عقيدة واحدة ــ من العقائد التى تؤمن بها طائفة الشيعة كافية لاعتبار الاسلام بريئا منهم ــ بل أن الاسلام الذى تلبسوا به ، ليس الا استسلاما للصهيونية الماكرة التى انسابت سمومها من انياب ذلك الافعوان الاسود (عبدالله ابن سبأ) اليهودى بعد أن لقحتهم الشعوبية الخبيثة ، بأمصال الاخذ بالثأر لعروش الاكاسرة ، وعبدة النار

وهل اعتراف ايران باسرائيل ، الا دليل قطعى يصرخ فى وجوه من يتجاهلون حقائق التاريخ ، ويدسون رؤوسهم فى التراب ·

لم يصب يا سيدى دين من الاديان كما اصيب دين الاسلام ، بهذه الطائفة المارقة من كل دين · هذه الطائفة التى لا تكتفى بزندقتها والحادها ، بل تريد أن تجر بقية المسلمين الصادقين الى حظيرة السفاسف التى تنبعث العفونات من كل جوانبها ــ ولا يتورعون فى سبيل ذلك عن سلوك أى سبيل ــ لان عقيدتهم « ميكافيلية » الغاية فيها تبرر الوسيلة، انهم لا يتورعون عن سفك الدماء ، واثارة الفتن ودس الدسائس ، وتدبير المؤامرات ونصب الشباك التقوية وهل نسينا الجروح الغائرة التى خلفتها الحرب التى اثارها طواغيت هذه الطائفة على أيدى القرامطة ، وصاحب الزنج ، وابى مجرم الخراسانى ، وبابك الخرمى ، ومزدك ، والاسماعيليين والصفويين والفاطميين ، والعبيدين ، والبويهيين، والعلويين ، والدروز واتباع الصباح وصاحب الرصاصة الاولى التى اصابت قلب الاسلام وغيرهم مما يطول شرحه ·

وهل هذه الحروب ، والفتن التى تلاحقت على الاسلام ، والمسلمين عبر القرون، الا أكبر دليل على أن هؤلاء جميعا ، لم يتلبسوا بالاسلام الا للكيد به، والتربص بأهله ·

الا يوجب علينا الاسلام يا سيدى محاربة هذه الطواغيت، وسحقها، وكيف تجوز منا مداراة من يطعنون فى ديننا ، وقرآننا ، وسنة رسولنا والله سبحانه وتعالى يقول (لايتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء) ويقول تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق) ·

قد تخدعك يا سيدى دعايات المضللين وقد تستدرجك احابيل (دار التقريب بين المذاهب الاسلامية) وحلزونية ثعلبها الماكر ، الذى يتسلح بانكار كل ما ينسب الى الشيعة ويلصقه بطوائف أخرى انشقت عن الامامية ، وانسلخت

عنها تحت الوية طواغيت جديدة وزعامات مستحدثة ، ولكن أوكد لك يا صاحب الفضيلة أن الاصل بين الطوائف الشيعية واحد . وان المنبع الذى يغترفون منه واحد ، وان القاسم المشترك بينهم واحد وان الاختلاف بينهم شكلى لا جوهرى ، وان الفرق بين كل طائفة وأخرى واقع فى اسم الاصنام التى ينحتونها ، والطواغيت التى يلتفون حولها ، لا فرق في ذلك بين أمامى واسماعيلى ، وقاديانى وأحمدى وبهائى وقرمطى ، وشيخى ، وغير ذلك . (لان القاسم المشترك بينهم هو الكفر والكفر واحد لا يتجزأ ، ولا يتنوع) بل انه لا توجد عقيدة من العقائد تجمع بين المتناقضات ، وتستوعب جميع السخافات ، وتتسول من جميع الديانات، وتتوكأ على أغرب الخرافات ، وتلجأ الى مجاهل الحلزونيات ، مثل عقيدة التشيع والتجعفر ، والتسمعل ، والتقرمط ، أو ما يجب أن نسميها عقيدة التصهين ، لان هذا الاسم هو الذى يؤدى اليه معنى جميع المسميات والمعميات ، التى تلبسوا بها ، لاقتراف جريمة الاجهاز على تراث محمد بن عبد الله . (يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) .

وبعد فهذه يا سيدى لمحة خاطفة ، تكشف لك عن ملامح هذه الطائفة ، الموغلة فى السفاسف بسطتها لك على صفحات هذه الرسالة العاجلة ، لتأخذ حذرك، من ثعالبة الدجل وافاعى التدليس الرابضين على مقربة من ازهرك الزاهر ، الذى نصبوه فى عهد الفاطميين لاقتناص الجماعة ، فارتدت فخاخه تطبق على القانصين الغادرين وسلم البلد العزيز لاهله ، وقرت عين الدين بصلاح الدين رضى الله عنه ، ذلك الفاتح العظيم ، الذى كافأه الله على كسر شوكة الصليبيين بكسر شوكة الخونة المتصهينين وطواغيت الفاطميين ، عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ،

فاتق الله يا صاحب الفضيلة ، فى نفسك ، وفى العالم الاسلامى ، الذى يستودعك اثقل الامانات ، ويعقد آماله على بعد نظرك ، باعتبارك المتصدر لمركز الدفاع الاول عن الاسلام ، ومركز الثقل فى جبهة النضال عن الاسلام ، فان الدجل يا سيدى ، لا يحارب بالدجل ، والنفاق الدينى لا يقضى عليه بالنفاق السياسى ، واذا كنا فى حاجة الى الوحدة السياسية لنقضى بها على الاستعمار السياسى ، فهذه الغاية لا تبرر وقوعنا فى فخاخ الاستعمار الدينى واتخاذ الدين وسيلة للتقرب ، وازالة الفوارق، والغاء الحدود المصطنعة ، لا يصح الا مع طائفة تقف معنا فى آمالها ، وآلامها على صعيد واحد . نحن نؤمن يا سيدى ، أن الوحدة السياسية بين جميع البلاد العربية غاية نبيلة ، يجب ان نضحى في سبيلها ، بكل غال ورخيص ، ولكن الوسيلة التى يجب ان نسلكها ينبغى أن تكون نبيلة ايضا .

قل لى ياصاحب الفضيلة بأى شىء نتقرب الى المتزندقين . أبحب على وذريته مع انك تعلم أن محبة على ومن صلح من ذريته ، شىء أصيل فى عقيدتنا ، أم بحب اهل البيت ، وحب أهل البيت عندنا من اصول الاسلام ، بل هو شرط اساسى ، لوجود العقيدة الاسلامية عند المسلم كيف لا ، واهل البيت عندنا هم (محمد صلى الله عليه وسلم) وزوجاته الطاهرات عليهن جميعا رضوان الله ، ورحمته وبركاته ، أما أهل البيت عندهم ، فهم على وذريته ، ومن ذريته عندنا من هو

موضع شك وارتياب ، مثل صادقهم الكاذب ، ومن لف لفه ، واحتطب بحبله، بل ان صادقهم الكاذب اذا صح عندنا كل أو بعض ما يروون عنه من أساطير ، فهو ملحد زنديق ، يجب لعنه ومقته ، ونبرأ الى الله من الصاق التهم بالابرياء ، اننا نمحص الاحاديث التى تروى لنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمحيصا شديدا ، ونأخذها بحذر ، مع انها تصل الينا عن طريق ثقات مشهود لهم بالاستقامة فكيف نصدق ، خبالا واساطير ، يرويها لنا الافاكون ، والمغرضون والمصابون بعاهات مستديمة في ضمائرهم وانسانيتهم

أعتقد يا سيدى أن الحقائق التى بستطتها لك كافية لأن تعطيك فكرة صحيحة عن هذه الطائفة ـ ورجائى اليك أن تعمل على ضوئها بما يمليه عليك الاسلام ، الذى تتكلم باسمه ، كما أرجو ان تعمم على حضرات العلماء نسخا من هذه الحقائق ليشدوا أزرك ، فى وضع مخطط ، يستهدف كشف القناع عن معتقدات هذه الطائفة والرد عليها والتحذير من أحابيلها ، كما يستهدف محاربة البدع ، والخرافات التى يقيمها الرتل الخامس من أصحاب الطرق . والمتاكلين بدينهم ، فهؤلاء هم المطايا الحقيقيون للاستعمار ، وهم الكلاب التى تحرس مصالحه ، بل انهم هم (الفقر والجهل والمرض ، والبلاء الاصم والفتن العمياء) . وليعلم حضرات العلماء الافاضل أنهم لن يستطيعوا حمل رسالة الاسلام ، ومشعل النور الى العالم قبل أن يبدأوا بتطهير الاقرب فالاقرب اليهم ويثقوا بأن الله نصير لمن ينصره . . (وليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا) . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الكويت ابراهيم الجبهان

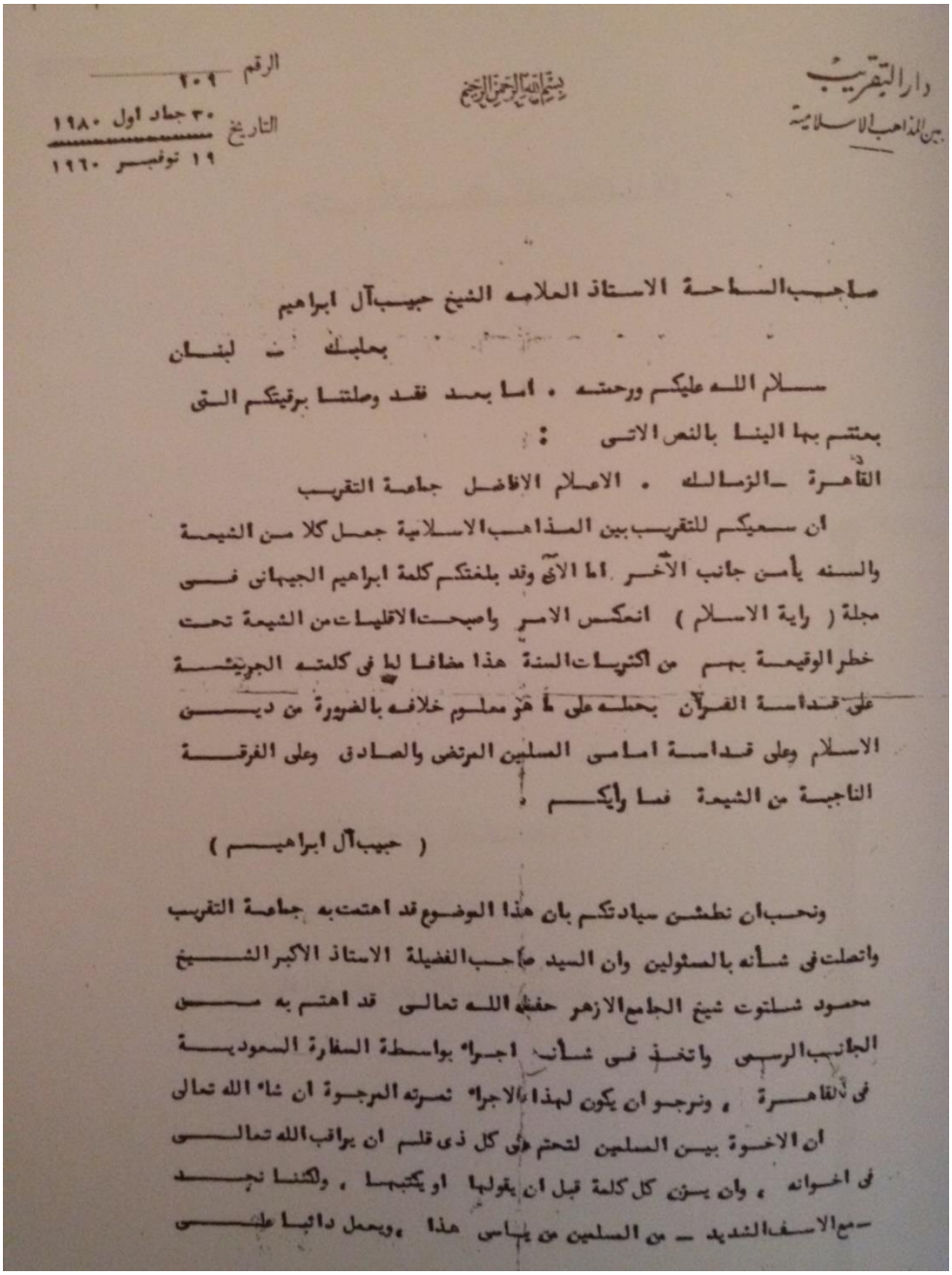

دار التقريب
بين المذاهب الاسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم ٢٠٩
التاريخ ٣٠ جماد اول ١٩٨٠
١٩ نوفمبر ١٩٦٠

صاحب السماحة الاستاذ العلامه الشيخ حبيب آل ابراهيم

بحليك ت لبنان

سلام الله عليكم ورحمته . اما بعد فقد وصلتنا برقيتكم التي بعثتم بها الينا بالنص الاتي :

القاهرة ـ الزمالك . الاعلام الافاضل جماعة التقريب

ان سعيكم للتقريب بين المذاهب الاسلامية جعل كلا من الشيعة والسنه يأمن جانب الآخر اما الآن وقد بلغتكم كلمة ابراهيم الجبهاني في مجلة (راية الاسلام) انعكس الامر واصبحت الاقليات من الشيعة تحت خطر الوقيعة بهم من اكثريات السنة هذا مضافا لما في كلمته الجريئة على قداسة القرآن بحثه على ما هو معلوم خلافه بالضرورة من دين الاسلام وعلى قداسة امامي المسلمين المرتضى والصادق وعلى الفرقة الناجية من الشيعة فما رأيكم .

(حبيب آل ابراهيم)

ونحب ان نطمئن سيادتكم بان هذا الموضوع قد اهتمت به جماعة التقريب واتصلت في شأنه بالمسئولين وان السيد صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الازهر حفظه الله تعالى قد اهتم به من الجانب الرسمي واتخذ في شأنه اجراء بواسطة السفارة السعودية في القاهرة ، ونرجو ان يكون لهذا الاجراء ثمرته المرجوة ان شاء الله تعالى

ان الاخوة بين المسلمين لتحتم على كل ذي قلم ان يراقب الله تعالى في اخوانه ، وان يزن كل كلمة قبل ان يقولها او يكتبها ، ولكننا نجد ـ مع الاسف الشديد ـ من المسلمين من يهاجم هذا ، ويعمل دائبا على

سلطان

سلطان

رسالة الشيخ عبد الكريم الزنجاني الى شيخ الازهر محمود شلتوت

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر دامت فضيلته .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد فان المودة الراسخة منذ سنة ١٣٥٥هـ لم يزدها تقادم العهد إلا قوة الى قوة وصفاء الى صفاء - وكل مودة لله تصفو وتدوم - فانها قائمة على الاعتقاد بأنكم من رسل الصلاح والتجديد وتوحيد كلمة المسلمين ، ومن الأعلام المصطفين الذين وضح الله بهم سبيل الخير للانسانية ، ومن أعداء الجمود والتفرقة والكيد على

المسلمين والفناء فى المادة . ولا تأخذكم فى الله لومة لائم .

وفى هذه الأيام وقع نظرى (فى العدد الخامس من مجلة راية الإسلام الصادرة فى الرياض عاصمة المملكة السعودية فى أول ربيع الثانى سنة ١٣٨٠ هـ) على مقال موجه الى فضيلتكم بتوقيع ابراهيم الجبهان الكويتى الذى حق فيه قول أمير المؤمنين على عليه السلام : (ان هؤلاء القوم قد لبسوا الدين كما يلبس الفرو مقلوباً) واستغربت - كما استغرب العالم الاسلامى - سكوت فضيلتكم عن اعلان استنكار ذلك المقال الشنيع الذى أحدث ضجة عظيمة شاملة واستنكره المسلمون كافة وحجج الاسلام قاطبة بشدة متناهية ، ولا شك فى أنه وحى الشيطان ومن كيد خصوم الاسلام والمسلمين فى هذه الظروف العصيبة وبما أنكم ، أعرف بحقيقة مذهب الشيعة وسائر المذاهب الاسلامية وبما عليكم من المسئولية العظمى فى موضوع ذلك المقال الموجه الى شخصكم بصفتكم شيخ الجامع الازهر فمن المحتم عليكم المبادرة الى ما يجب على فضيلتكم من اعلان واستنكار وإجراء كل ما يلزم فى تعقيبه وإعلامنا النتيجة .

وفى الختام أقدم تحياتى لفضيلتكم ولحضرات العلماء الأساتذة الكرام فى معاهد الأزهر الشريف والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

النجف الاشرف عبد الكريم الزنجانى

سلطان

رسالة الامير عبد الله الصباح الى الشيخ عبد الكريم الزنجاني

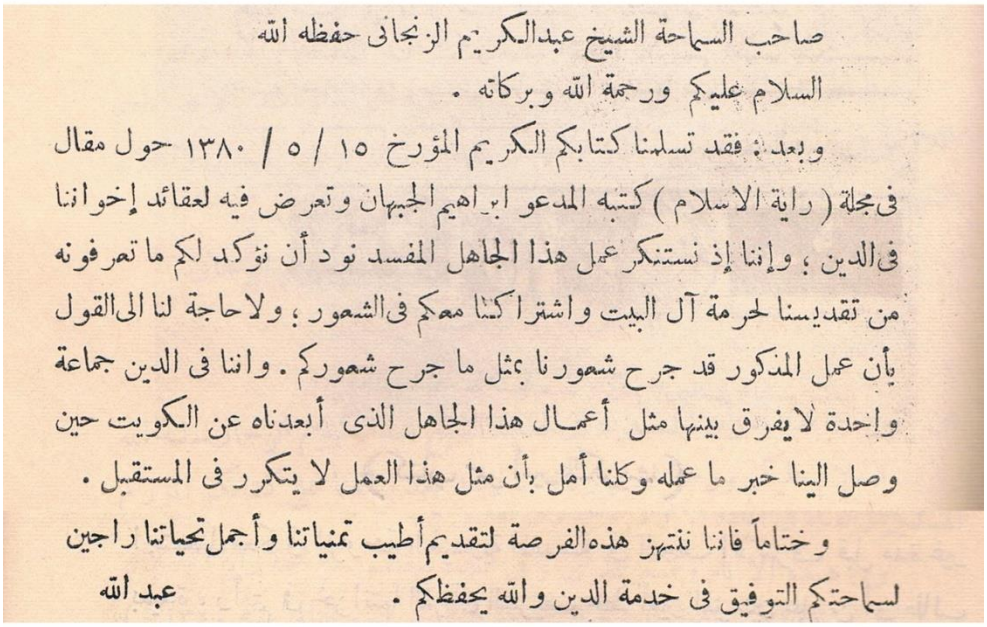

صاحب السماحة الشيخ عبدالكريم الزنجاني حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد: فقد تسلمنا كتابكم الكريم المؤرخ ١٥ / ٥ / ١٣٨٠ حول مقال في مجلة (راية الاسلام) كتبه المدعو ابراهيم الجبهان وتعرض فيه لعقائد إخواننا في الدين ؛ وإننا إذ نستنكر عمل هذا الجاهل المفسد نود أن نؤكد لكم ما تعرفونه من تقديسنا لحرمة آل البيت واشتراكنا معكم في الشعور ؛ ولا حاجة لنا الى القول بأن عمل المذكور قد جرح شعورنا بمثل ما جرح شعوركم . واننا في الدين جماعة واحدة لا يفرق بينها مثل أعمال هذا الجاهل الذي أبعدناه عن الكويت حين وصل الينا خبر ما عمله وكلنا أمل بأن مثل هذا العمل لا يتكرر في المستقبل .

وختاماً فاننا ننتهز هذه الفرصة لتقديم أطيب تمنياتنا وأجمل تحياتنا راجين لسماحتكم التوفيق في خدمة الدين والله يحفظكم .

عبد الله

سلطان

رسالة الشيخ عبد الكريم الزنجاني الى الملك سعود

بسم الله الرحمن الرحيم

جلالة الملك سعود ملك المملكة العربية السعودية عضد الله به الاسلام وآثره با لسلامة والسلام لحماية بيت الله الحرام .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

وبعد: فان اختصاصكم بحماية الحرمين الشريفين يتطلب اهتمام جلالتكم بتشييد اركان الألفة بين طوائف المسلمين الذين يستقبلون الكعبة المكرمة فى صلواتهم ، وجمع كلمتهم لمجابهة الأخطار المحيطة بهم ؛ لأجل ذلك إستغرب العالم الاسلامى سكوت حكومة جلالتكم عن قضية المفسد ابراهيم الجبهان ، الذى أبعدته حكومة الكويت باعتباره أجنبياً وليس من أتباعها فأصبح متنعماً فى الرياض ؛ كسكوتها عن أصحاب مجلة راية الاسلام التى تصدر فى الرياض ، وهى التى نشرت فى عددها الخامس مقال الجبهان المتهاجم على مقدسات الاسلام والمسلمين وكتاب الله المبين وأئمة الشيعة الامامية آل الرسول الأعظم الذين فيهم قال الله تعالى (قل لا اسألكم عليه أجراً الا المودة فى القربى) وقد استنكر مقاله المسلمون عامة أشد الاستنكار بألوف من البرقيات والرسائل الواصلة من أنحاء العالم الاسلامى .

فا لمصلحة الاسلامية تقضى بوجوب المبادرة الى اتخاذ أشد الاجراءات اللازمة فى هذه القضية المهمة المثيرة لفتنة عظيمة والتفرقة بين المسلمين واعلان النتيجة على العالم الاسلامى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

النجف الاشرف عبد الكريم الزنجانى

سلطان

رسالة محمد محمد المدني الى الشيخ حبيب آل ابراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب السماحة الاستاذ العلامة الشيخ حبيب آل ابراهيم - بعلبك : لبنان .

سلام الله عليكم ورحمته ، أما بعد فقد وصلتنا برقيتكم . . . ونحب أن نطمئن سيادتكم بأن هذا الموضوع قد اهتمت به جماعة التقريب واتصلت في شأنه بالمسؤولين ، وان السيد صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الازهر حفظه الله قد اهتم به من الجانب الرسمي واتخذ في شانه إجراء بواسطة السفارة السعودية في القاهرة ، ونرجو أن يكون لهذا الاجراء ثمرته المرجوة ان شاء الله تعالى .

إن الاخوة بين المسلمين تحتم على كل ذي قلم أن يراقب الله تعالى فى إخوانه وأن يزن كل كلمة قبل أن يقولها او يكتبها ، ولكننا نجد - مع الاسف الشديد - من المسلمين من يتنامى هذا ، ويعمل دائماً في تعكير الصفو ، وان ما كتبه هذا الكاتب لمملوء بالسقطات مشحون بالاتهامات التي يلقيها جزافاً على اسلوب العامة ، ونحن نعتقد ان خاصة اهل العلم من المسلمين في كل شعب لا يرضيهم ذلك ولا يصدقونه ولا يعولون عليه لافي قليل ولا كثير ، فكم مر بالمسلمين في العصور المختلفة من مثيري الفتن ومورثي نيران العصبية ولكنهم والحمد لله باؤا بالفشل وبقي الاسلام قوياً ظاهراً ترفرف على شعوبه راية الاخوة ، وان وجود امثال هؤلاء ليمثل الحشرجة الاخيرة للعصبية بغير الحق ، فذروهم وما اختاروا لانفسهم من خطة السوء والتفريق ، واعلموا ان الشيعة والسنة اخوان بفضل الله لايمكن ان يصاب احد منهم بالسوء من اصحابه في مثل هذا العهد الحاد من تاريخ العروبة الذي يؤلف بين القلوب على مصلحة الشعوب في شتى أنحاء الامة الاسلامية والذي لايمكن ان يسمح بأثارة فتنة كهذه تعصف بالامن والمحبة بين الشعوب العربية والاسلامية .

والله المسؤول ان يحفظ المسلمين من كيد اعدائهم ويقيهم شر الفتن ، ماظهر منها وما بطن ، والسلام عليكم وعلى اخواننا المسلمين من شيعة وسنة اجمعين .

السكرتير العام لجماعة التقريب بين المذاهب الاسلامية بالقاهرة

محمد محمد المدني

عميد كلية الشريعة بالجامعة الازهرية

رسالة علماء النجف الى الامير عبد الله الصباح

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : في الظرف الذي ينهض فيه أعلام الاسلام في شتى أنحاء المعمورة لرص صفوف المسلمين وتوحيد كلمتهم ، وشجب الفوارق المصطنعة التي خلقتها السياسة المعادية للاسلام ؛ ينبري عميل من عملاء الكفر والالحاد في مجلة (راية الاسلام) فيطعن ببذيء القول ؛ في الشيعة وهم ثلث الاسلام وينال من قدس أئمتهم « ع » تفريقاً لشمل المسلمين وتفتيتاً لوحدتهم وتحقيقاً لأماني الملحدين .

فالهيئات العلمية في النجف الاشرف اذ تستنكر هذا العمل المشين بشدة تطلب من حكومة الكويت المسلمة إنزال أشد العقوبات بالمفترى الكويتي ليعتبر بذلك غيره من المأجورين ولتطمئن النفوس التي ساورها القلق وذهبت بها الظنون .

الجواب : فضيلة الشيخ محمد الجواد الشيخ راضي واخوانه الافاضل ـ النجف

تلقينا برقيتكم ويؤسفنا مثل هذه المحاولة الآثمة لاثارة الفتنة بين صفوف المسلمين ، نود إعلامكم بأن الطاعن ليس كويتياً وقد جرى إبعاده من البلاد ، ونحن اذ نحرص كل الحرص ألا يظهر بين الصفوف من يحمل هذه الروح البغيضة نحيي فيكم غيرتكم واهتمامكم .

عبد الله المبارك الصباح

سلطان

الملخص

تمتعت المرجعية الدينية في النجف الاشرف بمكانة مهمة في نفوس المسلمين بشكلٍ عام على اختلاف مذاهبهم وذلك لجذورها التاريخية الضاربة في عمق التاريخ من جهة ودور علمائها في اثراء المكتبات بعلومهم التي اختصوا فيها ومواقفهم الداعمة في الحفاظ على وحدة المسلمين وفضح المؤامرات الاستعمارية التي طالما لوحت ببث الفرقة المذهبية والطائفية وكانت ورقتها في الضغط على الشعوب من جهة ثانية.

درس البحث المعنون (دور المرجعية الدينية في مواجهة الخطاب المتطرف-خطاب إبراهيم الجبهان انموذجا) موقفها من الخطاب المتطرف وعدم السماح لأي أحد أن يستغل الدين لإشعال الفتنة بين المسلمين آخذا خطاب إبراهيم الجبهان الكويتي الأصل الذي وجهه الى شيخ الازهر سنة ١٩٦١ ونشرته مجلة (راية الإسلام) السعودية انموذجا.

تم تشخيص أسباب ودوافع نشر هذا الخطاب وانبرى عدد من رجال المرجعية على مختلف درجاتهم العلمية للرد على هذا الخطاب وبيان خطورته لأنه تعرض ولأول مرة لشخصية احدى شخصيات الائمة الاثنى عشر وهو الامام جعفر الصادق (عليه السلام) وبيّنوا الجهات المستفيدة من نشر مثل هذه الخطابات فهناك من رد على ذلك الخطاب بمقال نشره في مجلة أمثال العلامة المحقق الثبت اغا بزرك الطهراني ومنهم من لم يكتفِ بذلك بل أخذ على عاتقه مراسلة جهات رسمية وحكومية كما هو الحال في الرسائل التي أرسلها العلامة الشيخ عبد الكريم الزنجاني الى كل من أمير الكويت وملك السعودية وشيخ الازهر فضلاً عن مخاطبة مجموعة من رجال الدين للجهة المذكورة انفا.

حرص الباحث على نشر نص الخطاب الذي نشرته مجلة راية الإسلام ومجموعة من الرسائل والمخاطبات التي حدثت بين مجموعة من شخصيات المرجعية الدينية سواء النجفية منها أو اللبنانية ووضعها ضمن الملاحق ليقف القارئ على مدى أهمية الموضوع ومدى خطورته وكيفية تعامل المرجعية الدينية مع مثل هذه المحاولات من خلال شخصياتها الدينية التي طالما ما كان لها دور فعال في وأد مثل هذه الفتن وقتلها في مهدها للحفاظ على وحدة صف المسلمين.

الهوامش:

---

(١) العقيقي البخشياشي،كفاح علماء الإسلام في القرن العشرين،(بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٢)، ص١٩٩.

(٢) محمود شلتوت (١٨٩٣-١٩٦٣م) ولد الشيخ محمود شلتوت في مدينة بني منصور في مركز ايتاي البارود مديرية البحيرة ، أتم حفظ القران والتحق بمعهد الإسكندرية الديني ١٩٠٦م، نال الشهادة العالمية من جامع الأزهر ١٩١٨م، عين مدرسا بالقسم العالي ثم بالجامع الأزهر بالقاهرة ١٩٢٧م، فصل من الأزهر ١٩٣١م بسبب مناصرته لحركة إصلاح الأزهر، عمل بسلك المحاماة في القضايا الشرعية بين عامي ١٩٣١-١٩٣٥م، نال عضوية مجمع اللغة العربية في القاهرة ١٩٤٦م، اشترك بتأسيس دار التقريب بين المذاهب الإسلامية ١٩٤٦م، عين شيخا للأزهر في الحادي والعشرين من تشرين الأول ١٩٥٨م، استقال منه في السادس من آب سنة ١٩٦٣م، توفي بالقاهرة . حسن سلهب، الشيخ محمود شلتوت قراءة في تجربة الإصلاح والوحدة الإسلامية، (بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ٢٠٠٨م)، ص٢١-٢٣؛ للتفاصيل. ينظر: محمد رجب البيومي، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، (بيروت: الدار الشامية،١٩٩٥م)، ج١، ص٤٤٧-٤٦٧.

(٣) دار التقريب بين المذاهب: أنشأ بالقاهرة سنة ١٩٤٧م ترأسه المصلح (محمد علي علوبه باشا) بتأييد من الإمام المراغي والإمام عبد المجيد سليم والإمام مصطفى عبد الرزاق وكلهم من رؤساء التوجيه الإسلامي في الشرق، تأسس بعد حضور احد كبار علماء الشيعة (محمد تقي القمي) ليقرب بين مفكري المذهبين الأساسيين في الإسلام، دعا إلى نبذ الخلاف وتلافي الشقاق، أكدت إن القران الكريم والسنة المطهرة هما أساس الدين. محمد رجب البيومي، المصدر السابق، ج١، ص٤٥٨؛ المعاونية الثقافية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، الإمامان البروجوردي

وشلتوت رائدا التقريب (مجموعة مقالات)، (طهران: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ٢٠٠٤م)، ص١١٥.

(٤) الأزهر: المسجد وجامعة في القاهرة ، بنى المسجد جوهر الكاتب الصقلي (الياس الصقلي) بعد عام من فتح الفاطميين لمصر، فتح للصلاة في شهر رمضان ٣٦١هـ/٩٧٢م ، أما الجامعة انتظمت بأخر قانون لها (١٥ تشرين الثاني سنة ١٩٣٠م) صدر مرسوم بقانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠م بإعادة تنظيم الجامع الأزهر والمعاهد الدينية والإسلامية. مجموعة من المستشرقين، دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة: محمد ثابت الفندي وآخرون، (تهران: انتشارات جهان، د.ت)، مج٢، ص٥١-٧٣.

(٥) إبراهيم الجبهان لم يعثر الباحث على ترجمة له.

(٦) مجلة راية الإسلام: مجلة شهرية يصدرها علماء المسلمين في الرياض بالمملكة العربية السعودية صاحب امتيازها عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ، ورئيس تحريرها صالح بن محمد بن لحيدان. ((راية الإسلام)) (مجلة)، العدد ٥، السنة ١، الرياض، (١ ربيع الثاني، ١٣٨٠هـ).

(٧) للتفاصيل. ينظر: الملحق ص٢٢.

(٨) إبراهيم الجبهان ، خطاب موجه لشيخ جامع الأزهر، ((راية الإسلام)) (مجلة)،العدد٥،السنة١،الرياض،(١ ربيع الثاني، ١٣٨٠هـ)، ص١٤ ؛ للتفاصيل . ينظر: الملحق ص٢٣-٢٤.

(٩) أغا بزرك الطهراني(١٨٧٦-١٩٦٩م) ولد الشيخ محمد محسن الطهراني في طهران سنة ١٨٧٦م، استفاد محمد محسن من الخصائص العلمية لأسرته، تلقى تعليمه الاولي في مدارس طهران، زار العتبات المقدسة في العراق سنة ١٨٩٥م، بقي مدة سنة كاملة، في سنة ١٨٩٧م عاد إلى العراق، استقر في النجف الاشرف لينهل العلوم الإسلامية على كبار العلماء أمثال: الميرزا حسين النوري، السيد مرتضى الكشميري، الشيخ محمد طه نجف، الميرزا حسين الخليلي، الشيخ كاظم الخراساني، السيد كاظم اليزدي وغيرهم، في سنة ١٩١٢م انتقل إلى سامراء لحضور درس محمد تقي الشيرازي، استمر إلى عام ١٩١٧م أهم آثاره العلمية: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، طبقات أعلام الشيعة، مصفي المقال في مصنفي علم الرجال توفي سنة ١٩٦٩م . عبد الكريم آل نجف، من أعلام الفكر والقيادة المرجعية، (بيروت: دار المحجة البيضاء،١٩٩٨)، ص٣٣٩-٣٦٠؛ نور الدين الشاهرودي، أسرة المجدد الشيرازي، (د.م، د.ت)، ص٢٢٦-٢٢٩.

(١٠) مجلة المعارف: مجلة تعنى بالعلم والأدب والتاريخ والاجتماع صدرت في مدينة النجف الاشرف سنة ١٩٥٨ واستمرت مدة سنتان وأغلقت سنة ١٩٦١ لأسباب مالية رئيس تحريرها العلامة السيد (محمد حسن الطالقاني) صدرت بواقع عشرين عدد كل سنة عشرة أعداد. للتفاصيل. ينظر: فائق بطي، الموسوعة الصحفية العراقية، (بيروت: دار المدى للثقافة والنشر، ٢٠١٠)، ص٣١٠؛

محسن عدنان الجشعمي، مجلة المعارف النجفية ١٩٥٨-١٩٦١ دراسة تاريخية، (بابل: مؤسسة دار الصادق الثقافية، ٢٠١٥)، ص١٥٨-١٨٧.

(١١) سورة الحجرات ، آية: ١٠.

(١٢) المذاهب الأربعة هي: الحنفي والمالكي والحنبلي والشافعي.

(١٣) جامع الأزهر: بدأ العمل به في ٢٤ جمادى الأولى ٣٥٩هـ/٤ نيسان ٩٧٠م، تم بنائه في شهر رمضان ٣٦١هـ/ ٩٧٤م، أمر ببنائه المعز لدين اللّه على يد عبده جوهر الصقلي، ارتبط تاريخه بتاريخ القاهرة جدد عدة مرات اولها بعد اربع سنوات من بنائه بأمر الخليفة العزيز باللّه بن المعز لدين اللّه. للتفاصيل. ينظر: احمد فكري، مساجد القاهرة ومدارسها، ط٢، (القاهرة: دار العارف، د.ت)، ج١، ص٤١.

(١٤) ابو القاسم جعفر بن الحسن الحلي (٦٠٢-٦٧٦هـ/١٢٠٥-١٢٧٧م) أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد الحلي نشأ في بيئة دينية في مدينة الحلة درس على خيرة الاساتذة منهم: الحسن بن يحيى الحلي، ابو ابراهيم نجيب الدين بن ابي البقاء، السيد شمس الدين ابو علي الموسوي وغيرهم اشتهر بالفضل والعلم والتحقيق والفصاحة والبلاغة والشعر والادب ، كان عظيم الشأن، جليل القدر، رفيع المنزلة، له شعر جيد وانشاء حسن له تصانيف عدة محققة منها: شرايع الاسلام جزاءان، كتاب النافع في مختصره مجلد، توفي في ١٣ ربيع الثاني ٦٧٦هـ المصادف ١٣ من ايلول ١٢٧٧م، ودفن في مدينة الحلة . محمد امين نجف، علماء في رضوان اللّه نبذة يسيرة عن حياة (١٧٠) عالما، (النجف الاشرف: مطبعة الفرقان، د.ت)، ص٧٠-٧١.

(١٥) محمد تقي القمي (...-١٣٤٤هـ/ ...-١٩٢٥م) السيد محمد تقي بن السيد اسحاق القمي، عالم اديب، وورع صالح، له: الدرة البيضاء والتبصرة المنظومة، توفي يوم الجمعة ٢٤ جمادي الاولى ١٣٤٤هـ/التاسع من كانون الاول ١٩٢٥م. اغا بزرك الطهراني، طبقات اعلام الشيعة، نقباء البشر في القرن الرابع عشر، (النجف الاشرف: المطبعة العلمية، ١٩٥٤) ، ج١، ص٢٤٥.

(١٦) احمد حسن الباقوري: من مواليد باقور في الصعيد الاعلى، تخرج من الازهر الشريف واصبح من علمائها الاعلام، عين وزيرا للأوقاف بعد ثورة يوليو ١٩٥٢م اهم اثاره: مع كتاب اللّه، مع الصائمين، سعى لنشر كتاب (المختصر النافع) في فقه الشيعة الامامية. مرتضى الرضوي، مع رجال الفكر في القاهرة، (القاهرة: مطبعة حسان، ١٩٧٤)، ص٥٢.

(١٧) سورة الكهف، اية: ٥.

(١٨) ((المعارف)) ،العدد ٩-١٠ ،السنة٢، (كانون الثاني وشباط ١٩٦١م) ،ص٢٠-٢٣.

[١٩] محمد حسن الطالقاني (١٩٣١-٢٠٠٣م) السيد محمد حسن بن عبد الرسول بن مشكور بن محمود بن عبد الله بن احمد بن حسين بن الحسن الشهير بـ(مير حكيم) وينتهي نسبه الى زيد الشهيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (عليهم السلام) عالم جليل، اديب كبير ، شاعر مجيد، اباؤه الى الجد الثاني عشر علماء وفقهاء وعدد منهم شعراء، ولد في النجف الاشرف، نشأ على والده نشأة عالية، تدرج في طلب العلم، درس على كبار علماء عصره كبشير الشوكيني، السيد ابو القاسم الخوئي، وغيرهم، لازم الشيخ (اغا بزرك الطهراني) عشرين سنة اخذا منه علوم الحديث والرجال، له رغبة في التأليف والتنقيب، ومن تصانيفه: اعيان الشيعة في الهند، غاية الاماني، وله في التحقيق ديوان (موسى الطالقاني) وغيره ومن تآليفه كتاب (الشيخية). اغا بزرك الطهراني، طبقات اعلام الشيعةنقباء البشر ...، ج١، ص٤٠٧؛ كاظم عبود الفتلاوي، مستدرك شعراء الغري، (بيروت: دار الاضواء، ٢٠٠٢)، ج٢، ص٢٨٩-٣٩٢.

[٢٠] ((راية الاسلام)) (مجلة)،العدد٥ ، السنة١، المملكة السعودية، (١ ربيع الثاني ١٣٨٠هـ) ، ص١٢.

[٢١] ((المعارف)) ،العدد٩-١٠،السنة٢، (كانون الثاني وشباط ١٩٦١م) ،ص١٣.

[٢٢] ((راية الاسلام)) (مجلة) ،العدد٥ ، السنة١ ، المملكة السعودية، (١ ربيع الثاني ١٣٨٠هـ) ، ص١٣.

[٢٣] مرتضى العسكري (١٩١٣-٢٠٠٧م) مرتضى بن محمد اسماعيل العسكري، باحث كبير في التراث والتاريخ الاسلامي، ولد في سامراء نشأ يتيم الاب تعلم القراءة والكتابة في المنزل، بدأ دروسه في حوزة سامراء دارسا فيها علوم العربية والمنطق وشيئا من الفقه، ارتحل الى قم سنة ١٩٣١م لمتابعة دراسته على السيد شهاب الدين المرعشي، روح الله الخميني وغيرهم، عاد الى سامراء سنة ١٩٣٤م وبقي فيها عشر سنين يدرس على اساتذتها، انتقل الى بغداد سنة ١٩٤٣م، اسس بمساعدة السيد محسن الحكيم عددا من المدارس، غادر العراق متجها الى ايران مؤسسا فيها كلية اصول الدين، من مؤلفاته كتاب خمسون ومائة صحابي مختلق ، احاديث ام المؤمنين عائشة، توفي في طهران . جعفر المهاجر، اعلام الشيعة، (بيروت: دار المؤرخ العربي، ٢٠١٠)، ج٣، ص١٤٦٠-١٤٦١.

[٢٤] للتفاصيل. ينظر: مرتضى العسكري، عبد الله بن سبأ المدخل بحث وتحقيق فيما كتبه المؤرخون والمستشرقون عن (ابن سبأ) وقصص اسلامية اخرى منذ القرن الثاني الهجري حتى اليوم، ط٢، (القاهرة: مطابع دار الكتاب العربي، ١٣٨١هـ).

[٢٥] كعب الاحبار (...-٣٢هـ/...-٦٥٢م) كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، تابعي كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، اسلم في زمن ابي بكر، قدم المدينة ايام دولة عمر، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم اكثر اخبار الامم الغابرة، اخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة،

خرج الى الشام فسكن حمص توفي فيها عن عمر مائة واربع سنين. خير الدين الزركلي، الاعلام، ط١٦، بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٥)، ج٥، ص٢٢٨.

(٢٦) سورة التوبة، اية: ٣٠.

(٢٧) امين الحسيني (١٨٩٥-١٩٧٥م) ولد امين بن طاهر الحسيني في القدس، تلقى تعليمه في بيت ابيه تعلم القران الكريم واللغة العربية، درس اللغة الفرنسية في مدرسة الفرير، أتم تعليمه في الازهر بالقاهرة، التحق بالكلية العسكرية في استانبول سنة ١٩١٤م، تخرج برتبة ضابط، انضم الى جيش الشريف بن حسين بهدف إقامة دولة عربية مستقلة، عاد الى بلاده بعد صدور وعد بلفور ١٩١٧م ليبدأ كفاحه ضد اليهود والانكليز، حكم عليه غيابيا فبقي متنقلا بين لبنان والعراق إذ ساند حركة ١٩٤١م وارتحل الى تركيا وبلغاريا واستقر بألمانيا اربعة سنوات ليعود بعدها الى سوريا ولبنان توفي سنة ١٩٧٥م ودفن بمقبرة الشهداء. اسيمة جاتو، موسوعة الالف عام شخصيات صنعت التاريخ، ط٢، (القاهرة: دار العارف، د.ت)، ص٧٠.

(٢٨) محمد حسين آل كاشف الغطاء (١٨٧٦-١٩٥٣م) بن الشيخ علي بن الشيخ محمد رضا بن الشيخ موسى بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء النجفي، ولد في النجف الاشرف، كان عالما أصوليا فقهيا، كاتبا، بارعا، بحاثة مؤرخا، أديبا، شاعرا، انفرد بالزعامة والرئاسة في العراق، حضر مؤتمر القدس الإسلامي في الرابع من كانون الاول ١٩٣١م وقد اثبت وجودا للمسلمين في العالم الغربي والشرقي وللمذهب الشيعي خاصة قرأ على: الميرزا باقر الاصطهباناتي، احمد الشيرازي، الشيخ كاظم الاخوند الخراساني، السيد محمد كاظم اليزدي له عدة مؤلفات: المراجعات الريحانية، الدين والإسلام وغيرها، توفي في (كرند) فجأة بعد صلاة الفجر ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م، دفن في النجف الاشرف. محمد مهدي الموسوي الاصفهاني، أحسن الوديعة في تراجم مشاهير الشيعة، (النجف الاشرف: المطبعة الحيدرية،١٩٦٨م)، ج٢، ص٢٦٠.

(٢٩) سافر الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء الى فلسطين مع العلامة الشيخ (عبد الرسول كاشف الغطاء) لحضور المؤتمر الاسلامي في فلسطين ، واصدر منشور جمعية الدفاع عن فلسطين. للتفاصيل. ينظر: كاظم الكفائي، بين جامعة الامام الشيخ علي كاشف الغطاء في النجف ومجمع البحوث الاسلامية في القاهرة، (النجف الاشرف: مطبعة الآداب، ١٩٧٤)، ص٥٧-٦١.

(٣٠) جمعية الرابطة الادبية: تأسست ١٣٥١هـ/١٩٣٢م وهي جمعية ادبية رسمية جاءت كفكرة من عقول لفيف من شباب العلم لإيجاد رابطة تجمع بين الادباء والمفكرين لتكون واسطة بينها وبين ادباء الامة العربية وعلمائها، وتقوم بإلقاء محاضرات اسبوعية والمؤسسون لها الشيخ محمد علي البلاغي والسيد عبد الوهاب الصافي. حيدر المرجاني، النجف قديما وحديثا، (بغداد: مطبعة دار السلام)، ج٢، ص٨٥.

(٣١) حرب ١٩٤٨م: حدثت بفلسطين بين الجيوش العربية (العراقية والسورية والاردنية والمصرية) وقوات اليهود اثر اعلان دولتهم وانتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين في ١٥ ايار ١٩٤٨م حققت خلالها القوات العربية نجاحا كبيرا في الجولات الاولى، الا ان اليهود وبمساعدة اميركا سارعوا لمجلس الامن الذي اصدر قرارا بوقف النار في ٢٢ ايار، استأنف القتال في ٩ تموز رغم وصول التعزيزات الى القوات اليهودية خلال مدة الهدنة وعدم وجود قيادة مسيطرة للجيوش العربية فأحرزت تقدما بنواحي معينة ثم جاء قرار مجلس الامن لوقف اطلاق النار في ١٩ تموز فعقدت معاهدات الهدنة بين الجيوش العربية، باستثناء العراق، والقوات اليهودية ضمت خلالها منطقة غزة ورفح الى مصر والضفة الغربية الى الاردن واوجدت مناطق حرام بين الحدود السورية واللبنانية واليهود . هيثم هلال، موسوعة الحروب، (بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٨م)، ص٤٦٠-٤٦٣.

(٣٢) محمد رضا بهلوي (١٩١٩-١٩٨٠م) خلف والده بعد استقالته ١٩٤١م تحت ضغط الحلفاء الذين سيطروا على ايران بعد الحرب العالمية الثانية، عارض تأميم النفط الذي اقدم عليه رئيس الوزراء الإيراني محمد مصدق في مطلع الخمسينات من القرن العشرين، طرده مصدق لكنه سرعان ما عاد بدعم من الولايات المتحدة الامريكية، قام بعدة اعمال في ايران كتوزيع الاراضي على الفلاحين وتشييد المدارس وتعزيز الاجهزة الامنية، اطيح بحكمه مطلع ١٩٧٩م بعد قيام الثورة الاسلامية في ايران. عبد الفتاح ابو عيشة، موسوعة القادة السياسيين عرب واجانب، (عمان: دار اسامة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م)، ص٤٦-٤٧.

(٣٣) ((المعارف)) ،العدد٩-١٠ ،السنة٢، (كانون الثاني وشباط ١٩٦١م) ،ص٥١.

(٣٤) عبد الكريم الزنجاني (١٨٨٦-١٩٦٨م) بن رضا بن محمد حسن بن محمد علي. ولد في قرية (باروت) احدى قرى مدينة زنجان من اسرة عربية عرف عنها حب العلم وفنون الادب والفلسفة، نشأ بها وتتلمذ على افذاذ حوزتها، درس الرياضيات والفلسفة والالهيات الى جانب الطبيعيات، في عام ١٩٠٨م انتقل الى طهران وبعدها الى النجف الاشرف، حضر فيها على الملا محمد كاظم الاخوند، انتقل الى شيخ الشريعة الاصفهاني، السيد محمد كاظم اليزدي، رحل الى مصر وغيرها من البلاد العربية والاسلامية له: جامع المسائل في الفقه، ذخيرة الصالحين في الفقه. كاظم عبود الفتلاوي، المنتخب في اعلام الفكر والادب، (بيروت: مؤسسة المواهب للطباعة والنشر، ١٩٩٩)، ص٢٧٢-٢٧٣.

(٣٥) المقصود في ذلك رحلة الشيخ الزنجاني لمصر زائرا فيها عددا من المراكز الدينية والمعاهد العلمية المنتشرة في العاصمة بالقاهرة ، كما زار الازهر الشريف مساء يوم الثلاثاء العاشر من تشرين الثاني ١٩٦٣م، فاستقبله شيخ الازهر محمد مصطفى المراغي مع عدد من العلماء والوزراء. للتفاصيل. ينظر: محمد سعيد آل ثابت، الشيخ الزنجاني والوحدة الاسلامية مقتطفات من حياة مسيرة رسول الوحدة الاسلامية اية الله الشيخ الزنجاني النجفي، (طهران: مطبعة

نكارة،٢٠٠٦م)، ص٤٤-٦٠. محمد هادي الدفتر، صفحة من رحلة الامام الزنجاني وخطبه في الاقطار العربية والعواصم الاسلامية، ط٣، (بيروت: مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع،١٩٦٦م)، ج١، ص٢٦٩-٣١٣؛ محمد جواد جاسم الجزائري، الشيخ عبد الكريم الزنجاني دراسة تاريخية ١٨٨٦-١٩٦٨، (بيروت: مؤسسة دلتا للطباعة ،٢٠١٠م)، ص١٢٩-١٣٨.

(٣٦) ((العرفان)) (مجلة) ، مج٤٨، ج٥-٦، (كانون الثاني وشباط، ١٩٦١) ، ص٦١٢؛ ((المعارف)) (مجلة)، العدد٩-١٠،السنة٢، (كانون الثاني وشباط ١٩٦١م) ،ص٣٨-٣٩. للتفاصيل. ينظر: ملحق ص٢٦.

(٣٧) عبد الله السالم الصباح (١٨٩٥-١٩٦٥م) تولى حكم الكويت في الخامس والعشرين من شباط١٩٥٠م، في عهده حدثت تعديلات في اتفاقية النفط مع شركة النفط الكويتية التابعة لبريطانيا فأصبحت حصتها ٥٠٪، الغى حماية بريطانيا واعلن استقلال الكويت في ١٩حزيران١٩٦١م، ناصر نضال العرب في اقطار المغرب العربي، ساند عبد الناصر ابان العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦م، ايد القضية الفلسطينية، اصدر الدستور الكويتي ١١ من تشرين الثاني١٩٦٢م وانشأ اول برلمان في ١آيار١٩٦٣م توفي في تشرين الثاني ١٩٦٥م. فؤاد شاكر، رجال صاغوا القرن العشرين، ط٢، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية)، ج١، ص٧٩-٨١؛ حسن سليمان محمود، الكويت ماضيها وحاضرها، (منشورات المكتبة الاهلية، د.ت)، ص١٧٣-١٧٤.

(٣٨) بهذا الموضوع اشار الجبهان في خطابه (على اي شيء نتفق او نتحد يا سيدي على كتاب الله الذي يدعي الشيعة انه حرف وبدل وان القران الذي نسير على هديه غير القرآن الذي نزل على محمد (ص)). ((راية الاسلام)) (مجلة)، العدد ٥، السنة ١، المملكة السعودية، (١ ربيع الثاني ١٣٨٠هـ)، ص١٢.

(٣٩) ((العرفان)) (مجلة) ، مج٤٨، ج٥-٦، (كانون الثاني وشباط، ١٩٦١) ، ص٦١٣-٦١٤ ؛ ((المعارف)) (مجلة)، العدد٩-١٠،السنة٢، (كانون الثاني وشباط ١٩٦١م) ،ص٣٧-٣٨. للتفاصيل. ينظر: ملحق ص٢٧.

(٤٠) سعود بن عبد العزيز آل سعود (١٩٠٢-١٩٦٩م) ولد في الكويت ونشأ في الرياض، قرأ على بعض مشايخها، شارك مع ابيه الملك عبد العزيز في بناء المملكة السعودية، اصبح وليا للعهد في ١٩٣٣م تولى رئاسة الوزراء ١٩٥٣م عند تنظيم اول مجلس وزاري وفي السنة نفسها تولى المملكة قام بعدة اعمال ومشاريع في بلاده، نتيجة للاضطراب المالي والاداري اصدر اعيان وعلماء آل سعود في ٣٠ آذار ١٩٦٤م بخلعه ومبايعة اخيه فيصل، رحل سعود بأهله الى اثينا إذ توفي فجأة في الفندق فعادوا بجثمانه الى السعودية ودفن بالرياض. محمد بو ذينة، مشاهير القرن العشرين، (تونس: دار القارب الاسلامي، ١٩٩٤م)، ص٤٥٢-٤٥٣.

(٤١) للتفاصيل. ينظر: ملحق ص٢٨.

(٤٢) محمد جواد الشيخ راضي (١٣٢٩-١٤١١هـ/١٩١٠-١٩٩٠م) بن الشيخ عبد الرضا بن الشيخ مهدي، علامة في الفقه والاصول، شاعر قدير، ولد في النجف الاشرف في شهر صفر نشأ على والده، قرأ المقدمات الاولية على يد كبار العلماء امثال: ابو القاسم الخوئي، السيد حسن البجنوردي، السيد محسن الحكيم وغيرهم تزعم رئاسة الاسرة، اشترك في حركة جماعة العلماء في النجف الاشرف له نتاجات منها: بحوث فقهية، ديوان شعر. محمد هادي الاميني، المصدر السابق، مج٢، ص٥٩٠؛ كامل سلمان الجبوري، معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣)، مج٤، ص٣٦٩.

(٤٣) للتفاصيل. ينظر: ملحق ص٣٠.

(٤٤) ((المعارف)) (مجلة)، العدد ٩-١٠،السنة٢، (كانون الثاني وشباط ١٩٦١م) ، ص٤٥.

(٤٥) محمد جواد مغنية (١٩٠٤-١٩٧٩م) ولد في قرية طبريا في قضاء صور في جبل عامل بجنوبي لبنان، هاجر الى النجف الاشرف لطلب العلم فجد في طلبه احد عشر سنة امتاز بنتاجه الفكري والعلمي والادبي، بعد عودته الى لبنان تولى بداية سنة ١٩٤٨م القضاء الشرعي الجعفري في بيروت، اقيمت له حفلة تأبينيه عقب وفاته في مبنى اليونسكو في العشرين من كانون الاول سنة ١٩٧٩م وله عدة مؤلفات: الوضع الحاضر في جبل عامل، الفصول الشرعية، مع الشيعة الامامية وغيرها. يوسف اسعد داغر، مصادر الدراسة الادبية، (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون ،٢٠٠٠م)، ص١٥٤٠-١٥٤١.

(٤٦) مجلة العرفان الصيداوية: تمكن الشيخ علي الزين من استحصال امتياز مجلة العرفان من الحكومة العثمانية في (٥ شباط ١٩٠٩م) وتولى تحريرها ولده الشيخ احمد عارف الزين وهي ارقى مجلة نشرها ابناء الشيعة، رغم ما صادف احمد عارف الزين من صعاب جمة والخسائر الفادحة نراه دائبا في خدمة ملته والامة العربية بما لا يوصف من النشاط والتفاني وصدق العزيمة. الفيكونت فيليب دي طرازي، تاريخ الصحافة العربية، (بيروت: المطبعة العربية، ١٩١٤)، ج٣، ص١١٨-١١٩؛ مجيد حميد عباس الحدراوي، مجلة العرفان اللبنانية دراسة تاريخية ١٩٠٩-١٩٣٦م، رسالة ماجستير، (جامعة الكوفة: كلية الاداب،٢٠٠٧م)، ص٤٦.

(٤٧) روكفلر اخوان وول ستريت: مؤسسة صاحبها (جون ديفيسون روكفلر ١٨٣٩-١٩٣٧م) اسسها سنة ١٩١٣م وهو من رجال الصناعة الامريكيين سيطرت شركته (ستاندرد اويل) على صناعة تكرير البترول بالولايات المتحدة، بعدها اصبحت مكاتب اقتصادية ووكالات خاصة، كثيرا ما كان الاستعمار واسرائيل تنفذ الى الدول العربية من خلالها من اجل الوصول الى مآربها. هادي فضل الله، محمد جواد مغنية فكر واصلاح، (بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع،

١٩٩٣م)، ص٢٩٩-٣٠٠؛ محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، (دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، د.ت)، ص٨٩٧.

(٤٨) ((راية الاسلام)) (مجلة) ،العدد٥ ، السنة١ ،المملكة السعودية، (١ ربيع الثاني ١٣٨٠هـ) ، ص١٣.

(٤٩) ((راية الاسلام)) (مجلة) ،العدد٥ ، السنة١ ، المملكة السعودية، (١ ربيع الثاني ١٣٨٠هـ) ، ص١٣.

(٥٠) ((راية الاسلام)) (مجلة) ،العدد٥ ، السنة١ ، المملكة السعودية، (١ ربيع الثاني ١٣٨٠هـ) ، ص١٤.

(٥١) شركة ارامكو: شركة بترول تكونت في (ديلاوير) ١٩٣٣م بالولايات المتحدة باسم شركة كاليفورنيا ارابيان (ستاندرد اويل) وحصلت على امتياز البحث عن البترول لمدة ٦٦ عام في شرق المملكة العربية السعودية، مقرها الرئيس في الظهران تقتسم الارباح مناصفة مع الحكومة السعودية. محمد شفيق غربال، المصدر السابق، ص١٠٩.

(٥٢) ((راية الاسلام)) (مجلة) ،العدد٥ ، السنة١ ، المملكة السعودية، (١ ربيع الثاني ١٣٨٠هـ) ، ص١٤.

(٥٣) ((راية الاسلام)) (مجلة) ،العدد٥ ، السنة١ ، المملكة السعودية، (١ ربيع الثاني ١٣٨٠هـ) ، ص١٥.

(٥٤) ((المعارف)) (مجلة)، العدد٩-١٠ ،السنة٢ ، (كانون الثاني وشباط ١٩٦١م) ، ص٢٨.

(٥٥) حبيب آل ابراهيم (١٨٨٦-١٩٦٥م) الشيخ حبيب بن محمد بن الحسن بن ابراهيم المهاجر العاملي، عالم كبير، اديب جليل، مصنف مكثر، ولد في (حناويه) وهي قرية صغيرة قرب مدينة (صور) ونشأ بها، قرأ مبادئ العلوم فيها، هاجر للنجف الاشرف وحضر على علماء وقته امثال: شيخ الشريعة الاصفهاني، الشيخ علي باقر الجواهري، محمد حسين النائيني وغيرهم، نزل العمارة والكوت مدة ممثلاً عن المرجعية للقيام بالوظائف الشرعية، هبط بعلبك واشتغل بالتصنيف والتأليف له اثار منها: منهج الحق، محمد الشفيع، الانتصار وغيرها. اغا بزرك الطهراني، طبقات اعلام الشيعة، نقباء ...، ج١، ص٣٥١-٣٥٢؛ المؤتمر التكريمي لذكرى الثلاثين لرحيل المهاجر العاملي، الشيخ حبيب آل إبراهيم حياته وبعض مؤلفاته، (بيروت: المستشارية الثقافية للجهورية الاسلامية الايرانية في لبنان ،١٩٩٦م)، ص١٥-٢٤.

(٥٦) للزيادة في التفاصيل. ينظر الى نص خطاب العلامة الشيخ حبيب آل ابراهيم الملحق ص٢٥.

(٥٧) جعفر المهاجر، المهاجر العاملي الشيخ جبيب آل ابراهيم سيرته، أعماله، مؤلفاته، شعره (١٢٠٤-١٣٨٤هـ) ،(قم: مؤسسة تراث الشيعة، ٢٠١٠)، ص١٨٦-١٨٧.

(٥٨) ((العرفان)) (مجلة) ، مج٤٨، ج٥-٦، (كانون الثاني وشباط، ١٩٦١) ، ص٦١٩-٦٢٠ ؛ ((المعارف)) (مجلة)، العدد٩-١٠،السنة٢، (كانون الثاني وشباط ١٩٦١م) ، ص٥٨.

(٥٩) أبرز هؤلاء العلماء: محمد حسن فضل الله، هاشم معروف، عبد الله نعمة، عبد الكريم شمس الدين، حسين الخطيب، علي العسيلي، علي مهدي ابراهيم، محمد باقر ابراهيم، امين الحسيني، محمد علي ناصر، محمد علي ابراهيم، محمد جواد مغنية واخرون.

(٦٠) ((العرفان)) (مجلة) ، مج٤٨، ج٣، (تشرين الثاني، ١٩٦٠) ، ص٢٩٩.

ثبت المصادر:

أولا: القران الكريم

ثانيا: المصادر

١. احمد فكري، مساجد القاهرة ومدارسها، ط٢، (القاهرة: دار العارف، د.ت)، ج١.

٢. اغا بزرك الطهراني، طبقات اعلام الشيعة، نقباء البشر في القرن الرابع عشر، (النجف الاشرف: المطبعة العلمية، ١٩٥٤)، ج١.

٣. اسيمة جاتو، موسوعة الالف عام شخصيات صنعت التاريخ، ط٢، (القاهرة: دار العارف، د.ت).

٤. جعفر المهاجر، اعلام الشيعة، (بيروت: دار المؤرخ العربي، ٢٠١٠)، ج٣.

٥. _____، المهاجر العاملي الشيخ جبيب آل ابراهيم سيرته، أعماله، مؤلفاته، شعره (١٢٠٤-١٣٨٤هـ)، (قم: مؤسسة تراث الشيعة، ٢٠١٠).

٦. حسن سلهب، الشيخ محمود شلتوت قراءة في تجربة الاصلاح والوحدة الاسلامية، (بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، ٢٠٠٨م).

٧. حسن سليمان محمود، الكويت ماضيها وحاضرها، (منشورات المكتبة الاهلية، د.ت).

٨. حيدر المرجاني، النجف قديما وحديثا، (بغداد: مطبعة دار السلام)، ج٢.

٩. خير الدين الزركلي، الاعلام، ط١٦، بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٥)، ج٥.

١٠.شوقي ابو غيث، موضوعية فيليب حتى في كتابة تاريخ العرب المطول، (دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ١٩٨٥م).

١١.عبد الفتاح ابو عيشة، موسوعة القادة السياسيين عرب واجانب، (عمان: دار اسامة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م)

١٢.عبد الكريم ال نجف، من اعلام الفكر والقيادة المرجعية، (بيروت: دار المحجة البيضاء،١٩٩٨).

١٣.العقيقي البخشياشي، كفاح علماء الاسلام في القرن العشرين، (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٢)، ص١٩٩.

١٤.فائق بطي، الموسوعة الصحفية العراقية، (بيروت: دار المدى للثقافة والنشر، ٢٠١٠).

١٥. فؤاد شاكر، رجال صاغوا القرن العشرين، ط٢، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية)، ج١.

١٦. الفيكونت فيليب دي طرازي، تاريخ الصحافة العربية، (بيروت: المطبعة العربية، ١٩١٤)، ج٣.

١٧.فيليب حتى واخرون، تاريخ العرب (مطول)، ط٤، (دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، ١٩٦٥)، ج١.

١٨.كاظم عبود الفتلاوي، مستدرك شعراء الغري، (بيروت: دار الاضواء، ٢٠٠٢)، ج٢.

١٩._____، المنتخب في اعلام الفكر والادب، (بيروت: مؤسسة المواهب للطباعة والنشر، ١٩٩٩).

٢٠.كاظم الكفائي، بين جامعة الامام الشيخ علي كاشف الغطاء في النجف ومجمع البحوث الاسلامية في القاهرة، (النجف الاشرف: مطبعة الاداب، ١٩٧٤).

٢١.كامل سلمان الجبوري، معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣)، مج٤.

٢٢.مجموعة من المستشرقين، دائرة المعارف الاسلامية، ترجمة: محمد ثابت الفندي واخرون، (تهران: انتشارات جهان، د.ت)، مج٢.

٢٣.مجيد حميد عباس الحدراوي، مجلة العرفان اللبنانية دراسة تاريخية ١٩٠٩-١٩٣٦م، رسالة ماجستير، (جامعة الكوفة: كلية الاداب،٢٠٠٧م).

٢٤.محسن عدنان الجشعمي، مجلة المعارف النجفية ١٩٥٨-١٩٦١ دراسة تاريخية، (بابل: مؤسسة دار الصادق الثقافية، ٢٠١٥).

٢٥. محمد امين نجف، علماء في رضوان اللّه نبذة يسيرة عن حياة (١٧٠) عالما، (النجف الاشرف: مطبعة الفرقان، د.ت).

٢٦. محمد بو ذينة، مشاهير القرن العشرين، (تونس: دار القارب الاسلامي، ١٩٩٤م).

٢٧.محمد جواد جاسم الجزائري، الشيخ عبد الكريم الزنجاني دراسة تاريخية ١٨٨٦-١٩٦٨، (بيروت: مؤسسة دلتا للطباعة، ٢٠١٠م).

٢٨.محمد رجب البيومي، النهضة الاسلامية في سير اعلامها المعاصرين، (بيروت: الدار الشامية، ١٩٩٥م)، ج١.

٢٩.محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، (دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، د.ت).

٣٠.محمد مهدي الموسوي الاصفهاني، أحسن الوديعة في تراجم مشاهير الشيعة، (النجف الاشرف: المطبعة الحيدرية،١٩٦٨م)، ج٢.

٣١.محمد هادي الدفتر، صفحة من رحلة الامام الزنجاني وخطبه في الاقطار العربية والعواصم الاسلامية، ط٣، (بيروت: مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع ،١٩٦٦م)، ج١.

٣٢.محمد هادي الاميني، معجم رجال الفكر والادب خلال ألف عام، ط٢، (د.م، ١٩٩٢)، مج٣.

٣٣. محمود فهمي واخرون، دليل الجمهورية العراقية، (بغداد: مطبعة التمدن، ١٩٦١).

٣٤.مرتضى الرضوي، مع رجال الفكر في القاهرة، (القاهرة: مطبعة حسان، ١٩٧٤).

٣٥. مرتضى العسكري، عبد الله بن سبأ المدخل بحث وتحقيق فيما كتبه المؤرخون والمستشرقون عن (ابن سبأ) وقصص اسلامية اخرى منذ القرن الثاني الهجري حتى اليوم، ط٢، (القاهرة: مطابع دار الكتاب العربي، ١٣٨١هـ).

٣٦. المعاونية الثقافية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، الامامان البروجوردي وشلتوت رائدا التقريب (مجموعة مقالات)، (طهران: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، ٢٠٠٤م).

٣٧.المؤتمر التكريمي لذكرى الثلاثين لرحيل المهاجر العاملي، الشيخ حبيب آل إبراهيم حياته وبعض مؤلفاته، (بيروت: المستشارية الثقافية للجهورية الاسلامية الايرانية في لبنان ،١٩٩٦م).

٣٨. نزار اباظة ومحمد رياض المالح، اتمام الاعلام (ذيل لكتاب الاعلام لخير الدين الزركلي، ط٢، (بيروت: دار صادر، ٢٠٠٣).

٣٩.نور الدين الشاهرودي، اسرة المجدد الشيرازي، (د.م، د.ت).

٤٠.هادي فضل الله، محمد جواد مغنية فكر واصلاح، (بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٣م).

٤١.هيثم هلال، موسوعة الحروب، (بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٨م).

٤٢.يوسف اسعد داغر، مصادر الدراسة الادبية، (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون ،٢٠٠٠م).

ثالثا: المجلات

٤٣. راية الاسلام، الرياض / المملكة العربية السعودية ،١٣٨٠هـ

٤٤. المعارف، النجف الاشرف / العراق، ١٩٦١م

٤٥. العرفان، صيدا / لبنان ١٩٦٠ ـ ١٩٦١

مواقف الإمام الحمّامي من القضايا السياسية بين دقة التشخيص والورع في الفتوى

الباحث: السيد نبأ محسن حسين الحمّامي
العتبة العلوية المقدسة

مقدمة:

للمرجعية الدينية الشيعية مكانة متميزة في نفوس المؤمنين، بما تعكس في سيرتها سيرة أئمة أهل البيت(ع)، وبتاريخها المشرق بالمواقف التي أخذت مصلحة الأمة اعتبارا أعلى فوق الاعتبارات الفردية.

ولمراجع الشيعة دور عظيم مشهود له، في الحفاظ على التواجد الشيعي، والعلاقات المتوازنة التي تربط المؤمنين بالسلطات الحاكمة، وفي السياسات الحكيمة المتبعة بإزاء القضايا السياسية المؤثرة في حياة الأمة، ومواقفهم الشجاعة في اتخاذ القرارات المناسبة، خصوصا في المسائل المفصلية التي مرت على الواقع الشيعي منذ بداية عصر الغيبة الكبرى، ووقوف الشيعة الإمامية وجها لوجه أمام تحديات مصيرية رسمت معالم التواجد الشيعي على الخارطة السياسية للعالم، وحدّدت نوع العلاقة التي تربطهم بسياسات الحكومات المختلفة المتعاقبة على الحكم، وكذلك لمواقفهم الجهادية ومشاركتهم المباشرة في معارك الدفاع عن الأرض والعرض والمقدسات، حتى بذلوا في هذا السبيل أطهر الدماء، وأعزّ النفوس، إعلاءً لكلمة الحق، وذودًا عن منهج الشريعة الغراء لسيد المرسلين(ص).

وفي طيّات هذا البحث نسلط الأضواء على بعض المواقف الجهادية والسياسية للمرجع الإمام السيد حسين الحمّامي المتوفى سنة ١٣٧٩هـ- ١٩٥٩م، والذي آلت إليه المرجعية الشيعية بعد رحيل مرجع عصره السيد أبو الحسن الأصفهاني سنة

١٣٦٥هـ في عصر تميّز بتنامي التهديدات الأجنبية على العراق، ومن ثمّ احتلاله من قبل البريطانيين، بعد سنين طوال من هيمنة واحتلال الدولة العثمانية، المغطى بشرعية دعوى الخلافة الإسلامية. وشهدت الساحة العربية الإسلامية عموما، والعراقية خصوصا، تحدّيات سياسية مختلفة، كان للمرجع الحمّامي المواقف الشجاعة والحكيمة، تشخيصًا وتحليلًا وحلًا.

وقد آثرت في توثيق هذا البحث، إضافة إلى نقل القضايا والأحداث الواردة فيه من مصادرها، إلى إدراج شهادات شخصيات قريبة من واقع تلك الأحداث، لها درجة عالية من التثبت والوثاقة في النقل؛ فإن ذلك يعدّ مصدرا آخر للتوثيق، بل هو أهم من كثير حفظه بطون الكتب؛ إذ هو شهادة حاضرة يفتقر إليها ما دوّن في سطور الكتب من أحداث أو أقوال أو أفعال.

وعلى ما تقدم، نحاول أن نغطي في بحثنا الجانبين: الجهادي والسياسي في حياة الإمام الحمّامي، وسيقع – إن شاء الله - ضمن ثلاثة مباحث:

الأول: ويتحدث عن مرجعية فقهاء العراق في عصر الغيبة.

والثاني: مخصص لإلقاء الضوء على بعض الأحداث التي جرت إبان الغزو البريطاني للعراق سنة ١٩١٤م، ومشاركة المرجع الحمّامي مع مراجع وعلماء عصره في الدفاع عن بيضة الإسلام، والمحافظة على الثغور الإسلامية.

والثالث: يتطرق لمواقف المرجع الحمّامي من بعض القضايا السياسية المتزامنة مع مرجعيته، والظروف الملابسات التي اكتنفتها.

المبحث الأول: مرجعية فقهاء العراق في عصر الغيبة

أعلنت وفاة السفير الرابع للإمام المنتظر محمد بن الحسن(ع) بداية عهد جديد في تاريخ الشيعة، تمثل – في مقدمتها أهمية - بتصدّي الفقهاء لمسؤولياتهم الشرعية

والإنسانية في نيابتهم عن الأئمة الطاهرين(ع)، في قيادة الأمة وتبليغ الرسالة ونشر العلم، وقد عكست مرجعية الفقهاء الوجه المشرق لأطروحة أهل البيت(ع)، وأثبتت أنها الامتداد الطبيعي لما بعد حياة النواب الأربعة لصاحب الأمر(ع).

وقد مهّد لمرجعية الفقهاء بعد الغيبة أمور عديدة تصدى لبيانها أئمة أهل البيت(ع)، فيما رفدوا به الأمة من كلمات وسلوكيات، شكّلت منظومة علم وعمل متكاملة، يهتدي بها المؤمنون بعد غيبة الإمام الثاني عشر(ع)، لتحديد الفقيه الذي يُرجع إليه، من حيث صفاته ومسؤولياته ومكانته وواجب المؤمنين إزاءه، بما يَسَّر على أهل العلم تشخيص المرجع الديني في كل عصر(١).

وكان من نتائج ذلك أنّ التجربة الإمامية، بعد عهد النص، لم تتعرض إلى معوّقات ومعرقلات جسيمة في المجال الفكري أو السياسي، تستدعي انحراف تلك التجربة عن مسارها المرسوم، مقارنة بشدة الظرف الجديد الذي رافق استتار الإمام(ع) عن الأبصار، وغيبة النصّ الحديثي.

ولازم تمثيل فقهاء الشيعة لأئمتهم(ع)، نظر الناس إليهم بعين من التقديس والتعظيم، يتناسب مع مقامهم ووظيفتهم في كونهم امتدادا للأئمة الطاهرين(ع)؛ إذ كان للمرجعيات الدينية دور بارز وفاعل في مجمل الأحداث السياسية والمنعطفات التاريخية، سيما في العراق؛ كونه يمثل قطب دائرة التشيع العالمي منذ نزول أمير المؤمنين(ع) الكوفة، ومحطّ رحال العلماء، والمتشرّف بضمّ تربته لأجساد أكثر الأئمة المعصومين(ع)، وكل ذلك ترك أثره واضحا في الوجدان الشيعي العالمي.

ولم تبارح المرجعية الدينية العليا للشيعة أرض العراق "ولم تزل النجف منذ أن هبط إليها شيخ الطائفة الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي سنة ٤٤٨ وحط رحله

بها، مركزا علميا وجامعة دينية ينتجع تربتها الخصبة كثير من رواد العلم وطلابه، وحازت الرئاسة العلمية والزعامة الدينية من القرن الخامس حتى اليوم"(٢)، برغم التحديات الكبيرة التي واجهتها، وتعرض الكثير من أقطابها وأتباعها إلى القتل والتغييب والتشريد.

وقد دلّ الاستقراء التاريخي على حنكة وحكمة مراجع الدين، على امتداد الأزمان منذ عهد النص الشرعي إلى يومنا هذا، وحرصهم على الحفاظ على أتباع مذهب أهل البيت(ع) من جهة، والتواصل مع مستجدات العصور والسياسات الحاكمة في إطار النصوص الشرعية والاعتبارات العقلائية من جهة أخرى، بما ولد الإعجاب بطريقتهم ومنهجهم من المخالف والمؤالف، برغم التحديات المستمرة داخليا وخارجيا(٣)

وكان لمراجع الدين في العراق وقفات مشهودة، وأدوار محمودة في كل القضايا التي تمس حياة الأمة، سيما المواقف الجهادية، ودور بارز في مقارعة قوى الاحتلال الأجنبي، والتصدي للسياسات المعاكسة لمصالح المؤمنين، بما تمتلكه المرجعية الشيعية في العراق من مقومات القوة والنفوذ والتأثير، ما لم تمتلكه أي جهة أخرى في العراق، وقدرتها على تحريك الجماهير وتعبئتها بالاتجاه الذي يحقق مصالح الأمة وأهدافها. "وبقيت علاقة المرجع بالحكام والحكومات المركزية تعتمد على طبيعة العلاقة بين الحكام والشعب، ويمثل المراجع طبقة وطنية تمثل رأي الجماهير وطموحاتهم"(٤).

ان الدور الوطني للمرجعية الدينية في العراق في جانبيه: الجهادي والسياسي، يحمل بين طياته تاريخ الشعب العراقي من جهة، وطبيعة المجتمع العراقي من جهة أخرى، والسياسة العراقية من جهة ثالثة.

وفي القرن العشرين، مرّت على العراق أحداث كبيرة وكثيرة، رسمت معظم التفاصيل من ملامحه العامة: أرضا ودولة ومجتمعا، وكان لمراجع الدين الكلمة

المؤثرة، والموقف المشهود، والسياسة الحكيمة التي عكست الصورة المشرقة لسيرة الأئمة من أهل البيت(ع)، في تعاطيهم وتعاملهم مع مختلف الظروف التي مرّت بهم، واستطاعوا من خلالها الحفاظ على الوجود الشيعي بحكمتهم، وأثبتوا صحة أفكارهم ورؤاهم في تطبيقها على الواقع الاجتماعي والسياسي، وأيقن سياسيو تلك المرحلة استحالة سير الأحداث وفق ميزان الاستقرار والرخاء، ما لم يكن للمرجعية الشيعية في العراق إسهامها، أو إحراز رضاها على أقل تقدير.

وكان المرجع السيد حسين الحمّامي من مراجع الشيعة الذين كان لهم دور بارز في حركة الجهاد ضد الاحتلال البريطاني عام ١٩١٤م، بالإضافة إلى مواقفه المبدئية والشجاعة من الأحداث السياسية التي كان لها تأثير مباشر على مجمل الحياة العامة في العراق.

فقد عُرف المرجع الحمّامي، بين أقرانه وعلماء عصره، بأنه من المراجع الذين اكتسبوا شعبيّة واسعة، وقاعدة جماهيرية كبيرة ، ومكانة عظيمة في قلوب المؤمنين؛ اكتسبها من علمه الوافر، وزهده وورعه، وحرصه على المصالح العليا للأمة ولشيعة أهل البيت(ع)، بما صدر عنه من مواقف جهادية، ورؤى اتسمت بالحكمة وبعد النظر إزاء قضايا سياسية حساسة كان لها تأثير كبير في حياة المؤمنين. وسنتناول – ان شاء الله تعالى – في البحثين الآتيين الجانب الجهادي والجانب السياسي في حياته.

المبحث الثاني: دفاع المرجع الحمّامي عن الثغر الإسلامي

من الحوادث البارزة في حياة السيد الحمّامي هي مشاركته في جهاد البريطانيين لدى احتلالهم الفاو ، ومن ثمَّ البصرة ، في أواخر الحكم العثماني على العراق سنة ١٩١٤م، فكان من العلماء الذين لبّوا داعي الجهاد ، وساروا تحت لواء السيّد مهدي الحيدري ، حتى نهاية الأحداث التي استمرّت ستة أشهر(٥).

الجيش العثماني كان في ذلك الوقت يمثل خطّ المواجهة الكبرى أمام البريطانيّين الذين ما انفكّوا عن محاولاتهم السّيطرة على بلاد المسلمين بذريعة تخليص النّاس من الحكم المتسلّط للدولة العثمانيّة ، حتى تمّ لهم ما أرادوا وسيطروا على بلاد المسلمين مع شركائهم الفرنسيين، واقتسموها فيما بينهم، بل لِنقُلْ إنهم أعادوا تقسيمها .

ومهما يكن من أمر، ما إن التحق السيّد الحمّامي بلواء المجاهدين المنضمّ إلى الجيش العثماني، حتى برزت شخصيته، وتميّز، وخطف أبصار من كان معه، لِما يملكه من علم غزير وتقوى وأخلاق إسلامية عالية، ممّا جعل القائد العسكري التركي حينها يطلب من السيّد الحمّامي أن يكون مدرّسا لأولاده ، وكان (رحمه اللّه) يدرّسهم باللغة التركية ، إذ كان يتقن اللغة التركية والفارسية ، بالإضافة – طبعًا – إلى لغته الأصلية العربية، كما أخبرني بذلك الدكتور محمد حسين الصغير، والدكتور محمد سعيد الحمّامي الحفيد الأكبر للإمام الحمّامي .

وملخّص ما جرى في ذلك الوقت ، أنه خلال الحرب العالميّة الأولى، وبداية الاحتلال البريطاني للعراق ، أواخر عام (١٩١٤) م ، " نزل الانكليز الفاو ، ونشروا مع علم الاحتلال بيانا يبدي أسفهم على الاضطرار لإعلانهم الحرب على الحكومة العثمانيّة، يريدون بذلك الإيهام والتدليس على العامّة، والحقيقة إن نزولهم ما كان إلا اهتبالا لفرصة الحرب العامّة "(٦) .

فقامت المرجعيّة الدينية الشّيعيّة في النجف الأشرف، بما تحمله من ثقل علمائها، وتاريخها المشرق في مقارعة المتجبّرين والمحتلّين، بمسؤوليّة الدّفاع عن ثغور المسلمين، من جهة الجنوب العراقي، وتناسَوا آلام الماضي والسياسات القمعية للدولة

العثمانية بحق أبناء الشيعة وعلمائها[٧]، ودافعوا عن حياض الإسلام وبلاد المسلمين، وقدّموا مصلحة الإسلام العليا على ما دونها من المصالح.

" ونهض علماء الشيعة في النجف وأفتوا بوجوب الدّفاع عن بيضة الإسلام، فهاجت الشيعة لدفاع الانكليز، وانتظمت الجبهات الحربيّة، وأكثرها من عشائر العراق، ولم يكتف العلماء بالفتيا فقط، بل خاضوا تلك المعامع بأنفسهم، ووقفوا وقوف الأبطال، وأبلوا بلاءً حسنا"[٨] .

وتوزع العلماء على طول جبهات القتال ، وقد انضمّ تحت ألويتهم جموع المجاهدين ، إذ " قام السيّد محمّد سعيد الحبّوبي بعبء الجهاد المقدّس والدفاع عن بيضة الإسلام ، فاتجه نحو النّاصرية ، ومعه العلماء الأعلام ، وعشائر العراق وأكراد الشمال ، فكانت جبهة الشعيبة بقيادته ومعه السيّد محسن الحكيم، كاتما لسرّه ، وأمينا لبيت مال المسلمين .

وكان الشيخ محمّد مهدي الخالصي والسيّد محمّد الصّدر يحميان جبهة خانقين وجلولاء وبعقوبة .

وكان السيّد مهدي الحيدري والسيّد حسين الحمّامي، ومعهما العلماء الأعلام، قد اتجهوا صوب العمارة ونواحيها.

وكان الشّيخ عبد الأمير الجزائري والسّيد عيسى كمال الدين في جبهة الأهواز.

وكان الشيخ محمّد رضا الشّبيبي والشيخ حسين الحلّي – وهما آنذاك ضابطان في الجيش العثماني – برفقة القائد التركي المنتحر سليمان بك العسكري "[٩] .

وكان الشيّخ محمّد حسين كاشف الغطاء مع جمهرة من علماء النجف الأشرف ، وفي طليعتهم السيّد محمّد ابن السيّد كاظم اليزدي – المتوفى في (١٣٣٤) هـ ، في الكاظميّة كَمَدًا بعد انكسار المجاهدين – قد اتجه إلى الكوت[١٠] .

أخبرني والدي السيد محسن الحمّامي (رحمه اللّه) نقلا عن والده السيد حسين الحمّامي(قدس سره): أنّ لواء المجاهدين من العلماء ومن معهم من العشائر العراقية تجهّزوا لخوض المعركة مع قوات الاحتلال البريطاني، واحتدم القتال من قبل طلوع الشمس إلى ما بعد زوالها، واشتبكوا مع الانكليز وصدّوهم في (٤) ربيع الأول سنة(١٣٣٣) هـ الموافق١٩١٥/١/٢٠م . في المعركة التي عرفت باسم معركة (نهر الرّوطة) ، وبقي السيّد مهدي وباقي العلماء وجموع القبائل مرابطين في تلك الجبهات مدّة شهر (١١).

بعدها وجّه البريطانيوّن قوّة كبيرة ، وقاموا بهجوم واسع بمشاركة بواخرهم النّهرية والمدافع والطائرات الحربية ، فانتصر البريطانيّون بعد قتال مرير ، وانسحب من تبقى من المجاهدين ومعهم العلماء ، تتبعهم نيران العدوّ الكثيفة من المدافع والطائرات الحربية، إلى أن وصلوا إلى (قلعة صالح)، والتي كانت حينها تمثل ملاذا آمنا – ولو لبعض الوقت – من نيران القوات البريطانية .

وكان من كرامات السيّد حسين الحمّامي (قده) – كما حدثني بذلك سيدي الوالد رحمه اللّه تعالى- ، أن جموع المجاهدين ومعهم السيّد الحمّامي، قد وصلوا إلى معبر نهر لا بدّ لهم من اجتيازه حتى يكونوا بمنأى عن نيران الجيش البريطاني، إلا أن السيّد (قده) استخار اللّه تعالى ، فكانت نتيجة الاستخارة النهي عن العبور، فبقي ومعه قلة قليلة ممّن وضعوا ثقتهم العالية به، ولامهم الجميع على بقائهم، إذ يمثل ذلك تهديدا حقيقيا على حياتهم، إلا أنّ السيد (رحمه اللّه) أخبرهم بعزمه على عدم مخالفة الاستخارة .

وانطلق المركب شاقا طريقه عبر النهر ، بعزيمة العبور إلى ضفّة الأمان ، وما إن انتصف المركب النهر ، حتى جاءت طائرات حربية بريطانيّة ، قصفت المركب

وأحرقته ودمّرته ، وأغرقته بمن فيه ، وبقي السيّد الحمّامي على الضفّة الأخرى بسلام ، حتى نجّاه اللّه تعالى ورجع سالما لبلاده وأهله.

يقول صاحب مستدركات أعيان الشيعة، بعد أن أسهب في سرد تفاصيل تلك الأحداث والمعارك التي خاضها علماؤنا (رحمهم اللّه) في مجاهدة البريطانيين " ونحن نروي هذه التفاصيل ، التي رواها من شاهدوها ، لنعطي القارئ ملامح عمّا عاناه أولئك الشيوخ، وهم في أسنانهم العالية، من البلاء دفاعا عن الإسلام في ظلّ الدولة العثمانية التي كانت لا ترحمهم في حكمها لهم. ومع ذلك، فعند ما رأوها تواجه أخطار الاحتلال الأجنبي وقفوا إلى جانبها باسم الإسلام، لأنها كانت في نظرهم تمثله في ذلك العصر. هذا هو التاريخ الشيعي الناصع وهذه هي مواقف رجاله وقادته"(١٢).

المبحث الثالث: موقف المرجع الحمّامي من بعض القضايا السياسية.

من المعروف المشهور عن علماء وفقهاء الشيعة الإمامية في عصر الغيبة، عدم التدخّل المباشر في الحياة السياسية، سيّما في المدرسة الفقهية التي لا تتبنى نظرية (ولاية الفقيه) بعرضها العريض. ولسنا بصدد استعراض أدلة هذه المواقف ، لأن ذلك يخرجنا عن موضوع مختصرنا الذي نكتب، إلا أن ممّا هو متسالم عليه لدى الشيعة الإمامية، أن المرجع الديني هو الأب الروحي للمؤمنين، والذي يغدق عليهم إرشاداته وتعليماته وتوصياته، والتي لو طبّقوها لحافظوا على دينهم ودنياهم.

وأما السياسة الرائجة في هذا الزمان فإنما هي لعبة الخداع، والمناورات في الكلام والأساليب، وفنّ التنصّل من المسؤوليات، والتفنّن بالكذب، وهي وإن أصبحت المعروفة في هذه الأزمنة ، إلا أنها وجدت بوجود الإنسان ذي النفس الأمارة بالسوء منذ بداية الخليقة . وقد رصدها مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) في مناورات معاوية السياسية بقوله (عليه السلام) " واللّه ما معاوية بأدهى منّي، ولكنّه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر، لكنت من أدهى النّاس"(١٣).

ولكن الأمر حينما يتعلق بالمساس بمبادئ الدين الإسلامي، أو دفع مظلمة، أو كلمة حق لا بد من قولها ، تجد أولئك العلماء العظماء لا يتوانون لحظة واحدة في إبداء مواقفهم بكل جرأة وشجاعة. يقول الإمام الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء في الجواب عن تدخله في السياسة مع أنه من أعلام الدين " أما التدخل بالسياسة، فإن كان المعني بها هو الوعظ والإرشاد، والنهي عن الفساد، والنصيحة للحاكمين بل لعامة العباد، والتحذير من الوقوع في حبائل الاستعمار والاستعباد، ووضع القيود والأغلال على البلاد وأبناء البلاد. إن كانت السياسة هي هذه الأمور فأنا غارق فيها إلى هامتي، وهي من واجباتي وأراني مسؤولا عنها أمام اللّه والوجدان"(١٤) .

وكلّ هذه الأمور لها مشروعيتها، ومستندة لأدلتها المندرجة تحت عمومات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو مدلول النبوي المشهور " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيّته "(١٥) ، ناهيك عن الأدلة الخاصة من الروايات الشريفة المستفاد منها الولاية المناطة بالحاكم الشرعي، والمختلفة سعة وضيقا بحسب المباني(١٦).

ونسلط الضوء في هذا المبحث على قضيتين احتلتا موقعا مهما في الذاكرة العراقية؛ بما كان لهما من أصداء قوية في المجتمع العراقي آنذاك، وبما خلفته من نتائج بقيت بعض آثارها الى وقتنا الراهن، وكان موقف السيد حسين الحمامي من هاتين القضيتين يمثل الغاية في التثبت والحكمة والورع. وهاتان القضيتان هما:

القضية الأولى: موقفه من ثورة عبد الكريم قاسم ١٩٥٩م

كثيرة هي الثورات والانقلابات التي شهدها ويشهدها العراق قياسا بغيره من البلدان، وليس من اليسير حصر أسماء الذين توالوا على كرسي الحكم فيه؛ لكثرتهم، منذ أن تمصّرت الكوفة إلى يومنا هذا.

ولعلّ اختلاف أمزجة سكانه، وتعدد اتجاهات وعقائد أبنائه، وإشرافه على عدة أقاليم متضادة الأمزجة والانتماءات، والتداخل الديني والاجتماعي بين شعبه وبقية الشعوب المتاخمة له، وكثرة خيراته، ووفرة مياهه، وتميّز موقعه، وبالتالي كثرة الطامعين في موارده وخيراته، وغير ذلك من الأمور، قد آل بالنتيجة إلى عدم استقرار الوضع السياسي فيه، ومن ثمّ إلى تعدد حكّامه وتكثرهم.

ولكن لسوء الحظّ، لم يحظَ شعبه من حاكميه بالعدل والإنصاف بعد حكم أمير المؤمنين (عليه السلام) إلا من القلة القليلة التي لا تكاد أن تذكر، ولم يعرف أهله أياما آمنة هانئة إلا وينغّصها جور الظالمين، وبغي الجبابرة من حاكميه.

وحينما يمسك بمقاليد الحكم رجل أقرب إلى الاعتدال منه إلى التطرّف، وإلى الهدوء أقرب منه إلى التهوّر، فإن ذلك يعدّ نوعا من الانفراج على الناس، وتخفيفا لوطأة ظلم الظالمين عن كواهلهم، حتى لو لم يحقق في جانب التطوّر الحياتي والرقي الاجتماعي شيئا مذكورا.

والثورة التي قادها الزعيم عبد الكريم قاسم عام (١٩٥٩)م ضد النظام الملكي في العراق، وأصبح بعدها رئيسا لوزرائه، وإن لم يصح وصفها بالحكومة الدموية، وسياساتها وإن لم توصف بالإجرامية، فهي – والحق يقال- أقلّ سوءا من كثير سبقها ولحقها ممّن غاص في الدّماء إلى هامته، ولذلك بقي هذا الجانب الإيجابي من ثورة قاسم يعيش في ضمائر كثير من العراقيين. هذا من جانب.

ومن جانب آخر، فإنّ ممّا هو معروف وشائع عند فقهاء الشيعة الإمامية هو التزامهم الحياد والوسطية حيال الحكومات التي تحكم البلاد، لاسيّما زمن الغيبة الكبرى؛ فإنّ تأييد مراجع الدين لأي حكومة غير ملتزمة في قوانينها بأحكام الدين، وغير مطبّقة في دساتيرها لشريعة سيد المرسلين(ص)، يعدّ إقرارا منهم بما سنّته

الحكومة غير المتدينة من تلك القوانين والدساتير غير الشرعية ، كما إنهم – بالمقابل – غير مكلفين بالوقوف العدائي أمام تلك الحكومات أو تسقيطها، ما لم تشكل خطرا فعليا على المؤمنين، بحيث يمكن دفع ذلك الخطر بمثل مواقفهم. فموقفهم أمر بين أمرين، ووسط بين مسلكين، كما تقدّم بيانه في بداية هذا المبحث، وهذه هي سيرة أئمة الحق من أهل البيت (عليهم السلام) ، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام)، لما عزمت قريش على إماطة الحق عن أهله، وتحويل الخلافة إلى غير أصحابها الشرعيين " لقدْ عَلِمْتمْ أنّي أحَقُّ النّاسِ بهَا منْ غَيْرِي ، ووَاللّه لأسْلِمَنّ مَا سَلِمَتْ أمُورُ المُسْلِمِينَ، ولمْ يَكُنْ فيهَا جَوْرٌ إلّا عَلَيَّ خَاصَّةً؛ التِمَاسا لأجْرِ ذلكَ وفضْلِه، وزُهْدا فيمَا تَنافسْتمُوه منْ زُخْرُفِه وزِبْرِجِه "(١٧).

أخبرني السيد الوالد (رحمه اللّه)، والدكتور محمد سعيد الحمّامي الحفيد الأكبر للإمام الحمّامي(رحمه اللّه)، أن ثورة ١٤ تمّوز عام (١٩٥٨)م حين قامت على الحكم الملكي في العراق وأسقطته، وتسلم الزعيم عبد الكريم قاسم مقاليد الحكم، أرسل الأخير وفدا سياسيا إلى النجف الأشرف برئاسة العميد فؤاد عارف نيابة عن مجلس السيّادة، يطلبون من مراجع النجف الأشرف تأييدا للثورة.

واستجاب له بعض المراجع على مضض، بعد إصرار وضغوط من قبل الوفد، فبعث أولئك العلماء ببرقيّات التهاني للزعيم قاسم، إلا أن السيّد حسين الحمّامي (قده)، لم يوافق على إرسال تهنئة له على تقلده زعامة البلاد السياسية، لا لأنّ السيد الحمّامي يقف من عبد الكريم قاسم موقفا عدائيا؛ إذ المسألة لا تتعلق بعلاقة شخصية بين شخصين، بل لأن إرسال مثل هذه الرسالة يعدّ إقرارا واعترافا بمضامين ودساتير وقوانين هذه الدولة، وهي – جزما – ليست دولة قائمة على أساس الشرع ، وبعيدة عن تطبيق أحكام الشريعة.

يقول السيّد علي الحسني البغدادي " وفي حقيقة الواقع إن مقتضى الأدلة الاجتهادية أنه لا يجوز تأييد ثورة ١٤ – تموز؛ لأنها لم تكن ثورة إسلامية. أجل بحسب مقتضى العناوين الثانوية، كالإكراه والاضطرار أو حدوث مصلحة تخدم الإسلام والمسلمين، حينئذ يجوز تأييدها، كما هو حال مدّعى هؤلاء المراجع الذين أيّدوا هذه الثورة، ولكنّي أعتقد أنه لا مبرر شرعي لتأييد هذه الثورة ، وإن حازت تأييد غالبية الشعب العراقي، وأن أولئك المراجع قد أخطأوا في تشخيص الموضوع وتحديد المصلحة. فالحقّ مع السيد الحمّامي (قدس سرّه) في عدم تأييده لهذه الثورة "(١٨)

ولم تمرّ سنة واحدة، حتى انكشف واتضح للمتديّنين من الناس عامة، وللعلماء خاصة، وللمراجع الذين أيدوا ثورة قاسم وأرسلوا له برقيات التهاني بشكل أخص، أنها دولة غير قائمة على قوانين الشرع، بل هي متحدّية ومناوئة له؛ لأسباب منها:

(١) أصدار عبد الكريم قاسم قانون الأحوال الشخصية القاضي بمساواة الذكر للأنثى مطلقا في الإرث ، المنافي صراحة للقرآن الكريم في قوله تعالى " يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ "(١٩) .

(٢) خروج منتسبي دوائر الدولة والعوام من الناس المؤيدين للثورة إلى الشوارع بالتصفيق والرقص حينما تزامنت ذكرى ثورة قاسم مع يوم العاشر من المحرم ، ذكرى استشهاد سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام)، وهو تحدّ واضح وسافر لرموز الإسلام والدين.

(٣) تسليط عبد الكريم قاسم الشيوعيين على مقدّرات الأمور، يُرعبون الناس ويعيثون في الأرض فسادا، وينتهكون حرمات الإسلام، ويضللون الناس عن دينهم وعقيدتهم.(٢٠).

القضية الثانية: موقفه من المد الماركسي الشيوعي.

من المعلوم الجلي ، أن المدّ الماركسي الشيوعي قد شاع في بلاد المسلمين - بما فيها العراق - بأفكاره الإلحادية ، وطريقة تفكيره الجدليّة ، خصوصا في خمسينات القرن الماضي، وما بعد ذلك ، حتى تأثر بأفكاره الكثير من الناس، لاسيما حينما أرخى لهم عبد الكريم قاسم زمام الأمور في بداية حكمه " وقد استغل الشيوعيّون الفرصة وكأن العراق صار ماركسيا لينينيا ، فأنشأوا المنظمات الشعبية ، وأشهرها منظمة أنصار السلام ، وسيطروا على أكثر الاتحادات والنقابات ، كاتحاد الجمعيات الفلاحية ، واتحاد الطلبة . . الخ . وأمسكت هذه المنظمات بالعراق ، وحكمت مدنه وقراه ، وكان أسوأها ميليشيا المقاومة الشعبية ، التي انتشر مسلحوها في نقاط تفتيش وحكموا البلاد ، فكانوا يعتقلون ويُرعبون ، وقد يقتلون ولا رقيب ولا حسيب"(٢١).

ولكن أليس من الغريب أن ينشط ويتمدّد مثل هذا الحزب المناقض للمبادئ الإسلامية، في مجتمع محافظ تحكمه القيم الإسلامية والأعراف العربية الأصيلة ، وتظله خيمة الشريعة الإسلام الوارفة !؟ هل المسالة هكذا ولدت من دون أسباب أو مقدّمات !؟ هل استيقظ بعض فئات الشعب النجفي والكربلائي والحلي و..و. من نومه يوما، فوجد نفسه - فجأة - منحازا ومتعاطفا مع هذا الفكر في محيط متدين ومحافظ !؟

الجواب : كلا ، فوجود ونمو وانتشار مثل هذا الحزب المناقض في أكثر أبعاده للفكر الإسلامي ، وفي مجتمع إسلامي يرتبط في أعمق جذوره بمدرسة الوحي الإلهي، لا بد له من أسباب قوية وكثيرة ضغطت به نحو هذا الاتجاه . ومن هذه الأسباب نذكر :

١) غياب الدور القيادي والتوجيهي الميداني للمرجعيّات الدينية . فقد اقتصر دور المرجعيّات الدينية لفترات طويلة من الزمن على المسؤولية العلمية والتدريسية، ورعاية شؤون طلبة العلم، والإجابة على الاستفتاءات، إلا قليلا من المواقف التاريخية التي تعرضت فيها الساحة الإسلامية إلى خطر حقيقي خارجي، وما عدا ذلك، فقد بقي المرجع أسير كتابه ومجلس درسه.

ولم يكن للدور الميداني - الذي يصبح به قريبا من الناس ومؤثرا في سلوكهم - حضور فعّال في حياتهم اليومية . وهذا الغياب أدى إلى إحداث فجوة وفراغ بين المرجع وعامّة الناس، سهّلت على أعداء الإسلام من الداخل والخارج اختراقها واستغلالها، من خلال تصدير الأفكار المنحرفة إلى عموم الناس بطرق وأساليب مختلفة الأداء، متحدة الغاية، وهي إبعاد الناس عن خط الإسلام القويم، وتنفيرهم من المرجعيّات الدينية، وبث الأفكار الهدّامة للدين والعقيدة .

٢) العادات الاجتماعية ذات الطابع القَبَلي السّائدة في تلك الفترة ، والحاكمة على المجتمع ؛ أفرادا وجماعات ، وهي – كما يصفها الشيخ المظفّر في منطقه- الشريعة الحاكمة غير المكتوبة. فإن العادات والتقاليد الاجتماعية بطابعها العام، وإن كانت في بعض جوانبها مستمدّة من روح الدين والشريعة، ومستفادة من دواعي التعقّل والانصاف، بل ولكثير منها الدور الكبير في الحفاظ على بنية المجتمع المحافظ ، وترسيخ القيم والمبادئ الإنسانية النبيلة، إلا أن بعضا آخر من تلك العادات والتقاليد لم يكن له في جانب العدل والانصاف شيء يذكر، ولم يستند إلى ركن وثيق من عقل أو دين ، فهي ممارسات والتزامات لا روح فيها ولا فائدة ، سوى أنها تثقل بقيودها جسد المجتمع ، وتمنعه من التطوّر ، ومنها – على نحو المثال لا الحصر – النهوة ، أي إعطاء الرجل الحق في منع تزوّج ابنة عمّه من أجنبي ، ومنع المرأة من الدراسة

الأكاديمية أو العمل في المؤسسات العامة ، وعدُ بعض أصناف العمل الشريف عيبا على أبناء الأسر المعروفة ، وغيرها .

وقد توهم البعض حينها أن الانتساب إلى الأحزاب العلمانية – كالحزب الشيوعي - والمتحررة من حاكمية الدين أو المجتمع ، هو سبيل الخلاص من تلك القيود والالتزامات ، وهو الثورة ضد الأحكام التعسّفية التي يتبنّاه نظام القبيلة ، فانتمى إلى هذه الأحزاب وأيّدها ، وإن لم يكن متوافقا مع منطلقاتها وأسسها الفكرية والعقائدية والفلسفية ، فهو نحو من التمرّد ليس إلا . وليس شيء ينطبق على وصف أولئك المتوهمين كانطباق وصف الشاعر إذ يقول :

فكنت في طلبي من عنده فرجا سلطان سلطان سلطان سلطان سلطان سلطان كالمستغيث من الرمضاء بالنار

٣) ضعف الثقافة الإسلامية والوعي الديني لدى كثير من الناس؛ إما بسبب قصورهم العلمي وتقصيرهم في التعلم، وإما بسبب عدم وجود المؤسسات التثقيفية والتي تشكل حلقة الوصل والتفاهم ونقل الأفكار بين أفراد المجتمع من جهة والمرجعيات الدينية من جهة أخرى. كالمؤسسات والمراكز التثقيفية الإسلامية في الفقه والعقائد وعلوم القرآن وسواها من ضروريات الثقافة الدينية، والتي تعنى برعاية وتوجيه الشرائح القاصرة في المجتمع .

وهذه الأمور مازلنا -إلى أيامنا هذه- نشكو من ضعف فاعليتها ، وقلة انتاجها ؛ فبرغم تعدد المؤسسات الثقافية على اختلاف عناوينها، والتي يفترض أن تضطلع بمسؤولية تثقيف المجتمع الإسلامي على اختلاف مستوياته العمرية والمعرفية ، فإنها مازالت دون المستوى المطلوب ، إما بسبب استغلال تلك المؤسسات للمنفعة المادية والترويج الإعلامي لجهة من الجهات، أو بسبب عدم امتلاكها الكفاءات العلمية والإدارية.

والكلام نفسه يقع على وسائل الإعلام، فبرغم تكثر القنوات الفضائية، ووسائل الاتصال الحديثة ، وشبكات الانترنت ، وغيرها ، فإنها مازالت وسائل تشكو من عدم الاستقلال ، والتبعية إلى جهات سياسية أو اجتماعية أو غيرها، تحاول من خلال هذه القنوات الإعلامية ترويج وتسويق أفكارها الخاصة بها ، وتكثير أنصارها .

٤) ضعف المستوى الإرشادي والتعليمي للمبلغين المنتشرين في القصبات والبلدات ، وقلة أعدادهم نسبة لكثرة الأمكنة، مع قلة أو انعدام الأهلية التبليغية والإرشادية لكثير منهم، فترى الكثير من المبلغين والمرشدين ينقصهم الأساس العلمي الذي يفيدون به المجتمع، أو يعوزهم إخلاص النية لله تعالى في عملهم، وقد يكون غاية همّ بعضهم بناء واجهة اجتماعية تخصه ومتاع من الدنيا يكتنزه، ولا تجد منهم إلا القليل قد خرج عن عهدته الشرعية كمبلغ. وهذا الأمر سيّال عام البلوى في كل العصور. فما أحوجنا إلى الانتقاء الجيد لطبقة المبلغين من قبل مكاتب مراجع الدين، وإعدادهم إعدادا خاصا يتناسب مع الموقع الاجتماعي والديني الذي يتصدون له، والمراقبة المستمرة من قبل مكاتب المرجعيات الدينية لهم ، لرصد السلبيات التي قد تعوق سيرهم وسيرتهم ، ومن ثمّ معالجتها .

٥) الدور الضعيف لخطباء المنبر في توجيه الناس وتثقيفهم، ورصد الأحداث والتحدّيات التي يمر بها المسلمون عامة، وأتباع مذهب أهل البيت (عليهم السلام) خاصة، ليقفوا إزاءها الموقف الشرعي المناسب، وينبّهوا الناس على خطرها، والطرق الصحيحة لمواجهتها؛ فإنّ للخطيب مكانة مرموقة في نفوس المؤمنين ، وإن للمنبر تأثيرا عظيما في توجيه المجتمع الوجهة الشرعية الصحيحة في كلّ موقف يمر به

المسلمون، لاسيما إذا كان الخطباء على اتصال وثيق بمكاتب المرجعيات الدينية، وتعمل بإرشاداتها، وتحت عنايتها.

إن من أعظم مصاديق إحياء أمر أهل البيت (عليهم السلام) ، الذي أكّد عليه أئمتنا (صلوات اللّه عليهم أجمعين) في العديد من رواياتهم(٢٢) ، والذي يضطلع به الخطيب عندنا في المناسبات الدينية الكثيرة ، هو متابعة شؤون المؤمنين وربطهم بسيرة أئمتهم وقادتهم، وذلك بالاقتداء بهم والتخلق بأخلاقهم، والتطبيق العملي لتوجيهاتهم (عليهم السلام)، من خلال ربط المجتمع المؤمن بتوجيهات مراجع الدين، الذين يمثلون الوريث الحقيقي للأنبياء والأئمة(عليهم السلام) .

بينما كان البعض من الخطباء – وحتى في أيامنا هذه – لا يشعرون بتلك المسؤولية الكبيرة الملقاة عليهم، فلا يمتلكون الخزين المعرفي الذي يمكّنهم من متابعة ورصد أحداث الساحة الإسلامية، وما يحدق بها من تحديات ومؤامرات، ومن ثمّ معالجتها، ولا تواصلا مستمرا مع مكاتب المرجعيات الدينية ليأخذوا منهم التوجيهات التي تفيد المجتمع الإسلامي، بل هي – في غالبها - مجالس للنعي والبكاء فقط، دون أن يكون للتوجيه الديني الاجتماعي فيها نصيب. على أن التفجّع والبكاء وذكر مصائب المعصومين (صلوات اللّه عليهم أجمعين) وإن كان بذاته من القربات العظيمة عند اللّه تعالى، إلا أنه لو لم يقترن بتعريف الناس بأخلاق أئمتهم وسيرتهم وعطائهم ودورهم، وحث الناس على تطبيق الأحكام الشرعية الواردة عنهم، فهي كالجناح الواحد الذي يمتلكه الطير، لا يقدر إلا بآخر كيما يحلق في الآفاق . وامتزاج العاطفة بالفكر الذي يتميز به مذهب أهل البيت (عليهم السلام) هو الذي أسهم في خلود هذا الفكر المبارك رغم الظروف العصيبة التي مرّ بها الشيعة على امتداد العصور وتعاقب الأجيال.

هذه الأسباب وغيرها ، وإرادات سياسية دولية وإقليمية ومحلية - ليس هنا محل ذكرها لأنه يخرج الكتاب عن موضوعه - أوجد للفكر الماركسي الشيوعي موطئ قدم في الساحة الإسلامية ، وبين صفوف المسلمين .

ولكن ينبغي تأكيد القول بأن تبنّي الكثير من الأفراد في المجتمع الإسلامي للفكر الشيوعي وانخراطهم في صفوفه، لم يكن عن إيمان بمبادئه الفلسفية والعقائدية الإلحادية، بل كان ابتعادا عن الالتزام والتقيّد الديني والاجتماعي، وإعطاء النفس الأمّارة بالسوء ما تشتهيه من الشهوات والنزوات الشيطانية، وبعض آخر دفعه إلى الانضمام إلى الحزب المذكور الحالة الاقتصادية والمالية المتردّية التي كان يمر بها، وانخداعه بالشعارات البراقة التي يحملها هذا الحزب والتي توهم عقول العامّة بمجتمع مثال ، متمدّن، مرفه، متعاون، وغير ذلك من الأمور التي لا وجود لها إلا في مسودات الكتب، والبعيدة عن الواقعية الحياتية، على أن المجتمع لو طبّق أحكام الشريعة الإسلامية - خصوصا في المجالين الاقتصادي والاجتماعي - لما بقي من فقير ولا محتاج .

على أية حال، ما إن أحسّ العلماء والمفكرون ومن لديه حميّة وغيرة على دينه ومبادئه وأصالة انتمائه ، بالخطر الذي داهمهم من تغلغل الفكر الشيوعي الماركسي وانتشاره بين أفراد المجتمع الإسلامي، حتى انطلقت ردود الأفعال على اختلاف طرق معالجتها، وتباين مستويات تفكيرها، والمواقع الدينية والاجتماعية والثقافية التي تتبوّؤها، لغرض منع الشباب المسلم من الانجرار والانخداع بالشعارات والأفكار البعيدة عن روح المنطق والعقل والدين، والخالية عن أي مضمون واقعي للحياة.

وتصدّى علماؤنا لنقد الأفكار الماركسية بطريقة علميّة، ومن خلال الخطاب الفكري السياسي، هذا الخطاب الرصين الذي مهّد للمشروع المتكامل لنقد

الأفكار الماركسية وتفنيدها وإبطالها والذي قام به الشهيد السيد محمّد باقر الصدر (قده). ومن العلماء الذين خاضوا المواجهة مع الشيوعيين في خطابهم الفكري السياسي : الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء، والفيلسوف الشيخ عبد الكريم الزنجاني، والشيخ محمّد الخالصي.

إلا أن ما حدث عند بعض العلماء كان تصرّفا أقرب إلى التسرّع وعدم إدراك لعواقب الأمور ، حين سعَوا في استحصال وإصدار فتوى تكفير كل من ينتسب لهذا الحزب، ناسين أو متناسين أن دعوى تكفير المسلم من المسائل التي يحتاط فيها الفقهاء، وخصوصا الإمامية، بشكل لا يصل إليه احتياط في غيره من المسائل.

ذكر لي السيد العم آية اللّه السيد محمد علي الحمّامي ووالدي السيد محسن الحمّامي(رحمهما اللّه)، والدكتور السيد محمد سعيد الحمّامي أن بعضٌ العلماء طلبوا من الإمام الحمّامي استصدار فتوى تكفير من ينتسب إلى الحزب الشيوعي الماركسي، فأجابهم (قده) بأن مسألة شذوذ وخروج أفكار هذا الحزب عن الإسلام شيء بديهي وواضح لدى من له أدنى نظر، إلا أنكم يجب أن تنتبهوا إلى أن مسألة التكفير لا يجوز أن تطلق كفتوى من فقيه على كل مسلم ينتسب لهذا الحزب، لأمور من أهمّها :

١) إن فتوى التكفير تمثل خطرا على الشيعة ، خصوصا في ذلك الوقت الذي كان فيه أعداء أهل البيت يتربصون كل فرصة، ويلوذون بكل ذريعة، من أجل اضطهاد الشيعة ، وزجّهم في السجون والمعتقلات، والتنكيل بهم. ومثل هذه الفتوى ستتخذ ذريعة لمبتغاهم في التنكيل بالشيعة، وتقدّم لهم على طبق من ذهب الإدانة الشرعية من نفس علماء مذهبهم، ليسحقوا الشيعة تحت هذه الذريعة .

وهذا ما حصل بالفعل حينما وظف البعثيّون فتاوى تكفير الحزب الشيوعي وأتباعه في إبادة وقتل واضطهاد كل من حامت حوله شبهة الانتماء لهذا الحزب، فضلا عن ثبوتها عليه، بعدما أصدروا بيانا دعوا فيه إلى إبادة الشيوعيين، وأظهروا هذه الفتاوى مصوّرة عبر شاشات التلفاز، كإجراء توظيفي لتنفيذها .

٢) في تلك الفترة، كان من الممكن أن يشغل الشيعة مناصب مهمة في الدولة العراقية، ومثل فتاوى التكفير هذه سوف تستغل من قبل المتسلطين والمتنفذين المناوئين للشيعة في الدولة، لرمي أي شاءوا بهذه التهمة، وستتخذ غطاء دينيا لتمرير مخططاتهم بالتسقيط السياسي للشيعة، ومنعهم من الوصول إلى المناصب العالية في السلطة.

وقد ذكّر الإمام الحمامي (قده) اولئك العلماء بما جرى من حادثة مشابهة لها في إيران، أيام مرجعية السيد أبو الحسن الأصفهاني (قده) ، حينما قدم إليه بعض التجار من إيران وطلبوا منه فتوى تكفّر حزب (تودة) في إيران، لأن كثيرا من اليهود (الكليميين) حاولوا أن يؤثروا على تفكير الشباب المسلم هناك من خلال تشجيعهم، وإغرائهم بكل وسائل الإغراء، للإنتماء لذلك الحزب المناوئ للدين، وكان جواب السيد أبو الحسن الأصفهاني كجواب السيد الحمامي على طالبي فتاوى التكفير.

كما أن الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في مواجهته للفكر الشيوعي، نبه بصورة واضحة إلى أن المواجهة لا بد أن تكون بالفكر بدل سياسة العنف والتكفير، لأن ذلك سيقود إلى تقويته، كما أن على الحكومات مسؤولية كبيرة ودورا بارزا في الإسهام بانحسار هذا الفكر، من خلال حل المشكلات

الاقتصادية التي يعاني منها العراقيون من خلال توفير فرص العمل والإعمار ورفع مستوى الفرد والاهتمام بالمناطق المحرومة في وسط وجنوب العراق(٢٣).

وقد كشف لنا التاريخ – وهو خير كاشف – عن صدق وصحة رؤية الإمام الحمامي إزاء هذه المواقف والفتاوى. فنحن نعيش زمانا صار فيه عدد الأحزاب والحركات والتيارات بالمئات، على اختلاف اتجاهاتها العلمانية والقومية والدينية والمستقلة، مع ما تضمّ من فئات كبيرة من المسلمين، ولم نسمع أن أحدا من الفقهاء قد كفّر مسلما انتسب لذلك الحزب، أو تلك الحركة، أو هذا التيار. وقد شاء الله تعالى أن يبيّن صحة رأي الإمام الحمامي وحكمته : تاريخيا وواقعيا .

الخاتمة:

تبين مما تقدم ما للمرجعية الدينية في العراق، من مكانة متميزة في نفوس أبنائه، ورثتها من تمهيد نصوص المعصومين وسيرتهم في التأكيد على تقديس العلماء واتباعهم والالتفاف حولهم، وأنهم ورثة الأنبياء والأوصياء في علومهم ومكانتهم بين الناس.

وقد كان للمرجعيات الدينية في العراق دور كبير في الحفاظ على التوازنات السياسية في المجتمع الإسلامي خصوصا في مقام الذب والدفاع عن المقدسات والثوابت الدينية. وكان للمرجع السيد حسين الحمامي مواقف مشهودة في مجال الجهاد الدفاعي ضد الاحتلال البريطاني، وحماية ثغور المسلمين، مع بقية علماء العراق وشيعته، وألهبت تلك المواقف الجهادية روح العزيمة والتضحية في نفوس المؤمنين، وعززت حب انتمائهم لوطنهم وأرضهم ومقدساتهم.

كما كان للسيد الحمامي مواقف صلبة ومبدئية شجاعة، تجاه عدة من القضايا السياسية التي كان لها تأثير على واقع المجتمع العراقي، وقد مارس فيها دور الموجه

والمرشد للمجتمع المسلم والحريص على سلوك أرجح الطرق للحفاظ على شيعة أهل البيت(ع)، وتميزت آراؤه ونظرته إلى الأمور فيما يخص فتاوى حساسة وخطيرة على مجمل الحياة العامة للمؤمنين بالحكمة وبعد النظر.

وقد اضفى ما نقلته من شهادات شخصيات لصيقة بتلك الأحداث، ميزة أخرى لتوثيق البحث، بالإضافة إلى المصادر الكَتبية، لتكشف ما ووري عن أنظار الناس، وما لم يصل إليهم عنه من أثارة أو علم.

الهوامش:

---

(١) ينظر: الشيخ الكليني، الكافي: ٤١١/٧. الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه: ج٣ باب (من يجوز التحاكم إليه ومن لا يجوز). محمد بن الحسن الصفار، بصائر الدرجات: ص٢٧ . أبو الصلاح الحلبي، الكافي في الفقه: ٤٢١ـ ٤٢٣.

(٢) الشيخ جعفر محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ١/ ٣٧٧.

(٣) ينظر: الشيخ حسين معتوق، المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية: ٤٤ـ٤٥. مطابع دار الهدى، بيروت/١٩٧٠.

(٤) د. صلاح عبد الرزاق، المرجعية والاحتلال الاجنبي دراسة في فتاوى السيد كاظم اليزدي ضد الغزو البريطاني ١٩١٤: ص٣١. ط:١، الناشر: منتدى المعارف ، بيروت/٢٠١٠ .

(٥) السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة: ١٣١/٦.

(٦) محمد حسين الصغير، أساطين المرجعية العليا في النجف الأشرف: ص١٣٣. نقلا عن علي الشرقي، الأحلام: ص٩٧.

(٧) لإلقاء نظرة على بعض السياسات القمعية للدولة العثمانية بحق الشيعة، ينظر: د. صلاح مهدي علي، المرجعية الدينية ودورها الوطني في تاريخ العراق الحديث والمعاصر ١٩٠٠ـ ٢٠٠٢، الناشر: مؤسسة مصر مرتضى للكتاب لعراقي، بغداد/٢٠١٠م، ص ١٣٦ـ١٣٧.

(٨) جعفر الشيخ باقر محبوبه، ماضي النجف وحاضرها: ٣٤٠,٣٤١.

(٩) ملخص حديث في مقابلة شخصية مع الدكتور محمد حسين علي الصغير في شهر كانون الأول ٢٠١٢م.

(١٠) د. صلاح عبد الرزاق، المرجعية والاحتلال الاجنبي دراسة في فتاوى السيد كاظم اليزدي ضد الغزو البريطاني ١٩١٤: ص١٧٦ ـ ١٧٧..

(١١) ينظر أيضا: سليم الحسني، دور العلماء الشيعة في مواجهة الاستعمار١٩٠٠ـ١٩٢٠، دار الغدير، بيروت/١٩٩٥: ص٩٩ـ١٠٠.

(١٢) حسن الأمين، مستدركات أعيان الشيعة: ٢٣٦/٢.

(١٣) نهج البلاغة: ١٨٠/٢.

(١٤) الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، في السياسة والحكمة، ط:١، دار التوجيه الإسلامي، بيروت/١٩٨١م: ص١٠٥.

(١٥) إرشاد القلوب للديلمي: ١٨٤/١.

(١٦) ينظر: الشيخ الكليني، الكافي: ٤١١/٧. الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه: ج٣ باب (من يجوز التحاكم إليه ومن لا يجوز). محمد بن الحسن الصفار، بصائر الدرجات: ص٢٧.

(١٧) الشريف الرضي، نهج البلاغة: ١٢٤/١.

(١٨) السيد علي الحسني البغدادي، معالم الإمامة: ص١٢٠.

(١٩) سورة النساء/ ١١.

(٢٠) ينظر: السيد علي الحسني البغدادي، معالم الإمامة: ص٢٣٤. الشيخ علي الكوراني، إلى طالب العلم: ص ١٢٧.

(٢١) الشيخ علي الكوراني، إلى طالب العلم: ص ١٢٧.

(٢٢) ينظر: الشيخ الكليني، الكافي: ١٧٦/٢. القاضي النعمان المغربي، دعائم الإسلام: ٦٢/١. الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا(ع): ٢٦٤/١.

(٢٣) د. حيدر نزار السيد سلمان، المرجعية الدينية في النجف ومواقفها السياسية في العراق من ١٩٥٨ – ١٩٦٨ (تاريخ سياسي)، ط:١، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت/٢٠١٠م: ص ٢٢١.

مصادر البحث:

١- القرآن الكريم.

٢- الحسن بن محمد الديلمي(ت ق٨): إرشاد القلوب، ط: ٢، الناشر: انتشارات الشريف الرضي، قم/١٤١٥هـ.

٣- الدكتور محمد حسين الصغير: أساطين المرجعية العليا في النجف الأشرف،ط: ١، الناشر: مؤسسة البلاغ/بيروت – ٢٠٠٣م.

٤- السيد محسن الأمين(ت ١٣٧١هـ): أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، الناشر: دار التعارف للمطبوعات – بيروت.

٥- الشيخ علي الكوراني العاملي: إلى طالب العلم: ط: ١/١٤٣١هـ.

٦- محمد بن الحسن الصفار(ت ٢٩٠ هـ): بصائر الدرجات، تصحيح وتعليق وتقديم: الحاج ميرزا حسن كوچه باغي، الناشر: منشورات الأعلمي – طهران/١٤٠٤هـ.

٧- القاضي النعمان المغربي(ت ٣٦٣هـ): دعائم الإسلام، تحقيق : آصف بن علي أصغر فيضي، الناشر: دار المعارف – القاهرة/١٣٨٣هـ.

٨- سليم الحسني: دور العلماء الشيعة في مواجهة الاستعمار١٩٠٠-١٩٢٠، دار الغدير، بيروت/١٩٩٥.

٩- محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الشيخ الصدوق(ت ٣٨١ هـ):

(أ) عيون أخبار الرضا(ع)، تصحيح وتعليق وتقديم : الشيخ حسين الأعلمي، الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت /١٤٠٤ هـ.

(ب) من لا يحضره الفقيه، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط: ٢، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

١٠- محمد بن يعقوب الشيخ الكليني (ت ٣٢٩ هـ): الكافي، ط:٥ ، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الناشر : دار الكتب الإسلامية – طهران/١٣٦٣ هـ ش.

١١- أبو الصلاح الحلبي(ت ٤٤٧ هـ): الكافي في الفقه، تحقيق: رضا أستادي، الناشر: مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي (ع) العامة – اصفهان.

١٢-الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء(ت ١٣٧١هـ): في السياسة والحكمة، ط:١، دار التوجيه الإسلامي، بيروت/١٩٨١م.

١٣- مقابلة شخصية مع الدكتور محمد حسين علي الصغير في شهر كانون الأول ٢٠١٢م.

١٤- حسن الأمين(ت ١٣٩٩ هـ): مستدركات أعيان الشيعة، الناشر : دار التعارف للمطبوعات، بيروت/ ١٤٠٨ هـ

١٥- الشيخ جعفر محبوبة(ت ١٣٧٧هـ): ماضي النجف وحاضرها، ط:٢، الناشر: دار الأضواء/بيروت – ١٩٨٦م.

١٦- د. صلاح عبد الرزاق: المرجعية والاحتلال الاجنبي دراسة في فتاوى السيد كاظم اليزدي ضد الغزو البريطاني، ط:١، الناشر: منتدى المعارف ، بيروت/٢٠١٠ .

١٧- د. حيدر نزار السيد سلمان: المرجعية الدينية في النجف ومواقفها السياسية في العراق من ١٩٥٨ – ١٩٦٨ (تاريخ سياسي)، ط:١، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت/٢٠١٠م.

١٨- الشيخ حسين معتوق: المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية٤٥. مطابع دار الهدى، بيروت/١٩٧٠.

١٩ـ السيد علي الحسني البغدادي: معالم الإمامة، ط:١، الناشر: دار العلم للملايين/بيروت ـ ١٤٢٠هـ.

٢٠ـ الشريف الرضي(ت ٤٠٦ هـ): نهج البلاغة، شرح : الشيخ محمد عبده، ط: ١، الناشر: دار الذخائر/ قم – ١٤١٢ هـ.